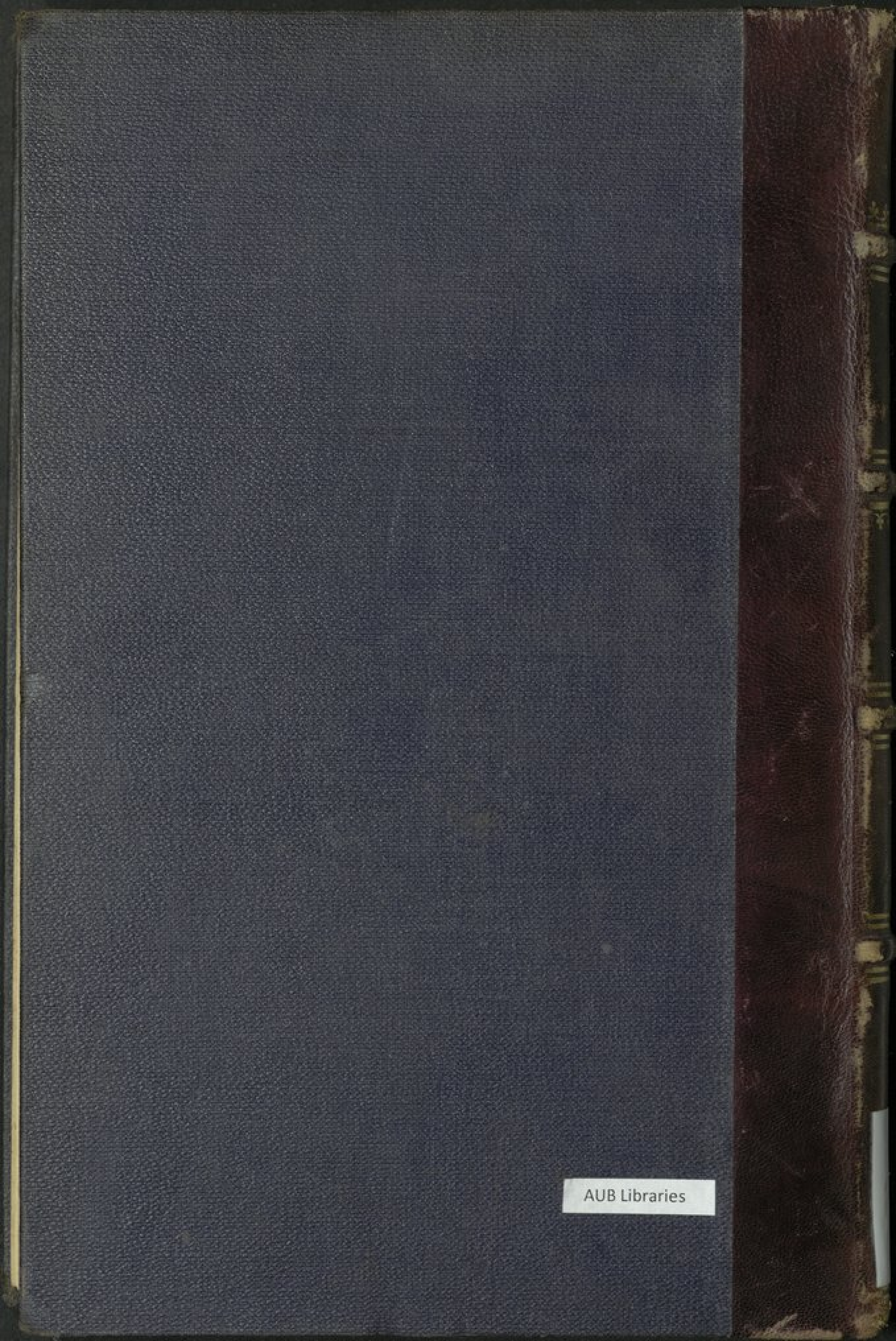
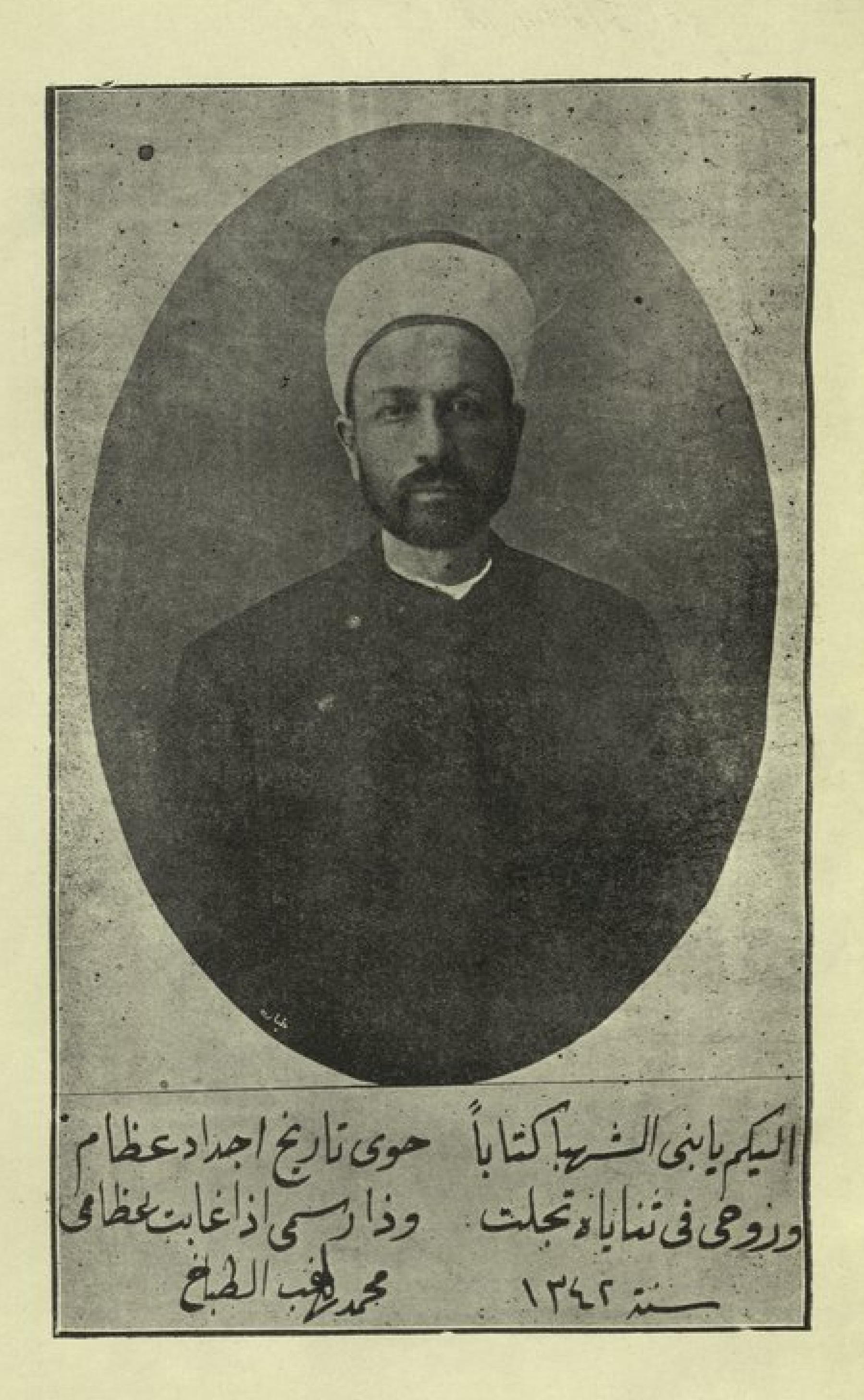
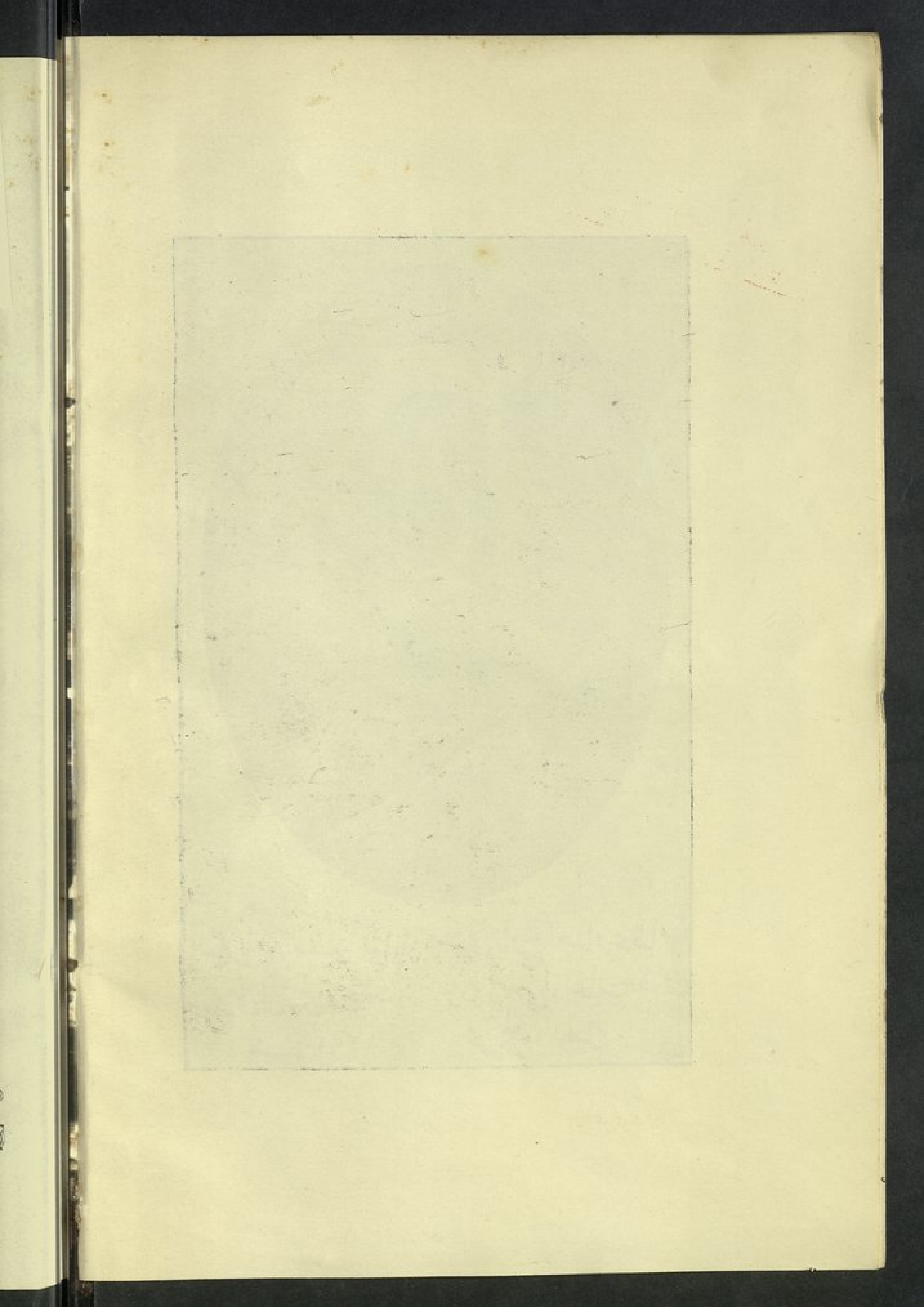
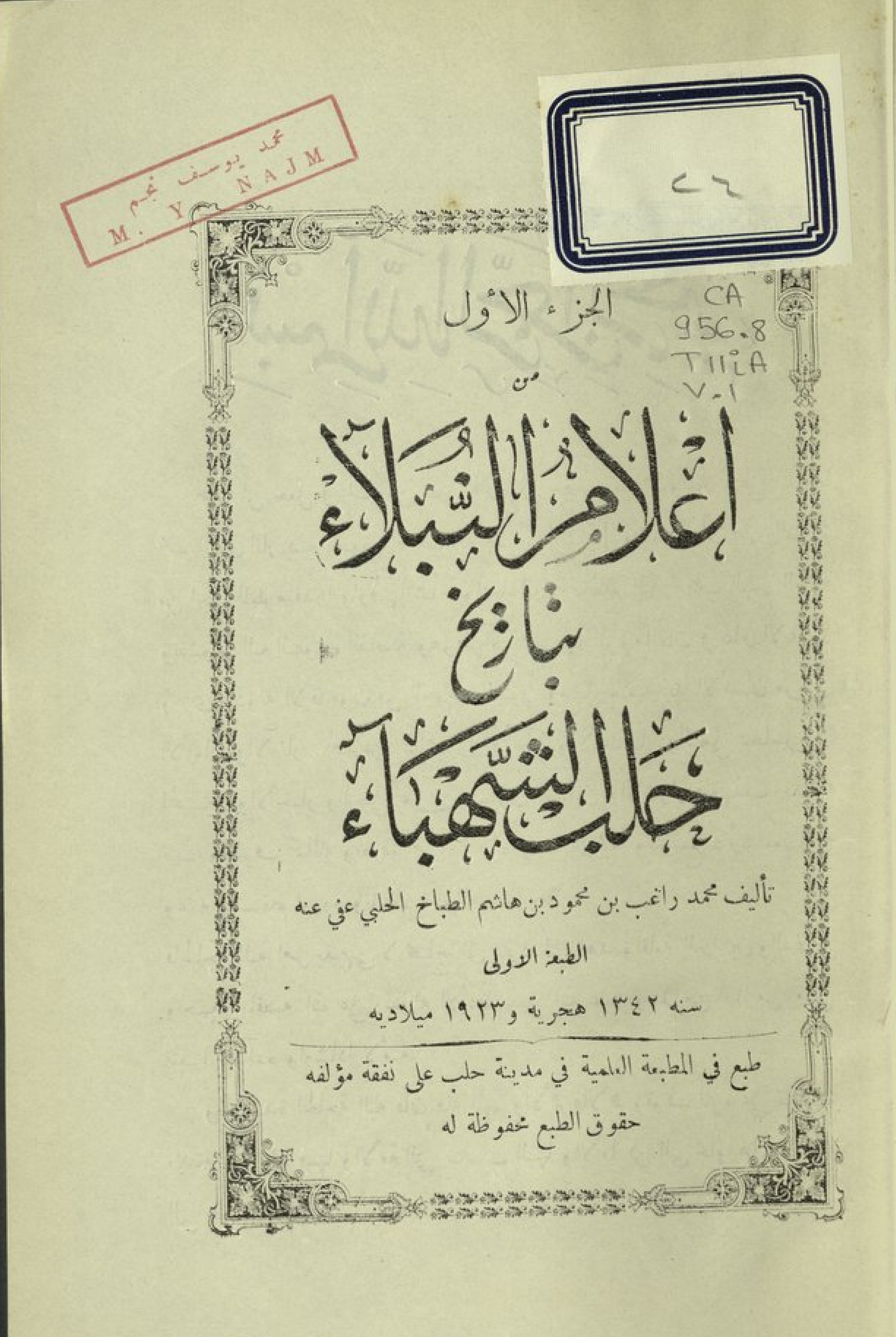

AUB Libraries


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



اليكم يابني الشهباء كتاباً   حوى تاريخ اجداد عظام
وروحي في ثناياه تجلت   وذا رسمي اذا غابت عظامي
سنة ١٣٤٢   محمد راغب الطباخ





الجزء الأول

من

أعلام النبلاء

بتاريخ

حلب الشهباء

تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي عفي عنه

الطبعة الاولى

سنه ١٣٤٢ هجرية و١٩٢٣ ميلاديه

طبع في المطبعة العلمية في مدينة حلب على نفقة مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل في انباء من مضى عبرة لمن حضر وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذي انار بسيرته وسيرة اصحابه بصائر البشر [وبعد] فأن علم التاريخ من اجل العلوم قدرا وارفعها شأناً واسماها رتبة تتطلع اليه ارباب الهمم العالية وتتشوق اليه النفوس الفاضلة وهو مرآة يبصر بها المرء ما كان في غابر الاعصار ويرى مادونه الأقدمون من العلوم والفنون وما صنعته يد الأنسان من الأعمال والآثار . فيدعوه ذلك الى الأتعاظ والأعتبار والتحلي بمحاسن المحسنين والأخيار والتخلي عن مساوي المسيئين والاشرار فتتهذب بذلك نفسه وتتظارف شمائله وتصفو مرآة فكره ويستنير لبه وتتوسع دائرة معارفه وعلمه وتستقيم اموره وتنتظم احواله وشؤونه .

فالحاجة اليه امر بديهي لا يحتاج الى سرد الشواهد واقامة البراهين والدلائل وحسبنا ماقصه الله على رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم من انباء من مضى تثبيتا لفوآده وارشاداً لأمته

ومع شدة الحاجة اليه فأن فيه المهم والأهم فالأهم وقوف المرء على تاريخ بلدته التي ولد فيها والأمة التي ينتسب اليها والأماكن التي يجاورها. والدولة التي هو من رعيتها

والأمة التي تجهل تاريخ نشأتها واحوال اسلافها وحوادث اوطانها واسباب صعودها وهبوطها تظل هائمة في تيه التأخر هاوية في مهاوي الانحطاط تحيق بها الرزايا من كل صوب وتتقاذفها امواج البلايا من كل جهة وتعبث بها ايدي الأغيار ولا حول لها ولا طول

وعلى قدر معرفتها بتاريخ نشأتها وتضلعها بحوادث من تقدمها يكون رقيها وانتظامها اذا تقرر هذا فأقول

لما كانت [حلب الشهباء] بلدتي فيها مسقط رأسي وبها مرتع انسي وكان الكثيرون من فضلائها السابقين وعلمائها الماضين وضعوا لها تواريخ تنبئي بعظمة شأنها ورفيع مجدها وكانت الأيام قد شتتت شمل هذه التواريخ ونقلتها الى غير هذه الديار خصوصاً الديار الغربية والمصرية ولم يبق منها في الشهباء الا نزر يسير وقل من كثير لايشفي علة ولا يروي غلة

ووجدت غير واحد من ابناء وطني من ذوي النباهة وممن تلوح على اساريرهم مخايل النباهة تتطلع نفوسهم الى معرفة تاريخ بلدهم والوقوف على مآثر اسلافهم ومفاخر آبائهم وما مر على الشهباء من ادوار التقدم والتأخر وما كانت عليه من الحضارة والعمران في العصور السالفة والازمنة المتقادمة علماً منهم بالأمور التي قدمناها والحقايق التي اوضحناها

رأيت من المتحتم عليَّ على قلة بضاعتي وكثرة شواغلي وتوزع بالي ان اضع لها تاريخاً يكشف النقاب عمن تولاها وينبئي عمن مضى من اعيانها فعزمت على ذلك بعد الأتكال على الله ذي الجلال المتفرد بالبقاء والكمال وشمرت عن ساعد الجد ووجهت لهذا المشروع الخطير ركائب الهمة مع علمي بصعوبة

ذلك المرتقى وما يعترضه من المشـاق الا ان ذلك لم يثن من عزيمتي ولم يقصر من همتي وجعلت شعاري قول ذلك الشاعر العربي

لأستسهلن الصعب اوادرك المنى فما انقادت الآمـال الا لصابر

ولما قارب الكتاب الأتمام وكاد يفوح منه مسك الختام بعون الملك العلام وسمته . ب .

﴿ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ﴾

وقسمته الى مقدمـة وقسمين وقسمت المقدمـة الى فصلين الفصل الأول في بيان ماوضعه فضلاء الشهباء من التواريخ الخاصة بها والفصل الثاني في بيـان ماوضعوه من التواريخ العامة مرتبا ذلك على سني وفاة مؤلفيهـا وتكلمت على كل تاريخ بقدر ماادي اليه بحثي ووصل اليه علمي وذكرت المكتبة التي يوجد فيها ذلك الكتاب قاصداً بذلك تسهيل السبيل اليه لمن رام الوقوف او الحصول عليه :

﴿ القسم الأول ﴾

[وهو في مجلدين] ذكرت فيه من ملك حلب ومن تولاها من حين الفتح الأسلامي [فتح ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه] سنة ١٦ الى نهاية سنة ١٣٢٥ واخبار ملوكها وامراءهـا والحوادث التي حصلت في زمنهم ومالهم من الآثار

وقد وقفت فيه عند هذه السنة لأن السنة التي بعدهـا حصل الانقلاب

العثماني حيث قام فيها نيازي وانور وغيرهما من الضباط وثاروا مع الجيش العثماني فى جهة سلانيك وقصدوا الاستانة والزموا السلطان عبد الحميد الثاني اقامة حكومة دستورية واعادة فتح المجلس النيابي الذي كان اغلقه قبل ذلك بسنين وحصل من ذلك الحين الى السنة التى نحن فيها وهي سنة ١٣٤٢ حوادث كثيرة خطيرة يطول شرحها تصلح ان تجعل تاريخاً على حدة ووجدت اني اذا تتبعتها وتتبعت ماله علاقة بهذه الحوادث بالشهباء وماحولها اضعت ماالزمت به نفسي من التنقيب والبحث دائماً عما يتعلق بالشهباء من حوادثها القديمة وتراجم اعيانها السابقين المبعثرة في بطون الكتب والاوراق المفردة الملقاة في زوايا الاهمال فى الخزائن . وفي البحث عنها وعما جد من الحوادث الاخيرة اضاعة للجهتين معا فاذا وجدت ان البحث قد بلغ حده وانقطع الامل من العثور على حوادث الشهباء القديمة وتراجم اعيانها السابقين وكان في الاجل فسحة وفي الوقت متسع وجهت الهمة الى تدوين ماكان من الحوادث فى الشهباء من سنة ١٣٢٦ الى المدة التي نكون فيها وجعلته ذيلاً على حدة وبالله التوفيق

﴿ خطتي في هذا القسم ﴾

توخيت فى هذا القسم خطة البسط فما رأيته من الحوادث في كتابين اخذت الأوسع منهما واذا كان فى الأقل زيادة مفيدة التقطتها واضفتها الى تلك لتكون الفائدة أتم . اردت بذلك ان يخرج الكتاب عن حد الفهرست التى يقل الاستفادة منها كما هو شأن بعض ما رأيته من التواريخ المتقدمة لأن

فى البسط تتجلي الحوادث وتظهر اسبابها وتستبين نتائجها خصوصاً لمن كان ثاقب الفكر واسع المدارك

وفى آخر ولاية كل ملك او وال ذكرت ترجمته مع ماله من الآثار فى هذه الديار ولم يشذ عني من هذه التراجم الا القليل وقد تناول الكلام عن هذا القسم ذكر حوادث البلاد التى كانت معدودة من معاملات حلب على عهد الدولة العثمانية

﴿ والقسم الثاني ﴾

وهو فى اربع مجلدات ذكرت فيه تراجم اعيان الشهباء مابين وزير خطير وامير كبير ومحدث وفقيه وشريف ووجيه وخطيب وطبيب وشاعر واديب وتاجر وزعيم وغيرهم من ذوي المزايا وارباب المناقب

وقد ابتدأت فيه من اوائل القرن الثالث للهجرة لأنى لم اقف على تراجم لأحد من اعيان الشهباء قبل ذلك ولعلك تجد لهم ذكراً في تاريخ ابن العديم وهذا القسم نقف فيه عند السنة التي ينتهي فيها الطبع ان شاء الله تعالى

﴿ خطتي في هذا القسم ﴾

توخيت فى هذا القسم خطة البسط ايضاً فما رأيته من التراجم فى كتابين اخذت اوسعها واضفت اليه ماوجدته من الزوائد المفيدة في الثانية وانتهجت منهج الاستقصاء بقدر الامكان فلم يقع نظري على ترجمة لحلبي فى كتاب من الكتب التى اطلعت عليها الا ونظمتها فى عقد هذا التاريخ لأن في هذا

الاستقصاء يتسنى لبعيدي النظر استجلاء سير العلم والاجتماع في العصور السالفه فيقايسون بينها وبين هذا العصر او بين كل عصر وعصر وسيظهر لنا الزمان في المستقبل ان الكثير من هؤلاء المترجمين لهم آثار علمية واوقاف خيرية لم تذكر في تراجمهم الى غير ذلك من الفوائد

وقد التزمت ان لا اذكر الا من كانت ولادته في الشهباء او كان ممن توفى فيها . واما من نزلها ثم ارتحل عنها او اجتاز بها فقد ضربت عنه صفحا لان ذلك مما يطول شرحه ويحتاج الى مجلدات كثيرة . وجعلت اعيان كل قرن على حدة مبتدئاً من القرن الثالث [لاني لم اقف على تراجم لاحد منهم قبل ذلك] الى هذا العصر مرتباً لهم علي مقتضى سني وفاتهم لتكون ترجمة المعاصر مقرونة مع معاصره تقريبا وسلسلة حوادثهم متصلة غير منفصلة او قريبة الارتباط ببعضها وجدت ان ذلك اولى من ترتيبهم على حروف المعجم لأن ذلك يجعل من كان من اهل القرن الثالث مع من كان من اهل القرن الثالث عشر وهلم جرا فتختلط القرون ببعضها وتتبعثر سلسلة الحوادث فيصعب على القارئ التمييز ويحصل له من التشويش مالا مزيد عليه . وما كان مطبوعاً من مؤلفات علماء الشهباء اشرت اليه بذكره بين هلالين اثناء الترجمة او في الذيل واشرت الى كثير مما هو غير مطبوع الى المكتبة التي يوجد فيها هذا الكتاب ليسهل الاستحصال عليه لمن رام ذلك وهذا القسم في اربعة مجلدات تبلغ نحو الفي صفحة وتنيف عدد التراجم فيه على الف وخمسمائة ترجمة

ومن مزايا تاريخي اني عزوت كل حادثة وكل ترجمة الى الكتاب المنقولة عنه وما تجده غير معزو ، او بعد كلمة اقول ، فانه مما املاه فهمي القاصر

وسطره قلمي القاصر قصدت بذلك ان يكون القارئ مطمئن البال وليسهل عليه الرجوع الى الاصل عند اقتضاء الحال . ويزيد ما تصفحته من الكتب عن ثلثمائة مجلد هذا غير المجاميع والأوراق المبعثرة التي ظفرت بها في الخزائن وما تلقيته من افواه الرجال الذين اثق بهم ولا تسل عما تكبدته من المشاق وما تجشمته من المتاعب في سبيل الحصول على هذه المواد واقتناص شواردها وجمع شملها المتبدد حتى انتظم منها عقد هذا التاريخ وتراصفت مبانيه

وطالما واصلت ليلي بالسهر ارعى النجوم لالتقاطى الدرر
كأن سالك عقدها المجره اضم فيه درة فدره

على ان ماصرفته من ثمين الوقت وما لاقيته من المصاعب كنت اجده شرابا سائغا وموردا عذبا بجانب الغاية النبيلة التي كنت اقصدها وهي القيام بخدمة بلادي وابناء وطني بكتاب يوقفهم على تاريخ اوطانهم ومآثر اسلافهم

هذا واني لاادعي الأحاطة بجميع حوادث الشهباء وجميع تراجم اعيانها في هذه القرون مع اني لم آلو جهدا في الحصول على ما امكن الحصول عليه في الديار السورية لأن ذلك من الأمور المستحيلة وعلى فرض امكان ذلك فأنه موقوف على الحصول على جميع التواريخ التي ذكرناها في المقدمة وعلى مراجعة غيرها من التواريخ التي لم نذكرها في كتابنا . ومن رام الزيادة على ماوضعته فمليه ان يشد الرحال الى الديار المصرية والرومية والغربية فهناك يجد باب الزيادة مفتوحا امامه خصوصا اذا كان من الواقفين على اللغات الغربية المشهورة ويكون بذلك قد قام بخدمة جلى لمدينة الشهباء والله الهادي الى سواء السبيل

وكنت اود وضع قسمين آخرين يكونان متممين لهذا التاريخ اذكر في قسم محلات حلب. ومافي كل محلة من المدارس والجوامع والمساجد والرباطات والخانات وغير ذلك من الاماكن والآثار القديمة واتكلم على كل مكان فاذكر اسم بانيه وواقفه وما وقفه وما هو نوع ذلك الوقف وحالة ذلك المكان الآن وحالة وقفه والقسم الثاني اذكر فيه اعمال الشهباء من البلاد والقرى واحوالها الماضية والحاضرة وما هناك من الآثار القديمة وبقاياها

ولا ريب اني اكون بذلك احسنت الصنع واكملت الوضع ووفيت تاريخ الشهباء حقه غير اني وجدت ان هذا العمل العظيم ليس في وسعي ان اقوم به وحدي ويحتاج الى عدة اشخاص من الواقفين على اللغات الأجنبية والآثار القديمة يقومون بسياحة طويلة في هذه الأماكن ويقتضي لهؤلاء نفقات كثيرة لايقوم بها الا الحكومة فاكتفيت بما وضعته واقتنعت بما جمعته ولعل الله يلهم اولى الأمر بالقيام بهذا العمل الجليل في مستقبل الأيام

هذا واني ابسط يد الرجاء الى الناقد البصير ان يسبل ذيل العفو ويصفح عما يجده من التقصير والسهو فأن الكمال لله جل جلاله والعصمة لأنبيائه العظام ورسله الفخام

يا ناظراً فيما قصدت لجمعه ... اعذر فأن اخا الفضيلة يعذر
واعلم بأن المرء لو بلغ المدى ... في العمر لاقى الموت وهو مقصر
فاذا ظفرت بزلة فافتح لها ... باب التجاوز فالتجاوز اجدر
ومن المحال بأن يرى احد حوى ... كنه الكمال وذا هو المتعذر
غير النبي المصطفى الهادي الذي ... يفنى الزمان وفضله لايحصر

والله اسأل وبنبيه الأعظم صلى الله عليه وسلم اتوسل ان يجعل سعي مشكورا وعملي خالصا مقبولا انه على كل شيئ قدير وبالاجابة جدير وقد آن ان اشرع بالمقصود بعون الملك المعبود

المقدمة

وفيها فصلان الفصل الأول فيما وضعه فضلاء الشهباء من التواريخ الخاصة بها

(١) ﴿ الكلام على بغية الطلب ﴾

قال العلامة رضي الدين محمد بن الحنبلي المتوفي سنة ٩٧١ في خطبة تاريخه در الحبب في تاريخ حلب اهتم بامر تاريخ الشهباء جماعة من النبلاء وشرذمة من الفضلاء فكان ممن اقدم وكتب لها تاريخا حسناً فيما تقدم المولى الصاحب صاحب المآثر والمناقب كمال الدين ابو حفص عمر بن ابي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم الحلبي الحنفي وهو التاريخ الكبير الذي سماه « بغية الطلب في تاريخ حلب » وانتزع عنه تاريخه المسمى بزبدة الحلب في تاريخ حلب حتى انتزعنا منه وزدنا عليه سوى ما نقيناه عنه سنة احدى وخمسين وتسعماية مختصرنا الذي سميناه بالزبد والضرب في تاريخ حلب وكانت وفاته سنة ستين وستماية وقال في التاريخ المنسوب لابن الشحنة وقد رأيت جماعة من العلماء جمعوا تواريخ لبلادهم على انحاء شتي بحسب اجتهادهم ولم ار لحلب تاريخا مختصا بذكرها منطويا على بث محاسنها ونشرها وهي خليقة بذلك لانها واسطة عقد الممالك وزمامها الذي من ملكه تصرف فيها بكل الامور التي تريدها نفسه وتشتهيها الاما جمعه تاريخا مستوعبا

لها الامام العلامة كمال الدين ابو القسم عمر بن احمد بن العديم الحلبي الحنفي فأتقن واجاد واطال ولم يبيض منه الا اليسير واطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء معنى قليلا في لفظ كثير ولم يسبقه احد بتاريخ لها علي الخصوص وسماه [بغية الطلب بتاريخ حلب] رتبه علي حروف المعجم كما اخبرني بذلك الامير النقيب بدر الدين الحسيني نقيب السادة الاشراف في المملكة الحلبية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ نحو اربعين جزء كباراً والمبيضة تجي كذلك لكن اخترمته المنية قبل اكمال الامنية وتفرقت اجزاؤه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها الا نزراً لم اقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم وفيه ترجمة الملك العادل نور الدين محمود وترجمة جدي الأمير حسام الدين محمود شحنة حلب وبعض تراجم غيرها وهو عندي وبلغني انه ذكر في الجزء الاول من خصائص حلب وفضائلها ومعاملاتها ومضافاتها انتهى

اقول ان هذا التاريخ اجل تواريخ الديار الحلبية واعظمها شأناً وهو بالسند على نسق كثير من تواريخ المتقدمين طالما رأينا من الاجانب الذين يفدون الى الشهباء يبحثون عنه توصلا الى الحصول على نسخة او قطعة منه

قال صاحب مجلة المشرق في محاضرته التي القاها في حلب سنة ١٩٠٦ م ونشرها في السنة التاسعة من مجلته وقد عني الاوربيون بنقل تاريخ كمال الدين الى الأفرنسية ونشره لكثرة فوائده

وهو مفقود منذ اعصار من هذه الديار غير انا فيما سنتلوه عليك من النقول والدلائل يظهر لك انه قد بيض معظمه بل لم يبق منه في المسودة الا النزر اليسير اعنى من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٦٠ وهي السنة التى توفي فيها المؤرخ

رحمه الله خلافاً لما ذكره في الدر المنتخب من انه لم يبيض منه الا اليسير

يوجد منه جلدان فى مكتبة الامة في باريس رقمهما « ٢١٣٨ » ابتدئ فيهما بترجمة اسحق بن منصور وانتهى بترجمة امين بن عبد الله الأموي وهما محرران من نحو ٥٠٠ سنة ويوجد جزء منه في المتحف البريطاني فى لوندره ويوجد منه جلد واحد فى مكتبة اياصوفيا في عاصمة السلطنة العثمانية ورقمه « ٣٠٣٦ » وهو فى « ٥٢٥ » صحيفة بخط حسن وعدة صحف في آخره ممحوة يتعذر قراءتها ويغلب على الظن ان هذا الجلد اول التاريخ

ويوجد في احدى مكتبات باريس قطعة منه ترجمها الى الافرنسية : ابلوش وطبعت سنة ١٩٠٠ م في مطبعة [ليرو] في [٢٥٥] صحيفة استحضر نسخة منها اندره ماركوبلي احد الوجهاء الايطاليين المتوطنين هنا وقد اطلعني عليها وترجم لي جانباً منها و حوت هذه القطعة المترجمة من سنة ٥٤٠ الى سنة ٦٤٠ اعنى الى قبل وفاة المؤلف بعشرين عاما وفى اول هذه القطعة ترجمة نور الدين الشهيد وذكر ماله من الآثار وفى آخرها ترجمة جمال الدولة اقبال الخاتوني حينما اتى الى حلب ✡ وقد عني مؤرخو الافرنسيين بجمع ماكتبه مؤرخو الأسلام عن الحروب الصليبية فى عشرة مجلدات ضخمة مع ترجمة ذلك الى اللغة الأفرنسية رأيتها في المكتبة اليسوعية في بيروت ورأيت منها سبعة عند الخواجه هاري ماركوبلي احد وجهاء الأيطاليين المتوطنين في حلب ذكروا تحت عنوان (منتخبات من تاريخ حلب لكمال الدين) حوادث حلب من سنه ٤٩٠ الى سنة ٥٤١ وهى السنة التي توفي فيها زنكي والد نور الدين الشهيد وهى في ٥٧ ورقة ثم ذكروا بعدها تحت عنوان (منتخبات من بغية الطلب) ترجمة اسماعيل

ابن بوري المتوفى سنة ٥٢٩ وترجمة اسماعيل بن نور الدين الشهيد المتوفى سنة ٥٧٧ وترجمة آق سنقر بن عبد الله المتوفى سنة ٤٨٧ وترجمة آق سنقر البرسقي المتوفى سنة ٥٢٠ وترجمة آلب ارسلان بن رضوان المتوفى سنة ٥٠٨ وهي في ١٩ ورقة وقد اتيت على ما في القطعتين في محالها مما له علاقة بحلب وقد وجدت فيهما من التفضيل ما لم اجده في غيرهما وذلك مما يحتم علينا تطلب جميع هذا التاريخ والاستحصال عليه لعظيم فوائده

واخبرني الفاضل الرحالة خليل افندي الخالدي من اهالي القدس الشريف في ٢٢ محرم الحرام سنة ١٣٢٨ حينما مر من الشهباء قاصداً ولاية ديار بكر معينا قاضيا بها انه وجد في دار الخلافة في المكتبة السلطانية في سراي طوب قبو نسخة كاملة من تاريخ ابن العديم بخط مؤلفه وان المجلد الموجود في مكتبة اياصوفيا هو بخط المؤلف ايضاً وانه كتب في آخر النسختين انه سمع منه التاريخ شرف الدين ابو محمد عبد المؤمن الدمياطي وعبد المؤمن هذا توفي سنة ٧٠٥ وهو من تلامذة ابن العديم ومن كبار أئمة الحديث ممن انتهت الرحلة اليه وله ترجمة حافلة في طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي وهي موجودة في المكتبة الأحمدية بحلب

والصلاح الصفدي حينما سرد اسماء التواريخ في مقدمة تاريخه ذكر (١) تاريخ ابن العديم ولم يقل ان شيئاً منه لم يزل في المسودة

وقد عده الجلال السيوطي في اوائل تاريخه (بغية الوعاة) في طبقات النحاة من جملة التواريخ التي طالعها وقال انه في عشرة مجلدات وقال في آخر تاريخه ما نصه • واما الشام فوقفنا علي تاريخها لابن عساكر واعظم به وتاريخ حلب لابن

[١] من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب

العديم ونقل عنه في ترجمة ابن خالويه النحوي ما نصه رأيت في تاريخ حلب لأبن العديم بخطه قال رأيت في جزء من امالي ابن خالويه سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور فقالوا لا فقال لأبن خالويه ما تقول انت قلت انا اعرف اسمين قال ما هما قال لا اقول لك الا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى فلما كان بعد شهر اصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرمي في كتاب التنبيه وهما صلفاء وصلا في الأرض الغليظة وخبراء وخبارى وهي ارض فيها ندوة ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في الجمهرة وهي سبلاء وسبالى وهي الأرض الخشنة اه

قال صاحب فوات الوفيات في ترجمة المؤلف انه مات قبل اكمال تبييضه وقال العلامة اليونيني في الذيل في حوادث سنه ٦٦٠ في ترجمة المؤلف ما نصه وجمع لحلب تاريخاً احسن فيه ما شاء ومات وبعضه مسودة لم يبيضه ولو تكمل تبييضه كان اكثر من اربعين مجلدا

(٢) الكلام على تاريخ حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي المسمى بالقوت [٣] وتاريخ ابن العظيمي (٤) وتاريخ ابن حميدة المسمى بمعادن الذهب)

صريح ماقدمناه عن درالحبب والدر المنتخب ان اول تاريخ وضع للشهباء هو بغية الطلب للكمال ابن العديم لكن قال في كشف الظنون ومن تواريخ حلب كتاب ابي عبدالله محمد بن علي العظيمي ومعادن الذهب لأبن ابي طي يحيى بن

حميدة الحلبي وهو تاريخ كبير وذيله له ايضاً وقال فى الكشف ايضاً فى صحيفه ٢٢٨ تاريخ العظيمى هو ابو عبد الله محمد بن على رتبه على السنين وله تاريخ حلب ايضا وقال الحافظ السخاوي في كتاب التوبيخ لمن ذم التاريخ (١) فى الكلام على حلب ما نصه جمع تاريخها من سنة تسعين واربعماية يتضمن اخبار الفرنج وايامهم وخروجهم الى الشام من السنة المذكورة وما بعدها ابو الفوارس حمدان بن عبد الرحيم ابن حمدان التميمي الأثاربى ثم الحلبي سماه القوت اه وقال ياقوت في معجم البلدان فى الكلام على الأثارب وحمدان بن عبد الرحيم الاثاربي طبيب متأدب وله شعر وادب وصنف تاريخاً كان فى ايام طغتكين صاحب دمشق بعد الخمساية اه وهذا يفيد ان اول من وضع تاريخاً للشهباء هو حمدان الاثاربى ثم ابن العظيمي ثم ابن حميدة ثم ابن العديم لأن العظيمي على ما سيأتى فى ترجمته كانت ولادته سنة ٤٨٣) اربعمائه وثلاث وثمانين ولم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته ويظهر انها كانت في اواسط القرن السادس وابن حميدة كانت وفاته سنة ٦٣٠) وابن العديم كانت وفاته سنة (٦٦٠) فالعظيمى على هذا له تاريخان تاريخ خاص بالشهباء وتاريخ عام رتبه على السنين ولم اقف على اسمى هذين التاريخين)

وتراجم هؤلاء المؤرخين والذين بعدهم سنذكرها جميعها في القسم الثانى تجد ترجمة كل واحد في السنة التى توفي فيها فراجعها ثمة

(٥) الكلام على زبدة الحلب فى تاريخ حلب)

هو لكمال الدين ابي القاسم عمر بن ابى جرادة المتوفى سنة ٦٦٠ انتزعه من تاريخه الكبير بغية الطلب المقدم ذكره وهو مرتب على السنين الى سنة ٦٤١]

[١] من مخطوطات المكتبة الاحمديه

يوجد منه نسخة في بطرسبرج في المكتبة العمومية ونسخة منه في باريس في المكتبة العمومية ايضاً ورقمها[١٦٦٦] فى٢٦٨صحيفة ويظهر ان هذه النسخة تامة وقد ترجم الي اللغة الافرنسية وطبع في باريس سنة [١٨٩٦] وسنة ١٨٩٨ ونشر في مجلة الشرق اللاتيني

ويوجد قطعة منه في المكتبة الخديوية في القاهرة ففي فهرستها الأولى في حرف الزاي مانصه نبذة من زبدة الحلب فى تاريخ حلب لأبى حفص عمر بن احمد بن هبة الله الشهير بابن العديم المتوفي سنة ٦٦٠ طبع حروف بباريس سنة ١٨١٩ ومعها مقدمة تاريخية وترجمة النبذة المذكورة باللغة اللاتينية لمسيو فيرتيك نس ج ١ ان خ ١٠٦٧ ن ع ٢٤٥٨٠ اه

انتحال الطبيب بيشوف لهذا الكتاب وتحقيق ذلك

لما قرأت هذه العبارة في الفهرست كتبت الى عبد اللطيف ابن اخي الشيخ محمد رحمه الله فاستنسخ هذه القطعة وارسلها لي شكر الله سعيه وهي فى ٤٨ صحيفة مفتتحة بمسير سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه الى حلب ومختتمة باستقرار ولاية حلب لسيف الدولة ابن حمدان سنة ٣٣٦ وقد ادرجت تلك القطعة بتمامها فى محالها كما ستراه

وقد قابلتها على تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء للطبيب بيشوف الجرماني المطبوع في المطبعة الأدبية فى بيروت سنة ١٨٨٠ م فوجدتها متحدتين في العبارة ليس بينهما من الفرق الا مايقع عادة من النساخ من تحريف حرف او اسقاط كلمة او تقديم جملة وتأخير اخرى ·

فظهر لي من هذا ظهور الشمس في رابعة النهار ان الطبيب المذكور ظفر بنسخة تامة من زبدة الحلب الذي نحن في صدد الكلام عليه فأخذها برمتها ونسبها الى نفسه لأن توارد الخواطر على ٤٨ صحيفة مما يستبعده العقل جدا وليس ببعيد ان يكون ما ذكره من الحوادث بعده سنة ٦٤١ الى سنة ٩٢٢ هو ايضاً لبعض مؤرخي الشهباء ظفر به فنسب الجميع الى نفسه فعلى هذا لا يكون الطبيب المذكور في هذا الكتاب سوى المقدمة واما الخطبة فأنها بلا ريب من انشاء بعض أدباء الشهباء فقد حدثني من اثق به ممن يعرف الطبيب المذكور حق المعرفة وعاشره مدة غير قليلة انه لم يكن من الواقفين على شيء من العلوم العربية ولا يعرف من العربية الا اللغة العامية وهذا مما يزيدك برهانا على ان الكتاب المذكور ليس له فيه شيئ. نعم ما ذكره في آخر الكتاب من الكتابات والنقوش التي على ابواب الجوامع والمساجد والمدارس والخانات هو له وقد حدثنا من شاهده وهو يدور في ازقة الشهباء ويقرأ ماكتب على تلك الأماكن ويحرر ذلك عنده وقد كانت وفاة الطبيب المذكور في اوائل هذا القرن ولم اقف على تاريخ مجيئه من بلاده الى هنا ؛

واقدام الطبيب المذكور على نسبة جميع الكتاب الى نفسه وبخسه حق مؤلفه وناظم عقده امر غريب في بابه جداً وهو خيانة كبرى للعلم لا ينبغي ان تصدر من امثاله وكانه ظن ان ذلك سيبقى تحت طي الخفاء والكتمان لا تظهره الأيام والازمان ولو انه عزى الكتاب الي صاحبه وادي الامانة الي اهلها وذكر ماله في هذا الكتاب من الزيادات لكنا من الشاكرين له والمقدرين لمساعيه

ومما يجدر التنبيه عليه ان الطبيب المذكور لم يستقص في كتابه جميع الكتابات المنقوشة على ابواب وجدران الجوامع والمدارس والخانات والقساطل والمنارات

والزوايا والرباطات والذي كاد يستقصي ذلك لجنة المانية حضرت الى الشهباء سنة ١٣٢٦ مؤلفة من ثلاثة اشخاص يدعي احدهم [صوبرنهام] والثاني [برنهارد سوفير] والثالث الطبيب [ارنست هارتز فيلد] بقيت تتجول في الشهباء وضواحيها مقدار ثلاثة اشهر الا انها لم تأخذ النقوش التى كتبت بعد الفتح السليمي وقد تعرفت بهؤلاء الثلاثة حينما اتوا الى محلتنا [باب قنسرين] واخذوا يقرؤن ماكتب على الحجر المدور الموضوع فوق باب المسجد المعروف الآن بمسجد الشيخ حمود الملاصق للبيمارستان الأرغوني فساعدتهم على قراءة ماكتب على ذلك الحجر بالخط الكوفي والكتابة مما يعسر قراءتها وهي

[بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عمر ابتغاء ثواب الله تعالى ابو المكارم الأسكافي عفا الله عنه سنة اثنين واربعين وخمسماية] وحينما وقفوا عند البيمارستان الأرغوني واخذوا في قراءة ما كتب على بابه رأيتهم يقرؤن ثم يراجعون ذلك في كتاب بيشوف فلحظوا مني امارة التعجب من ذلك فقال لي احدهم انا لانثق كثيرا بما كتبه بيشوف لأنه قد لا يقف على كلمة حق الوقوف فيثبتها محرفة والاختبار ايد عندنا ذلك فلهذا نحن مضطرون الى القراءة ثم المراجعة ليكون علمنا يقينيا لا ريب فيه

ورافقت هوءلاء في يوم ذهبوا فيه الى تربة الصالحين فتساعدنا على قراءة ما كتب فوق باب قبلية المسجد بجانب المقام الذي فيه اثر قدم كبيرة يقال انها اثر قدم سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وبعد مشقة ووقت غير قليل تمكنا من قراءة ما نقش عليه وهو اقدم كتابة عربية رأيناها في الشهباء بعد الكتابة التي على منارة الجامع الاعظم وهذا نصها

السطر الأول * مما امر بعمله ملك الملو

السطر الثاني * لـ عضد الدولة ابو شجاع احمد

السطر الثالث * ابن يمين امير المؤمنين وجرى ذلك

السطر الرابع * على يد تاج الملوك ابي الغنائم في سنة

السطر الخامس * تسع وتسعين واربع مماية

واطلعني هؤلاء الثلاثة في اجتماع خاص في الفندق النازلين فيه على الجزء الثاني من كتاب آداب اللغة العربية في الألمانية تأليف (بروكلمن) من مستشرقي الألمان فيه تراجم مؤرخي العرب مع الأشارة الى المكتبة التي يوجد فيها شيء من هذه التواريخ واستخرجوا لي ماهو موجود من تواريخ الشهباء في المكتبات الأوربية وقد اثبت ما استخرجوه لي في محلاته والجزء الاول لم يكن معهم واخبروني ان [هوار] من مستشرقي الأفرنسيين له كتاب في هذا الموضوع

(٦) الكلام على حضرة النديم من تاريخ ابن العديم

هو مختصر من زبدة الحلب المتقدم قال في كشف الظنون وللشيخ طاهر بن حسن المعروف بأبن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٨٠٨ تاريخ منتزع منه ايضاً اي من زبدة الحلب سماه حضرة النديم من تاريخ ابن العديم هكذا وجدته ثم رأيت في درة الاسلاك لوالده حسن بن حبيب انه يقول في ترجمة الكمال ابن العديم جمعت من تاريخه ومن خطه كتاباً لطيفاً سميته حضرة النديم اهـ

[٧ الكلام على الزبد والضرب في تاريخ حلب]

الذي هو مختصر من زبدة الحلب ايضاً

هو لرضي الدين محمد بن الحنبلي صاحب در الحبب المتوفي سنة ٩٧١ قال في

كشف الظنون هو تاريخ مختصر انتخبه من زبدة الحلب وزاد من سنة ٦٦٠ الى سنة ٩٥١ اه وهذه العبارة تفيد انه زاد على الأصل حوادث من سنة ٦٦٠ الى سنة ٩٥١ وليس كذلك فأن المؤلف لم يزد على الأصل شيئاً بل وصل فيه الى سنة ٦٤١ وقال فى آخره والى هذه السنة (اي سنة ٦٤١) انتهى ما وجدته من نسخة الأصل وهي نسخة منقولة من نسخة كتبت من خط مؤلفها المولى الصاحب كمال الدين ابي حفص عمر بن ابى جرادة

نعم زاد بعض حوادث فى ضمن هذا المختصر لم تذكر في الأصل كما قال في خطبة كتابه وتأليفه هذا المختصر كان سنة ٩٥١ لا أنه زاد من سنة ٦٦٠ الى سنة ٩٥١ كما توهمه صاحب الكشف • والذي اوقعه فى هذا السهو غموض عبارة در الحبب التي قدمناها في ابتداء الكلام على بغية الطالب

يوجد هذا المختصر في بطرسبرج عاصمة روسيا ورقمه (٢٠٣) وفي المتحف البريطانى في لوندرة ورقمه (٣٣٤) وفى اكسفورد ورقمه (٨٣٦) وفى المدينة المنورة في مكتبة عارف حكمة بك الشهيرة في ضمن مجموع رقمه (٥٩) وقد ذكره صاحب مجلة المقتبس فى رحلته الى المدينة المنورة المنشورة فى مجلته وعلى اثر ذلك ارسلت فاستنسخته وهو في ثلاث كراريس تنتهى حوادثه الى سنة ٦٤١ كما قدمنا وقال فى آخره وكان الفراغ من انتخابه في يوم الجمعة المبارك السابع والعشرين من ربيع الآخر من شهور سنة احدى وخمسين وتسعمايه اه وقد ادرجنا جميع مافيه في القسم الأول كما ستراه

[تنبيه] في فهرست مكتبة عارف حكمة بك الكائنة فى المدينة المنورة ما نصه (نمره ٩٤ تاريخ حلب مجهول في ورقه ١٤) وقد استنسخت هذه الاوراق فأذا هي ليست تاريخاً لحلب بل هي موشح للشيخ ابي الفتوح على

الميقاتي الحلبي المتوفي سنة ١١٧٤ ذكر فيه متنزهات الشهباء ومدح فيها بعض وجهائها في عصره قال في مطلعه

حلب الشهبا وهاد النظر ومهاد قد تعالت عن نظير
بينها والمدن حسن من نظر قال بالسبق لها دون النظير

ثم شرحه في عشرة اوراق وقد نبهنا عليه لئلا يغتربه من يقرأ تلك الفهرست

(٨ الكلام على الدر المنتخب لأبن خطيب الناصرية

قال في در الحبب ثم ذيل عليه (اي على بغية الطلب) العلامة الأوحد الحافظ قاضي القضاة علاء الدين ابو الحسن على بن محمد بن سعد الطائى الجبريني ثم الحلبي الشافعي المشهور بأبن خطيب الناصرية فوضع تاريخه المسمى بالدر المنتخب في تاريخ حلب وكانت وفاته بحلب سنة ثلاث واربعين وثمانماية ولم يخلف بعده بها مثله من الشافعية كما ذكره الحافظ السخاوي في تاريخه الموسوم بالضوء اللامع في اعيان القرن التاسع وقد ضمن تاريخه هذا تراجم اعيانها ورتبهم على حروف المعجم لتسهيل بيانهم وبيانها ولما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري القاهري الشافعي سنة ست وثلاثين وثمانماية طالع هذا التاريخ من المبيضة ثم من المسودة والحق فيه اشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بأنباء الغمر بأبناء العمر واثنى على صاحبه وافاد ان كلا منهما سمع من صاحبه اه

اقول وهو في مجلدين يوجد نسخة منه في برلين ورقمها (٩٧٩١) وفى مدينة كوتاه (غوطا) ورقمها (٩٧٧٢) وفي لوندرة ورقمها (٤٣٦) ويوجد الجزء الثالث فى مكتبة الأمة فى باريس ورقمه (٢١٣٩) ابتدئ

فيه بترجمة عبد الكريم بن احمد المصري الأصل واختتم بترجمة محمد بن تمام بن يحي الحميري وهو في ١٥٠ ورقة ويغلب على الظن انه بخط المؤلف

وفى سنة ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م حضر الى الشهباء (لويس ماسينيون) المستشرق الأفرنسي واتيح لنا الاجتماع به وتذاكرنا معه في عدة مسائل تتعلق بالآثار الشرقية فانساق معنا الحديث (والحديث شجون) الى ذكر تواريخ حلب وما هو موجود منها فى مكتبات باريس وذكرنا له هذا الجزء واعربنا له عن رغبتنا فى الأستحصال عليه فلما عاد الى باريس تفضل بأخذه بالمصور الشمسي (الفوتوغراف) وارسله الينا ٠

فنحن نصوغ له عقود الثناء ونشكره على صنعه الجميل مزيد الشكر وسنقتطف مافي هذا الجزء من التراجم التى ليست عندنا ونثبتها في مكانها على شرطنا المتقدم

وفى مكتبة (لاله‌لى) فى الأستانة ورقها (٢٠٣٦) و٢٠٣٧ وفى مكتبة خالص بك مستشار الخاصه فى الاستانة وهي مكتبة شهيرة ملك لصاحبها المذكور ويغلب على الظن انه توفى من عهد قريب وكان فى مكتبة الأحمدية بمدينة حلب نسخة فى جزئين الثانى منهما مطموس الآخر كما ذكره فى فهرست المكتبة المذكورة استعارها على ما بلغني بعض العلماء منذ خمس وعشرين سنة ولم يعدها الى الآن فعسى ان يلهمه الله اعادتها الى مكانها فيكون قد ادى الأمانة الى اهلها وحفظ هذا الأثر المهم من التشتت والضياع وهذا التاريخ احد مواد الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع والضوء اللامع موجود فى المكتبة الظاهرية فى دمشق وقد استنسخنا منه ما فيه من تراجم الحلبيين

وقال جرجي زيدان فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) فى الجزء الثالث

منه في صحيفة ١٧١ ان الدر المنتخب لأبن خطيب الناصرية هو مختصر من بغية الطلب لأبن العديم وهذا وهم منه بل هو ذيل له كما عرفت .

وفي فهرست المكتبة الخالدية في القدس الشريف في قسم التراجم مجموعة فيها تراجم وادبيات بخط جامعها ابن خطيب الناصريه ورقمها (٣١) فيها مقدار ١٥٠ ترجمة وخطها سقيم

(٩) الكلام على المنتخب من الدر المنتخب

اختصر الدر المنتخب في مجلدين الأمام العلامة الشيخ احمد بن محمد الشهير بالملا المتوفي سنة ١٠٠٣ وولده الشيخ محمد المتوفى سنة ١٠١٠ اختصر الشيخ احمد المجلد الأول وولده المجلد الثاني يوجد المجلد الأول عند بعض اصحابنا في حلب وهو محرر بخط الشيخ محمد الملا ابن الشيخ احمد المتقدم الذكر يبتدئ اوله بترجمة ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن عبد الله المعروف بأبن الرعياني وفيه ٦٨ ابراهيم ثم ترجمة (ابغا) ابن هولاكو ثم ١٩٨ احمد ثم من اسمه اسماعيل وهكذا وينتهي آخره بترجمة ست النعم بنت يوسف بن محمد ابن النصيبي المتوفاة سنة ٦٨١ وهو محرر سنة ١٠٠٩ قال في آخره يتلوه باب الشين المعجمة

(وعلى هامش النسخة ما نصه) لقد انتفع واستفاد كاتب هذه الأحرف ومحرر هذه المداد وبلغ من فوائد هذا التاريخ الجامع المراد وهو مما انتخبه العلامة جامع الفضائل الشيخ احمد بن الملا محمد الشهير بأبن الملا والد كاتب هذه الكلمات وشيخه واستاذه وهو من اختصاره بخطه الى نحو النصف ثم ان النصف الثاني اتمه واكمله بخطه بعده شقيقي العلامة ورفيقي الملا محمد ابن شيخ الأسلام المختصر المذكور...... في ذلك بالنسبة الى الأصل فالله تعالى يخول اجورهم

ويوفر بمساعيهم المشكورة حبورهم ويملأ بالسرور قبورهم ويمن علينا بما عليهم منَّ وتفضل قاله وكتبه ابراهيم بن احمد الملا محمد العباسي الشافعي الحلبي حرر ذلك سنة ثمان عشرة والف اه وقد توج هذه العبارة بلفظ المنتخب من الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصريه

وقال في مقدمته قال عفا الله عنه وبعد فلما كان حب الوطن يعد من الخلق الحسن وكانت حلب وطني عظيماً قدرها جليلاً امرها مع حصانة حصنها وكثرة اعمالها ومدنها وطيب نفعها وصحة تربتها ورقة هوائها وعذوبة مائها وغزارة فضلها وكثرة العلماء والشعراء من اهلها ووفور الطارش من العلماء عليها والواردين من الأعيان والفضلاء اليها وقد جمع تاريخاً مستوعباً لذلك الأمام العلامة ابو القاسم كمال الدين عمر بن احمد ابن العديم الحلبي الحنفي رحمه الله فاتقن واجاد واطال ولم يسبقه احد الى تاريخ لها على الخصوص وسماه بغية الطالب في تاريخ حلب (ثم قال) احببت ان اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الأسماء اصدره بفصول الفصل الأول في حلب واسمائها ومن بناها الثاني في ذكر حدودها واعمالها الثالث في عظم فضلها وخصائصها الرابع في فتحها الخامس في نهرها وقناتها ومساجدها ومعابدها [الى ان قال] ثم اذكر منها ومن بلادها ومن اخبارها من العلماء والرواة والفضلاء والرؤساء ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزل بها واجتاز بها او بمعاملتها من الشعراء وارباب الأنشاء ومن دخلها او ملكها من السلاطين او وليها من الأمراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها او الى معاملتها من فضلاء غيرها من البلاد ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستماية وهي السنة التي اخذ هولاكو فيها حلب وخربها • الفصل الأول في حلب واسمائها الخ

يوجد مثل هذا الجزء فى مكتبة داماد ابراهيم باشافي الأستانة في مجلد واحد ورقه [٩٢٢] وهو في ٢٤٢ ورقة او ٤٨٤ صفحة في كل صفحة ٢٥ سطراً بالقلم الفارسي المتوسط وهو منقول عن الجزء الذي هو بخط ابن المؤلف الموجود في حلب كتب في آخره انهاه كتابة واختصاراً افقر عفو الله الصمد محمد بن احمد بن محمد الملا الشافعي العباسي الحلبي فى التاسع من ذي العقدة سنة ١٠٠٩ احسن الله سبحانه ختامها يتلوه باب الشين المعجمة نقله من خط المختصر له الفقير ابن قاسم القاسمي الحلبي غفر الله له ولوالديه اه

قال جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية في الجزء الرابع في كلامه على المستشرقين فى ترجمته [فريتاغ] الألماني ان من جملة ما نشره (كتاب المنتخب من تاريخ حلب اه ولم يذكر مؤلفه ويغلب على الظن انه غير الذي نحن في صدد الكلام عليه

١٠ (الكلام على كنوز الذهب لموفق الدين ابى ذر)

قال في در الحبب ثم ذيل عليه [اي على الدر المنتخب] الشيخ الأمام المحدث موفق الدين ابو ذر احمد بن الحافظ المتقن برهان الدين ابراهيم بن محمد ابن خليل الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي وانشأ تاريخه الموسوم [بكنوز الذهب في تاريخ حلب] وضمنه ذكر الأعيان والحوادث معاً وشنف بذكر اشتمالاتها مسمعا وخلع به على قوم خلعا ولم ينكل فى حق آخرين عن الضرب مسمعا واضعا للشيء في محله حالي عقده وحله وجبره وفله في كثير الكلام وقله وقد جزم في موضع من تاريخه هذا بما هو حق وصدق من ان موضوع علم التاريخ الاخبار عن الاخيار والأشرار بصدق وكانت وفاته بحلب سنة اربع وثمانين وثمانماية اه

اقول ان هذا الكتاب نادر الوجود ولعل السبب في ذلك ان المؤلف كان يضن بكتبه كما يضن بكتب والده كما ستقرأه في ترجمته فلم تنتشر بين الناس بسبب ذلك

وكتب لي الفاضل الوجيه سعادة احمد تيمور باشا المصري ان في مكتبته من هذا الكتاب جزئين في مجلد واحد كلاهما به خروم احدهما في حوادث حلب ومن تولاها وآخر في خططها ودورها ومساجدها ويتخللهما بعض تراجم لأعيانها غير ان النقص الذي بهما شوههما وذهب بالفائدة في مواضع فيهما. ورأيت المجلد الأول منه عند صديقنا الفاضل الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب وهو بخط عدة من النساخ والكثير من تلك الخطوط منها ما يتعسر قراءتها ومنهاما يكاد يتعذر وهو غير مرتب ويظهر انه مسودة المؤلف شيء منه بخطه وشيء بخط تلامذته وفي اوله مقدمة طويلة لكن معظمها مما لا تعلق له بالتاريخ ولا فيما هو في صدده من تأليف تاريخ لوطنه وقد اقتضبنا منها ما يأتي قال في اوله .

اما بعد حمداً لله الذي حكم بالموت على الغني والفقير والمأمور والأمير والكبير والصغير واشهد ان لا آله الا الله العلي الكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد السراج المنير سيد الأنام الذي كان بموته تعزية للخاص والعام وعلى آله وصحبه الكرام ما غرد القمري وناح الحمام لفقد الفه بالحمام وسلم تسليما كثيرا

وهل عدلت يوماً رزية هالك ... رزية يومٍ مات فيه محمد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يُفقد

ثم قال بعد ان ذكر ما تجمع عنده من التواريخ الخاصة والعامة فلما اجتمعت

عندي هذه الأوراق التى التقطتها من هذه التواريخ المتعلقة بحلب ومعاملاتها صرت اذا اردت ان ارجع الى لطيفة عسر عليّ الكشف فاردت ترتيبها وتهذيبها وتذهيبها وكنت قد شرعت فى الذيل على تاريخ شيخنا المشار اليه وعلمت ان الذي يطالع هذا الذيل ربما يتشوق معه الى النظر في معرفة من بني حلب وتراجم اهلها وملوكها الذين سلفوا وتراجم اوليائها وما قيل في نهرها وجبلها وقلعتها الى غير ذلك فيشق عليه عدم ذكر ذلك وهو من غير شرطي لذلك وتذكرت قول الأرجاني

اذا ما درى الأنسان اخبار من مضى ۞ فتحسبه قد عاش من اول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره ۞ الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر
وقد عاش كل الدهر من عاش عالما ۞ حليما كريما فاغتنم اطول العمر

فقدمت بين يدي ذيلي مقدمة تتعلق بذلك تشتمل على اربعة عشر فصلاً نقلتها من التواريخ المقدم ذكرها الخ

(١١) الكواكب المضية

هو لأبي ذر المذكور ذكره ابن ميرو في تاريخه ونقل عنه قال بعد ان ترجم عامراً المصري المقرى وذكر (المدرسة الحلاويه) قال الحافظ ابو ذر بن الرهان في تاريخه الكواكب المضية هذه المدرسة تجاه باب الجامع الكبير الخ

وعندي اربعة كراريس فيها حوادث معظمها مما يتعلق بالشهباء كنت نقلتها عن بعض المجاميع وهي على ما يظهر لبعض علماء حلب قال في اولها هذا ما اخترت تعليقه من تاريخ الكواكب المضيئة في الذيل على تاريخ ابن خطيب الناصريه ولم يذكر اسم المختار لهذه الحوادث من التاريخ المذكور ولم يذكر

صاحب الكشف هذا التاريخ ولا ذكر له في ترجمته وقد نقلت ما في هذه الكراريس من الحوادث والتراجم المتعلقة بالشهباء في محلها

[١٢] الكلام على در الحبب لرضى الدين الحنبلي

هو لمحمد بن ابراهيم بن يوسف المشهور بابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ قال في خطبة تاريخه ثم لم اظفر بذيل على هذا الذيل [يشير الى تاريخ كنوز الذهب المتقدم ذكره] ولا سال وادي تاريخ حلب بعد ذلك السيل الى ان قال فشددت العزم وشددت الحزم ووجهت جواد الطلب الى وضع تاريخ لأعيان حلب ممن وفقت لضبط اخبارهم ووفياتهم دون من لا اكتراث بفوت خبرهم ووفاتهم الى ان قال وشرطي في تاريخي هذا ذكر من عاصرتهم من اهلها او عاصرت من عاصرهم وذكر من دخلها من غير اهلها ممن عاصرتهم او عاصرت من عاصرهم ٠ وذكرُ من لم اعاصرهم ولا عاصرت من عاصرهم من الفريقين نادر الا لأمر دعا الى ذلك وحث على ما هنالك اه

اقول ومجموع ما فيه من التراجم [٦٣٣] ترجمة وهو ليس خاصاً بأعيان الشهباء بل فيه تراجم للكثير من نزلائها من الحمويين والحمصيين والطرابلسيين والدمشقيين والحجازيين والمصريين والمغاربة والروميين والعراقيين والهنديين ولم يقتصر فيه على الملوك والأمراء والعلماء والشعراء والقضاة والأطباء والتجار والخطباء بل تعدى الى ذكر الظرفاء في نوادرهم والحذاق في صناعتهم وحبذا لو كان نسج على منواله جميع المؤرخين واذا كانوا لم يدونوا الصناعات التي كانت في هذه البلاد فلا اقل من ان يترجموا المجيدين لها والبارعين فيها تنويها بشأنهم وتخليدا لذكرهم وبما قدمناه يعلم ما في كلام النجم الغزي الذي

ذكره في خطبة تاريخه الكواكب السائره حينما وقف على هذا التاريخ من النظر

يوجد منه نسخة في مكتبة الأمة في باريس ورقها [٢١٤٠] و [٢١٤١] و [٢١٤٢] و [٢١٤٣] اي في اربعة مجلدات صغار ونسخة في مكتبة (يكى جامع في الأستانة ورقها (٨٥٠) وهي محررة سنة ٩٧٦ اي بعد وفاة المؤلف بخمس سنوات ونسخة في مكتبة نور عثمانيه فى الأستانة ايضاً ورقها ٣٦٩٣

وقال جرجي زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية فى الجزء الثالث منه فى صحيفة ٣٠٠ هو موجود ايضاً فى [غوطا] و [فينا] و [المتحف البريطانى] و [اكسفورد] اه

ويوجد نسخة فى الأسكندرية فى مكتبة مجلسها البلدي اشتراها المجلس من مدة عشر سنوات مع مكتبة خطية نفيسة من احد علماء الشهباء

ويوجد منه فى حلب اربع نسخ الأولى فى مكتبة المدرسة الحلوية معظمها بخط الشيخ ابراهيم الملا احد علماء القرن الحادي عشر وقد كانت ناقصة بعض اوراق اكملتها بخطي

الثانية فى مكتبة المرحوم بشير افندي الأبري احد وجهاء الشهباء

الثالثة في مكتبة المرحوم محمد اسعد باشا الجابري احد وجهاء الشهباء وهذه جميعها بخطي

الرابعة في مكتبتي وهذه كانت لمحمد اسعد باشا المذكور استعرتها منه ونقلت عنها نسخة جميعها بخطي ولما رآها استحسنها ورغب في اخذها بدل نسخته وقد قابلتها على النسختين الأوليتين فصارت اصح نسخة من هذا التاريخ الا انه من حرف الغين الى آخر الكتاب النسخة التى عندي والتى فى مكتبة

المرحوم بشير افندي ناسخهما واحد وعدد صفحات نسختي ٥٥٩ صحيفة بقطع متوسط

وسنأتي على مافيه من تراجم الحلبيين في القرن التاسع والعاشر على شرطنا المتقدم

[١٣) شفاء السقيم بآيات ابراهيم لمحمد بن احمد بن الملا المتوفي سنة ١٠١٠

نسب صاحب كشف الظنون هذا التاريخ الى ابراهيم بن احمد بن الملا وهذا سهو منه فهو لأخيه محمد ابن احمد ففي ترجمة محمد ابن الملا المذكورة في خلاصة الأثر ما نصه (ثم ان محمداً تصدر للتأليف فكتب تاريخاً لحلب تعرض فيه لمن حكم فيها من حين فتحها الصحابة الى زمن ابراهيم باشا الملقب بالحاج ابراهيم اجاد فيه وانبأ عن اطلاع عظيم اه

يوجد نسخة منه عند الشيخ كامل افندي الغزي لكني لم اقف عليها ولم اعثر في الفهارس على نسخة غيرها * وابراهيم باشا المذكور تولى حلب سنة ١٠٠٨ كما سيأتي

١٤ انعاش الروح بمآثر نصوح لابراهيم ابن الملا

قال في الكشف في صحيفة (١٦٠) انعاش الروح بمآثر نصوح للبرهان ابراهيم بن احمد المعروف بابن الملا الحلبي المتوفى بعد سنة ثلاثين والف بقليل رسالة في وقائع نصوح باشا حينما كان واليا على حلب مع عسكر الشام الفها سنة(١٠٢٠) وسلك فيها طريقة الأنشاء والسجع اه

نصوح باشا كان واليا على حلب من سنة ١٠١١ الى سنة ١٠١٣ كما في السالنامه

١٥ الكلام على الدر المنتخب

(المنسوب لمحب الدين ابي الفضل ابن الشحنة المتوفي سنة ٨٩٠ وتحقيق)
(انه الى ابي اليمن بن عبد الرحمن البتروني المتوفي سنة ١٠٤٦)

المشهور بين الناس ان هذا التاريخ لأبن الشحنة المذكور والناظر فيه لأول وهلة يظن هذا الظن وذلك لما يراه على ظاهر نسخه من نسبته اليه

لكن من يقرأ الخطبة الثانية ويتتبع بقية الكتاب يجزم بفساد ذلك الظن ونصها بعد حذف الألقاب والأوصاف (اما بعد فهذه نبذة انتخبتها من كتاب نزهة النواظر فى روض المناظر تأليف مولانا ابى الفضل محمد بن الشحنة الحلبى) فهذه العبارة صريحة في ان الدر المنتخب ليس لابي الفضل المذكور ثم ان نزهة النواظر الذي يقول انه انتخب هذه النبذة منه ليس تاريخاً خاصاً للشهباء بل هو تاريخ عام مقسم الى تسع طبقات بعدد القرون التسعه فى كل طبقة ذكر حوادثها المشهورة ووفيات اعيانها المشهورين كما سيأتي الكلام عليه وقد ظهر لي بعد تتبع الكتاب والبحث ان التاريخ المذكور هو لابي اليمن بن عبد الرحمن البتروني المتوفي سنة ١٠٤٦ التقطه من كتاب نزهة النواظر لأبي الفضل محمد بن الشحنة غير انه ابقى العبارات التى عنى بها ابن الشحنة نفسه على حالها فنشأ منها هذا الظن

ومما يدل على ان الكتاب لأبي اليمن البتروني قوله في عدة مواضع يقول كاتبه ابو اليمن البتروني وقال في الكلام على الاسكندرونة (حاشية لكاتبه وجامعه) ونقله في عدة مواضع عن الملا وعن تاريخ الجنابي وهذا كانت وفاته سنة ٩٩٧ كما ذكره صاحب الكشف وابن الملا توفى بعد الالف كما قدمنا آنفا

واما ابن الشحنه فكانت وفاته ٨٩٠ وايضا لو كان الدر المنتخب لابى الفضل ابن الشحنه لذكره رضى الدين محمد بن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ في تاريخه در الحبب في ترجمة ابى الفضل المذكور ويستبعد ان يسهو عنه مع قرب العهد والقرابة التى بينهما ٠

ثم ان الخطبة الاولى هي خطبة [الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية المتقدم ذكره] مع تحريف [راجع خطبة مختصرة لابن الملا] نقلها جامع الكتاب ابو اليمن او غيره من النساخ ووقع في هذه الخطبة ذكر الدر المنتخب فظن الناسخ ان هذا الاسم هو اسم لهذا التاريخ ايضاً وسماه به واشتهر التاريخ بتاريخ ابن الشحنه وتبع هذا الساهي اولئك الساهون والحقيقة هي ما ذكرناه والله اعلم .

قال جرجي زيدان [في الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية في صحيفة ١٨٤] منه نسخ فى ليدن وبرلين وفينا وبطرسبورج ونور عثمانيه وطبع فى بيروت سنة ١٩٠٩ وفيه وصف آثارها ومدارسها فضلاً عن التاريخ] اه.

اقول ويوجد من هذا الكتاب نسخه عندي بخط يدي استنسختها قبل ان يطبع عن نسخة كانت عند الشيخ نجيب النعسان احد مجاوري مدرسة الشعبانيه ثم صححتها على نسخة قديمة الخط عند ابراهيم افندي المرعشي من وجهاء الشهباء ويوجد منه نسخة عند احمد افندي الحسبي . ونسخة عند المرحوم محمد اسعد باشا الجابرى استنسخها عن هذه ونسخة فى مكتبة المرحوم محمود افندي الجزار الموضوعة في الجامع الكبير فى حجرة الفتوي ونسخة حديثة عهد بالكتابة في مكتبة الخواجه اندره ماركوبلى ونسخة في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية وفي المكتبة السلطانية بمصر وفي غيرها من دور العلم ثمة

وطبع هذا التاريخ في بيروت فى المطبعة الكاتوليكية لليسوعيين سنة ١٩٠٩ م ووقف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي الأديب يوسف بن اليان سركيس الدمشقي وكتب فى آخره مانصه

كان الأعتماد فى نشر هذا الكتاب على اربع نسخ خطية الأولى في خزانة دير الشرفية بجبل لبنان كتبت سنة ١١٧٩ هـ الثانية فى خزانة افرام رحمانى بطريرك الطائفة السريانية وهي التي اشرنا اليها بحرف (ب) كتبت سنة ١١٥٨ الثالثة هي نسخة قديمة لا ذكر لتاريخ كتابتها موجودة عند الكتبي الشهير ابراهيم صادر واشرنا اليها بحرف (ص) الرابعة في خزانة المكتبة الشرقية فى دير الآباء اليسوعيين وهى حديثة اشرنا اليها بحرف (ى) اهـ ومما يجدر التنبيه عليه ما قاله ناشر هذا الكتاب فى مقدمته ونص عبارته ومما جاء في مقدمة ابى اليمن البترونى قوله انه نقل نبذة من كتاب نزهة النواظر فى روض المناظر لأبى الفضل محمد بن الشحنة فاستغربنا هذا القول لأننا لم نقف على كتاب له بهذا الأسم وما نعرفه ان ابا الوليد محمد بن الشحنة الف كتاباً سماه روض المناظر فى اخبار الأوائل والأواخر وهو تاريخ عام لا علاقة له بتاريخ حلب اهـ وكانه ظن ان نزهة النواظر لأبي الوليد ايضاً وهذا وهم منه فأن روض المناظر المطبوع على هامش الكامل لأبن الأثير هو لمحمد ابن الشحنة المتوفي سنة ٨١٥ الملقب بأبي الوليد ونزهة النواظر هو لولده محمد الملقب بأبى الفضل المتوفي سنة ٨٩٠ وهو كالشرح لتاريخ والده وسيأتي الكلام عليهما وقد جاءت هذه الشبهة للناشر من اتحاد اسمى المؤلفين وقد بينا تاريخ وفاة كل منهما وانهما مفترقان باللقب فزالت الشبهة وقال ناشره ايضاً ولم اكن لأجهل وعورة المسلك الى الغاية التي توخيتها من تقديم الكتاب الى القارئ خالياً من

كل الشوائب خصوصاً وان نسخه العديدة التى تداولتها الأيدى تكاد لا تكون نسخة منها كاملة صحيحة فبعضها ناقص فى اوله وبعضها فى آخره هذا فضلاً عن حوادث واخبار عديدة قد اهملها النساخ ، واغلاط جمة لم ينتبهوا اليها واخصها تحريفهم الأسماء .. اه

اقول انه بهذا الأعتراف قد انصف غاية الأنصاف فالكتاب لم يخرج خالياً من الأغلاط والتحريف لأسماء الأماكن وكثير مما اثبته فى الهامش هو الصواب وما اثبته فى الداخل هو الخطأ يعرف ذلك من اكثر من مطالعة هذا التاريخ وكان من ابناء هذه البلاد الواقفين على اسماء اماكنها . وعلى كل فنحن من الشاكرين له سعيه فى طبعه تعميما لنفعه

١٦ (الكلام على معادن الذهب لأبي الوفا العرضى المتوفي سنة ١٠٧١)

قال فى الكشف ومعادن الذهب في الأعيان الذين تشرفت بهم حلب لأبن عمر العرضى ذكره الشهاب فى الخبايا اه

اقول وهو ذيل لدر الحبب ترجم فيه اعيان عصره ونظمه على طريق السجع يوجد منه نسخة فى برلين ورقمها (٩٤٧٦)

ووقع للمحبي صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر قطعة منه التقط منها تراجم لزمنه كما صرح به فى خطبة كتابه

ويوجد قطعة منه في نحو خمس كراريس عند الشيخ كامل الغزي وهي من الاول الى حرف الخاء . اول الكتاب الحمد لله ذي البقاء المطلق والغناء المحقق والكمال التام سلطانه الباهر وحكمه القاهر . واول ما في هذه القطعة من

التراجم ترجمة ابى بكر ابى الوفا المجذوب صاحب المزار المشهور وآخرها ترجمة خليل بن عبدالله الوزير الاعظم ولعل نظير هذه طمة هي التي وقعت للمحبي ولا ادري ان كانت النسخة التي في برلين تامة وناقصة

١٧ ﴿ الكلام على التاريخ الطبيعي لحلب ﴾

هو في مجلدين باللغة الانكليزية تأليف الطبيب باترك روسسل اشترك معه في التأليف اخوه اسكندر روسسل وكان المؤلف اتى الى حلب عدة مرات منها سنة ١٧٥٣ م وكانت وفاته سنة ١٧٦٨ وطبع الكتاب في لوندرة في محل (اياترنوستررو) سنة ٧٩٤ وطبع مرة ثانية في لوندرة ايضا وطبع في كوتونكين سنة ١٨٩٧

وهو ينقسم الى ستة ابحاث[١] في وصف البلد ومحيطها والمواسم والزراعة فيها والبساتين[٢] في السكان ووصف حكومة البلد (٣) في احصاء السكان الاوروبيين والسكان المسيحيين واليهود وفي الآداب العربية الحاضرة في سوريا (٤) في الحيوانات ذات القوائم الاربع والطيور والاسماك والحشرات والنباتات (٥) يحتوي على ملاحظات فلكية وعلى بيان الامراض الاستيلائيه (الأوبئة) اثناء اقامة المؤلف في حلب (٦) يبحث خاصة في الطاعون والطريق التى اتخذتها الأوروبيون في مقاومته والمجلد الاول فيه البحث الاول وهو الذي اطلعت عليه وحدثني بعض الافاضل ان الكتاب ترجم الى اللغة الالمانية

١٨ الكلام على تاريخ عبد الله ميرو المتوفي سنة ١١٨٤

من الذين تصدوا في أواخر القرن الثانى عشر لوضع تاريخ خاص بالشهباء

الفاضل عبدالله افندي بن حسن ميرو الملقب بأبي المواهب المتوفي سنة ١١٨٤ كما قرأته علي قبره فى تربة الصالحين وقفت على مسودة هذا التاريخ عند الشيخ كامل افندي الغزي غير انه قد فقد منه بعض أوراق وبعض التراجم فيه ليست بخط المؤلف وقد قسمه الى قسمين قسم تكلم فيه على مدارس الشهباء وقسم ترجم فيه اعيان القرن الثانى عشر غير ان معظم هذه التراجم هي لأعيان حلب وبعض من تولاها في عصره وفيه تراجم اشخاص ذكر ان وفاتهم بعد سنة ١١٨٤ وهذا يفيد انها لغير ابن ميرو ادرجت فيه ولم يظهر لى بعد البحث الكثير من هو ذاك المترجم ولا السبب فى ادراجها فيه والتاريخ لم يتم ولذا لم يضع له المؤلف خطبة ولم يسمه . وفي رحلتى الى دمشق فى جمادي الأولى سنة ١٣٤٠ اطلعنى الفاضل الهمام السيد تاج الدين افندي الحسنى نجل الاستاذ الكبير محدث الشام الشيخ بدر الدين افندي على مجموع فيه تراجم لكثير من الحلبيين لم يذكر فيه اسم المؤلف . وقد تفضل بأعارة هذا المجموع واستصحابه معى الى حلب حينما علم اني بصدد وضع تاريخ لها فجزاه الله خير الجزاء وبعد عودتى قابلت الكثير من هذه التراجم على المسودة التى عند الشيخ كامل افندي الغزي فأذا هي هي فعلمت ان هذه مبيضة تلك . ومافي سلك الدرر فى اعيان القرن الحادي عشر للسيد خليل المرادي الدمشقي من تراجم الحلبيين هو مأخوذ عن هذا التاريخ تبين لى ذلك من مقابلة مافيه على مافي سلك الدرر الا في محلات قلائل فيها بعض زيادات التقطها المؤلف من غيره .

ويغلب على الظن ان هذه النسخة بعينها وقعت للسيد خليل افندي المرادي وعنها اخذ مافي تاريخه من اعيان الحلبيين في هذا القرن . وتبين لى لدى التتبع ان السيد المرادي قد اهمل عدة تراجم من هذا التاريخ واهمل ترجمة المؤلف

على ما فيها من الأهمية . وسنأتى انشاء الله تعالى علي جميع مافيه من تراجم الحلبيين ونضيف اليه مافى سلك الدرر من الزيادات فى بعض الأماكن وبالله التوفيق

(الكلام على نهر الذهب فى تاريخ حلب)

(لصديقنا الأديب الفاضل الشيخ كامل افندى ابن الشيخ حسين الغزى الحلبي)

هو في اربع مجلدات فى فتوحها وآثارها وخططها واعمالها وتراجم اعيانها وحوادثها جمعه من الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية ومن الجزء الأول من كنوز الذهب لموفق الدين ابى ذر ومن در الحبب لرضى الدين الحنبلي ومن القطعة التي وقعت له من معادن الذهب لأبى الوفا العرضى ومن التاريخ المنسوب لابن الشحنة ومن تاريخ ابن الملا ومن مسودة بخط ابى المواهب افندى مير والمتوفى سنة ١١٨٤ ذكر فيها تراجم اهل عصره ومن خلاصة الأثر للمحبي ومن سلك الدرر للمرادي ومن غير ذلك مما شاهده اوتلقاه من الافواه الى وقتنا هذا

تصفحت منه ثلاث مجلدات في زيارة لمؤلفه في منزله ونقلت منه بعد استئذانه ترجمة ابن ابي طي يحي بن حميدة الحلبى المؤرخ المتوفي سنة ٦٣٠ وترجمة ابن عشائر الحلبي المؤرخ المتوفى سنة ٧٨٩ وقد عزوتهما الى تاريخه هذا

والذى دعا لنقل هاتين الترجمتين من تاريخه اني الزمت نفسي ان اذكر في تاريخي تراجم جميع المؤرخين من علماء الشهباء وقد ظفرت بها الا بهاتين الترجمتين فأني لم اظفر بهما بعد بحث طويل فسئلته عنهما فأجاب بوجودهما عنده واذن بنقلهما فتم لي بذلك ما الزمت به نفسي ثم ظفرت بترجمة ابن عشائر في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر وستراها في محلها

وهو مرتب على مقدمة واربعة ابواب وخاتمة

تشتمل المقدمة على الكلام على التاريخ الهجري والميلادي الشرقي وعلى الكلام على تواريخ حلب وجغرافيتها وساحات حلب وخراباتها وحدود ولايتها وبحيراتها وجبالها الخ مايتعلق بهذا البحث. ثم الكلام على معادنها ونهرها وقناتها وما مدحت به والملل والنحل التى فيها وعلى امراضها وحيواناتها وموظفي الدولة فيها الى غير ذلك وهو يستوعب ستمائة صحيفة

ويليها (الباب الاول) ذكر فيه الحوادث على السنين استهله بأجمال عن الخلفاء الراشدين والخلفاء من بني امية وبني العباس . وقد وصل فيه الى حوادث سنة ١٣٣٨ ويليه (الباب الثاني) وهو باب الكلام على الآثار ويستوعب نحو اربعمائة صحيفة تكلم فيه على خلاصة ما قاله المتقدمون في اسوار حلب وابوابها وقلعتها . وبعد ذلك شرع يتكلم على كل محلة من محلات حلب على حدتها فيذكر اسمها وعدد سكانها وما فيها من الآثار الخيرية مبيناً اسم صاحب الاثر وتاريخ بنائه وتشخيصه في الحالة الحاضرة واوقافه وما فيها من الخانات والمدر والقياصر والحمامات الى غير ذلك

ويليه (الباب الثالث) وقد تكلم فيه على الالوية والأقضية

ويليه (الباب الرابع) وفيه تراجم اعيانها وقد التزم فيه ان لا يذكر فيه سوى صاحب اثر او عظيم خطر او مستعذب خبر على شرط ان يكون ممن ولد في حلب او نزلها او اخذ عن شيوخها او اقام فيها زمناً او تولاها بحكم او توفي فيها او كان من اعمالها قديما وحديثا لامن اجتاز بها . وهذا الباب يستوعب ستمائة صحيفة ويبلغ عدد المترجين فيه الفاً ومائة مابين رجل وامرأة والخاتمة تكلم فيها علي الأوقاف في مدينة حلب وخلاصة كتب الواقفين وجداول

فى حالة الأوقاف وبيان انها من الخيرات او من اوقاف الذرية . ويلي ذلك الكلام على اسماء قضاتها من سنة ٢١٥ الى سنة ١٣٤١ ويلي ذلك ارجوزة من نظم الشيخ وفا الرفاعي تضمنت ذكر المقامات العالية واضرحة الأولياء والصالحين الذين تشرفت مدينة حلب بمراقدهم المباركة وبهذه الأرجوزة انتهى الكتاب

وقد اقتطفت الكلام عليه من مقدمة بين فيها ما اشتمل عليه تاريخه وقد طبعها ووزعها قبيل شروعه بالطبع . وقد باشر بطبعه فى المطبعة المارونية بحلب في أواخر السنة الماضية اعنى سنة ١٣٤١

ابتداء منه بطبع الجزء الثاني الذي فيه الكلام على الآثار والمأمول ان ينجز هذا الجزء في ربيع الآخر من سنة ١٣٤٢

وقد كان شروعي بطبع تاريخي في ربيع الأول من هذه السنة وفقنا الله جميعا للأتمام بمنه وكرمه

واني من الشاكرين لمساعيه المقدرين لجليل عمله فقد عانى فى جمع تاريخه ما عانيته وقاسى ما قاسيته وقام بمأثرة عظيمة نحو بلاده ووطنه . له من الله الجزاء الأوفى ومنا الثناء الأوفر

هذا وقد اجتمع عند كل واحد منا من المواد مالم يجتمع عند الآخر واطلع على مالم يطلع عليه فسترى في تاريخه مالا ذكر له عندي وستجد في تاريخي مالا تجده في تاريخه فلا يستغنى بأحدهما عن الآخر كما قيل لا يغني كتاب عن كتاب فاذا سهل المولى الكريم طبع التاريخين يجد القراء فيهما على اختلاف مشاربهم وتباين مقاصدهم ما ترتاح اليه نفوسهم وتنشرح به صدورهم ويشفي غليلهم .

هذا وان كلاً من التاريخين لايغني من رام التوسع في الوقوف على تاريخ الشهباء والأطلاع على حوادثها وتراجم اعيانها خصوصاً في صدر الأسلام والقرون الأولى للهجرة فالحاجة الى تواريخها الخاصة التي تكلمنا عليها في هذا الفصل وتواريخ علمائها العامة التي سنتكلم عليها في الفصل الثاني لم تزل باقية وقد ارشدناك اثناء ذلك الى محال وجودها بقدر ما ادى اليه بحثنا وتنقيبنا ولا نيأس من رجال يأتون بعدنا من ابناء وطننا يمتطون غارب الأغتراب ويحثون الركاب ويبذلون النفس والنفيس في الأستحصال عليها واستخراجها من زواياها وابرازها لعالم المطبوعات للأقتباس من فوائدها وتعميم النفع منها

ولا ريب ان من وفقه الله الى ذلك سيكون سعيه مشكوراً وعمله مبروراً ويكون قد قدم لوطنه خدمة جلي تخلد له ذكراً حسناً واثراً جميلاً

وسيكون ذلك اذا توفر في الشهباء العلماء وانتشرت العلوم بين طبقات ابنائها وحينئذٍ تصح العزيمة لرجال منها فينهضون الى احياء آثار اسلافهم ومفاخر آبائهم ورد بضاعتهم اليهم ويرون عاراً كبيراً عليهم ان تبقى تلك الآثار في الديار الغربية يتمتع غيرهم بها ويستجلون محاسنها وهم بعيدون عنها محرومون منها وهم احق بها واهلها

[٢٠ طرائف النديم فى تاريخ حلب القديم]
(ولطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث)

من التواريخ الخاصة بحلب تاريخ صديقنا الشاعر الاديب ميخائيل افندي انطون الصقال المالطى مولداً الحلبى وطناً قسمه الى قسمين قسم تكلم فيه عن سكان سوريا قبل الطوفان وبعده الي زمن المسيح عليه السلام واسهب فى المقال عن

حوادث سوريا في تلك العصور وسماه (طرائف النديم في تاريخ حلب القديم) وهو فى ثلاثة اجزاء تبلغ ٦٠٠ صحيفة والقسم الثانى ابتدأ فيه من القرن الاول للمسيح عليه السلام وفي عزمه ان يصل فيه الى زمننا هذا وسمي هذا القسم (لطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث) ولما وصل الى الفتح الاسلامي تكلم عن تاريخ العرب واصلهم ومواقع بلادهم ثم تكلم عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ثم عن الخلفاء الراشدين ثم عن الدولة الاموية ثم عن العباسية والطولونية ومن اتي بعدهم .ومن تولى حلب من الملوك والامراء وذكر الحوادث التى حصلت في زمنهم لكن بصورة مختصرة وفي خلال الكلام على الحوادث ذكر ما وقف عليه من اعيان المسيحيين في حلب من القرن الاول الى القرن العاشر للمسيح ومن القرن العاشر اخذ يذكر اعيان المسلمين والمسيحيين وفى هذه السنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م] وصل فيه الى سنة ١٨٠٠ م وهو آخذ في اكماله الى عصرنا هذا

الفصل الثاني في بيان التواريخ العامة

اما وقد انهينا الكلام على التواريخ الخاصة بالشهباء فلنشرع في الكلام على ما الفه فضلائها من التواريخ العامة بقدر ما وصل اليه بحثنا وتتبعنا ويغلب على الظن انه لم يفتنا شيء منها وقد راعينا في ترتيبها سني وفاة مؤلفيها ايضاً وهذه التواريخ وان كانت عامة الا ان مؤلفيها اكثروا فيها من ذكر حوادث الشهباء وتراجم اعيانها خصوصاً في العصر الذي كانوا فيه يرشدك الى ذلك ذيل العلامة ابن الوردى المتوفي سنة ٧٤٩ علي تاريخ ابي الفداء المشهور المطبوعان معاً واواخر تاريخ روض المناظر لمحب الدين ابي الوليد بن الشحنة

١ اولها مراتب النحويين

لعبد الواحد بن على ابي الطيب اللغوي الحلبي المتوفي سنة ٣٥١ قال الجلال

السيوطي في خطبة تاريخه بغية الوعاة في طبقات النحاة . وقفت على طبقات النحاة البصريين لابى سعيد السيرافى فاذا هى كراسان ثم علي كتاب مراتب النحويين لابى الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي اللغوي فاذا هو اربع كراريس الخ

«٢» [تاريخ المبارك بن شرارة)

قال الوزير القفطي في اخبار العلماء في ترجمة المبارك بن شرارة ابي الخير الطبيب الحلبي النصرانى المتوفي سنة ٤٩٠ ان له كتاباً في التاريخ ذكر فيه حوادث ما قرب من ايامه يشتمل علي قطعة حسنة من اخبار حلب فى اوانه ولم اجد منه سوى مختصر جاءني من مصر اختصره بعض المتأخرين اختصاراً لم يأت فيه بطائل اه

٣ ﴿ تاريخ العظيمى ﴾

لم اقف على اسم هذا التاريخ وهو مرتب على السنين كما ذكره في الكشف في صحيفة ٢٢٨ وفي التاريخ المنسوب لأبن الشحنة وكذا في تاريخ ابن خلكان نقول عنه وكانت ولادة المؤلف سنة ثلاث وثمانين واربعماية ووفاته في اواسط القرن السادس

٤ (الأشارات الى معرفة الزيارات)

قال فى الكشف مختصر للشيخ ابي الحسن على بن ابي بكر الهروى السائح المتوفى سنة ٦١١ ابتدأ فيه من مدينة حلب وكتب ماراه براً وبحراً من المزارات المتبركة والمشاهد وذكر انه لم يركثيراً مما ذكره اصحاب التواريخ ببلاد الشام والعراق وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر ولا شك ان قبورهم اندرست • وذكر ان الأنكتار ملك الفرنج اخذ كتابه ورغب في وصوله اليه

فلم يجب ومنها ماغرق في البحر وان زاد اماكن ودخل بلاداً من سنين كثيرة فنسي اكثر ماراه واعتذر عنه مع انه ذكر فيه زيارات الشام وبلاد الأفرنج والاراضى المقدسة وديار مصر والصعيدين والمغرب وجزائر البحر وبلاد الروم والجزيرة والعراق الى اطراف الهند والحرمين واليمن وبلاد العجم وهذا مقام لايدركه احد من السائحين والزهاد الارجل كال الأرض بقدمه واثبت ماذكره بقلبه وقلمه اه اقول هذه الكتاب من جملة مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بحلب وهو في مجلد لطيف يبلغ ست كراريس اوله قال العبد الفقير الى رحمة ربه المستغفر من خطيئته وذنبه على بن ابي بكر الهروى غفر الله له ولجميع المسلمين يارب العالمين الحمد لله حق حمده والصلاة على خير خلقه محمد النبي الأمى وآله وصحبه وشرف وكرم اما بعد فقد سألنى بعض الأخوان الصالحين والخلاق الناصحين ان اذكرله مازرته من الزيارات وما شاهدته من من العجائب والعمارات ورأيته من الأصنام والطلسمات فى الربع المسكون والقطر المعمور الخ وقد فقد هذا الكتاب من المكتبة المذكورة من عشر سنوات كما فقد منها جل نفائس المخطوطات وذلك لأهمال متولى وقف المدرسة وقيم المكتبة وعد الفاضل احمد تيمور باشا المصري فى مقالته التى نشرها فى مجلة الهلال المصريه فى سنتها الثامنة والعشرين هذا الكتاب فى نوادر المخطوطات وقال يوجد منه نسخة فى المكتبة السلطانية ونسختان فى خزائننا اه ووجدت نسخة منه عند الفاضل اديب افندي تقي الدين نقيب الاشراف سابقاً بدمشق الشام ولهذا الكتاب مختصر فى مكتبة المدرسة العثمانية لازال موجوداً كتب عليه ان مختصره على بن سعيد [ولااعلم من هو] قال المختصر صنف الكتاب الأصلي الشيخ الزاهد السائح على بن ابى بكر الهروي بعد ماطاف البلاد براً وبحراً الخ

[معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي المتوفي بحلب سنة ٦٢٦]

قال جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية هو معجم جغرافي كبير بأسماء البلاد بل هو خزانة علم وادب وتاريخ وجغرافية لأنه اذا ذكر بلداً اورد شيئاً من تاريخه ومن اشتهر فيه اوانتسب اليه من الأدباء او الشعراء او الفقهاء او غيرهم من اهل العلم في صدره مقدمة فى الجغرافية على الأجمال موضحة بالرسوم وفصل فى تفسير الألفاظ الأصطلاحية التى وردت في ذلك الكتاب ثم اسماء البلدان مرتبة على الهجاء • طبع للمرة الأولي في ليبسك سنة ١٨٦٦ • ١٨٧ في اربعة مجلدات ضخمة ومجلدين للفهارس والحواشى ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٩ وتمتاز طبعة ليبسك فضلا عن الفهارس والتعاليق بأن الناشر روستفيلد اشار في ذيول صفحات الفهارس الي اماكن وجود تراجم اهم الاعلام الوارد ذكرها في ذلك الكتاب وهي تعد بالمئات اه

والطبعة المصرية فى ثمان مجلدات وطبع معه ذيله في مجلدين وقال فيه ان الذيل لمحمد امين الخانجي الكتبي الحلبي نزيل مصر انما اخبرني صديقنا الفاضل الشيخ محمود السمكري الحلبي ان الذيل له شرع فيه وهو مقيم فى مصر اثناء تصحيحه للاصل ومحمد امين الخانجي كان يقدم له مايحتاج اليه من الكتب في هذا الموضوع ولم يرغب الشيخ محمود ان ينسب شيء منه اليه وهو ثقة فيما يقوله

وكتاب المعجم كتاب جليل المقدار عظيم النفع يحتاج اليه كما قال مؤلفه في مقدمته المؤرخ والأديب والجغرافي والمحدث الخ ما ذكره في مقدمته ويدل

على غزارة فضل مؤلفه وسعة معارفه وكثرة اطلاعه (انظر ما كتبه عنه صديقنا محمد افندي كرد علي في مجلته المقتبس) وقد التقطت منه سنة ١٣٢٨ ما ذكره من البلاد والاماكن والقرى المعدودة تلك السنة من جملة معاملات حلب وكذا نقلت منه ما ذكره من الجبال والانهار والأديرة والقلاع والبحيرات المعدودة من توابعها في تلك السنة ايضاً فجاء الكتاب في ١٤٤ صحيفة وهو مفيد جداً خصوصاً لمن رام ان يؤلف كتاباً في احوال البلاد والقرى التي حول حلب والمضافة اليها اه

« ٦ معجم الادباء لياقوت المذكور »

قال جرجي زيدان في كتابه المتقدم الذكر هو معجم تاريخي يشبه معجمه الجغرافي لكنه اكبر منه واوسع ترجم فيه النحويين واللغويين والنسابين والشعراء والاخباريين والمؤرخين والوراقين والكتاب واصحاب الرسائل وارباب الخطوط وكل من الف في الادب يدخل في مجلدات عديدة متفرقة في مكاتب اوروبا والاستانة لا يطمع بالحصول على نسخة كاملة منها فنشط الاستاذ مرجليوث للأشتغال بجمع شتات هذا الكتاب والوقوف على طبعه واهتمت لجنة تذكار جيب بنشر ما يمكن العثور عليه من اجزائه فوفقا حتى الآن الى نشر خمسة اجزاء منه وهي الأول والثاني ونصف الثالث من مكتبة اكسفورد والخامس من مكتبة كوبرلي في الاستانة والسادس تحت الطبع ينقص القسم الأخير منه والسعي متواصل في البحث عن مظان سائر الأجزاء . [ثم قال] وتجد في هذا الكتاب كثيراً من التراجم التي لا وجود لها في سواها فضلاً عن توسعه وتحقيقه اه

اقول وصل هذا الكتاب الى حلب في السنة الماضية وهي سنة ١٣٣٨ والحرب العامة حالت دون وصوله اليها حينما نجز بعض اجزائه والحق يقال انه من نفائس الكتب واسع التراجم جم الفوائد وقد التقطنا منه ما فيه من رجال الشهباء ووضعنا كل ترجمة في مكانها على شرطنا الذي قدمناه

« ٧ كتاب الدول لياقوت المذكور »

لم يذكره صاحب الكشف لكن ذكره ابن خلكان في ترجمته

« ٨ المبدأ والمآل »

ذكره صاحب الكشف في صحيفة ٣٧٧ لكن لم يكتب عنه شيأ وقال ابن خلكان في ترجمة مؤلفه انه في التاريخ

﴿ مؤلفات ابن ابي طي يحى بن حميدة الحلبي المتوفي سنة ٦٣٠ ﴾

[٩] اخبار الشعراء الشيعة ذكره في كشف الظنون في صحيفة ٦١

[١٠] تاريخ مصر قال في الكشف في كلامه على تواريخ مصر ومنها تاريخ ابن ابي طي يحي بن حميدة

[١١] مختار تاريخ المغرب قال في الكشف في كلامه على تواريخ المغرب ومختار تاريخ المغرب لأبن ابي طي يحي بن حميدة

[١٢] حوادث الزمان قال في الكشف انه في خمس مجلدات على ترتيب الحروف

[١٣] سلك النظام في تاريخ الشام قال في الكشف انه في اربع مجلدات

[١٤] طبقات العلماء ذكره في الكشف في صحيفة ٩٥

[١٥] عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر قال في الكشف في صحيفة ١٦٢ ج ٢

عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر بيبرس التركي لأبن ابي طي يحي بن حميدة الحلبي المتوفى سنة ٦٣٠ اه وفى الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة فى صحيفة ١٤٦ نقلٌ عنه حيث قال. قال ابن شداد ذكر منتخب الدين ابو زكريا يحي ابن ابى طي النجار الحلبي فى الكتاب الذي وضعه فى تاريخ حلب وسماه [عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر] الخ وهذه العبارة تفيد انه من التواريخ الخاصة بها

(١٦) كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين ذكره فى الكشف فى صحيفة ٣٣٦

(١٧) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لقاضي بهاء الدين يوسف ابن رافع بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢)

هي سيرة السلطان صلاح الدين الايوبى رحمه الله وقد كان المؤلف رافقه فى كثير من حروبه فكتب ما شاهده او عمن شاهد تلك الحروب طبعت في مجلد واحد سنة ١٣١٧ فى مطبعة التمدن بمصر

قال جرجي زيدان طبعت فى لندن سنة ١٧٣٢ مع منتخبات عن صلاح الدين من تواريخ ابى الفداء وعماد الدين وغيرها مع ترجمة ذلك كله باللغة اللاتينية وقد ترجمت ايضاً الى الفرنساوية وطبعت فى باريس سنة ١٨٨٤ وطبعت في لندن مع تعليقات بالأنكليزية اه

وقال جرجي زيدان هنا ان له تاريخ حلب ومنه نسخة في بطرسبورج وهذا وهم منه فأبن شداد هذا ليس له تاريخ لحلب واو كان لذكره ابن خلكان وغيره من مترجميه وقد سبقه في ذلك الوهم صاحب الكشف حيث قال في صحيفة ١٢٣ الأعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة لأبن شداد ابى العز يوسف بن رافع الحلبي المتوفي سنة ٦٣٢اه والأعلاق الخطيرة هو لعز الدين

محمد بن علي بن ابراهيم بن علي بن شداد [من هذه جاءهما الوهم] المتوفي سنة ٦٨٤ وسيأتي الكلام عليه

﴿ المؤلفات التاريخية للوزير الأكرم جمال الدين ﴾
ابي الحسن علي بن يوسف القفطى المتوفي بحلب سنة ٦٤٦

[١٨] الدر الثمين في أخبار المتيمين

[١٩] كتاب من الوت عليه الايام فرفعته ثم التوت عليه فوضعته

[٢٠] كتاب اخبار المصنفين وما صنفوه

[٢١] اخبار المغرب

[٢٢] تاريخ محمود بن سبكتكين

[٢٣] الاستئناس في اخبار آل مرداس

[٢٤] كتاب مشيخة تاج الدين الكندى

لا ذكر لهذه المؤلفات السبعة في كشف الظنون

[٢٥] اخبار الشعراء المحمديين واشعارهم لا ذكر له في الكشف ايضا وذكره جرجي زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية ٧٠ جلد ٣ وقال ان نخسة منه في باريس

[٢٦] كتاب اخبار مصر ذكره في الكشف مع تواريخ مصر ونقل زيدان انه في ستة مجلدات ولا يعرف مكانه . وقال ابن خلكان في ترجمة محمد بن تومرن المنعوت بالمهدي ان للقاضي ابن الاكرم وزير حلب تاريخاً مرتباً على السنين ونقل عنه . ولا ادري هو تاريخ مصر او غيره

[٢٧] تاريخ اليمن ذكره في الكشف في صحيفة ٢٣٦

[٢٨] تاريخ آل بويه ذكره في الكشف في صحيفة ٢١٧

[٢٩] تاريخ آل سلجوق : : ٢١٨ وفي ٢٢٩

يوجد منه نسخة فى يكى جامع فى الاستانة رقمها ٨٤٩

[٣٠] اخبار العلماء بأخبار الحكماء ذكره في الكشف وسماه المنتخبات الملتقطات في تاريخ الحكماء . والاطباء ويوجد منه نسخة في يكى جامع بالاستانة باسم [روضة العلماء] في مجلد واحد محررة سنة ٦٤٦ اي في السنة التى توفي فيها المؤلف . ويوجد منه ثلاث نسخ خطية فى المكتبة السلطانية فى مصر وعليها اعتمد السيد محمد امين الخانجي الحلبي الكتبي نزيل مصر فى طبع هذا الكتاب في مطبعته سنة ١٣٢٦ . قال جرجي زيدان وهو معجم تاريخى للفلاسفة والاطباء والعلماء واصحاب الرياضيات واللغة من العرب وغيرهم مرتب على الابجدية قل من نسج على منواله ومنه نسخ خطية فى اكثر مكاتب اوروبا

وانظر ما كتبه عنه صاحب مجلة المقتبس فى المجلد الخامس فى الجزء الخامس من مجلته فى صحيفة ٣٣٥ والمقارنة بينه وبين كتاب عيون الانباء فى طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة

وعندي منه نسخة مطبوعة وقد التقطت منه ما فيه من تراجم الحلبيين وسنذكرها في مواضعها ان شاء الله تعالى

(٣١) انباه الرواة على انباء النحاة ذكره صاحب الكشف فى صحيفة ١٥٢ قال جرجي زيدان . منه نسخة خطية في جملة كتب زكى باشا فى السلطانية وذكر صاحب مجلة المقتبس فى المجلد الخامس فى الجزء الثاني عشر ان زكي باشا المذكور عزم على طبعه . وقد مضى نحو تسع سنوات ولم يطبع ولعل الحرب العامة حالت دون طبعه وطبع كثير من الكتب الهامة التى عول على طبعها

٣٢ (الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة)

لابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤

قال فى الكشف فى صحيفة ٤٨٤ الدرة الخطيرة في اسماء الشام والجزيرة لعز الدين محمد بن علي الحلبي الكاتب المتوفى سنة ٦٨٤ وفى الكشف ايضا فى صحيفة ١٢٣ الأعلاق الخطيرة فى تاريخ الشام والجزيرة لأبن شداد ابى العز يوسف بن رافع الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢ وهذا سهو منه والصحيح الأول قال في خطبة الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة ان شمس الدين ابا عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن شداد الحلبي الف كتابا سماه الأعلاق الخطيرة فى امراء الشام والجزيرة

قال جورجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية في صحيفه ١٨٤ ج ٣ ان منه نسخة فى المتحف البريطانى اه

ويوجد الجزء الثاني فى المكتبة اليسوعية في بيروت رقمها ٢٨٨ وقد نسخه لنفسه الأديب رزق الله حسون الحلبي سنة ١٨٧٦ الموافقة لسنة ١٢٩٣ هجرية اشترته الكلية اليسوعية من تركته وهو منقول عن جزء قديم كتب فى آخره مانصه (وكان الفراغ منه بكرة نهار السبت خامس عشرين رجب في سنة تسع وثمانين وسبعماية على يد اضعف العباد الراجي عفو ربه وغفرانه سليمان بن غازي الأيوبى) واوله الحمد لله المدين على المقاصد السديدة والهادى الى مظان الأرادات الرشيدة . الى ان قال وبعد فقد كنا قدمنا فيما سلف من كتابنا ذكر الشام وتنقل بلاده في ايدي الملوك والأمراء وهنا نحن

عاطفون عليه بذكر الجزيرة ومن ملكها اولاً واخيراً الى حين خروجها عن ايدي المسلمين الى ايدى التتر انقذها الله منهم ونختم بذكر الموصل وان لم تكن من الجزيرة وانما ساقنا الى ذكرها المجاورة والمصاقبة

ويوجد الجزء الأول عند الشيخ ناجي الكردي احد خدمة المسجد الأعظم بحلب واول الكتاب ☆ الحمد لله المعين على المقاصد السديدة والهادى الى مظان الأرادات الرشيدة الى ان قال يقول العبد الفقير الى الله تعالى الغنى محمد بن ابراهيم بن شداد بن خليفة بن شداد الحمد لله الذي قص من انباء الرسل ماثبت به فؤاد رسوله وتلا عليه من اخبار الأمم مابلغ به تصديقه غاية سؤله وبعد فأنه لما حللت بمصر المحروسة وتبوأت محالها المأنوسة وشملني من انعام السلطان السيد الأجل الخ الملك الظاهر ابي الفتح بيبرس رأيت ان اضع كتابا اذكر فيه الفتوحات وملكه ماكان بأيدى الكفرة من الحصون المنيعات والقلاع وماوطئته سنابك خيوله مفصلاً كل جند من اجناد الشام والجزيرة بأعماله وحدوده ومكانه من المعمور واطواله وعروضه ومطالع سعوده ملتزما في كل بلد ذكر من وليه من اول الفتوح الى وقت فروغ هذا الكتاب وابدأ بذكر (جند حلب) لكونها مسقط رأسي ومحل انسي ونباسي الى ان قال ورسمته [بالأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة] ثم قال فقد آن ان ابتدأ كتابي هذا بذكر حلب على ماتقدم به الوعد وارتب الكلام فيه على ثلاثة اقسام القسم الأول اضمنه سبعة عشر باباً في امر البلد وما اشتمل عليه بنيانه ظاهراً وباطناً القسم الثاني اضمنه سبعة ابواب ويشتمل على حدود نواحيها الخارجة عنها القسم الثالث في ذكر امرائها منذ فتحت الى عصرنا هذا الذي وضعنا فيه هذا الكتاب

الباب الأول في ذكر مواضعها المعمورة ٢ في ذكر الطالع الذي بنيت فيه ٣ في تسميتها واشتقاقها ٤ في ذكر صفة عمارتها ٥ فى ذكر عدد ابوابها ٦ في ذكر بناء قلعتها والقصور القديمة ٧ في ذكر ما ورد فى فضلها ٨ في ذكر مسجدها الجامع والجوامع التى بظاهرها وضواحيها ٩ في ذكر المزارات التى بباطنها وظاهرها ١٠ فى ذكر المساجد التى بباطن حلب وظاهرها ١١ في ذكر الخانقاهات والربط ١٢ فى ذكر المدارس ١٣ فى ذكر مابحلب ونواحيها من الطلسمات والخواص ١٤ في ذكر الحمامات ١٥ فى ذكر نهرها وقناتها ١٦ فى ذكر ارتفاع قصبتها ١٧ فى ذكر ما مدحت به نظماً ونثراً

ثم قال بعد ان تكلم على هذه الأبواب السبعة عشر . القسم الثاني فى ذكر ما اشتمل عليه جند قنسرين وما اضفنا اليه من بلاد العواصم والثغور وبلاد حمص وقلنا انها جندان . الباب الأول في تحديد بلاد جند قنسرين وصفاتها . الباب الثاني في ذكر الثغور وتحديد بقاعها . الباب الثالث في ذكر العواصم وحصونها . الباب الرابع في ذكر ماحوى جند حمص من البلاد . الباب الخامس في ذكر مافي مجموع هذه البلاد من الأنهار . الباب السادس فى ذكر مافيه من البحيرات الباب السابع في ذكر مافيه من الجبال • وقد ذكر في نسخة الشيخ ناجي الباب الأول والثاني ثم ذكر القسم الثالث وهو امراءها منذ فتحت الى عصره ثم ذكر الباب الثالث وهنا انتهى الكلام فيكون قد اقحم القسم الثالث بين الباب الثانى والباب الثالث ولعل ذلك من الناسخ واما الباب الرابع وما بعده من الأبواب التي هى تتمة القسم الثاني فلا وجود لها فى هذه النسخة وكأن الناسخ لها اسقطها ظناً منه انه لاعلاقة لها بحلب سامحه الله وعفا عنه • وابو الفضل ابن الشحنة قد اتى في كتابه نزهة النواظر على مافي هذا الكتاب وزاد عليه •

وابو اليمن البتروني قد التقط جميع مافى نزهة النواظر مما هو متعلق بحلب في كتاب له سماه الدر المنتخب وهو مطبوع وقد قدمنا الكلام عليه وسيأتي الكلام على نزهة النواظر

٣٣ عبرة اولى الأبصار في ملوك الأمصار لعماد الدين (اسماعيل بن الاثير الحلبي)

قال في كشف الظنون في ج ٢ ص ١٠٦ عبرة اولى الأبصار في ملوك الأمصار لعماد الدين اسماعيل بن احمد بن سعيد المعروف بأبن الأثير الحلبي المتوفى سنة ٦٩٩ . اقتصر فيه على الملوك والخلفاء في البلاد كلها من غير تعرض لشئ من الوفيات وهو في مجلدين اه وذكره صاحب الكشف مرة ثانية وسماه عين اولى الأبصار في ملوك الأمصار

٣٤ تاريخ مصر لقطب الدين عبد الكريم بن عبد النور «الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥»

قال الكشف (صحيفة ٢٢٩) تاريخ قطب الدين عبدالكريم بن عبد النور الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥ رتبه على الأسماء وزاد ولده تقي الدين في المحمديين كثيراً ومات سنة ٧٧٢ وقال ايضاً في صحيفة ٢٣٢ فى الكلام على تواريخ مصر ولقطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥ في بضع عشرة مجلداً ولم يكمله

٣٥ تتمة المختصر في أخبار البشر لزين الدين عمر بن «الوردى الحلبي المتوفى سنة ٧٤٩»

قال في كشف الظنون (صحيفة ٤٠٢ جلد ٢) المختصر في اخبار البشر

في مجلدين للملك المؤيد اسماعيل بن على صاحب حماه المتوفى سنة ٧٣٢ اختصره ابن الوردي والقاضي ابو الوليد محمد بن محمد بن الشحنة الحلبى الحنفى المتوفي سنة ٨١٥ وذيله الى زمانه اه طبع الأصل الذي هو للملك المؤيد المشهور بتاريخ ابي الفدا في مجلدين بالاستانة ومصر وطبع المختصر المسمي تتمة المختصر لأبن الوردى في المطبعة الوهبية بمصر في مجلدين ايضاً سنة ١٢٨٥ قال في اوله اختصرته في نحو ثلثيه اختصاراً زاده حسناً والحقته اعيانا واودعته شيئاً من نظمي ونثري وقلت في اول مازدته [قلت] وفي آخره (والله اعلم) وسأذيله من سنة تسع وسبعمائه التى وقف المؤلف عليها الى هذه السنة وسميته تتمة المختصر في اخبار البشر اه ويظهر ان النسخة التى وقعت له من الأصل محرر فيها الى سنة ٧١٠ وذيل عليها من هذه السنة الى سنة ٧٤٩ ولكن من يطالع الأصل المطبوع مع ذيله يجد من سياق الكلام ان ابا الفدا وصل في تاريخه الى سنة ٧٣٠ وان الوردي ذيل عليه من هذه السنة الى سنة ٧٤٩ وقد طبع مع الأصل ماذيله ابن الوردي من سنة ٧٣٠ الى سنة ٧٤٩ وطبع مع المختصر ماذيله من سنة ٧١٠ الى سنة ٧٤٩ يرشدك الى ذلك اختلاف العبارة من سنة ٧١٠ الى سنة ٧٣٠ واتحادها فى الكتابين من سنة ٧٣٠ الى سنة ٧٤٩ والذي اختصره القاضى ابو الوليد وذيله الى زمانه سماه (روض المناظر) وهو مطبوع ايضاً على هامش مروج الذهب للمسعودى وعلى هامش الكامل لأبن الأثير وسيأتي الكلام عليه

المؤلفات التاريخية لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب [الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩]

٣٦ (اخبار الدول وتذكار الأول) قال في كشف الظنون هو تاريخ مختصر مسجع ذكر فيه الأنبياء والخلفاء والملوك اه

٣٧) جهينة الأخبار لها ايضاً قال في الكشف الفه على السجع ورعاية الفقرات اه يوجد نسخة منه في المكتبة السلطانية في مجلد بقلم عادي س ١ ج ١ ن خ ١١٥٤ ن ع ٢٤٢٣٧

قال جرجي زيدان جهينة الأخبار في ملوك الأمصار يشتمل على نتف تاريخية مرتبة في طبقات حسب الأعصر والدول من الانبياء فاليهود فالفرس فالقبط فالعرب فالمسلمين الى المغول باختصار. منه نسخة في المكتبة السلطانية في ٩٢ صفحة وفي كوبريلي اه

٣٨ (تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه) هو السلطان قلاون وبنوه ذكره جرجي زيدان وقال ان منه نسخة في برلين والمتحف البريطاني

٣٩) معاني اهل البيان من وفيات ابن خلكان قال في الكشف في صحيفة ٦٣٩ جلد ٢ في كلامه على وفيات الأعيان لأبن خلكان وممن اختصره ايضاً الشيخ بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي المتوفي سنة ٧٧٩ وسماه معاني اهل البيان من وفيات ابن خلكان اتي فيه بمأتين وسبعة وثلاثين نفراً مع اشعارهم وآثارهم اه اقول وفي المكتبة العثمانية بحلب كتاب محرر عليه (المختصر المختار) من وفيات الاعيان اختصار تاج الدين احمد بن الأثير الحلبي وهو محرر سنة ٩٨٦ بخط احمد ابن ابى بكر السنى المالكي وهذا الكتاب مع كتاب آخر محرر عليه المنتخب من البداية والنهاية لأبن كثير ولم اقف على ترجمة لأحمد ابن الاثير . وصاحب الكشف لم يذكر هذا المختصر في الكلام على وفيات الأعيان

٤٠ ﴿ درة الأسلاك في دولة الأتراك ﴾

قال في الكشف في صحيفة ٤٨٢ جلد١ درة الأسلاك في دولة الأتراك لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي وهو تاريخ مرتب على السنين في مجلد اوله الحمد لله المبين (هكذا وصوابه المميت) الوارث ابتدأ فيه من سنة ٦٤٨ وانتهى الى آخر سنة ٧٧٨ والتزم رعاية السجع في كلامه ولذلك قال صاحب المنهل الصافي (هو تغري وبردى) في ترجمة سليمان بن مهنا بعد نقل كلامه فيه انتهى فشار ابن حبيب وركيك الفاظه وربما اذا كانت ضاقت عليه القافية يذم المشكور ويشكر المذموم لماالتزم نفسه في جميع تاريخه بهذا النوع السافل في فن التاريخ وقال ايضا في غير هذا المحل ولم يذكر المولد والوفاة وانما هو رجل مقصده تركيب كلام مسجع لاغير انتهى ثم ذيله ولده عز الدين ابو العز طاهر بالسجع على طريقة ابيه بلغ الى سنة ٨٠٢ وتوفي سنة ٨٠٨ وللشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة ٨٧٩ — متمم درة الأسلاك ولابن خطيب الناصرية ملخصه اه

يوجد منه نسخة في مكتبة داماد زاده قاضيعسكر رقمها ١٤٥٤ ونسخة في مكتبة يكي جامع ورقمها ٨٤٩ وهي محررة سنة ٧٧٩ اي في السنة التي توفي فيها المؤلف وفي مكتبة سلطان احمد خان ورقمها ٢٣٣ وهي محررة سنة ٧٧٩ ايضاً وهذه المكاتب الثلاث في الآستانه ...

ويوجد نسخة منه في باريس ذكر هذه في قاموس الأعلام

قال جرجي زيدان يوجد نسخ منه في برلين ويكي جامع وباريس واطلعنا الأستاذ مرجليوث على نسختين من هذا الكتاب في اكسفورد احداهما مسجعة

والأخرى مرسلة وقد لقب في احدهما بدر الدين وفي الأخر شهاب الدين وفي كتبة ديفريمري جزء من درة الأسلاك بخط المؤلف اه

وقال في ترجمة ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ وله مختصر درة الأسلاك لأبن حبيب الحلبي منه نسخة في باريس اه

٤١ (تاج النسرين في تاريخ قنسرين لأبن عشائر الحلبي المتوفى سنة ٧٨٩)

قال فى الكشف (جلد ١ صحيفة ٢١٢) تاج النسرين في تاريخ قنسرين لمحمد ابن علي بن محمد بن عشائر الحلبي المتوفي سنة ٧٨٩ اه

قال ياقوت في معجم البلدان وكانت قنسرين بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم وبعض يدخل قنسرين في العواصم وما زالت عامرة آهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع ما كان بربضها فخاف اهل قنسرين وتفرقوا فى البلاد فطائفة عبرت الفرات وطائفة نقلها سيف الدولة ابن حمدان الى حلب كثر بهم من بقى من اهلها فليس بها اليوم الاخان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وقال بعضهم كان خراب قنسرين في سنة ٣٥٥ قبل موت سيف الدولة باشهر كان قد خرج اليها ملك الروم وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه فجاء الى قنسرين وخرّبها واحرق مساجدها ولم تعمر بعد ذلك اه اقول والآن هى قرية صغيرة ليس فيها على ما اخبرنى بعض من رآها سوى بعض احجار من انقاض ابنيتها القديمة واليها تنسب باب قنسرين محلة في حلب فى قبليها لأن فى آخرها باباً عظيماً اكتنفته البقية الباقية من اسوار حلب القديمة هو طريق المسافرين اليها والى حماة وحمص

٤٢ (روض المناظر في علم الأوائل والأواخر لابي الوليد محمد بن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥

قال في كشف الظنون في جلد ١ صحيفة ٥٨٠ (روض المناظر في علم الأوائل والأواخر) وهو تاريخ مشهور لأبي الوليد قاضي القضاة زين الدين محمد بن محمد الشهير بأبن الشحنة الحلبي الحنفي المتوفى سنة ٨١٥ قال قد التمس مني عماد الدين محمد بن موسى النائب بمدينة حلب ان اجمع له كتاباً في التاريخ وجيز الألفاظ فأجبته وجعلت له مفتاحاً ومصراعين وخاتمة اما المفتاح ففي بدء خلق الدنيا واما المصراع الاول ففي مابين هبوط آدم الى الهجرة والثاني منها الى آخر مدة يقدرها الله والخاتمة مشتملة على ماهو كالعيان مما يكون في آخر الزمان وقد انتهى في المصراع الثاني الى سنة ٨٠٦ ثم سئله بعض طلبته من اسباط الملك المؤيد صاحب حماه في اختصاره فاجابه ووسمه بالمنتقي وبالغ في الايجاز الا ان ناقله الأول نقله من مسودة فقدم واخر وزاد ونقص فترتب عليه مفاسد ولذلك الف ابنه القاضي ابو الفضل محب الدين محمد نزهة النواظر في روض المناظر وهو كالشرح عليه وتوفى سنة ٨٩٠ وله اي للقاضي محب الدين ذيل على الأصل يسمي بانتطاف الأزاهر في ذيل روض المناظر وهو الذي انتقى منه ابن بنته جلال الدين النصيبي كراسة وسماها نور الخلاف في منتخب الاقتطاف اه يوجد منه نسخة في المكتبة الخديوية ج ١ نخ ٤٥ ن ع ٧٤٧٥ عدد اوراقها ٢٠٠ وفي آخر هذه النسخة عبارة منقولة عن ولد المؤلف هذا نصها باختصار وكان الفراغ منه بعد عصر يوم الاحد السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٢٥ وقد اجتهدت غاية الاجتهاد في موافقة المقصود وتحرير المراد فان نسخ هذا

التاريخ طارت في البلاد منقولة من نسخة السواد مختصر منها كثير من السنين محذوف منها جماعة من المترجمين وهذه النسخة اصح ما يوجد واولى ما عليه يعتمد اه

اقول وهو مطبوع على هامش الجزء الحادي عشر والجزء الثاني عشر من تاريخ ابن الاثير المسمي بالكامل وعلى هامش مروج الذهب للمسعودي لكن ليس في اوله ذكر لعماد الدين محمد بن موسى النائب بمدينة حلب وفي السالنامة الحلبية ليس له ذكر بين النواب الذين تولوا حلب وهو مختصر من تاريخ ابي الفداء المسمى بالمختصر في اخبار البشر وذيله الى زمانه ذكر ذلك صاحب الكشف في صحيفة ٤٠٢ جلد ٢ وتاريخ ابي الفداء مختصر من تاريخ الكامل فيكون هذا مختصر المختصر واحسن مايستفاد منه اواخره والحديث الذي دار بينه وبين تيمورلنك المذكور في آخره والاعمال والفظايع التي عملها تيمورلنك حين استيلائه على حلب وسترى ذلك في محله ان شاء الله تعالى

وقد اطلعت هنا على نسخة خطية من هذا التاريخ عند بني الحسبي فيها زيادة ثمان ورقات على المطبوع ذكر فيها الملاحم والفتن واشراط الساعة وكلها اهملت في الطبع ويظهر ان ذلك لأنتهاء تاريخ ابن الأثير اولأن للملاحم والفتن واشراط الساعه ذكراً في كثير من كتب الحديث وغيرها

قال جرجي زيدان في آداب اللغة العربية (في صحيفة ١٩٥ جلد ٣) ومنه نسخ في معظم مكاتب اوروبا وقال في صحيفة (١٣٧ جلد ٤) ونسخة في المكتبة اليسوعية في بيروت اه اقول ذكر المؤلف في اول تاريخه وفي آخره ان الحوت هو الحامل لهذه الدنيا تلك الخرافة التي يتحدث بها العجائز والبسطاء وفي ذلك دلالة على ان ابن الشحنة على جلالة فضله وغزارة علمه في العلوم

الفقهية والأدبية كان بعيداً عن علم الجغرافيا كل البعد والكمال لله وحده اه

٤٣ «نزهة النواظر في روض المناظر لأبي الفضل محمد» ابن ابي الوليد

قال في الكشف في صحيفة ٥٩٨ جلد ٢ نزهة النواظر في روض المناظر اقاضي القضاة محب الدين ابي الفضل محمد ابن ابي الوليد محمد ابن الشحنة الحلبي المتوفي سنة ٨٩٠ وهو تاريخ كبير جعله كالشرح لتاريخ ابيه المسمى بروض المناظر في علم الأوائل والأواخر ثم سرد الأسباب التي دعته الى تأليفه وقد نقلها عن در الحبب لرضي الدين الحنبلي

قال الحنبلي في ترجمته ومما ألفه ايضا التاريخ المسمى نزهة النواظر في روض المناظر لما انه كما قال في صدر تاريخ مستقل وشرح لتاريخ ابيه (هكذا ولعل الصواب لما انه كما قال تاريخ مستقل كالشرح لتاريخ ابيه) سأل اباه بعض طلبته من نبهاء الأمراء والفضلاء من اسباط المؤيد عماد الدين صاحب حماه في اختصاره فأجابه الى ما التمس وبالغ فى الايجاز فلم يطل النفس غير ان ناقله الأول نقله من مسودة أبيه فقدم واخر وزاد ونقص فترتب على ذلك مفاسد قال وكان صاحبنا الشيخ العلامة شمس الدين القرماني رحمه الله اشار عليّ ان انبه على مازاده الناسخ وما اهمل واهذبه كما فعل الامام عبد الله بمسند والده الأمام احمد ابن حنبل فشرعت بذلك مضيفا اليه معظم الملة الحنيفية وجمهور ائمة العلماء الحنفية من اولى المعرفة والدراية واهل الحديث والرواية ثم اعرضت عن ذلك فتركته على ماصح عنده وتحرر وثبت لديه وتقرر على ما افسده الناسخ الذى قدمه في المعرفة غير راسخ على من توهم فيه الأوهام المرتبة على قصور الأفهام

فأحسنت اتباعه فيما عمله وبسطت ماطواه وفصلت ماأجمله مختصراً للمكرور مقتصراً على المحرر (الى ان قال)غير انى قسمت المصراع منه وقد كان صير له مفتاحاً ومصراعين وجعل له خاتمة فيما ينزل من الأخبار منزلة رؤية العين الى ثلثة فصول الأول، فى خلق آدم عليه السلام وما اتفق له ولأولاده الثانى فى طبقات الأمم الثالث في المبشرات الواردة فى التوراة والأنجيل وعلى ألسنة الأحبار والرهبان والهتفان والكهان لظهوره صلى الله عليه وسلم والمقدمات التى جاءت قبل مبعثه وهجرته وقسمت الثانى الى تسع طبقات بحسب القرون اذ كر فيها مااشتهر من الحوادث النوبيه مرتبة على السنين ثم اتبعه بوفيات الأعيان المشهورين على الحروف وزدت على ذلك زيادات جمة ووشحته بفوائد مهمة وضبطت مافيه من لفظ عربي مخافة تصحيف غبي وذيلت عليه من استقبال القرن التاسع الى آخر مدة يقدر الله الوصول اليها انتهى ملخصاً

اقول ظفرت بمسودة المؤلف بخطه في صندوق ملقى في المكتبة الأحمدية لم يكن ليعبأ بما فيه الا انها ناقصة كثيراً وسقيمة الخط جداً وتتبعت مابقي من الأوراق التى لها علاقة بحلب فوجدتها ١١ ورقة

ويوجد منه نسخة في مكتبة ابن الحكيم بالاستانة فى مجلد ورقها ٨١٤ ونسخة في مكتبة داماد ابراهيم باشا بالاستانة حررت سنة ١١٠٠ ورقها ٨٧١ وهى فى مجلد واحد عدد اوراقه ١٨٦

وهذه فهرست الكتاب. فصل في المقدمة. فصل ثان فيها . فصل ثالث فيها خاتمة فيها. فصل في الأوائل. أوليات آدم .أوليات شيث عليهما السلام (ثم ذكر) أوليات الأنبياء الى آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم . ثم فى اوليات مشاهير الصحابة .اولهم ابو بكر رضى الله عنه. ثم أوليات مشاهير التابعين ثم

فصل في القضاة واوائلهم ثم أوليات القرون الماضية ثم العرب الخاصة بهم ثم العجم الخاصة بهم ثم أوليات النساء ثم ختم جميع الأوليات بأوليات ابليس اللعين ثم ابواب وفصول في فضائل مكة والمدينة والمسجد الحرام وغير ذلك من البلدان المباركة الى دمشق الشام

ثم قال . فصل في فضل حلب . الثاني في ذكر الطالع الذي بنيت فيه حلب الثالث في تسميتها واشتقاقها . الرابع في فتح حلب . الخامس فى صفة عمارتها . السادس في عدد ابوابها . السابع في ذكر القلعة الحلبية . في ذكر القصور التى كانت لملوك حلب . فى مسجدها الجامع . في منارة الجامع . الجوامع التى في حلب . جامع القلعة الحلبية . ذكر المزارات التى فى باطن حلب وظاهرها . المشاهد التى بحلب . ذكر مافي قرى حلب واعمالها من المزارات . في ذكر المساجد التى في باطن حلب وظاهرها . في ذكر ماباطن حلب وظاهرها من الخوانق والربط . في ذكر ماباطن حلب وظاهرها من المدارس . المدارس الشافعية بظاهر حلب . في ذكر مابحلب واعمالها من الطلسمات . ذكر ماباطن حلب من الحمامات . في ذكر نهرها وقناتها . ذكر القنى المتفرعة من القناة العظمى . ذكر ارتفاع قصبة حلب . في ذكر مامدحت به حلب نظماً ونثراً . فى ذكر حدودها ومضافاتها وذكر العواصم . وبعد ان تكلم على جميع ماتقدم تكلم على اطرافها فذكر . صفين . الرصافة . خناصرة . قنسرين . حاضر قنسرين . سرمين . الفوعة . معرة مصرين . حارم . قلعة دركوش . الراوندان . تل هراق . برج الرصاص . تل باشر . الباب وبزاعا . تادف . ابو كالكل . الاسكندرونة . المثقب . سيس . مرعش . زبطرة . عمورية . ملطية . سمسياط (ثم قال بعد ذلك) فصل فى ذكر العواصم . انطاكية . بغراس .

درب ساك . حصن لوقا . تيزين . ارتاح . دلوك . قورس . منبج (ثم قال) الباب الحادى والعشرون فيما تجدد من المساجد . الترب التي ظاهر حلب . الترب التى ظاهر باب النيرب . الترب التى ظاهر باب الجنان . وباب انطاكية . في ذكر مابها من الحارات . في ذكر مابها من الجنينات . في ذكر الأمور المختصة بحلب . فى ذكر منتزهاتها فى احوال نواب حلب (وبه تم الكلام على حلب وما يتعلق بها) ثم تكلم عن مدينة طرابلس وغيرها من البلاد الشامية ثم عن مدينة مصر وملحقاتها . ثم جملة مختصرة عن مشاهير البلدان ثم عقد فصلاً مختصراً وصف فيه البلاد وطبائعها وصفاً دقيقا ابدع فيه واجاد ثم ختم الكتاب بقوله (تتمة) ذكر بطليموس انه احصى مدن الدنيا في زمنه فأذا هى ٤٢٠٠ مدينة واما القلاع والحصون والأبنية التى اتخذها الجبابرة فلا يحصرها عد ولا يبلغها حد وكذا الجزائر والبحار فأنها متعذرة الأنحصار والله الموفق بمنه وكرمه (تم الكتاب) واذا تأملت في هذه الفهرست تجد ان معظم الكتاب يتعلق بتاريخ حلب وهو جدير بأن يعد في تواريخها الخاصة لولا مافيه من المقدمات والأوليات

واذا قابلت بينها وبين فهرست الكتاب المسمى بالدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب (وهو مطبوع كما قدمنا) ظهرلك ماحققناه من ان الدر المنتخب هو لأبى اليمن البترونى التقطه من نزهة النواظر هذا بل انه كاد يستوعب مافيه مما هو متعلق بحلب ومع هذا فأن الأصل أعنى نزهة النواظر جدير بالطبع لما فيه من الفوائد التاريخية عن غير الشهباء التى ربما لاتجدها في غيره على هذا النسق



٤٤ اقتطاف الأزاهر فى ذيل روض المناظر لابن الشحنة المذكور

قال الحنبلي فى در الحبب في ترجمته ومما الفه اقتطاف الأزاهر فى روض المناظر جعله ذيلاً على تاريخ هو الذي بيض منه كراسة سماها نور الخلاف ومنتخب الأقتطاف ابن بنته الجلال النصيبي اه اقول هذه الكراسة موجودة في مكتبة الأحمدية مع كتاب الأنباء فى قبائل الرواة لابن عبد البر المحدث ورقم الكتاب ٣٤٧ وهى سقيمة الخط جدا يظهر انها بخط ابن منتخبها ابن النصيبي وفيها عدة تراجم منقولة فى تاريخنا عن غيرها وهى ثمان ورقات

٤٥ ﴿ الجوهرة المضية فى طبقات الحنفية لأبي الفضل ﴾ المذكور

فى فهرست مكتبة قلج علي باشا في الآستانة مانصه) الجوهرة المضية لمحمد بن ابى الوليد الحلبي ورقها ٧٣٩ ونسخة فى بروسة فى مكتبة حسن جلبى ولم يذكر هذا التاريخ صاحب الكشف وقد ذكره الحافظ السخاوي في تاريخه الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع فى ترجمة ابي الفضل المذكور حيث قال ان من جملة مصنفاته طبقات الحنفية فى مجلدات ونقل الحنبلي في تاريخه الزبد والضرب عبارة عن هذه الطبقات لكنه سماها الجواهر المضية قال ايضاً انها لأبى الفضل المذكور



٤٦ (القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي لزين الدين) عمر الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦

قال فى الكشف في صحيفة ٨٥ جلد ٢ الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ رتبه على الحروف وانتخبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوى اه

يوجد نسخة من الضوء اللامع فى المكتبة الظاهرية بدمشق وقد التقطنا مافيه من تراجم الحلبيين فى مجلد بواسطة بعض النساخ الملازمين للمكتبة ويوجد نسخة منه فى مجلدين فى المكتبة العمومية في الأستانة ورقها ٥٢١٠ وقال جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (فى صحيفة ١٦٩ جلد ٣) في ترجمة شمس الدين السخاوى وبيان آثاره بعد ان تكلم على الضوء اللامع وقد اختصره ايضا زين الدين الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ في كتاب سماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي فى اكسفورد اه

(٤٧ عيون الاخبار فيما وقع لجامعه في الأقامة والأسفار له ايضا)

[٤٨ النبذ الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية له ايضا]

لم يذكر هذين التاريخين صاحب الكشف وهما مذكوران فى ترجمته الآتية في در الحبب وقال عن عيون الاخبار انه انتهى فيه الى المحرم سنة ٩٣٦ اى الى السنة التي توفي فيها المؤلف

﴿ ٤٩ سفينة نوح للزين الشماع ايضا ﴾

ذكرها جرجي زيدان في آداب اللغة العربية في صحيفة ٢٨٤ جلد ٣ قال سفينة نوح لعمر بن احمد بن علي الحلبي الشماع جمعها بمكة سنة ٩٢٧ وفيها اخبار وتراجم وآداب واشعار وحكم وفقه واحكام وغير ذلك في عدة مجلدات منها المجلد ٢٢ في المكتبة الخديوية بخط قديم اه

﴿ ٥٠ ذيل العبر في اسماء من غبر له ايضا ﴾

العبر هو للحافظ الذهبي قال جرجي زيدان في الكلام عليه (في صحيفة ١٩١ جلد ٣) واختصره كثيرون وصلنا من ذيوله تذييل ابن الشماع المتوفي سنة ٩٣٦ منه نسخة في المتحف البريطاني بخط المؤلف اه

٥٠ ﴿ الاثار الرفيعه في مآثر بني ربيعة للرضي الحنبلي ﴾

قال صاحب الكشف في صحيفة ٤٩ جلد ١ هو لرضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي المتوفي سنه ٩٧١ ذكره في ظل العريش (اسم كتاب للمؤلف) وان نسبته من ربيعة اه

﴿ ٥٢ المنتقي من تاريخ الاسلام للذهبي للشيخ احمد ابن محمد الملا المتوفي سنة ١٠٠٣ ﴾

لم يذكر صاحب الكشف هذا التاريخ ولا هو مذكور في ترجمة مؤلفه لكن يوجد منه ست مجلدات في مكتبة المدرسة الاحمدية بمدينة حلب بخط ولده ابراهيم وربما كان بعضها بخط نفس المؤلف وقد ذكر ولده ان الاختصار لوالده وسماه المنتقي

٥٣ (ذات العماد فى اخبار ام البلاد لابن قضيب البان)

ذكره صاحب الكشف في صحيفة ٥٢٦ جلد ١ وقال انه للشيخ محي الدين عبد القادر بن محمد الشهير بابن قضيب البان المتوفي بحلب سنة ١٠٤٠ اه وام البلاد هي مكة

﴿ ٥٤ تاريخ مصطفى نعيما الحلبي المتوفى سنة ١١٢٨ ﴾ بالاستانه

هو تاريخ تركي في ست مجلدات مطبوع في المطبعة العامرة فى الاستانة سنة ١٢٨٣ ارخ فيه حوادث الدولة العثمانية من سنة الف الى سنة ١٠٧٠ وفيه حوادث عن الشهباء ترجمناها عنه

ليس في هذا التاريخ الى سوى سطرين ... ذكر ... في ... !!

﴿ ٥٥ المقامة البحرية لاسحق بن محمد البخشى المتوفي ﴾ سنة ١١٤٠

قال المرادي في سلك الدرر فى ترجمة المؤلف ولما اصطحبه معه الوزير قبطان ابراهيم باشا لسفر الموره من البحر وحصل لهم الفتح والنصر انشأ مقامة بحرية ووصف فيها كيفية الذهاب والأياب وكيفية القتال برا وبحرا وما يسره الله من الفتح والنصر بالفاظ عذبة انيقة وشاع ذكرها بين ادباء العصر .

انتهت المقدمة



الكلام على حدود سوريا ومساحتها

قال ابن الشحنة اما حدود الشام [سورية] فهي اربعة فالحد الجنوبي من العريش مما يلي مصر والشرقي البادية من ايلة الى الفرات والشمالي بلاد الروم والغربي بحر الروم

وفي النخبة الأزهرية يسمى الأقليم الواقع شرق البحر الابيض المتوسط سورية وقد اطلق العرب عليه منذ افتتاحها اسم بلاد الشام . اما حدود هذا الأقليم فشمالاً آسيا الصغرى وشرقاً الفرات والصحراء وجنوباً صحراء العرب وغرباً البحر الابيض المتوسط . وتبلغ مساحة سورية مائة الف من الكيلومترات المربعة اه وفي لاروس ان مساحتها ١١٥٠٠٠ من الكيلومترات

وفي منجم العمران (ذيل معجم البلدان) ان سورية ممتدة من ٣١ درجة الى ٣٦ درجة و ٣٠ دقيقة طولاً شمالياً ومساحتها نحو ٢٨ الف ميل مربع

وفي الدر المنتخب وسوريا يطلق على الشام الأولى وهي حلب واعمالها وبناحية الأحص من بلد حلب مدينة خربت تسمى سوريا واليها ينسب القلم السرياني واللسان السرياني

سكان سورية الاقدمين

قال في منجم العمران اول من حل البلاد السورية من الامم هم قبائل ينفيليم واميم ورافاييم وزوريم وعناتيم وزمزوميم ثم تبعتهم قبائل الاموريين والصيدونيين والجرجاشيين والعراقيين والسريانيين والاروادين والحماتيين والصماديين وهم الذين سماهم اليونانيون الفينيقيين ثم لحقهم بنو تارح وتناسل منهم اسرائيل وادوم وموآب وعمون ثم لما ضاقت تلك البلاد بتجاراتهم

وصناعاتهم وارادوا التوسع في ذلك اخذوا يضربون فى البحار حتى انتشروا في قبرس ورودس وكريد اليونانية وصقلية وكوزو ومالطه وكورسيكا وماجوركا وانبكا وقرطاجن ثم جاوزوا البحر المتوسط الى جزر بريطانيا وشمالي فرنسا وبلجيكا وبرعوا فى الصنائع واتسع نطاق تجارتهم وصنعوا السفن وكان العريش محطاً لقوافل بلاد العرب (١) وسائر واردات الخليج الفارسي والهند واقصى الشرق واصبحت تجارتهم ممتدة بين اليونان ومصر وسوريا وبلاد النهرين والارمن والكلدان والهند وبلاد الانكليز واسبانيا ومهروا في كثير من الصنائع كالصباغة والنسيج واستجلبوا بزر الحرير من بلاد فارس وصنعة الزجاج والنقش والحفر وصب الذهب والفضة وكانت لغتهم شبيهة بالسامية ومشتقة منها وكان قلمهم الهيروكليفي ومنه اتخذ اليونان حروفهم وكان لكل امة ملك يسوسهم ويدينون بدينه وكانت سيادة المدائن فى صيدا ثم انتقلت الى صور وكان صاحبها يلقب بملكارات وكانت الامم كل سنة ترسل وفداً الى صور لعبادة ملكارات وكانت الاراضي ملكا للملك يستغلها وينعم بما شاء على من شاء وقد كانوا في بدء امرهم يدينون بالوحدانية جرياً على النهج القديم الذي كانت تنهجه الامم الذين قبلهم قبل ان تتلوث الأديان بالدين الوثني وتنطمس القلوب بعبادة الاجرام السماوية وهياكلها وصورها

ثم لما كثر اختلاط الامم بعضها ببعض تولدت الشحناء بينهم واستحكم فيهم حب الغلبة والاستبداد واخذت الحروب تتداول بينهم وصارت سجية لهم وقوي التحزب والطمع واخذ القوي يسطو على الضعيف واشتدت المشاحنة بين الاسرائيليين والكنعانيين والفلسطينيين وتوالت على سوريا فتوحات

(١) وفي عهد دولة الانباط الشاميين اشهر محطة للقوافل في بلاد العريش هي (بطرا) قصبتهم

اليونانيين والفرس والأروام الى اوائل القرن السابع من الميلاد وبه قامت الدعوة الاسلامية وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو قيصر الروم الى الاسلام

وفي تحف الأنباء اول من استوطن هذه البقعة (سورية) بنو حام بن نوح فأنهم كانوا مستوطنين من شط بغداد الى مصر وقد كانت فرقة منهم فيها تسمى (الكيتا) فسكنت بقعة حمص وحماه وحلب . واما بنو سام فسكنوا بقعة بغداد والجانب الآخر من الشط . واما بنو يافث فسكنوا بقعة الهند والعجم ثم ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما فر من النمرود اتى بقعة (حلب) وسكنها ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك البقعة واخرجوا منها اولاد حام ومن ثم سميت مملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الأولى جزيرة الآرام وهي من الخابور الى الفرات . والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وماقرب منها والثالثة مملكة آرام صوبا وهي الجبول وماقرب منها

لغة سكان سورية واديانهم وعدد نفوسهم الان

اللغة العربية هي لغة معظم السوريين ويوجد من يتكلم باللغة التركية والكردية والسريانية والجركسية واللغة الجامعة للاسرائيليين هي العبرانية ولما انشئت المدارس الرسمية والوطنية والاجنبية تسربت اليها اللغات الاوربوية الافرنسية وهي اكثرهن شيوعا ثم الانكليزية والالمانية والايطالية

والدين الغالب في بلاد سوريا هو الأسلام ثم المسيحي بجميع مذاهبه ثم اليهودي ويوجد بها قليل من الاسماعيلية والمتاولة والدروز وغير ذلك

وعدد سكانها على الاحصاآت الاخيرة تزيد عن الثلاث مليونات من النفوس من عرب واتراك واعجام وتركمان وافرنج وغيرهم

عدد ولايات سورية

تنقسم البلاد السورية الى ثلاث ولايات هي حلب والشام وبيروت والى متصرفيتين هما القدس الشريف وجبل لبنان وغرضنا في هذا الكتاب بيان تاريخ الأولى التي عاصمتها (مدينة حلب) الموصوفة والمشهورة بالشهباء

موقع حلب من الكرة الأرضية وحدودها

قال في معجم البلدان قال بطليموس طول مدينة حلب تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها خمسة وثلاثون وخمسة وعشرون دقيقة داخلة فى الاقليم الرابع والذي في كتب الزيجات انها واقعة في عرض (لو) اي ٣٦ وهى فى عموم الخرائط المطبوعة فى اوروبا والاستانة ومصر مثبتة فى عرض ٣٦ وفى الثمار الشهية انها تبعد عن البحر المتوسط ٧٠ ميلا او ١٥٠ كيلومتراً

وفى الدر المنتخب نقلا عن ابن الخطيب اجناد الشام خمسة فأولها جند قنسرين ومدينتهم العظمى حلب وهي اكبر جنود الشام واكثرها مدناً وحصوناً حدها من جهة المغرب البحر الرومي اي الابيض المتوسط ومن جهة المشرق الفرات وبعض البادية الى منتهى المناظر ومن جهة الشمال درب الروم ومن جهة الجنوب حدود حمص وينتهى الى قرية تعرف بالقرشية بالقرب من اللاذقية الى حدود سلمية

وفيه نقلا عن العقد الشام الخامسة قنسرين ومدينتها العظمى حلب وبينهما اربع فراسخ ومن ساحلها انطاكية مدينة عظيمة ومن ثغور حلب المصيصة وطرسوس وفيها سيحان وجيحان

وفى منجم العمران يحدها شمالا ولايتا معمورة العزيز وسيواس وشرقاً ولايتا

دياربكر والزور وجنوباً ولاية الشام وغرباً البحر الابيض المتوسط وولاية آطنة ومسافتها ٣٠٠ ٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها على عهد الدولة العثمانية نحو مليون وربع ٠ وفى السالنامة طول ولاية حلب من الشرق الى الغرب ٨٥ ساعة وعرضها ٩٠ ساعة

ذكر بناء حلب وسبب تسميتها بحلب ووصفها بالشهباء

قال فى الباب الثاني من الدر المنتخب قال كمال الدين ابن العديم قرأت فى كتاب الجامع لتاريخ المتضمن ذكر مبدأ الدول ومنشأ الامم ومواليد الانبياء واوقات بناء المدن وذكر الحوادث مما عني بجمعه ابو النصر يحي ابن جرير الطبيب التكريتى النصرانى من عهد آدم الى دولة بنى مروان ونقلت ذلك من خطه قال ٠

ذكر ان فى دولة المواصلة ان بلوكوش الموصلي ملك خمسة واربعين سنة واول ملكه فى سنة ثلاث آلاف وتسعماية وتسعة وثمانين سنة ٣٩٨٩ لآدم عليه السلام وهو الذي بنى مدينة حلب. وكذا قال ابو الريحان احمد بن محمد البيرونى في كتاب القانون المسعودي الا أنه سماه بلقورس غير ان هذه الاسماء الأعجمية لا يكاد المسمون لها يتفقون على صورة واحدة لاختلاف السنتهم ٠

وقال هو وصاحب المعجم . لما ملك بلقورس الاثوري الموصل وقصبتها يومئذ نينوي كان المستولى على خطة قنسرين حلب بن المهر (بفتح الميم) احد بنى الحاب ابن مكنف من العمالقة فاختط مدينة حلب وسميت به وكان ذلك على مضى ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة لآدم وكانت مدة بلقورس

هذا ثلاثين عاما . وكان بناها بعد ورود ابراهيم عليه السلام الى الديار الشامية بخمسمائة وتسع واربعين سنة لان ابراهيم ابتلى بما ابتلى به من نمرود زمانه واسمه راميس وهو الرابع من ملوك اثورا وكانت مدة ملكه تسعة وثلاثين سنه ومدة ما بينه وبين آدم ثلاثة الاف واربعماية وثلاث عشرة سنة . وفي السنة الرابعة والعشرين من ملكه ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار نمرود فهرب منه مع عشيرته الى ناحية حران ثم انتقل الى جبل البيت المقدس وكانت عمارتها بعد خروج موسى من مصر وبنى اسرائيل الى التيه وغرق فرعون بمائة وعشرة اعوام

وكان اكبر الاسباب فى عمارتها ما حل بالعماليق في البلاد الشامية من خلفاء موسى عليه السلام وذلك ان يوشع بن نون لما خلفه موسى قاتل اريحا والنور وافتتحها وسبى وقتل واحرق وضرب ثم افتتح بعد ذلك بلدة عمان وارتفع العماليق من تلك الديار الى ارض سوريا وهى قنسرين وبنو حلب وجعلوها حصناً لانفسهم واموالهم ولم يزالوا متحصنين بعواصمها الى ان بعث الله داود عليه السلام فانتزعها منهم

اقول ان بين آدم والهجرة كما فى ابي الفدا ٦٢١٦ فاذا اسقطنا منها المدة التي بين بلوكوس . وآدم وهي ٣٩٩٠ سنة يبقى ٢٢٢٦ سنة فاذا اعتبرنا انه عمرها بعد مضى ١٥ سنة من ملكه واضفنا الى ذلك من الهجرة الى الآن مع المسامحة بالفرق بين السنين الشمسية والسنين القمرية وهو ١٣٤٢ يكون المجموع ٣٦٨٣ سنة هي المدة التي مضت على بناء حلب للمرة الاولى الى الآن صورة اخرى ان بين مولد ابراهيم وآدم كما فى ابي الفدا ٣٣٢٣ ومن

مولده الى هجرته الى الشام وولادة اسماعيل له ٨٥ تقريباً وبناء حلب بعدذلك كما تقدم بـ ٥٤٩ يكون المجموع ٣٩٥٧ فاذا اسقطنا ذلك من ٦٢١٦ يبقى ٢٢٥٧ واذا اضفنا الى ذلك من الهجرة الى الان ١٣٤٢ يكون المجموع ٣٥٩٩ سنة هي المدة التي مضت على بنائها للمرة الأولى فتكون الروايتان متقاربتين من بعضهما بل اذا اعتبرنا ان بناء باوكوش لها في اواخر مدته يكون الفرق بين الروايتين اربع او خمس سنين •

وقال في الدر المنتخب انها كانت تسمى باليونانية باروا وقيل بيروا والصابئة كانت تسميها مابوغ وقال قدكانت حلب تعرف بمدينة الاحبار عند الصابئة وجد فى كتاب بابـا الصابي الحراني في المقالة الرابعة فى ذكر خروج الحبشة وفسادهم في البلاد . وينزل الفرات وتامن مدينة الاحبار المسماة مابوغ وهي حلب وقال فى المقالة السادسة وانت يامابوغ وهي حلب مدينة الاحبـار ياتي رجل سلطان يحل بك ويعلي اسوارك ويجدد اسواقك ويجري الدين التى ذيلك وبعد قليل يؤخذ منك

قال ولما شرع السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بناية الاسوار والابراج بحلب وعمر السوقين الذين انشأهما شرقي الجامع بمدينة حلب احدهما نقل اليه الحريريين والآخر نقل اليه النحاسين •

قال في معجم البلدان وكذا في الدر المنتخب . ذكر آخرون فى سبب عمارة حلب ان العماليق لما استولوا على البلاد الشامية وتقاسموهابينهم استوطن ملكهم مدينة عمان ومدينة اريحا النور ودعاهم الناس الجبارين وكانت قنسرين يومئذعامرة ولم يكن يومئذ اسمها قنسرين وانما كان اسمهاسورياوكان هذا الجبل المعروف الآن بسمعان يعرف بجبل نبو ونبو صنم كانوا يعبدونه في موضع يعرف اليوم

بكفر نبو والعمائر الموجودة في هذا الجبل الى اليوم هي آثار المقيمين في جوار هذا الصنم وقيل بلعام بن باعورا البالسي انما بعثه الله الى عباد هذا الصنم لينهاهم عن عبادته وقد جاء ذكر هذا الصنم في بعض كتب بني اسرائيل وامر الله بعض انبيائهم بكسره زاد في الدر المنتخب نقلا عن مختصر البلدان وبه قبة الصنم اه وسيأتي بيان ان عباد هذا الصنم هم البابليون وفي الدر المنتخب انها سميت حلب بأسم من بناها وهو حلب ابن مهر من ولد خاب ابن المكتف من العمالقة وقيل ان حلب وحمص ابنا مهر بن حمص بن خاب ابن مكتف من بني عمليق هما اللذان بنيا حلب وحمص فنسبتا اليهما

وقال نقلا عن ابن شداد عن مختصر البلدان لأبن عبد الحق قيل كان حلب وحمص وبردعة اخوة من بني عمليق فبنى كل واحد منهم مدينة سميت به

فتبين مما تقدم ان الباني لحلب للمرة الأولى على التحقيق هو بلوكوش ملك الموصل وكان الوالي من قبله على خطة حلب هو حلب بن مهر فسميت بأسم الوالي ومنه يتبين ان ما قيل في سبب تسميتها ان ابراهيم عليه السلام كان يحلب غنمه فيها الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء حلب حلب فسميت به لا اصل له وتفنيد صاحب المعجم لهذا القول في محله

ومما يؤيد ما حققناه ان حلب ممنوعة من الصرف ولو كانت عربية مأخوذة من الحلب لنونت وصرفت

وفي المعجم وتلقب بالشهباء والبيضاء لبياض ارضها واحجارها ولانها اذا اشرف عليها تراءت له بيضاء

ذكر بناء حلب للمرة الثانية

قال في الدر المنتخب قال اوشارس ان في السنة الاولى من تاريخ الاسكندر ملك سلوقوس الذى يقال له نيكافوس على سوريا وبابل وهذا الرجل بني سلوقية وافامية والرها وحلب واللاذقية

وقال نقلا عنه وجدت في بعض الكتب ان جميع عدد السنين منذ خلق الله آدم عليه السلام الى اول سنة من عدد اليونانيين وتعرف بسني الاسكندر خمسة آلاف ومايتان واحدى وعشرون سنة (في ابى الفدا ٥٢٨١) وهذا يدل على ان سلوقوس بنى حلب مرة ثانية ولعلها كانت خربت بعد بناء بلوكوش فجدد بناءها سلوقوس فأن ما بين المدتين ما يزيد على الف ومائتى سنة

وقال صاحب المعجم نقلا عن ابي نصر يحي بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى . كان الملك على سوريا وبابل والبلاد العليا سلوقوس نيقطور وهو سريانى وملك فى السنة الثالثة لبطليموس بن لاغوس بعد ممات الاسكندر وفي السنة الثالثة عشر من مملكته بنى سلوقوس اللاذقية وسلوقية وافامية باروا وهى حلب واراسا وهي الرها وكمل بناء انطاكية اه

وفي الدر المنتخب نقلا عن كمال الدين بن العديم قال نقلت من خط ادريس بن حسن الادريسي ما ذكر انه نقله من تاريخ انطاكية قال صاحب تاريخ انطاكية وهو احد المسيحية الثوريانية ان الذي بني حلب بعد الاسكندر هو بطليوس الاديب وهو الذى بنى سلوقية وافامية والرها واللاذقية وباروا وهى حلب وهذا بطلموس الاديب هو سلوقوس لكن اليونانيون كانوا يسمون كل من ملك عليهم كسرى وكما تسمى الروم كل من ملك عليهم قيصر . اه

اقول والمدة بين الاسكندر وبين الهجرة ٩٣٤ سنة فاذا اضفنا الى ذلك ما مضى من سني الهجرة وهو ١٣٤٢ تكون المدة التي مضت على بناءها للمرة الثانية الى الان الفين ومائتين وثلاثة وسبعين سنة تقريباً ٢٢٧٣

ذكر الزام اليهود بسكنى حلب و بناء القلعة

قال في الدر المنتخب نقلا عن ابي الريحان احمد ابن محمد البيروني فى كتاب القانون المسعودى وفي السنة الحادية والعشرين من ملك بلقورس (صوابه ساوقوس) الزم اليهود ان يقيموا في المدينة التي بناها واضطرهم الى ذلك وقرر عليهم الجزية التى ازالها شمعون بعد مائة وسبعين سنة اه

وفي تحف الانباء لما استولى على انطاكية سليكس وهو احد الملوك الرومانيين سنة احدى وعشرين من جلوسه قبل ولادة المسيح بثلاثماية واثنى عشرة سنة جدد بناء مقدار النصف من مدينة حلب الذي كان انهدم وهو الذي بنى القلعة على التل المشهور عند العرب انه لأبراهيم الخليل وامر اليهود ان يترددوا الى هذه البلدة للتجارة ويقيموا فيها ورتب عليهم دفع تكاليف اميرية فاستوطنوها وكثر عددهم فبلغت مساحة دورهم نصف ساعة طولاً . وكان لهم ضمن هذا البناء ثلاث كنائس اولها لم تزل عامرة الى الآن وهي معبدهم الكائن فى محلتهم (١) والثانية عامرة ايضاً وهي معبد للمسلمين وتسمى الآن جامع الحيات

(١) اقول في الجدار الايمن من الكنيسة في داخلها فى المحل المعد للصلاة حجر مربع محرر عليه بالعبرانية (هذا القبو بناه من بيت تيلى ابن بارنادان ابن بارحادم ابن مياسسير من ماله الخاص سنة ١٤٥) اي للاسكندر وقد مضى على تاريخ الاسكندر ٢٢٣٥ سنة فيكون قد مضى علي تاريخ بناء هذا المحل ٢٠٩٠ سنة وطول الكنيسة نحو ٣٠ متراً

وكانت عمارتها بعد ظهور المسيح بمائة سنة وجدد بناءها هايل بن نانان كماهو مكتوب في حائطها بالقلم العبراني واللفظ عربي (٢) والثالثة خارج باب النصر عند جامع المدرسة في بادنجك ولكنها درست ولم يبق منهاسوى بعض حروف عبرانية منقوشة على بعض حجارة هناك وفقدت منذ ثلاثين سنة وكان اكثر سكانها يهود ولذلك كانت تسمى مدينة الاحبار حتى ان احد ابوابها اسمه باب اليهود واستمر على ذلك الاسم الى ان اتت الملوك الايوبية فغيرت اسمه وسمته باب النصر

تتمة لهذه الفصول وذكر الحجر الموجودة في حلب المرسومة بالقلم الهيروكليفي وذكر غيرذلك من الادلة التي تثبت ان العمالقة هم الذين بنوا حلب

قال في تحف الانباء ان الذي تحقق عندي ان حلب من بناء العمالقة ودليل ذلك الكتابة الموجودة الآن على الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقان (صوابه قاقان) في داخل باب انطاكية (في محلة العقبة) فانها مرسومة

وعرضها نحو ١٥ متراً وفي الصحن منبر من حجر قطعة واحدة طوله اربعة اذرع كسر من اسفله في الزلزلة العظيمة التي حصلت سنه ١٢٣٧ ويقال انه مبنى من حين بنيت الكنيسة وفي الصحن ستة عواميد وهناك حجر تفيد ان بناء هذه العواميد كان سنة ١٧١٦ من تملك الاسكندر فيكون قد مضى عليها الى وقتنا هذا ٥١٩ سنة وقد تجدد فيها بعد هذا غير ذلك

(٢) الحجر في الجدار الشرقي من الجامع والمكتوب عليهاثلاثة اسطر وهي

(١) تاريخ هذا الحائط سنة ٥٥٣

(٢) لتاريخ الاسكندر بناه الأمان

(٣) هليل الكاهن بارنانان بلااجرة

الأمان كلمة سريانية ومعناها المعلم وبار كلمة عبرانية معناهاابن وقد مضى للاسكندر ٢٢٣٥ سنة فاذا طرحنا منها ٥٥٣ يبقى ١٦٧٢ سنة

بقلم الهيروكليف (٣) بلغة الكيتا او الحماتيين وهذه الكتابة كان اصطلاحهم عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلغتهم هَلْبون وَهَلْبه واستمرت بأيديهم الى ان اتى الملوك المصريون وحاربوهم وملكوها منهم وهم تُدْمُس الاول وتدمس الثانى وسباتى الاول ورَمْسِس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي ما بين الفي سنة وخمسمائة الى ثلاثة آلاف سنة (يرد هذا القول ما يأتي بعد اسطر) وهذا دليل على انها من بناء بني حام ثم ان الكيتا صالحوا الملوك المصريين واستردوها منهم فلم تزل في ايديهم الى ان اتى بنو آرام وتغلبوا على البلاد واخذوها منهم كما قدمنا وحينئذ اشتهرت دولة بنى آرام

وفى مجلة المشرق جلد ٢ صحيفة ١٤) من مقالة لبولس جوون اليسوعى وصف بها حلب قال ومما لاسبيل الى انكاره ان حلب كانت فى القرن الرابع عشر قبل المسيح مدينة عامرة تشهد بذلك كتابة مصرية ترتقي الى زمن رعمسيس الثاني وصف فيها سفر بعض المصريين الى شمالي سورية جاء فيها مراراً ذكر [حلبو] اي حلب وورد ايضاً فى رتيم هيكل رعمسيس المذكور ان هذا الفرعون انتصر على امير حلب وكان اتى فى ١٨٠٠٠ لنصرة ملوك الخطيين او الحثيين في واقعة قادش فغلبه رعمسيس ورماه في نهر العاصي فنجا منه بهمة جنوده

٣) هو هيركلوف الحماتيني اوالكيتا هذه الكلمة اى الهيروكليف تعرف فى اوربا بالكتان الحماتية نسبة الى اهالي حماة قديما وهي مكتوبة على حجارة سود وجد منها في حلب حجر وحجران في حماه وحجارة كثيرة في جرابلس وهي في نواحى الفرات تبعد نحو ست ساعات عن برهجيك وقد كانت جرابيس في ايام الأشوريين تسمي قاركش ومعناها مدينة الاله كمش وقد كانوا يقدمون له اولادهم هدايا وقد كانت هذه المدينة اكبر مدن الحماتيين وقد ملكها شلمناصر الرابع ملك نينوى سنة ٨٦٠ قبل المسيح وارسل جملة من هذه الحجارة موسيو هندرسون قنصل الأنكليز فى حلب الى لوندرا اه منه

وصورته على هذه البناية تمثاله معلقاً برجليه يتقيأ ما تجرعه من الماء . ولم تخل الكتابات البابلية من ذكر حلب وهى تدعى فيها باسم حلبو كما بين ذلك العلامة اوبير وزعم قوم ان بانيها نمرود اول ملوك بابل [هو بلوكوش الذي قدمنا ذكره]

وما نراه الأرجح في اصل مدينة حلب ان بناتها الحثيون من سلالة حام ابن نوح وكانو شعباً قويا تملكوا على سوريا الشمالية قبل فتوحات ملوك مصر من القرن السابع الى القرن الرابع عشر قبل المسيح وقد ابقوا آثاراً جليلة من ملكهم في جهات حمص وحماه وحلب وقد وجد فى تلك الجهات تماثيل ورسوم وكتابات كثيرة سطرت بلغتهم التى لم يهتد العلماء حتى الآن الى حل رموزها ونظن ان هذه المدن نفسها مشتقة من هذه اللغة الحثية ومما يؤيد رأينا ان في قلاع المدن المذكورة تشابهاعظيماً وكلها مبنية فوق تلال مركومة صنعيا وجوانبها مصفحة بصفائح الحجارة كما ان رسوم الكتابات الحثية فيها متشابهة تنبئ بأصل واحد

وقد بقي في حلب من هذه الخطوط كتابة غاية في القدم قد ذهب بقسم منها فطمسه وهي الآن في حائط الجامع الشهير المعروف بجامع القيقان الذي يشرف على سورها القديم من جهة الغرب

(اقوال اليهود فيمن بنى حلب والأمم التى استولت عليها الى ان اتى الأسلام)

قال في تحف الأنباء اما اليهود فأنهم يقولون ان اول من بني هذه المدينة بنو آرام ويسدونها آرام صوبا مستدلين بما ذكر في التوراة فى الكتاب الثاني لصموئيل

في القسم الثامن في السطر الثالث وهو انه لما نزل داود الى الفرات ضرب حاتا تيشر بن ريحوبا ملك آرام صوبا

ولكن اقول ان هذا الوادى الذى ضرب به الآراميون هو بين الجبول وسبت وهى شرقي الجبول من جهة الجنوب والدليل على ذلك ان لفظ سبت اقرب للفظ صوبا من حيث مخارج الحروف بخلاف لفظ حلب وان سبت كانت مدينة عظيمة مآثرها موجودة حتى الآن والوادى الذي بين الجبول معروف مشاهد بين جبلين وليس كذلك بين حلب والجبول فأن بينهما سهلاً واخبرني احد حاخامى الاسرائيليين انه سنة الف ومأتين وعشرين من الهجرة رأى حجراً بقلعة حلب مكتوباً عليه بالعبرانية [انا ايواب بن سيرويا اخذت هذه القلعة] (١) وهذا ايواب كان رئيس جيش داود النبي وكان داود النبي قبل التاريخ المسيحى مابين الف وسبع عشرة سنة الى الف وثمان وخمسين سنة واستمرت بأيديهم الى ان اتى الملوك البابليون وتحاربوا مع السريانيين واخرجوهم منها وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستمائة وستين سنة

وكان البابليون ممن يعبدون الأصنام ولهم صنم يقال له نابو ولم اقف على مايدل على آثارهم سوى انى وجدت بقرية من قرى حلب في جبل سمعان يقال لها كفرنابو اثر بناء لمحل الصنم الذي كان يعبده البابليون . فان معنى نابو بلغتهم آله فيكون معنى كفرنابو قرية الآله

ثم حارب الملك شلمناصر الرابع الحماتيين جملة حروب وفى سنة ٨٦٠ قبل التاريخ المسيحي جيش فى نينوى جيشاً عظيماً وقطع به نهر الخابور ونهر البليق

(١) اقول بحثت كثيرا عن هذا الحجر فلم اجد له اثراً ولعل الجدار الذي كان فيه خرب وذهب مع الأنقاض

ثم مضى الى مدينة بتيرا او بتيروا هذا ماكتب في تاريخ نينوى بالقلم المسماري ومن مدينة بيترا قطع نهر الساجور واتى مدينة قاركمش وملكها .

وفي السنة نفسها اتى مدينة آتا وباكا وملكهما ومن هناك قسم جيشه جيشين الجيش الواحد اتى مديتي عزاز وارفاد وهما الآن ضيعتا عزاز وتل ارفاد والجيش الآخر اتى مدينة دابون وهي حلب وملكها ومن حلب اتى حماة وملكها . واما جيش اعزاز وارفاد فأنه قطع نهر عفرين واجتمع بجيش حماة وبعد ما ملك شلمناصر الرابع كل هذه البلاد وكسر الحماتيين رجع نينوى وبقيت الملوك الحماتية تحط سلطة الملوك البابليين الى ان اتى ملوك العجم والساسانيين وملكوا نينوى . ثم اتت العجم واستولت على هذه البلاد واخرجت البابليين منها وبقيت بأيديهم الي ان اتى الأسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين فكانوا يقولون للمدينة حلب ولماحولها خالُنْ بالخاء المعجمة وذلك لأن الحاء لم يستعملوها فى لغتهم فأبدلوها بالخاء المعجمة وايضاً كانوا يقولون لها برويا قبل سماها اليونانيون برّويا لأنها تشبه احدى مدنهم المسماة بهذا الأسم

ثم ان الروم استولوا عليها واخذوها من اليونانيين هي وسوريا وانطاكية وجعلوها تختاً لكرسى مملكتهم

وفي سنة مائة وسبع اوسبع عشرة من التاريخ المسيحي امر الأمبراطور ترايان اللاتيني بضرب السكة في حلب فشرعوا فيها وكان مرسوماً على احد جانبيها صورة الأمبراطور وعلى الجانب الآخر (برويا) وهو اسم حلب كما قدمنا بالقلم اليونانى

ثم ان السيلاكيديين اولاد سليكس اليونانيين ارادوا ان يزيدوا في بناء

حلب ويوسعوها لمحبتهم لها وطيب هوائها وعذوبة مائها فلم يمكنهم ذلك لان القوافل التي كانت تاتي من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر كان طريقها الى قنسرين ولم تكن حلب حينئذ ممراً لهم لانها كانت صغيرة جدا ولم يوجد بها مايوجد في قنسرين من صناعات وغيرها فلذا تركوا توسيعها لان قنسرين كانت محطاً لرحال التجار وتقصدها القوافل والركبان حتى ان تجار اوروبا كانت تاتي اليها من السويدية في طريق انطاكية وتأتي اليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس المسماة الآن مسكنة يجتمعون فيها كل سنة مرتين يبيعون فيها اموالهم ولم تكن الطرق في ذلك الوقت سالكة الى حلب الامن يقصد الذهاب الى منبج فيكون طريقه الي حلب

ذكر الصنم الذي كان يعبده اهل منبج واهل حلب

(وتاريخ دخول النصرانية الي حلب)

قال في تحف الانباء كانت منبج اذذاك مقر صنم كبير اسمه تركيد ويعبده اهلها وكانت تسمى هيرابلس . واما اهل حلب فان اكثر اهلها كانوا ممن يعبدون هذا الصنم لقربها من منبج وعدم مرور القوافل عليها كما قدمنا . ولذلك تأخر وجود النصاري فيها لانه كما قيل لم يدخل اليها اسقف الا بعد ثلاثمائة واربع عشرة سنة من التاريخ المسيحي . وفي سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة الي سنة ثلاثمائة واربع وعشرين من التاريخ المذكور عمرت الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين الكبير لنصارى حلب الكنيسة الكبيرة التي كانوا يسمونها الكنيسة العظمى . وكنيسة هيلانة في وسط المدينة وهي الآن المدرسة المسماة بالهيلانية

واما المشهور من ان اسمها الحلوية فهذا غلط لا اصل له [١] وجددت ايضاً بناء قناة حلب الآتية لها من قرية حيلان واصلحت ماتهدم منها وليست هي التي انشاتها كما زعمه كثيرون وانما هي قديمة من زمن اليونانيين ولم يعلم اسم بانيها

ثم بعد ان تمت عمارة الكنيسة المذكوره طلبت من ابنها قسطنطين ان يرسل بطركا الى نصارى حلب فارسل لها بطركا يقال له اوسطاطس ثم ارسل بعده مطرانين يقال لاحدهما كيروبس والاخر ملاكس ثم ان ملاكس وصل الى انطاكية بطركا فيها سنة ثلاثمائة واحدى وستين

وفي سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين اتى الامبراطور يوليانس من انطاكية الى حلب لمحاربة العجم في منبج وكان بطرك حلب حينئذ يقال له انطوليكس

وفي سنة اربعمائة واثنين وثلاثين صار في حلب مجمع من الاساقفة الشرقية وكان به البطرك اكايس وفي سنة خمسمائة واربعين حاربت العجم الملك كيروبس النشرواني في انطاكية وحلب وقنسرين ومنبج وملكتها الاعاجم واحرقت منبج وانطاكية وقنسرين واما حلب فان بطركها ميكاس صالحهم على دراهم دفعها لهم فتركوها

ثم ان الملك كيروبس جدد بناء ما تهدم من سورها وقت المحاربة وذلك من باب الجنين الى باب النصر وكان بناءه من الحجر القرميد الغليظ وعمر بالقرب من باب انطاكية بيتاً لاجل النار فانه كان ممن يعبدونها فاشتملت وقتئذ المدينة على اربعة انواع من الديانات حسب الفرق التي كانت فيها وهي اليهود

اقول ان تسميتها بالحلوية لا باعتبار انها محرفة عن الهيلانية كما قال بل لان من شرط الواقف ان يضع ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوي معلومة وقيل لان السوق الذي هناك كان سوقاً للحلويين فكيفما كان فالحلوية نسبة الى الحلوي بلا ريب وسيأتي الكلام على ذلك عند ذكر آثار نور الدين الشهيد

والنصارى وعبدة الاوثان وعبدة النار ثم بعد ان احرق البلاد المذكورة وعمر سوق حلب رجع الى بلاد العجم من طريق مسكنة ولايخفى ماصادف هذه المملكة من ذلك التاريخ الى بعد برهة مائة سنة اى الى حين ماافتتحها العرب في تاريخ سنة ستماية وثلث وثلاثين واخذوها من يد الامبراطور هرقل من المحاربة وشن الغارات عليها وهذا هو المانع من اتساع ساحتها ونشاط اهلها اه

(ذكر ملوك الروم في البلاد السورية عند ظهور الأسلام)

قال المسعودى فى مروج الذهب وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ماقدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان في ملك نوسطورس الأول وكان ملكه تسعاً وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده هرقل بن منطيوس) وهو الذى في كتب الزيجات والنجوم وعليه يعمل اهل الحساب. وفي تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف ان ملك الروم كان في وقت ظهور الأسلام وايام ابي بكر وعمر هرقل وفى تواريخ اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق ثم ملك بعده قيصر بن قيصر وذلك في ايام ابى بكر الصديق رضي الله عنه ثم ملك على الروم هرقل بن قيصر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذى حاربه امراء الأسلام الذين فتحوا الشام مثل ابي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن ابى سفيان وغيرهم من امراء الأسلام حين اخرجوه من الشام

(ذكر وضع التاريخ في الأسلام)

قال ابن الأثير في الكامل. الصحيح المشهور ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان ابا موسى الأشعري كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم ارخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بمهاجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبي وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك محله شعبان فقال اى شعبان اشعبان هو آت ام شعبان الذى نحن فيه ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فأنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما اقام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم اقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال ارخوا فقال عمر ماأرخوا فقال شيء تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فأرخوا فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا من اي الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فأجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من اي يوم نكتب فقال علي من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه ارض الشرك ففعله عمر اه

وقال الذهبي في تاريخه عن سعيد بن المسيب قال اول من كتب التاريخ عمر ابن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة

من الهجرة بمشورة علي رضى الله عنهم اجمعين .

قال فى المصباح ويعتبر التاريخ بالليالى لأن الليل عند العرب سابق على النهار لأنهم كانوا اميين لايحسنون الكتابة ولم يعرفوا حساب غيرهم من الأمم فتمسكوا بظهور الهلال وانما يظهر بالليل فجعلوه ابتداء التاريخ اه

ذكر فتح الديار الحلبية

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ١٥ خمس عشرة لما فرغ ابو عبيدة من فتح دمشق وحمص وبعلبك وحماه مضى نحو شيزر فخرجوا اليه يسألون الصلح على ماصالح عليه اهل حماه وسار ابو عبيدة الى معرة حمص وهي معرة النعمان نسبت بعد الى النعمان بن بشير الأنصاري فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه اهل حمص ثم اتى اللاذقية فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على بعد منها ثم امر نحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم اظهروا انهم عائدون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر واصبح اهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمين قدانصرفوا عنه فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الأمان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا اوكثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون بها مسجداً جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا اهل جبلة من الروم عنها .

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من اعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا فقتل ميناس

ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فانوا على دم واحد

وفي تاريخ الأمام ابن جرير الطبري ان اهل الحاضر ارسلوا الى خالد انهم عرب وانهم انما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم . وقال البلاذري في فتوح البلدان سار ابو عبيدة ابن الجراح بعد فراغه من ارض اليرموك الى حمص فاستقراها ثم اتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله اهل مدينة قنسرين ثم لجئوا الى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ابو عبيدة على مثل صلح حمص وغلب المسلمون على ارضها وقراها وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ اول ماتنخوا بالشام نزلوه وهم فى خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل فدعاهم ابو عبيدة الى الأسلام فاسلم بعضهم واقام على النصرانية بنو سليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فحدثني بعض ولد يزيد بن حنين الطائى الأنطاكى عن اشياخهم ان جمعة من اهل ذلك الحاضر اسلموا في خلافة اميرالمؤمنين المهدي فكتب على ايديهم بالخضرة قنسرين اه

قال ابن الأثير وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه . فقال لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم اولأنزلكم الينا فنظروا فى امرهم ورأوا مالقى اهل حمص فصالحوهم على صلح حمص فأبى خالد الا على خراب المدينة فاخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية وسببه ان خالداً وعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمرو بن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسيا وادرب عبدالله ابن المعتم من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطينية وكانت هذه اول مدربة فى الاسلام سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فلما بلغ عمر صنيع خالد قال امر خالد نفسه رحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال مني وقد كان عزله والمثني بن حارثة وقال انى لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما

فخشيت ان يوكلوا اليهما فاما المثني فانه رجع عن رأيه فيه لماقام بعد ابى عبيدة وربع خالد بعد قنسرين .. قال في زبدة الحلب يعنى ان خالداً كان امير المسلمين من جهة ابى بكر رضى الله عنه على الشام فلما ولى عمر عزله وولى اباعبيدة ثم ولاه عمر رضى الله عنه على قنسرين . ثم قال ابن الأثير .واما هرقل فانه خرج من الرها وكان اول من انبح كلابها ونفر دجاجها من المسلمين زيادابن حنظله وكان من الصحابة وسار هرقل فنزل بشمشاط ثم ادرب منها نحو القسطنطينية فلما اراد المسير منها علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك ياسورية سلام لااجتماع بعده ولا يعود اليك رومي ابداً الاخائفا حتى يولد المولود المشئوم وياليته لايولد فما احلى فعله وامرَّ فتنته (فى موضع آخر عاقبته) على الروم ثم سار فدخل القسطنطينية (١) واخذ اهل الحصون التي بين اسكندريه (اسكندرونه) وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون في عمارة مابين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لايجدون بها احداً وربما كمن الروم عندها فأصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك اه

وفي ابن جرير لما خرج هرقل من الرها واستتبع اهلها قالوا نحن ههنا خير منا معك وابوا أن يتبعوه وتفرقوا عنه وعن المسلمين.

ولحقه رجل من الروم كان اسيراً في ايدي المسلمين فأفلت فقال اخبرنى عن هؤلاء القوم فقال احدثك كانك تنظر اليهم . فرسان بالنهار ورهبان بالليل مايأكلون فى ذمتهم الابثمن. ولايدخلون الاسلام يقفون على من حاربهم حتى يأتوا

(١) قال ابن العبرى فى تاريخه مختصر الدول في خلافة عمر رحل هرقل من انطاكية الى القسطنطينية وهو يقول باليونانية (سوزة سوريه) وهي كلمة وداع لأرض الشام وبلادها اه وفي الهامش سوزة كلمة يونانية اي كوني بسلام

عليه فقال لئن كنت صدقتني ليرثنّ ماتحت قدميَّ هاتين .

(ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم)

قال ابن الأثير لما فرغ ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان اهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط بن الأسود الكندي فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنماً فقسم بعضه في جيشه وجعل بقيته في المغنم .

وفي فتوح البلدان لأحمد بن يحيي البلاذري قال حدثني هشام بن عمار الدمشقي قال حدثنا يحيى بن حمزة عن ابى عبد العزيز عن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم قال رابطنا بمدينة قنسرين مع السمط (اوقال مع شرجيل بن السمط) الخ ماتقدم قال في زبدة الحلب وكان حاضر قنسرين قديما نزاوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزل الجبلين من نزل منهم فلما ورد ابو عبيدة عليهم اسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك بيسير الا من شذ منهم .

قال ابن الأثير ثم اتى ابو عبيدة حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم فأعطوا ذلك واستثني عليهم موضع المسجد وكان الذى صالحهم عياض فاجاز ابو عبيدة ذلك وقيل صولحوا على ان يقاسموا منازلهم وكنائسهم وقيل ان ابا عبيدة لم يصادف بحلب احداً لأن اهلها انتقلوا الى انطاكية وارسلوا في الصلح فلما تم ذلك رجعوا اليها

وقال الكمال ابن العديم في زبدة الحلب ان خالداً رضى الله عنه سار الى

حلب فتحصن منه اهل حلب وجاء ابو عبيدة حتى نزل عليهم فطلبوا الى المسلمين

الصلح والأمان فقبل منهم ابو عبيدة وصالحهم وكتب لهم اماناً ودخل المسلمون حلب من باب انطاكية ووقفوا داخل الباب ووضعوا اتراسهم في مكان فبنى ذلك المكان مسجداً وهو المسجد المعروف بالفضايري داخل باب انطاكية ويعرف الآن بمسجد شعيب .

وقال ابن شداد في الكلام على المساجد (ومسجد الفضايري) ويعرف الآن بمسجد شعيب وهو اول مسجد اختطه المسلمون ولما فتح المسلمون حلب دخلوها من باب انطاكية ووقفوا داخل البلد ووضعوا اتراسهم فى مكان بني به هذا المسجد وعرف اولاً بأبي الحسن علي بن عبد الحميد الفضايري (١) احد الأولياء من اصحاب سرى السقطى رحمه الله تعالى وعرف ثانيا بمسجد شعيب وهو شعيب بن احمد الأندلسى (٢) الفقيه كان من الفقهاء والزهاد وكان نور الدين محمود بن زنكى يعتقد فيه ويتردد اليه فوقف على هذا المسجد وقفا ورتب فيه شعيباً المذكور مدرساً على مذهب الشافعى رضى الله عنه اهـ

قال البلاذرى فى فتوح البلدان كان بقرب مدينة حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم انهم اسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين واعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكتب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فكان اسبقهم الى انجادهم واغاثتهم العباس بن زفر الهلالى فلم يكن لأهل ذلك الحاضر بهم طاقة فأجلوهم عن حاضرهم واخربوه وذلك في ايام فتنة محمد بن الرشيد فانتقلوا الى قنسرين وارادوا التغلب عليها فأخرجوهم عنها فتفرقوا فى البلاد.

---

(١) انظر وفيات سنة ٣١٣ (٢) انظر وفيات سنة ٥٩٦

قال ابن الأثير وسار ابو عبيدة من حلب يريد انطاكية وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها فلما قاربها لقيه جمع العدو فهزمهم فألجأهم الى المدينة وحصرها من جميع نواحيها ثم انهم صالحوه على الجلاء او الجزية فجلا بعض واقام بعض فأمنهم ثم نقضوا فوجه اليهم ابو عبيدة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحها على الصلح الأول (وكان مبلغ ذلك كما فى فتوح البلدان للبلاذرى على كل حالم منهم ديناراً وجريباً وذكر ان القرية التى التقى عندها الجيشان يقال لها (مهروبه) وهى على قريب فرسخين من مدينة انطاكية)

وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابى عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء وبلغ ابا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقة وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومه وسرمين ومرتحوان وتيزين (١) وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكية ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد التاث اهلها فلم يزل بهم حتى اذعنوا وفتحوا المدينة وسار ابو عبيدة يريد قورس وعلى مقدمته عياض فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح فبعث به الى ابى عبيدة فصالحه على صلح انطاكية وبث خيله فغلب على جميع ارض قورس (٢) وفتح تل عزاز وكان سلمان بن ربيعة الباهلي فى جيش ابي عبيدة فنزل في حصن بقورس فنسب اليه فهو يعرف بحصن سلمان ثم سار ابو عبيدة الى منبج وعلى

(١) زاد البلاذرى هنا وصالحوا اهل دير طايا ودير الفسيله على ان يضيفوا من مر بهم من المسلمين واتاه نصارى خناصرة فصالحهم حدثنى العباس بن هشام عن ابيه قال خناصرة نسبت الى خناصرة بن عمرو بن الحارث الكلبي ثم الكنانى وكان صاحبها اه

(٢) زاد البلاذري الى آخر حد نقابلس

مقدمته عياض فلحقه وقد صالح اهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياضاً الى ناحية دلوك (١) ورعبان فصالحه اهلها على مثل منبج واشترط عليهم ان يخبروا المسلمين بخبر الروم وولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفة وسار الى بالس (مسكنة) وبعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة الى (قاصرين) وكانت بالس وقاصرين لأخوين من اشراف الروم اقطعا القرى التي بالقرب منها وجعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام فلما نزل المسلمون بها صالحهم اهلها على الجزية والجلاء فجلا اكثرهم الى بلد الروم وارض الجزيرة وقرية جسر منبج ولم يكن الجسر يومئذ وانما اتخذ في خلافة عثمان للصوائف وقيل بل كان له رسم قديم . قال البلاذري ورتب ابو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادي من قيس واسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها او اعقابهم وبلغ ابو عبيدة الفرات ثم رجع الى فلسطين وكانت بالس والقرى المنسوبة اليها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل اعذاء عشرية فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه اهلها واهل بوبلس وقاصرين وعابدين وصفين وهي قرية منسوبة اليها فأتاه اهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً ان يحفر

(١) دلوك كانت بلدة قريبة من عينتاب بينهما ساعة دثرت وصارت الشهرة لعينتاب ورعبان كما في معجم البلدان مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة ابافراس بن حمدان في قطعة من الجيش فأعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً فقال احد شعرائه يمدحه

ارضيت ربك وابن عمك والقنا وبذلت نفساً لم تزل بذالها
ونزلت رعباناً بما اوليتها تثني عليك سهولها وجبالها

لهم نهراً من الفرات يسقي ارضهم على ان يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعدعشر السلطان الذي كان يأخذه ففعل بحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا بالشرط ورم سور المدينة واحكمه ويقال بل كان ابتداء الفرض من مسلمة وانه دعاهم الى هذه المعاملة

قال ابن الأثير وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجرومة واهلها يقال لهم الجراجمة فسار حبيب بن مسلمة اليها من انطاكية فافتتحها صلحاً على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وفيها سير ابو عبيدة بن الجراح جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراس من اعمال انطاكية الى بلاد الروم وهو اول من سلك هذا الدرب فلقى جمعاً للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به مالك الأشتر النخعي مدداً من قبل ابي عبيدة وهو بأنطاكية فسلموا وعادوا وسير جيشاً آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على اجلاء اهلها بالأمان واخربها وسير جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث وانما سمي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حدثاً فقاتلهم في اصحابه فقيل درب الحدث وقيل لأن المسلمين اصيبوا به فقيل درب الحدث وكان بنوا امية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى

ذكر فتح الرقة وحران والرها وسروج

قال ابن الأثير في حوادث سنة سبعة عشرة. وفي هذه السنة قصد الروم ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج للروم اهل الجزيرة فأنهم ارسلوا الى ملكهم وبعثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضم ابو عبيدة اليه مسالحهم

وعسكر بفناء مدينة حمص واقبل خالد من قنسرين اليهم فاستشارهم ابو عبيدة في المناجزة او التحصين الى مجئ الغياث فأشار خالد بالمناجزة واشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فأطاعهم وكتب الى عمر بذلك فلما سمع الخبر كتب الى سعد بن وقاص ان اندب الناس مع القعقاع بن عمر وسرحهم من يومهم فأن اباعبيدة قد احيط به وكتب اليه ايضاً سرح سهيل بن عدي الى الرقة فأن اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص وامره ان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد (حران والرها) وان يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وان يسرح عياض بن غنم فأن كان قتال فأمرهم الى عياض فمضى القعقاع في اربعة الآف من يومهم الى حمص وخرج عياض بن غنم وامراء الجزيرة واخذوا طريق الجزيرة وتوجه كل امير الى الكورة التي امر عليها وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية لأبي عبيدة مغيثاً يريد حمص ولما بلغ اهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على اهل حمص وهم معهم خبر الجنود الأسلامية تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم فلما فارقوهم استشار ابو عبيدة خالداً في الخروج الى الروم فأشار به فخرج اليهم فقاتلهم ففتح الله عليه وقدم القعقاع بن عمر بعد الوقعة بثلاثة ايام فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك فكتب اليهم ان اشركوهم فأنهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم

قدمنا ان عمر كتب الى سعد انْ سرح سهيل بن عدى الى الرقة فسار سهيل اليها وقد ارفض اهل الجزيرة عن حمص الى كورهم حين سمعوا بأهل الكوفة فنزل عليهم فاقام يحاصرهم حتى صالحوه فبعثوا فى ذلك الى عياض وهو فى منزل وسط بين الجزيرة فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة

وخرج عبد الله بن عتبان على الموصل الى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع اهل الرقة فكتبوا الى عياض فقبل منهم وعقد لهم

وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا ايادبن نزار انهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر ولما اخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلاً وعبد الله وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزية فقبل منهم ثم ان عياضاً سرح سهيلاً وعبد الله الى الرها فأجابوهما الى الجزية واجروا كل ما اخذوه من الجزية عنوة مجرى الذمة . فكانت الجزيرة اسهل البلدان فتحاً ورجع سهيل وعبد الله الى الكوفة

وقال ابن اسحق ان فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة على يد عياض بن غنم (اي بعد وفاة ابي عبيدة) واطال في بيان ذلك

ثم قال ابن الأثير وقيل ان ابا عبيدة لما توفى استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولاية حمص وقنسرين والجزيرة سنة ثمان عشرة للنصف من شعبان في خمس الآف فارس وعلى ميمنته سعيد ابن عامر بن حذيم الجمحي وعلى ميسرته صفوان بن المعطل وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق فانتهت طليعة عياض الى الرقة فاغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة وبث عياض السرايا فأتوه بالسري والأطعمة وكان حصرها ستة ايام فطلب اهلها الصلح فصالحهم على انفسهم وذراريهم واموالهم ومدينتهم وقال عياض الأرض لنا قد وطئناها وملكناها فأقرها في ايديهم على الخراج ووضع الجزية ثم سار الى حران فجعل عليها عسكراً يحصرها عليهم صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة وسار هو الى الرها فقاتله اهلها ثم انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم فطلب اهلها الصلح فصالحهم وعاد الى حران فوجد صفوان وحبيباً قد غلبا على حصون وقرى من

اعمال حران فصالحه اهلها على مثل صلح الرها وكان عياض يغزو ويعود الى الرها. وفتح سميساط واتى سروج ورأس كيفا والأرض البيضاء فصالحه اهلها على صلح الرها ثم ان اهل سميساط غدروا فرجع اليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها ثم اتى قريات على الفرات وهي جسر منبج وما يليها ففتحها ثم سرد ابن الأثير بقية فتوحاته فيما وراء ذلك من بلاد الجزيرة الى ان قال ثم عاد عياض الى الرقه ومضى الى حمص فمات سنة عشرين . واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث الاقليلاً حتى مات فاستعمل عمير بن سعد الأنصاري .

ذكر عزل خالد بن الوليد

قال ابن الأثير في هذه السنة وهي سنة سبع عشرة عزل خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش والسرايا وسبب ذلك انه كان ادرب هو وعياض بن غنم فأصابا اموالا عظيمة وكانا توجها من الجابية مرجع عمر الى المدينة وعلى حمص ابو عبيدة وخالد تحت يده على قنسرين. وعلى دمشق يزيد وعلى الأردن معاوية وعلى فلسطين علقمة بن محرز وعلى الساحل عبد الله بن قيس فبلغ الناس ما اصاب خالد فانتجعه رجال وكان منهم الاشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف ودخل خالد الحمام فتدلك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر بلغني انك تدلكت بخمر وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ومسه فلا تمسوها اجسادكم فكتب اليه خالد انا قتلناها فعادت غسولا غير خمر فكتب اليه عمر. ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا اماتكم الله عليه .

فلما فرق خالد في الذين انتجعوه الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب وكان لايخفى عليه شيء من عمله فدعا عمر البريد فكتب معه الى ابي عبيدة ان يقيم خالدا

ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من اين اجاز الأشعث امن ماله ام
من مال اصابة اصابها فان زعم انه فرقه من اصابة اصابها فقد اقر بخيانة وان زعم
انه من ماله فقد اسرف واعزله على كل حال واضمم اليك عمله فكتب ابو عبيدة
الى خالد (قدمنا ان عمر رضى الله عنه ولاه قنسرين) فقدم عليه ثم جمع الناس
وجلس لهم على المنبر فقام البريد فسأل خالداً من اين اجاز الأشعث فلم يجبه وابو
عبيدة ساكت لا يقول شيئاً فقام بلال فقال ان امير المؤمنين امر فيك بكذا وكذا
ونزع عمامته فلم يمنعه سمعاً وطاعة ووضع قلنسوته ثم اقامه فعقله بعمامته وقال من
اين اجزت الأشعث من مالك أجزت ام من اصابة اصبتها فقال بل من مالي
فاطلقه واعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا
واقام خالد متحيراً لا يدري امعزول ام غير معزول ولا يعلمه ابو عبيدة بذلك تكرمة
وتفخمة فلما تأخر قدومه على عمر ظن الذي كان فكتب الى خالد بالأقبال اليه فرجع
الى قنسرين فخطب الناس وودعهم ورجع الى حمص فخطبهم ثم سار الى المدينة فلما
قدم على عمر شكاه وقال قد شكوتك الى المسلمين فبالله انك فى امري لغير مجمل فقال
من اين هذا الثراء قال من الانفال والسهمان مازاد على ستين الفاً فلك فقوم عمر ماله
فزاد عشرين الفاً فجعلها فى بيت المال ثم قال يا خالد والله انك عليّ لكريم وانك اليّ
لحبيب وكتب الى الأمصار انى لم اعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس
فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فأحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان
لا يكونوا بعرض فتنة وعوضه عما اخذ منه اه

وفى زبدة الحلب لما كتب عمر الى خالد بالأقبال اليه اتى ابا عبيدة فقال رحمك
الله ما اردت الى ماصنعت كتمتنى امراً كنت احب ان اعلمه قبل اليوم فقال ابو عبيدة
اني والله ما كنت لأروعك ماوجدت من ذلك بدأ وقد علمت ان ذلك يروعك

قال فرجع خالد الى قنسرين فخطب عمله وودعهم. وقال خالد ان عمر ولاني الشام حتى اذا القى بوانيه وصارت بثينة وعسلاً عزلني واستعمل غيري وتحمل الى حمص فخطبهم الخ ما تقدم قال ثم ان اباعبيدة استعمل على قنسرين حبيب بن مسلمة بن مالك

ترجمة فاتحى الشهباء وقنسرين

ابو عبيدة بن الجراح . خالد بن الوليد. عياض بن غنم. شرحبيل ابن السمط الأسود الكندي رضى الله عنهم

(ابو عبيدة) هو عامر بن عبد الله بن الجراح ابن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر القرشى الفهري امين هذه الأمة واحد العشرة واحد الرجلين الذين عينهما ابو بكر للخلافة يوم السقيفة روي عنه جابر وابو امامة واسلم مُولى عمر وجماعة وولى امرة امراء الأجناد بالشام وكان من السابقين الأولين شهد بدراً ونزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بأسنانه رفقا بالنبى عليه الصلاة والسلام فانتزعت ثنيتاه فحسن بها فاه حتى قيل ماروؤي احسن من فم ابى عبيدة وقد انقرض عقبه وكان نحيفا معروق الوجه خفيف اللحية طوالاً اخناً اثرم الثنيتين وقدامد النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل بجيش فيهم ابو بكر وعمر وامّر عليهم ابا عبيدة وعن عمر قال ان ادركني اجلى وابو عبيدة حي استخلفته فان سئلني الله لم استخلفته قلت اني سمعت نبيك يقول ان لكل امة اميناً وامين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح وقال عبد الله بن شقيق سألت عائشة اى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليه قالت ابو بكر ثم عمر ثم ابو عبيدة . وقال عروة ابن الزبير قدم عمر الشام فتلقوه فقال اين اخى ابو عبيدة

قالوا يأتيك الآن فجاء على ناقة مخطومة فسلم عليه ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى اتى منزله فنزل عليه فلم ير فى بيته الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا اوقال شيئاً قال يا امير المؤمنين ان هذا سيبلغنا المقيل ومناقب ابي عبيدة كثيرة ذكرها الحافظ ابو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال ابو الموحد المروزي زعموا ان ابا عبيدة كان في ستة وثلاثين الفاً من الجند فلم يبق يعنى من الطاعون الا ستة آلاف وقال عروة ان وجع عمواس كان معافى منه ابو عبيدة واهله فقال اللهم نصيبك في آل عبيدة فخرجت بثرة فجعل ينظر اليها فقيل انها ليست بشئ فقال انى لأرجو ان يبارك الله فيها . وعن عروة بن رويم ان اباعبيدة ادركه اجله بفحل فتوفى بها وهى بقرب بيسان يزار (١)

قال القلانسى توفى وله ثمان وخمسون سنة اه (مختصر الذهبي لشيخ احمد بن الملا بخطه) وله في الرياض النضره في مناقب العشرة ترجمة واسعة فليرجع اليها من احب

خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى ابوسليمان المكى سيف الله كذا لقبه النبي صلى الله عليه وسلم وامه لبابة اخت ميمون بنت الحرث الهلالية ام المؤمنين شهد غزوة مؤتة وما بعدها روى عنه ابن عباس وقيس

(١) رأيت فى رحلتى الى دمشق فى صفر سنة ١٣٣٩ في المتحف الدمشقي في العادلية سيف ابي عبيدة رضي الله عنه واستشكلت في قبضته لان هيئتها لاتدل على قدم كثير وصنعتها تدل على انها من آثار العجم منذ ١٥٠ او ٢٠٠ سنة فأخبرني قيم المتحف ان نصال السيف استخرج من قبر ابى عبيدة حينما رمم واما قبضته فهي حديثة يرجع عهدها الى ماقلت]

ابن ابي حازم وابو وائل وجماعة وكان بطلاً شجاعا ميمون النقيبة باشر حروباً كثيرة ومات على فراشه وهو ابن ستين سنة ولم يكن فى جسده نحو شبر الا وعليه طابع الشهداء، وكان من امد الناس بصراً. ولما استخلف عمر كتب الى ابي عبيدة اني قد وليتك وعزلت خالداً توفى سنة احدى وعشرين بحمص قاله ابو عبيدة وابراهيم بن المنذر وجماعة وقال رحيم وحده مات بالمدينة ومناقب خالد كثيرة ساقها ابن عساكر من اصحها ماوري عن قيس بن ابي حازم قال رأيت خالد بن الوليد اتى بسم فقال ماهذا قالوا سم فقال بسم الله وشربه وروى الأعمش عن خيثمة أتى برجل معه زق خمر فقال اللهم اجعله خلاً فصار خلاً وعن ابن عباس قال وقع بين خالد بن الوليد وعمار كلام فقال خالد لقد هممت ان لا اكلمك ابداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياخالد مالك ولعمار رجل من اهل الجنة قد شهد بدراً وقال يا عمار ان خالدا سيف من سيوف الله على الكفار قال خالد فمازلت احب عماراً من يومئذ. وروى ان ابابكر عقد لخالد وقال اني سمعت رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله على الكفار والمنافقين رواه احمد اهـ (مختصر الذهبي من وفيات سنة احدى وعشرين) وقال الحافظ ابن حجر فى كتابه الأصابة فى اسماء الصحابة قال خالد عند موته ما كان فى الأرض من ليلة احب الى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد. وقال ابن المبارك فى كتاب الجهاد بسنده الى ابى وائل قال لما حضرت خالداً الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لى الا ان اموت على فراشي وما من عمل شئ ارجى عندي بعد ان لااله الا الله من ليلة بتها وانا متترس والسماء تهلني تمطر الى صبح حتى نغير على الكفار ثم قال اذا انامت فانظروا فى

سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله اه

عياض بن غنم

الفهري ابو سعيد من المهاجرين الاولين شهد بدراً وغيرها واستخلفه ابو عبيدة عند وفاته على الشام وكان رجلا صالحاً زاهداً سمحاً جواداً فاقره عمر على الشام وهو الذي افتتح الجزيرة صلحاً وعاش ستين سنة وهو عياض بن غنم بن زهير بن ابي شداد بن ربيعة اه [مختصر الذهبي من وفيات سنة عشرين] وفي الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ ابن حجر كان يقال لعياض زاد الراكب لانه كان يطعم رفقته ما كان عنده واذا كان مسافراً آثرهم بزاده فأن نفد نحر لهم جمله اه

شرحبيل بن السمط الأسود الكندي

ابو يزيد له صحبة ورواية وروي ايضاً عن عمر وسلمان وعن جبير بن نفير وكثير بن مرة وجماعة قال البخاري كان على حمص وهو الذي افتتحها وكان فارساً بطلا شجاعاً قيل انه شهد القادسية وكان قد غلب الاشعث بن قيس على شرف كندة واستقدمه معاوية قبل صفين يستشيره وقد قال الشعبي ان عمراً استعمل شرحبيل بن السمط على المداين واستعمل اباه بالشام فكتب الى عمر انك تأمر ان لايفرق بين السبايا واولادهن وانك قد فرقت بيني و بين ابني فألحقه بابنه اه [مختصر الذهبي من وفيات سنة اربعين] وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمته شهد القادسية ثم نزل حمص قسمها منازل وذكر خليفة انه كان عاملا لمعاوية على حمص نحواً من عشرين سنة وقال ابو عمر شهد صفين مع معاوية وله بها اثر عظيم وذكره ابن حبان في الصحابة وقال كان عاملا على حمص ومات بها وقال يزيد بن عبد ربه مات سنة اربعين وقال غيره سنة اثنين واربعين.

ولاة حلب وقنسرين من سنة [١٦] الى [٢٠]

في السنة التي فتحت فيها قنسرين وحلب تولى امرهما كل من ابي عبيدة وخالد ابن الوليد رضى الله عنهما قال في زبدة الحلب ثم ان ابا عبيدة استعمل على قنسرين حبيب بن مسلمة بن مالك وطعن ابو عبيدة سنة ثمان عشرة فاستخلف على عمله عياض بن غنم وهو ابن عمه وخاله وكان جواداً مشهوراً بالجود فقال انى لم اكن مغيراً امراً قضاه ابو عبيدة ومات عياض سنة عشرين فامر عمر رضي الله عنه على حمص وقنسرين سعيد بن عامر بن خذيم الجمحى ومات سنة عشرين

ترجمة حبيب بن مسلمه بن مالك

قال في مختصر الذهبي حبيب بن مسلمة القرشي له صحبة وهو الذى افتتح ارمينية زمن عثمان ثم كان من خواص معاوية وله معه آثار محمودة شكرها له معاوية يروي ان الحسن قال ياحبيب رب مشير لك في غير طاعة الله قال اما الى ابيك فلا قال بلى والله لقد طاوعت معاوية على دنياه وسارعت في هواه فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك وليتك اذ اسأت الفعل احسنت القول قيل توفي سنة اثنتين وقيل سنة اربع واربعين وكان شريفاً مطاعاً معظماً اه وفي الاصابة كان حبيب بن مسلمة مجاب الدعوة ولم يزل مع معاوية في حروبه ووجهه الى ارمينية والياً فمات بها سنة اثنتين واربعين ولم يبلغ خمسين

ترجمة سعيد بن عامر

قال في مختصر الذهبي سعيد بن عامر بن خذيم الجمحى من اشراف خذيم بني جمح له صحبة ورواية ذكر ابن سعيد انه شهد خيبر قال حسان بن عطية بلغ عمر ان سعيد بن عامر وكان قد استعمله على بعض الشام يعني حمص اصابته

حاجة فارسل اليه الف دينار فقال لزوجته الا نعطي هذا المال لمن يتجر لنا فيه قالت نعم فخرج وتصدق به وذكر الحديث وروى يزيد ابن ابي زياد ان عمر ارسل الى سعيد بن عامر اني مستعملك على هولاء تسير بهم الى ارض العدو فتجاهد بهم فقال ياعمر لاتفتني قال والله لاادعكم جعلتموها في عنقي ثم تخليتم عني انما ابعثك على قوم لست بافضلهم اه من وفيات سنة عشرين وذكر بن الاثير وفاته في هذه السنة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وقال شهد فتح خيبر وكان فاضلا وكان على حمص حتى مات وعمره اربعون سنة اه

ولاية عمير بن سعد من سنة ٢٠ الى ٢٦

قال في زبدة الحلب بعد ان مات سعيد بن عامر امر عمر مكانه عمير بن سعد بن عبيد الانصاري على حمص و قنسرين ومات عمر رضى الله عنه مقتولا في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ومعاوية على دمشق والسواحل وانطاكية فمرض عمير في امارة عثمان مرضاً طال به فاستعفى عثمان واستأذنه بالرجوع الى اهله فاذن له وضم حمص وقنسرين الى معاوية سنة ست وعشرين فاجتمع ولاية الشام جميعها على معاوية لسنتين من خلافة عثمان .

ترجمة عمير بن سعد

قال في مختصر الذهبي عمير بن سعد ابن شهيد بن قيس الانصاري الاوسي كان من زهاد الصحابة وفضلائهم روى عنه ابنه محمود وابو ادريس الخولاني وكثير بن مرة وغيرهم وكان يسميه عمر نسيج وحده ولاه عمر حمص بعد سعيد بن عامر بن خذيم فبقي على امرتها حتى قتل عمر ثم نزعه عثمان :

قال الحسن بن ابي الحسن كان عمر بعث عمير بن سعد اميراً على حمص فاقام بها حولا فارسل اليه عمر وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى عمير بن سعد السلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لاشريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله وقد وليناك شيئاً من امر المسلمين فلا ادري ماصنعت اوفيت بعهدنا ام خنتنا فاذا اتاك كتابي هذا ان شاء الله فاحمل الينا ماقبلك من فيء المسلمين ثم اقبل والسلام عليك قال فاقبل عمير ماشياً من حمص بيده عكازة واداوة وقصعة وجراب كثير الشعر فلما قدم على عمر قال له ياعمير ماهذا الذي اري من سوء حالك اكانت البلاد بلاد سوء ام هذه خديعة منك قال عمير ياعمر ابن الخطاب الم ينهك الله عن التجسس وسوء الظن الست تراني طاهر الدم صحيح البدن ومعي الدنيا بقرابها قال عمر مامعك من الدنيا قال مزودي اجعل فيه طعامي وقصعة آكل فيها ومعي عكازتي هذه اتوكأ عليها واجاهد بها عدواً ان لقيته واقتل بها حية ان لقيتها فما بقي من الدنيا قال صدقت فأخبرني ماحال من خلفت من المسلمين قال يصلون ويوحدون وقد نهى الله ان يسأل عما وراء ذلك قال ماصنع اهل العهد قال عمير اخذنا منهم الجزية عن يد وهم صاغرون قال فما صنعت بما اخذت منهم قال ومالنت وذاك يا عمر ارسلتني امينا فنظرت لنفسي وايم الله لولاني اكره ان اغمك لم احدثك يا امير المؤمنين قدمت بلاد الشام فدعوت المسلمين وامرتهم بما حق لهم عليَّ فيما افترض الله تعالى عليهم ودعوت اهل العهد فخلعت من عسهم (١) فأخذناه منهم ثم رددناه على فقرائهم ومجهوديهم لم ينلك من ذلك شيءٌ فلو نالك بلغناك اياه وذكر حديثاً طويلاً منكرا (٢) قال المفضل الغلابي زهاد الأنصار ثلاثة ابو الدرداء وشداد بن اوس وعمير بن سعد اه

[١] هكذا في الأصل (٢) الحديث المنكر هو الذي انفرد به راو لم يبلغ رتبة من يحتمل تفرده .

وذكره قبل ذلك في فصل من توفى في خلافة عثمان وقد كانت وفاة عثمان رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين وفي الاصابة قال الواقدي كان عمر يقول وددت ان لى رجالا مثل عمير بن سعد استعين بهم على اعمال المسلمين واخرج ابن منده بسند حسن عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد قال قال لى ابن عمر ما كان بالشام افضل من ابيك .

ولاية حبيب بن مسلمه بن مالك من سنة ٢٦ الى ٤٢

قال في زبدة الحلب بعد ان اجتمعت ولاية الشام جميعها علي معاوية لسنتين من خلافة عثمان ولى معاوية حبيب بن مسلمة بن مالك الفهرى على قنسرين وكان يسمي حبيب الروم لكثرة غزوه لهم ومات عثمان رضى الله عنه مقتولاً في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين والشام مع معاوية وحبيب على قنسرين من تحت يده ثم قال بعد ذكره لخلافة علي رضى الله عنه وبويع معاوية بالخلافة سنة احدى واربعين فمصر معاوية قنسرين فأفردها عن حمص وقيل انما فعل ذلك ابنه يزيد وصار الذكر في ولاية قنسرين ووظف معاوية الخراج على قنسرين اربعمائة الف وخمسين الف دينار وحلب للخلفاء من بنى امية لمقامهم بالشام وكون الولاة في ايامهم بمنزلة الشرطة لا يستقلون بالأمور والحروب اه قال البلاذرى في فتوح البلدان نقل معاوية بن ابي سفيان الى انطاكية في سنة ٤٢ جماعة من الفرس واهل بعلبك وحمص ومن المصريين فكان منهم مسلم بن عبد الله جد عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكى وكان مسلم قتل على باب من ابواب انطاكية يعرف اليوم بباب مسلم وذلك ان الروم خرجت من الساحل فأناخت على انطاكية فكان مسلم على السور فرماه علج بحجر فقتله . وترجمة حبيب بن مسلمة تقدمت عند ذكر ولايته الأولى

[ولاية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من سنة ٤٣ الى ٤٦]

ذكر ذلك في سالنامة ولاية حلب

ترجمته

قال في مختصر الذهبي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه وشهد اليرموك مع ابيه قال سعد وكان عمره يومئذ ثمان عشر سنة وسكن حمص وكان احد الأبطال كأبيه وكان معه لواء معاوية يوم صفين وكان يستعمله معاوية على غزو الروم وكان شريفا شجاعا ممدحا قال ابو عبيد وغيره توفى سنة ست واربعين اه قال ابن الأثير وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند اهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار ابيه ولغنائه فى بلاد الروم ولشدة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وامر ابن اثال النصراني ان يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن اثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها ذات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوماً الى عروة بن الزبير فقال له عروة مافعل ابن اثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن اثال فحمل الى معاوية فحبسه اياماً ثم غرمه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة مافعل ابن اثال فقد قد كفيتك ابن اثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعني قاتل الزبير فسكت عروة اه وفي الأصابة ان القاتل لأبن اثال كان المهاجر بن خالد اخا عبد الرحمن بن خالد قال كان المهاجر بن خالد بلغه ان ابن اثال الطبيب وكان نصرانيا دس على اخيه عبد الرحمن سما فدخل الى الشام واعترض لأبن اثال فقتله ثم لم يزل مخالفا لبني امية وشهد مع ابن الزبير القتال بمكة وكان قتل

ابن اثال لعبد الرحمن بن خالد بالسم بحمص اه

ولاية مالك بن عبد الله الخثعمى من سنة ٤٧ الى ٥٠

ذكر ذلك في سالنامة حلب

ترجمته

قال في مختصر الذهبي مالك ابن عبد الله الخثعمي ابو حكيم الفلسطيني المعروف بمالك السرايا قيل له صحبة قدم على معاوية برسالة عثمان وقاد الصوائف اربعين سنة وكسر فيما قيل على قبره اربعون لواء وكان صواماً قواماً شتى سنة ست وخمسين بأرض الروم وعاش بعد ذلك اه وفى الأصابة في اسماء الصحابة عن على بن ابى جميلة قال ماضرب ناقوس قط بليل الا ومالك قد جمع عليه ثيابه يصلي في مسجد بيته وفضائله كثيرة اه

ولاية بسر بن ابى ارطاه من سنة ٥٠ الى ٥١

(وفضالة ابن عبيد من سنة ٥١ الى سنة ٥١ وبسر بن ابى ارطاة مرة ثانية)

ذكر ذلك في السالنامه

ترجمة بسر

قال في مختصر الذهبي بسر بن ابى ارطاه عمير بن عويمر بن عمران ابو عبد الرحمن العامري القرشي نزل دمشق قال الواقدي ولد قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يسمع منه شيئاً وعليه احمد وابن معين وقال ابن يونس كان صحابيا شهد فتح مصر وله بها دار وحمام وكان من شيعة معاوية وولي الحجاز واليمن له ففعل فعالاً قبيحة وقال صاحب الأصل كان اميراً مريبا بطلاً

شجاعا فاتكاً ساق ابن عساكر اخباره في تاريخه والصحيح انه لا صحبة له روى ابن سعد عن عطاء بن ابي مروان قال بعث معاوية بسر ابن ابي ارطاه الى الحجاز واليمن فقتل من كان في طاعة علي واقام بالمدينة شهراً لا يقال له هذا ممن اعان على قتل عثمان الا قتله ويروى عن الشعبي ان بسراً هدم بالمدينة دوراً كثيرة وصعد المنبر وصاح يا دينار شيخ سمح عهد به ههنا بالأمس ما فعل يعني عثمان يا اهل المدينة لولا عهد امير المؤمنين ما تركت بها محتلما الا قتلته ثم مضى الى اليمن وقتل بها ولدين صبيين مليحين لعبد الله بن عباس وكان عبد الله واليا على اليمن من قبل علي وقتل من همدان اكثر من مأتين وقتل من الابناء طائفة وبقي الى خلافة عبد الملك اه وقال ابو الفداء في حوادث سنة اربعين وفي هذه السنة سير معاوية بسر بن ارطاه في عسكر الى الحجاز فأتى المدينة وبها ابو ايوب الأنصاري عاملاً لعلي فهرب ولحق بعلي ودخل بسر المدينة وسفك فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية ثم سار الى اليمن وقتل الوفا من الناس فهرب منه عبيد الله ابن عباس عامل علي باليمن فوجد لعبيد الله صبيين فذبحهما واتى في ذلك بعظيمة فقالت امهما وهي عائشة بنت عبد الله المدان تبكيهما .

يامن احس بأبنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن احس بابنيّ اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
يامن احس بابنيّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة ... على صبيين ذلا اذ غدا السلف
نبئت بسرا وماصدقت ما زعموا ... من افكهم ومن القول الذي اقترفوا
احني على ودجيْ ابنيّ مرهفة ... من الشفار كذاك الاثم يقترف

قال في الاصابة مات ايام معاوية وقيل بقي الى خلافة عبد الملك بن مروان

وقيل مات فى خلافة الوليد سنة ست وثمانين اه

ترجمة فضاله بن عبيد

قال في مختصر الذهبي فضالة بن عبيد ابو محمد الأنصاري قاضي دمشق كان احد من شهد بيعة الرضوان وولى الغزو لمعاوية ثم ولي قضاء دمشق وناب عن معاوية بها روي عنه عبد الله بن محيريز وعبد الرحمن بن جبير بن نفير وجماعة توفى سنه ثلاث وخمسين قاله المدائني وقال خليفة سنة تسع وخمسين اه

ولاية سفيان بن عوف من سنة ٥٢ الى ٥٢

ذكر ذلك في السالنامة

ترجمته

قال في مختصر الذهبي سفيان بن عوف الأزدى الغامدى الأمير شهد فتح دمشق وولي غزو الصائفة لمعاوية توفى مرابطاً بأرض الروم سنة اثنتين وخمسين ولا صحبة له اه هكذا ذكر هنا تاريخ وفاته وذكر فى السالنامة انه تولى امرة حلب مرة ثانية من سنة ٥٥ الى سنة ٥٦ واذا تحققت اي القولين اصح الحقته والا فليحرر . اقول ثم رأيت بعد ذلك في الأصابة في اسماء الصحابة في ترجمته مانصه ذكر خليفة انه مات سنة ثلاث وخمسين وابو عبيدة سنة اثنتين والواقدى سنة اربع فالله اعلم اه فعلى هذا يكون لا صحة لما ذكره فى السالنامة انه وليها من سنة ٥٥ الى ٥٦ وفى الأصابة روي ابن عائذ بسنده عن بعض اشياخه قال كنا مع سفيان ابن عوف سائرين بأرض الروم فأغار على باب الذهب حتى خرج اهل القسطنطينية فقالوا والله ماندري اخطأ تم الحساب ام كذب الكتاب ام استعجلتم المقدر فأنا وانتم نعلم انها ستفتح ولكن ليس هذا زمانه اه

وقال ابو الفدا في سنة ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفاً مع سفيان ابن عوف الى القسطنطينية فأوغلوا في بلاد الروم وكان في ذلك الجيش ابن عباس وعمرو ابن الزبير وابو ايوب الأنصاري وتوفى في مدة الحصار ابو ايوب الأنصاري ودفن بالقرب من سورها اه

ولاية محمد بن عبد الله الثقفى من سنة ٥٢ الى ٥٣

ذكر ذلك في السالنامة قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٢ فيها كانت غزوة سفيان ابن عوف الأسدى الروم وشتى بأرضهم وتوفي بها في قول فاستخلف عبد الله ابن مسعدة الفزاري وقيل ان الذي شتي هذه السنة بأرض الروم بسر بن ابى ارطاة ومعه سفيان بن عوف (الذي تقدم) وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفى

(ولاية عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى من سنة ٥٣ الى ٥٤)

ذكر ذلك في السالنامة وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٣ فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي بأرض الروم اه

ولاية محمد بن مالك ومعن بن يزيد السلمي من سنة ٥٤ الى ٥٥

ذكر ذلك في السالنامة وقال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٤ فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمى

ترجمة معن بن يزيد السلمى

اما محمد بن مالك فلم اقف له على ترجمة واما معن بن يزيد فقد ترجمه الحافظ ابن حجر في كتابه الأصابة في اسماء الصحابة قال. معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب السلمى ثبت ذكره في صحيح البخاري من طريق ابى الجويرية الجرمى عن معن بن يزيد قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم انا وابى وجدي وخاصمت اليه فأفلحني وخطب عليَّ فانكحني وكان ينزل الكوفة ودخل مصر ثم سكن دمشق وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس فى سنة اربع وخمسين ويقال انه كان مع معاوية فى حروبه قال ابن عساكر شهد فتح دمشق وكان له مكان عند عمر بن الخطاب وذكره ابوزرعة الدمشقى فيمن سكن الشام وقتل بمرج راهط. وذكر محمد بن سلام الجمحى ان معن بن يزيد قال لمعاوية ماولدت قرشية من قرشي شرا منك قال لم قال لأنك عودت الناس عادة يعني فى الحلم وكأني بهم قد طلبوها من غيرك فاذاهم صرعى فقال ويحك لقد كنت اليها قتيلاً اه ببعض اختصار

(ولاية سفيان بن عوف مرة ثانية من سنة ٥٥ الى ٥٦)

هكذا ذكر في السالنامه وانظر ترجمته التي قدمناها آنفاً وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥ فى هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الأزدى في قول. وقيل ان الذى شتى فى هذه السنة عمرو ابن محرز وقيل بن عبدالله بن قيس الفزارى وقيل بل مالك بن عبد الله اه وقد مر ما فيه فى الكلام على ولايته سنة ٥٢

(ولاية جنادة بن ابى امية من سنة ٥٦ الى سنة ٥٧)

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦ فيها كان مشتى جنادة بن اميه بأرض الروم قال فى مختصر الذهبى جنادة بن ابى امية الازدي الدوسى له صحبة وروى

عن معاذ وابي الدرداء وعبادة بن الصامت وعمر بن الخطاب روى عنه ابنه سليمان وبشر بن سعيد ومجاهد ورجاء بن حيوه وآخرون . ولي البحرين لمعاوية وشهد فتح مصر وادرك الجاهلية وعده ابن سعد واحمد العجلي وطائفة فى تابعي الشام قال بعضهم وهو الحق . قال ابن يونس توفى سنة ثمانين وقال المدائنى سنة خمس وسبعين وتابعه يحيي بن معين وقال الهيثم بن عدى سنة سبع وسبعين وقال على بن عبد الله التميمى سنة ست وثمانين اه

قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦ فيها كان مشتى جنادة ابن أمية بارض الروم

« ولاية عبدالله بن قيس من سنة ٥٧ الى ٥٨ »

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٧ فيها كان مشتى عبدالله بن قيس بأرض الروم

ترجمته

قال في الأصابة عبدالله بن قيس حليف بني فزارة الحارثى له ادراك (اى صحبة) وكان معاوية يرسله في غزو البحر فغزا خمسين غزوة مابين صائفة وشاتية لم ينكب فيها ولم يغرق معه احد الى ان قتل سنة ثلاث اواربع وخمسين ذكره الطبرى في تاريخه وكان اول ماغزا سنة سبع وعشرين اه

اقول لعل ولايته كانت قبل ذاك اوان وفاته تأخرت عن سنة ثلاث اواربع وخمسين

« ولاية مالك بن عبد الله الخثعمى مرة ثانية من سنة ٥٨ الى سنة ٦٦ »

ذكر ذلك في السالنامة وقد تقدمت ترجمته انما في السالنامة لم يقيده في ولايته الأولى بالخثعمى بل قيده فى الثانية والظاهر انه هو . قال ابن الاثير فى حوادث سنة ٥٨ فى هذه السنة غزا مالك بن عبدالله الخثعمي ارض الروم اه وقال فى

حوادث سنة ٥٩ في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهنى بأرض الروم اه فعلى هذا يكون ما ذكره في السالنامة من ان ولاية مالك ابن عبد الله من سنة ٥٨ الى سنة ٦٦ فيه شك وابن الاثير لم يذكر من شتى اومن غزا الصائفة في هذه السنين

(ولاية عبد الملك بن مروان من سنة ٦٦ الى ٧٣)

هكذا فى السالنامة والصحيح انه تولى هذه البلاد قبل ذلك مروان والد عبد الملك ففى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى فى ترجمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لما مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة اربع وستين ٦٤ بويع لأبن الزبير بالخلافة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يبق خارجاً عنه الا الشام ومصر فأنه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدة خلافته. قيل شهران وقيل ثلاثة وقيل اربعون يوماً فلما مات اطاع اهلهما ابن الزبير وبايعوه ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر الى ان مات سنة خمس وستين في رمضان فتكون مدة ولايته سنة ونحو ثلاثة اشهر وقد عهد الى ابنه عبد الملك قال الذهبي الأصح ان مروان لا يعد في امراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين

ترجمته

قال الجلال السيوطى في تاريخ الخلفاء عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص ابن امية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن الوليد ولد سنة ست وعشرين بويع بعهدٍ من ابيه فى خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته

و بقي متغلباً على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها الى ان قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ واستوثق له الأمر الخ

(ولايه محمد بن مروان من سنه ٧٣ الى سنه ٧٧)

(ثم الوليد بن عبد الملك من سنة ٧٧ الى سنة ٨٥)

(ثم محمد بن مروان مرة ثانية من سنة ٨٥ الى سنة ٨٦)

هكذا ذكر في السالنامة ويستفاد من ابن الأثير من حوادث هذه السنين ان الوليد تولى امرة هذه البلاد من سنة ٧٧ الى ٨٢ ثم تولاها محمد بن مروان من سنة ٨٢ الى سنة ٩٠ قال في زبدة الحلب تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة ٨٦ ومحمد بن مروان على ولايته فما زال كذلك الى ان عزله الوليد بن عبد الملك فى سنة ٩٠ وولى مكانه اخاه مسلمة بن عبد الملك اه وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٩١ وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبدالملك

ترجمته

قال في مختصر الذهبي محمد بن مروان بن الحكم ابن ابى العاص الأموى الأمير سمع اباه وعنه الزهرى وغيره ولي الجزيرة لاخيه عبدالملك وامه ام ولد . روى الاصمعى عن عيسى بن عمر قال كان محمد بن مروان قويا في بدنه شديد البأس فكان عبد الملك يحسده على ذلك وكان يفعل اشياء لايزال يراها منه فلما استوثق الأمر لعبد الملك جعل يبدي له الشيء مما في نفسه ويعامله بما يكره فلما رأى محمد ذلك تهيأ للرحيل الى ارمينية واصلح جهازه ورحل ابله ودخل يودع اخاه فقال له ما بعثك على ذلك فانشأ يقول

وانـك لاترى طرداً لحر ... كالصاق به بعض الهوان
فلو كنا بمنزلة جميعاً ... جريت وانت مضطرب العنان

فقال اقسمت عليك الاما اقمت فوالله لا رأيت مكروها فأقام ولمحمدعدة وقعات ومصافات مع الروم ذكرها ابن عائذ وغيره وهو والد مروان الخليفة قال خليفة توفى سنة احدى ومائة اه

[ذكر بناء حصن سلوقيه]

قال البلاذرى فى فتوح البلدان حدثنى جماعة من مشايخ اهل انطاكية منهم ابن برد الفقيه ان الوليد بن عبد الملك اقطع جنداً بأنطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصير الفلثر (وهو الجريب) بدينار ومُدْىْ قمح فعمرها وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية

(ولاية مسلمة بن عبد الملك من سنة ٩٠ على ماحققنا الى سنة ٩١)

[وولاية عبد العزيز بن الوليد من سنة ٩١ الى ٩٢]

وولاية مسلمة بن عبد الملك منها الى سنة ٩٣ مرةً ثانية

وولاية عباس بن الوليد من سنة ٩٣ الى سنة ٩٩

ترجمة مسلمة بن عبد الملك

قال فى مختصر الذهبي مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمير ابو سعيد وابو الأصبع الأموى ويسمى الجرادة الصفراء سمع عمر بن عبد العزيز وروى عنه معاوية بن صالح ويحى بن يحى الغسانى وله دار بدمشق ولي غزو القسطنطينية لاخيه سليمان وغزا الروم مرات وكان بطلاً شجاعا مهيباً له آثار حميدة وقد ولي

لأخيه يزيد امرة العراقين ثم عزل وولي ارمينية حفظاً لذلك الثغر واول ما ولي غزو الروم في آخر دولة ابيه افتتح ثلثة حصون وفى سنة تسع وثمانين غزا عمورية والتقى بالمشركين فهزمهم وفي سنة تسعين افتتح خمسة حصون وفي سنة احدى عزل محمد بن مروان عن ارمينية واذربيجان بمسلمة فغزا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية اذربيجان فافتتح مدائن وحصونا ثم افتتح سندرة ثم حج بالناس ثم افتتح بعد ذلك فتحا كثيراً وشهد غير مصاف ولما بلغ مسلمة حديث لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير اميرها حدثه به بشر الغنوى وقيل الخثعمي غزاها. ومن كلامه ان اقل الناس هما في الدنيا اقلهم هما في الآخرة. وقال سعيد بن عبد العزيز اوصى مسلمة بثلث ماله لطلاب الأدب وقال انها صناعة مجفو اهلها والوليد بن يزيد بن عبد الملك في رثاه

اقول وما البعد الا الردى … امسلم لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد … مضيئاً وقد اصبحت مظلمه
ونكتم موتك نخشى اليقينا … فأبدى اليقين عن الجمجمة

توفي سنة عشرين ومائة وقيل سنة احدى وعشرين وقال في زبدة الحلب وكان اكثر مقام مسلمة بالناعورة وبنى فيها قصراً بالحجر الأسود الصلد وحصنا بقى منه برج الى زماننا هذا اه وفى المعجم الناعورة موضع بين حلب وبالس [مسكنة] بينه وبين حلب ثمانية اميال. وقال البلاذري قالوا كانت ارض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها في سبيل البر وكانت عين السلور وبحيرتها له ايضاً اه

﴿ ترجمة عبد العزيز بن الوليد ﴾

قال في مختصر الذهبي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأمير ابو الأصبغ الأموى وهو ابن اخت عمر بن عبد العزيز سعى ابوه الوليد في خلع

سليمن من العهد وتولية عبد العزيز هذا فلم يتم له مارامه وقد ولي نيابة دمشق لابيه وداره بناحية الكشكية قبلى دار بطيخ العتيقة وله ذرية بالمرج بقرب الجامع روى عن مالك بن انس قال اراد الوليد ان يبايع لأبنه فأراد عمر بن عبد العزيز على ذلك قال ياامير المؤمنين بيعة في اعناقنا فأخذه الوليد وطين عليه ثم فتح عنه بعد ثلث فادركوه وقد مالت عنقه قال ابو زرعة فكان ذلك الميل فيه الى ان مات وحكى نحوه محمد بن سلام الجمحى الا انه قال فخنق بمنديل حتى صاحت اخته ام البنين فشكر سليمن لعمر وعهد اليه بالخلافة وقد حج عبد العزيز بالناس سنة ثلاثة وتسعين وغزا الروم سنة اربع وتسعين وكان من ألباء بني امية وعقلائهم .عن عامر بن شبل عن عبد العزيز بن الوليد ان عمر بن عبد العزيز قال له ياابن اختى بلغنى انك سيرت الى دمشق تدعو الى نفسك ولو فعلت ما نازعتك. قال عامر انا ممن سار مع عبد العزيز الى دمشق فجاء الخبر بأن عمر بن عبد العزيز قد بويع ونحن بدير الجلجل فانصرفنا اه

ترجمة العباس بن الوليد

قال في مختصر الذهبي العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو الحرث الأموى كان من الأبطال المذكورين والاسخياء الموصوفين وكان يقال له فارس بني مروان استعمله ابوه على حمص وولي المغازي وافتتح عدة حصون ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز لجهله وقد مات في سجن مروان بن محمد اه

(ولاية هلال بن عبد الأعلى في سنة ٩٩)

[وولاية الوليد بن هشام المعيطى منها الى سنة ١٠١ احدي ومائة]

قال في زبدة الحلب رابط سليمان بن عبد الملك بمرج دابق الى ان مات به سنة تسع وتسعين وولي عمر بن عبد العزيز فكان اكثر مقامه بخناصرة الأحص وولى من قبله على قنسرين هلال بن عبد الأعلى ثم ولى ايضاً عليها الوليد بن هشام المعيطى على الجند وتوفي عمر بدير سمعان من ارض معرة النعمان يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة اه قال فى معجم البلدان دابق بكسر الباء وقد روى بفتحها وآخره قاف قرية قرب حلب من اعمال اعزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر مصيصة وبه قبر سليمان بن بن عبد الملك بن مروان وكان سليمان قد عسكر بدابق وعزم ان لا يرجع حتى تفتح القسطنطينية او تؤدى الجزية فشتى بدابق شتاء بعد شتاء اذ ركب ذات عشية من يوم جمعة فمر بالتل الذى يقال له تل سليمان اليوم فرأى عليه قبراً فقال من صاحب هذا القبر قالوا هذا قبر عبد الله بن مسافع ابن عبد الله الأكبر بن شيبة بن عثمان ابن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى الحجبى فمات هناك فقال سليمان ياويحه لقد امسى قبره بدار غربة قال ومرض سليمان فى اثر ذلك ومات ودفن الى جانب قبر عبد الله بن مسافع فى الجمعة التى تليه او الثانية وبقربها قرية اخرى يقال لها دويبق بالتصغير وقال الجوهرى دابق اسم بلد والأغلب عليه التذكير والصرف لأنه في الأصل اسم نهر وقد يؤنث وقد ذكره الشعراء فقال عيسى بن سعدان عصرى حلبى

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ... ناجوك ما بين الأحص ودابق
امفارقي حلب وطيب نسيمها ... يهنيكم ان الرقاد مفارقي
والله ماخفق النسيم بأرضكم ... الا طربت من النسيم الخافق
واذا الجنوب تخطرت انفاسها ... من سفح جوشن كنت اول ناشق

وانشد ابن الاعرابي

لقد خاب قوم قلدوك امورهم   بدابق اذ قيل العدو قريب

رأوا رجلاً ضخما فقالوا مقاتل   ولم يعلموا ان الفؤاد نخيب

وقال الحارث ابن الدؤلى

اقول وما شأني وسعد بن نوفل   وشأن بكائي نوفل بن مساحق

الا انما كانت سوابق عبرة   على نوفل من كاذب غير صادق

فهلا على قبر الوليد وبقعة   وقبر سليمان الذي عند دابق

وقال فى المعجم ايضاً خناصرة بليدة من اعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية وهى قصبة كورة الأحص التى ذكرها الجمدي فقال . فقال تجاوزت الأحص وماءه . وقد ذكرها عدى بن الرقاع فقال

واذا الربيع تتابعت انواءه   فسقى خناصرة الأحص وزادها

وذكرها المتنبيُ فقال

احب حمصاً الي خناصرة   وكل نفس تحب محياها

اه قال الطرشوشى في كتابه سراج الملوك في باب سيرة السلطان قال رجاء بن حيوه بينا نحن بخناصرة اذا بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارشدناها الى الدار فرأت دارا مهشمة فقالت لخياط هناك استأذن لي على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قال فأدخلي وصوتي بها فانها تأذن لك فدخلت فلما ابصرت ما هناك قالت جئت ارمُ فقري من بيت الفقراء واذا رجل يعمل في الطين فسألتها عن امير المؤمنين فقالت هو ذلك يعمل في الطين فقالت له ياامير المؤمنين مات زوجى وترك ثمان بنات فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال لها ما تريدين قالت تفرض لهن قال نفرض للكبرى مااسمها قالت فلانة فكتبها

فقالت الحمد لله قال مااسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيراً ياامير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد اهله لأتممتاهن لك مرى السبع يواسين هذه الثامنة اه

وقال فى الجزء الثامن من الأغاني حدثنا شعيب قال اخبرني ابن عمار بسنده ان عمر بن عبد العزيز خطب بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يتولى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واعلموا ان الأمان غداً لمن حذر الله وخافه وباع قليلاً بكثير ونافداً بباق وخوفاً بامأن الا ترون انكم فى اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون وكذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم انكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً الى الله ورائحاً قد قضى نحبه وانقضى اجله ثم تضعونه في صدع من الأرض فى بطن لحد ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب ووجه للحساب. غنياً عما ترك. فقيراً الى ماقدم وايم الله انى لأقول لكم هذه المقالة ولا اعلم عند احد منكم اكثر مما عندي واستغفر الله لي ولكم وما يبلغنا احد منكم حاجة يسعها ماعندنا الا سددنا من حاجته ماقدرنا عليه ولا احد يتسع له ماعندنا الا وددت انه بدئ به وبلحمتى الذين يلوننى حتى يستوي عيشنا وعيشكم وايم الله لو اردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان به مني ناطقاً ذلولا عالماً بأسبابه ولكنه من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته ثم بكى فتلقى دموعه بأطراف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه الله اليه رحمة الله عليه اه.

وقال فى المعجم [دير سمعان] يقال بكسر السين وفتحها وهو دير بنواحى دمشق فى موضع وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور وعنده قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثم قال ودير سمعان ايضاً بنواحى حلب بين جبل بنى عليم والجبل الأعلى . اقول ان عمر بن عبد العزيز مدفون بدير سمعان الذي بنواحي حلب كما نقلناه عن زبدة الحلب وقال الذهبي في العبر في حوادث سنة احدى ومائة فيها في رجب توفي الامام العادل امير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين ابو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي بدير سمعان من ارض المعرة وله اربعون سنة اه

قال في المعجم قال فيه بعض الشعراء يرثيه

قد قلت اذ ودعوك الترب وانصرفوا   لايبعدن قوام العدل والدين
قد غيبوا فى ضريح الترب منفرداً   بدير سمعان قسطاس الموازين
من لم يكن همه عيناً يفجرها   ولا النخيل ولا ركض البراذين

وقال كثير

سقي ربنا من دير سمعان حفرة   بها عمر الخيرات رهنا دفينها
صوابح من مزن ثقال غواديا   دوالح دُهما ماخضات دجونها

وقال الشريف الرضي الموسوي

ياابن عبد العزيز لوبكت العيـ   ـن فتى من أمية لبكيتك
انت انقذتنا من السب والشتـ   ـم فلو امكن الجزا لجزيتك
دير سمعان لاغدتك العوادي   خير ميت من آل مروان ميتك

اقتصر فى المعجم على هذه الأبيات الثلاثة واورد في عيون التواريخ ما قاله الشريف الرضي باكثر من ذلك فقال بعد البيت الأول

غير انى اقول قد طبت والا   ه وان يطب ولم يزل بيتك

انت نزهتنا عن السب والقذ ... ف فلو امكن الجزاء جزيتك
ولو اني رأيت قبرك لاستحيـ ... ـيت من ان ارى وما حييتك
وقليل ان لو نزلت دما ... ء البدن صرفاً على الذرى وسقيتك
دير سمعان فيك مأوى ابي ... حفص فودي لو اني اوتيتك
انت بالذكر بين عيني وقلبي ... ان تدانيت منك او نأيتك
وعجيب انى قليت بنى مروا ... ن طرا وانني ما قليتك
قد نما العدل منك لما نأى الجو ... ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك
فلو اني ملكت دفعاً لما نا ... بك من طارق الردى لفديتك

واما هلال بن عبد الأعلى فأنى لم اقف له على ترجمة

﴿ ترجمة الوليد بن هشام المعيطي ﴾

قال فى مختصر الذهبي الوليد بن هشام بن معاوية الأموي المعيطى ابو يعيش متولي قنسرين لعمر بن عبد العزيز عن معدان بن ابي طلحة اليعمري وام الدرداء وعبدالله بن محيريز وعنه ابنه يعيش والأوزاعي وصالح بن ابي الأخضر وسفيان بن عيينة . وصفه الواقدى بالنسك والدين ولولا ذا ما امرّه عمر ووثقه ابن معين وقد ولي غزو الصائفة اه (من وفيات مابين ١٢٠ و ١٣٠)

قال في زبدة الحلب توفي عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه وولي بعده الخلافة يزيد بن عبد الملك والوليد بن هشام على قنسرين وكان مرائياً سأل عمر ان ينقص رزقه وكتب الى يزيد وهو ولي عهده ان الوليد بن هشام كتب الي كتاباً اكثر ظنى انه تزين بما ليس هو عليه فانا اقسم عليك ان حدث بى حدث وافضى هذا الامر اليك فسألك ان ترد رزقه وذكر

انى نقصته فلا يظفر منك بهذا فلما استخلف يزيد كتب الوليد اليه ان عمر نقص رزقى وظلمنى فغضب يزيد وعزله واغرمه كل رزق جرى عليه فى ولاية عمر ويزيد كلها فلم يل له عملا حتى مات ومات يزيد بن عبد الملك بالبلقاء في شعبان سنة خمس ومماية والبلقاء كورة كبيرة بين منبج وحلب وهى من اعمال منبج قبليها قرب وادي بطنان

خلافة هشام بن عبد الملك

وولي الخلافه بعده اخوه هشام بن عبد الملك وتوفي سنة خمس وعشرين وماية . قال ابو الفرج الاصبهانى فى الجزء الرابع من الاغاني

اخبرني عمي قال حدثنا احمد بن ابي حيثمة قال ذكر بن ابي النطاح عن ابى اليقظان ان اسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافه جالس على بركة له فى قصره فاستنشده وهو يرى انه يمدحه فأنشده قصيدته التى يفتخر فيها بالعجم

يا ربع رامة بالعلياء من ريم هل ترجعن اذا حييت تسليمي
ما بال حي غدت بزل المطى بهم تحذى لغربتهم سيراً بتقحيم
كانني يوم ساروا شارب سلبت فؤاده قهوة من خمر داروم

حتى انتهى الى قوله

انى وجدك ماعودى بذى خور عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم
اصلي كريم ومجدي لايقاس به ولي لسان كحد السيف مسموم
احمى به مجداقوام ذوى حسب من كل قرم بتاج الملك معموم
جحاجح سادة بلج مرازبة جرد عتاق مساميح مطاعيم .

من مثل كسرى وسابور الجنود معاً والهرمزان لفخر او لتعظيم
اسد الكتائب يوم الروع ان زحفوا وهم اذلوا ملوك الترك والروم
يمشون في حلق الماذي سابغة مشى الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك ان تسئلي تنبي بأن لنا جرثومة قهرت عز الجراثيم

قال فغضب هشام وقال له ياعاض بظرامه اعلي تفخر واياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك واعلاج قومك غطوه في الماء فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم امر باخراجه وهو يشر ونفاه من وقته فأخرج عن الرصافة منفياً قال وكان مبتلي بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لايزال مضروباً محروماً مطروداً اه قال في معجم البلدان في الكلام على الرصافة

الرصافة في مواضع كثيرة. منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية . بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف كذا ذكره بعضهم . ووجدت في اخبار ملوك غسان ثم ملك النعمان الحارث بن الايهم وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الاعظم وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير . ولعل هشاماً عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها .

وقال احمد بن يحيي واما رصافة الشام فأن هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل فيها الزيتونة . قال الاصمعى الزوراء رصافة هشام وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور . وربما فرغت فى اثناء الصيف فلاهل الثروة منهم عبيد وحمير يمضى احدهم الى الفرات العصر فيجئ بالماء في غداة غد لانه يمضي اربعة فراسخ او ثلاثة ويرجع مثلها وعندهم آبار طول رشاء كل بئر مأة وعشرون

ذراعاً واكثر وهو مع ذلك ملح ردئ وهى في وسط البرية ولبنى خفاجة عليهم خفارة يؤدونها اليهم صاغرين . وبالجملة لولا حب الوطن لخربت . وفيها جماعة من اهل الثروة لانهم بين تاجر يسافر الى اقطار البلاد ومنهم مقيم فيها يعامل العرب وفيها سويق عدة عشرة دكاكين ولهم حذق في عمل الاكسية وكل رجل فيها غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن .

وذكرها ابن بطلان الطبيب فى رسالته الى هلال بن المحسن فقال . وبين الرصافة والرحبة مسيرة اربعة ايام قال وهذا القصر يعني قصر الرصافة حصن دون دار الخلافة ببغداد مبني بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالفص المذهب انشأه قسطنطين بن هيلانة وجدد الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يفزع اليها من البق فى شاطئ الفرات وتحت البيعة صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام مبلط بالمرمر مملوء من ماء المطر وسكان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى معاشهم تخفير القوافل وجلب المتاع والصعاليك مع اللصوص وهذا القصر في وسط برية مستوية السطح لا يرد البصر من جوانبها الا الأفق ورحلنا منها الى حلب فى اربع رحلات. وكان ابن بطلان كتب هذه الرسالة في سنة (٤٤٠) وحدث برصافة الشام ابو سليمان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري فروى عنه من اهلها ابو منيع عبيد الله بن ابي زياد الرصافي وكان (١) الحجاج من العلماء كان اعلم الناس بخلق الفرس من رأسه الى رجله وبالنبات . روى عنه هلال بن ابي العلاء الرقى وغيره وكان ثقة ثبتاً حديثه في الصحيح ومات فى سنة ٢٢١ قاله بن حبان وقال محمد بن الوليد اقمت مع الزهري بالرصافة عشر سنين. وقال مدرك بن حصين الاسدي وكان

(١) قال مصحح المعجم هكذا في الأصل وليحرر

قدم الشام هو ورجل من بني عمه يقال له ابن ماهي وطعن ابن ماهي فكبر جرحه فقال .

عليك بن ماهي ليت عينك لم ترم　　بلادي وان لم يرع الا درينها

ويا ذكرة والنفس خائفة الردى　　مخاطرة والدين يهمي معينها

ذكرت وابواب الرصافة بينها　　وبيني وجعدياتها وقرينها

وصفين والنهي الهنيء ولجة　　من البحر موقوف عليها سفينها

بدائبة للحفر فيها مجاجة　　وللموت اخرى لا يبل طمينها

وقال جرير .

طرقت جمادة بالرصافة أرحلاً　　من رامتين لشط ذاك مزارا

واذا نزلت من البلاد بمنزل　　وُقِيَ النحوس وأسقيَ الامطارا

﴿ ولاية الوليد بن القعقاع ﴾

قال في السالنامة ثم ولي سليمان بن الوليد القعقاع العبسي من سنة ١٠١ الى سنة ١١٥

هذا سهو والصواب ان الذي تولى هو الوليد بن القعقاع بن خليد العبسي واما سليمان فهو سليمان بن عبد الملك وهو ابن اخت الوليد بن القعقاع .

قال فى زبدة الحلب ثم عزل الوليد بن هشام المعيطى وولى على قنسرين وعملها خال ابيه سليمان وهو الوليد بن القعقاع بن خليد العبسي وقيل انه ولى عبد الملك بن القعقاع على قنسرين واليهم ينسب حيار بني عبس واليهم تنسب القعقاعية قرية من بلد الغايا ولما توفي هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين كما تقدم وولي الخلافة بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان بينه

وبين الوليد بن القعقاع وحشة هرب الوليد بن القعقاع وغيره من بني ابيه فعاذوا بقبر يزيد بن عبد الملك فولى الوليد على قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة وهو على قنسرين فعذبه واهله فمات الوليد بن القعقاع في العذاب

قال ابن جرير في حوادث سنة ١٢٦ وكان هشام (رواية زبدة الحلب يزيد اخوه) استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القعقاع على حمص فضرب الوليد بن القعقاع مائة صوت فلما قام الوليد [اي تولى الخلافة] هرب بنو القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع اه

قال ابن الأثير في حوادث سنة ١٠٢ كان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد العبسي تحاسد وكان بينهما يوماً كلام فقال له القعقاع يا ابن اللخناء من قدمك فقال قدمك انت واهلك اعجاز الغواني وقدمني صدور العوالي فسكت القعقاع يعني ان عبد الملك قدمهم لما تزوج اليهم فأن ام الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان عبسية اه

قال في السالنامة ثم ولي يزيد بن عمر بن هبيرة سنة ١٢٥ ثم ولي مسرور بن الوليد سنة ١٢٦ ثم ولي عبد الملك بن كوثر الغنوي سنة ١٢٧

قدمنا ان الوليد بن يزيد ولى على قنسرين يزيد بن هبيرة وكانت وفاة الوليد سنة ١٢٦ وولي الخلافة بعده يزيد الملقب بالناقص ولم يمتع بالخلافة بل مات من عامه في سابع ذي الحجة وولى يزيد على قنسرين اخاه مسروراً واخاه بشراً ولما مات يزيد قام بالامر بعده ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك. فلم يتم له الامر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث اربعة اشهر وقيل سبعين يوماً ثم سار اليه مروان بن محمد فخلعه وكان مروان بن محمد اميراً على الجزيرة من طرف الوليد بن عبد الملك .

قال ابن الاثير في حوادث سنة ١٢٧ في هذه السنة سار مروان بن محمد الى الشام لمحاربة ابراهيم بن الوليد وكان السبب في ذلك ما قد ذكرنا بعضه من مسير مروان بعد مقتل الوليد وانكاره قتله وغلبته على الجزيرة ثم مبايعته ليزيد بن الوليد وما ولاه يزيد من عمل ابيه فلما مات يزيد بن الوليد سار مروان في جنود الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في جمع عظيم بالرقة فلما انتهى مروان الى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد وكان ولاه اخوه يزيد قنسرين ومعه اخوه مسرور بن الوليد فتصافّوا ودعاهم مروان الى بيعته فمال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية واسلموا بشراً واخاه مسروراً فاخذهما مروان فحبسهما وسار معه اهل قنسرين متوجهاً الى حمص ثم ساق ابن الاثير بقية ما كان من امر مروان الى ان استتب له الأمر وبويع بالخلافة في دمشق .

قال في زبدة الحلب لما قبض مروان بن محمد على مسرور وبشر ابني الوليد قتلهما وولى على قنسرين وحلب عبد الملك بن كوثر الغنوي

وقال ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة وفي هذه السنة خلع سليمان بن هشام مروان بن محمد وحاربه وكان السبب في ذلك ما ذكرناه من قدوم الجنود عليه وتحسينهم له خلع مروان وقالوا له انت اوضأ عند الناس من مروان واولى بالخلافة فأجابهم الى ذلك وسار بأخوته ومواليه معهم فعسكر بقنسرين وكاتب اهل الشام فأتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان فرجع اليه من قرقيسيا [بلد بالجزيرة] وكتب الى ابن هبيرة يأمره بالمقام واجتاز مروان في رجوعه بحصن الكامل وفيه جماعة من موالي سليمان واولاد هشام فتحصنوا منه فأرسل اليهم اني احذركم ان تتعرضوا لأحد يتبعني من جندي بأذى فأن فعلتم فلا امان لكم عندي فأرسلوا اليه انا نستكف ومضى مروان فجعلوا

يغيرون على من يتبعه من اخريات الناس وبلغه ذلك فتغيظ عليهم واجتمع الى سليمان نحو من سبعين ألفاً من اهل الشام والذكوانية وغيرهم وعسكر بقرية خساف من ارض قنسرين واتاه مروان فواقعه عندوصوله فاشتد بينهم القتال وانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم خيل مروان تقتل وتأسر واستباحوا عسكرهم ووقف مروان موقفاً ووقف ابناه موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته (والد عبد الملك بن كوثر) موقفاً وامرهم ان لا يأتوه بأسير الا قتلوه الا عبداً مملوكا فاحصي من قتلاهم يومئذ ما ينوف على ثلاثين الفاً وقتل ابراهيم بن سليمان واكبر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وادعى كثير من الاسراء للجند انهم عبيد فكف عن قتلهم وامر ببيعهم فيمن يزيد مع من اصيب من عسكرهم وسار مروان الى حصن الكامل حنقاً على من فيه فحصرهم وانزلهم على حكمه فمثل بهم واخذهم اهل الرقة فداووا جراحاتهم فهلك بعضهم وبقي اكثرهم وكانت عدتهم نحو من ثلثمائة .

قال في زبدة الحلب وكان الحكم وعثمان ابناء الوليد بن يزيد حبسا بقلعة قنسرين وكان ابن الوليد حبسهما فنهض عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري فقتلاهما وقتلا معهما يوسف بن عمر الثقفي بقنسرين واخذا بعد ذلك فقتلهما مروان وصلبهما .

قال ابن الأثير وابن جرير في حوادث سنة ١٣٠ فيها غزا الصائفة الوليد ابن هشام منزل العمق وبنى حصن مرعش اه

[تراجم من تولى من سنة ١٠١ الى سنة ١٣٢]

الوليد بن القعقاع العبسي لم اقف له على ترجمة مخصوصة غير ان ما ذكرته

في الكلام على ولايته بمثابة ترجمته وتقدم ان قتله كان سنة ١٢٥

(يزيد بن عمر بن هبيرة)

ترجمه ابن خلكان ترجمة واسعة حافلة نقتطف منها ماله تعلق بهذه البلاد وبحالته الشخصية وعاداته قال . هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة اصله من الشام ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني امية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق ومولده سنة سبع وثمانين وذكره ابن عياش في تسميته من ولي العراق وجمع له المصران وهما البصرة والكوفة وكذلك ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف فى تسمية من ولي العراقين وكان ابو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهوراً ثم امنه وافتتح البلد صلحاً وركب اليه يزيد في اهل بيته وكان ابو جعفر يقول لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله وقال خليفة بن خياط وفي سنة ثمان وعشرين ومأة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على العراق ثم ساق ماجرى له من الامور مع ابي جعفر المنصور الى ان قتله سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم قال وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير كان هبيرة اذا اصبح اتى بعس (العس بضم العين القدح الكبير) وفيه لبن قد حاب على عسل واحياناً على سكر فيشربه قبل صلاة الغداة فاذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلي ثم يدخل فيحركه اللبن فيدعو بالغذاء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدي والواناً من اللحم [والناهض بالنون الفرخ من الحمام] ثم يخرج فينظر في امور الناس ويدعو بالغذاء فيتغذى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع فاذا فرغ من الغذاء تفرق من كان عنده ودخل الى نسائه فلا يزال حتى يخرج الى

صلاة الظهر ثم ينظر بعد الظهر في امور الناس فاذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس فاذا اخذ الناس مجالسهم اتوهم بعساس اللبن والعسل والوان الاشربة ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه الى المغرب ثم يتفرقون للصلاة ثم تأتيه سماره فيحضرون مجلساً يجلسون فيه حتى يدعوهم فيسامروه حتى يذهب عامة الليل وكان يسأل فى كل ليلة عشرة حوائج فاذا اصبحوا قضيت وكان رزقه ستماية الف درهم فكان يقسم في كل شهر في اصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه واهل البيوتات جملة مستكثرة . وقال شيخ من قريش أذن يزيد بن عمر بن هبيرة في يوم صائف شديد الحر للناس فدخلوا عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب فجعلوا ينظرون اليه ويتعجبون منه ففطن لهم فتمثل بقول ابراهيم بن هرمة .

قد يدرك الشرف الفتى ورداءه خلق وجيب قميصه مرقوع

واخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة اه

مسرور بن الوليد واخوه بشر

لم اقف لهما على ترجمة وقد قدمت انهما قتلا سنة ١٢٧ قتلهما مروان بن محمد

عبد الملك بن كوثر الغنوي

لم اقف له على ترجمة

[ابتداء الدولة العباسية سنة ١٣٢]

فيها في ربيع الانور بويع ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالكوفة على يد ابي مسلم الخراساني وانقرضت دولة بني أمية وكان آخر

خلفائهم مروان بن محمد

وكان الوالي في تلك السنة على قنسرين ابا الورد مجزأة بن زفر بن الحارث الكلابي وهو اخو عبد الملك بن الكوثر

قال في زبدة الحلب بعد ان بويع ابو العباس السفاح سير عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد وكان مروان فى جيوش كثيفة فالتقيا بالزاب من ارض الموصل فى جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين ومأة فهزم مروان واستولى على عسكره وسار مروان منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج فأحرقه فلما مر على قنسرين وثبت عليه طي وتنوخ واقتطفوا مؤخر عسكره ونهبوه وقد كان تعصب عليهم وجفاهم ايام دولته وقتل منهم جماعة وتبعه عبد الله بن علي وسار خلفه حتى اتى منبج فنزلها وبعث اليه اهل حلب بالبيعة مع ابي امية التغلبي وقدم عليه اخوه عبد الصمد بن علي فقلده حلب وقنسرين وسار عبد الله وعبد الصمد اخوه معه اليها فبايعه ابو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابي وكان من اصحاب مروان ودخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة وسار عبد الله الى دمشق ثم الى الديار المصرية وهناك ظفر بمروان بن محمد ببوصير فقتله ثم عاد الى دمشق وعين والياً عليها

(انتقاض ابي الورد مجزأة بن الكوثر)

قال ابن الاثير في حوادث هذه السنة وفيها خلع ابو الورد مجزأة بن الكوثر وكان من اصحاب مروان وقواده وكان سبب ذلك ان مروان لما انهزم قام ابو الورد بقنسرين فقدمها عبد الله بن علي فبايعه ابو الورد ودخل فيما دخل

فيه جنده وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس [مسكنة] والناعورة فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن علي فعبث بولد مسلمة ونسائهم فشكا بعضهم ذلك الى ابي الورد فخرج من مزرعة يقال لها خساف فقتل ذلك القائد ومن معه واظهر التبييض والخلع (معنى التبييض لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسية فى ذلك قاله بن خلدون وشعار بني العباس كان السواد) لعبد الله ودعا اهل قنسرين الى ذلك فبيضوا جميعهم والسفاح يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علي مشتغل بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء وحوران والبثينة على ما ذكرناه فلما بلغ عبد الله تبييض اهل قنسرين وخلعهم صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء ابي الورد فمر بدمشق فخلف بها ابا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في اربعة آلاف وكان بدمشق اهل عبد الله وامهات اولاده وثقله فلما قدم حمص انتقض له اهل دمشق وتبيضوا وقاموا مع عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي فلقوا ابا غانم ومن معه فهزموه وقتلوا من اصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ماكان عبد الله خلف من ثقله ولم يعرضوا لأهله واجتمعوا على الخلاف وسار عبد الله وكان قد اجتمع مع ابي الورد جماعة من اهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من اهل حمص وتدمر فقدم منهم الوف عليهم ابو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ودعوا اليه وقالوا هذا السفياني الذي كان يذكر وهم في نحو من اربعين الفاً فعسكروا بمرج الاخرم ودنا منهم عبد الله بن علي ووجه اليهم اخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف وكان ابو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال فناهضهم القتال وكثر القتل في الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل منهم الوف ولحق بأخيه عبد الله فأقبل عبد الله معه وجماعة القواد فالتقوا ثانية بمرج الاخرم فاقتتلوا

قتالاً شديداً وثبت عبد الله فانهزم اصحاب ابي الورد وثبت هو في نحو من خمسماية من قومه واصحابه فقتلوا جميعاً وهرب ابو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر وامن عبد الله اهل قنسرين وسودوا وبايعوه ودخلوا في طاعته ثم انصرف راجعاً الى اهل دمشق لما كان من تبييضهم فلما دنا منهم هرب الناس ولم يكن منهم قتال وامن عبد الله اهلها وبايعوه ولم يؤآخذهم بما كان منهم .

قال في زبدة الحلب بعد ان انصرف عبد الله بن علي راجعاً الى دمشق اقام بها شهراً فبلغه ان العباس بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان السفياني قد لبس الحمرة وخالف واظهر المعصية بحلب فارتحل نحوه حتى وصل الى حمص فبلغه ان ابا جعفر المنصور وكان يلي الجزيرة وارمينية واذربيجان وجه مقاتل بن حكيم العكى من الرقة في خيل عظيمة لقتال السفياني وان العكى قد نزل منبج فسار عبد الله مسرعاً حتى نزل مرج الاخرم فبلغه ان العكى واقع السفياني وهزمه واستباح عسكره وافتتح حلب عنوة وجمع الغنائم وسار بها الى ابي جعفر المنصور وهو بحران فارتحل عبد الله الى دابق وشتى بها ثم نزل سميساط وحصر فيها اسحق بن مسلم العقيلي حتى سلمها ودخل في الطاعة ثم قدم ابان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك في اربعة آلاف من نخبة من كان مع اسحق بن مسلم فسير اليه حميد بن قحطبة فهزم اباناً ودخل سميساط فسار اليها عبد الله ونازلها حتى افتتحها عنوة .

وكتب اليه ابو العباس السفاح يأمره بالمسير الى الناعورة وان يترك القتال ويرفع السيف عن الناس وذلك في النصف من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومأة وهرب ابو محمد السفياني ومن معه من الكلبية الى تدمر ثم خرج الى الحجاز فظفر به وقتل اهـ

سنة ١٣٣ قال ابن جرير فيها كان الوالي على كور الشام عبد الله بن علي
« ١٣٤ » « » « » « » « » « »
« ١٣٥ » « » « » « » « » « »

١٣٦ قال ابن جرير وفي هذه السنة قدم عبد الله بن علي على ابي العباس السفاح فعقد له ابو العباس على الصائفة في اهل خراسان واهل الشام والجزيرة والموصل فسار فبلغ دلوك ولم يدرب حتى اتته وفاة ابي العباس اه

(ولاية زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي وابي مسلم الخراساني سنة ١٣٧)

قال في زبدة الحلب لما وصل عبد الله بن علي الى دلوك يريد الأدراب كتب اليه عامله بحلب يخبره بوفاة السفاح وبيعة المنصور فرجع من دلوك واتى حران ودعا الى نفسه وزعم ان السفاح جعله ولي عهده وغلب على حلب وقنسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام ولم يبايع المنصور وبايعه حميد بن قحطبة وقواده الذين كانوا معه وولى على حلب زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ابا عبد الله سنة سبع وثلاثين ومائة .

قال ابن الأثير في حوادث سنة ١٣٧ وفي هذه السنة عقد السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لأخيه ابي جعفر عبد الله بن محمد بالخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ومن بعد ابي جعفر ولد اخيه عيسى بن محمد بن علي وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم اهل بيته ودفعه الى عيسى بن موسى فلما توفي السفاح كان ابو جعفر بمكة فأخذ البيعة لأبي جعفر عيسى بن موسى وكتب اليه يعلمه بوفاة السفاح والبيعة له . قال ابن جرير

الطبري وذكر علي بن محمد عن الوليد عن ابيه ان عيسى بن موسى كان قد احرز بيوت الأموال والخزائن والدواوين حتى قدم عليه ابو جعفر الأنبار فبايع الناس له بالخلافة ثم لعيسى بن موسى من بعده فسلم عيسى بن موسى الى ابي جعفر الأمر وقد كان عيسى بن موسى بعث ابا غسان واسمه يزيد بن زياد وهو صاحب ابي العباس الى عبد الله بن علي ببيعة ابي جعفر وذلك بأمر ابي العباس قبل ان يموت حين امر الناس بالبيعة لأبي جعفر من بعده فقدم ابو غسان على عبد الله بن علي بأفواه الدروب متوجها يريد الروم فلما قدم عليه ابو غسان بوفاة ابي العباس وهو نازل بموضع يقال له دلوك امر مناديا فنادى الصلاة جامعة فاجتمع اليه القواد والجند فقرأ عليهم الكتاب بوفاة ابي العباس ودعا الناس الى نفسه واخبرهم ان ابا العباس حين اراد ان يوجه الجنود الى ابي مروان بن محمد دعا بني ابيه فارادهم على المسير الى مروان بن محمد وقال من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي فلم ينتدب له غيري فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت فقام ابو غانم الطائي وخفاف المروروذي في عدة من قواد اهل خراسان فشهدوا له بذلك فبايعه ابو غانم وخفاف وابو الأصبع وجميع من كان معه من اولئك القواد فيهم حميد بن قحطبة وخفاف الجرجاني وحياش بن حبيب ومخارق بن غفار وترارخداو وغيرهم من اهل خراسان والشام والجزيرة وقد نزل تل محمد فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حران وبها مقاتل العكى وكان ابو جعفر استخلفه لما قدم على ابي العباس فاراد مقاتلا على البيعة فلم يجبه وتحصن منه فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حصنه فقتله وسرح ابو جعفر لقتال عبد الله بن علي ابا مسلم الخراساني فلما بلغ عبد الله اقبال ابي مسلم اقام بحران وقال ابو جعفر لأبي مسلم انما هو انا وانت

فسار ابو مسلم نحو عبد الله وهو بحران وقد جمع اليه الجنود والسلاح وخندق وجمع اليه الطعام والعلوفة وما يصلحه ومضى ابو مسلم سائراً من الأنبار ولم يتخلف عنه من القواد احد وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة وكان حميد قد فارق عبد الله بن علي وكان عبد الله اراد قتله وخرج معه ابو اسحاق اخوه وابو حميد واخوه وجماعة من اهل خراسان وكان ابو مسلم استخلف على خراسان حين شخص خالد بن ابراهيم ابا داود . قال الهيثم كان حصار عبد الله بن علي مقاتلاً العكى اربعين ليلة فلما بلغه مسير ابي مسلم اليه وانه لم يظفر بمقاتل وخشي ان يهجم عليه ابو مسلم اعطى العكى امانا فخرج اليه فيمن كان معه واقام معه اياما يسيرة ثم وجهه الى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي الى الرقة ومعه ابناه وكتب اليه كتابا دفعه الى العكى فلما قدموا على عثمان قتل العكى وحبس ابنيه فلما بلغته هزيمة عبد الله بن علي واهل الشام بنصيبين اخرجهما فضرب اعناقهما وكان عبد الله بن علي خشي الا يناصحه اهل خراسان فقتل منهم نحو من سبعة عشر الفاً امر صاحب شرطته فقتلهم . . وكتب لحميد بن قحطبة كتاباً ووجهه الى حلب وعليها زفر بن عاصم وفي الكتاب اذا قدم عليك حميد بن قحطبة فأضرب عنقه فسار حميد حتى اذا كان ببعض الطريق فكر في كتابه وقال ان ذهابي بكتاب ولا اعلم مافيه لغرر ففك الطومار فقرأ فلما رأى مافيه دعا اناساً من خاصته فأخبرهم الخبر وافشى اليهم امره وشاورهم وقال من اراد منكم ان ينجو ويهرب فليسر معي فاني اريد ان آخذ طريق العراق واخبرهم ماكتب به عبد الله بن علي في امره وقال لهم من لم يرد منكم ان يحمل نفسه على السير فلا يفشين سري وليذهب حيث احب قال فأتبعه على ذلك ناس من اصحابه فأمر حميد بدوابه

فانملت وانمل اصحابه دوابهم وتأهبوا للسير معه ثم فوز بهم وتنكب الطريق فأخذ على ناحية من الرصافة رصافة هشام بالشام وبالرصافة يومئذ مولى لعبد الله بن علي يقال له سعيد البربري فبلغه ان حميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن علي واخذ في المفازة فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه فلحقه ببعض الطريق فلما بصر به حميد ثنى عنان فرسه نحوه حتى لقيه فقال له ويحك اما تعرفني والله مالك في قتالي من خير فارجع فلا تقتل اصحابي واصحابك فهو خير لك فلما سمع كلامه عرف ما قال له فرجع الى الرصافة ومضى حميد ومن كان معه فقال له صاحب حرسه موسى بن ميمون ان لي بالرصافة جارية فان رأيت ان تأذن لي فآتيها واوصيها ببعض ما اريد ثم الحقك فأذن له فاتاها فاقام عندها ثم خرج من الرصافة يريد حميداً فلقيه سعيد البربري مولى عبد الله بن علي فأخذه فقتله واقبل عبد الله بن علي حتى نزل نصيبين وخندق عليه واقبل ابو مسلم وكتب ابو جعفر الى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بأرمينيا ان يوافي ابا مسلم فقدم الحسن بن قحطبة على ابي مسلم وهو بالموصل واقبل ابو مسلم فنزل ناحية لم يعرض له واخذ طريق الشام وكتب الى عبد الله اني لم اومر بقتالك ولم اوجه له ولكن امير المؤمنين ولاني الشام وانما اريدها فقال من كان مع عبد الله من اهل الشام لعبد الله كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا ولكنا نخرج الى بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله ان قاتلنا فقال لهم عبد الله بن علي انه والله ما يريد الشام وما وجه الا لقتالكم ولئن اقمتم ليأتينكم قال فلم تطب انفسهم وابوا الا المسير الى الشام.

قال واقبل ابو مسلم فعسكر قريباً منهم وارتحل عبد الله بن علي من عسكره متوجهاً نحو الشام وتحول ابو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله بن علي في موضعه وغوّر

ما كان حوله من المياه والقى فيها الجيف وبلغ عبد الله بن علي نزول ابي مسلم فى معسكره فقال لاصحابه من اهل الشام ام اقل لكم واقبل فوجد ابا مسلم قد سبقه الى معسكره فنزل فى موضع عسكر ابي مسلم الذي كان فيه فاقتتلوا اشهراً خمسة او ستة واهل الشام اكثر فرساناً واكمل عدة وعلى ميمنته عبد الله بكار بن مسلم العقيلي وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدي وعلى الخيل عبد الصمد بن علي وعلى ميمنة ابي مسلم الحسن بن قحطبة وعلى الميسرة ابو نصر حازم بن خزيمة فقاتلوا شهراً .

قال علي قال هشام بن عمرو التغلبي كنت فى عسكر ابي مسلم فتحدث الناس يوماً فقيل اي الناس اشد فقال قولوا حتى اسمع فقال رجل اهل خراسان وقال آخر اهل الشام فقال ابو مسلم كل قوم فى دولتهم اشد الناس . قال ثم التقينا فحمل علينا اصحاب عبد الله بن علي فصدمونا صدمة ازالونا بها عن مواضعنا ثم انصرفوا وشد علينا عبد الصمد في خيل مجردة فقتل منا ثمانية عشر رجلاً ثم رجع في اصحابه ثم تجمعوا فرموا بأنفسهم فأزالوا صفنا وجلنا جولة فقلت لابي مسلم لو حركت دابتي حتى اشرف هذا التل فاصيح بالناس فقد انهزموا فقال افعل قال قلت وانت ايضاً فتحرك دابتك فقال ان اهل الحجى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ناد يا أهل خراسان ارجعوا فان العاقبة لمن اتقى قال ففعلت فتراجع الناس وارتجز ابو مسلم يومئذ فقال

من كان ينوي اهله فلا رجع   فر من الموت وفي الموت وقع

قال وكان قد عمل لابي مسلم عريش فكان يجلس عليه اذا التقى الناس فينظر الى القتال فأن رأى خللاً في الميمنة او في الميسرة ارسل الى صاحبها ان في ناحيتك انتشاراً فاتق الا تؤتى من قبلك فافعل كذا قدم خيلك كذا او تأخر كذا الى

موضع كذا فأنما رسله تختلف اليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض .
قال فلما كان يوم الثلاثا او الاربعا لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة ١٣٦ او ١٣٧ التقوا فاقتتلوا قتالا شديداً فلما رأى ذلك ابو مسلم مكر بهم فأرسل الحسن بن قحطبة وكان على ميمنته ان اغر الميمنة وضم اكثرها الى الميسرة وليكن في الميمنة حماة اصحابك واشداؤهم فلما رأى ذلك اهل الشام اعزوا ميسرتهم وانضموا الى ميمنتهم بأزاء ميسرة ابي مسلم ثم ارسل ابو مسلم الى الحسن ان مر اهل القلب فليحملوا مع من بقى في الميمنة على ميسرة اهل الشام فحملوا فحطموهم وجال اهل القلب والميمنة قال وركبهم اهل خراسان فكانت الهزيمة . فقال عبد الله بن علي لابن سراقة الازدي ما ترى قال ارى والله ان تصبر وتقاتل حتى تموت فان الفرار قبيح بمثلك وقيل عتبه على مروان فقلت قبح الله مروان جزع من الموت ففر قال اني آتي العراق قال فانا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم فاحتواه ابو مسلم وكتب بذلك الى ابي جعفر فأرسل ابو جعفر ابا الخصيب مولاه يحصي ما اصابوا في عسكر عبد الله بن علي فغضب من ذلك ابو مسلم .
قال ابن الأثير لما انهزم عبد الله وجمع ابو مسلم ما غنم من عسكره بعث ابو جعفر ابا الخطيب الى ابي مسلم ليكتب ما اصاب من الاموال فاراد ابو مسلم قتله فتكلم فيه فخلى سبيله وقال انا امين على الدماء خائن في الاموال وشتم المنصور فرجع ابو الخطيب الى المنصور فأخبره فخاف ان يمضي ابو مسلم الى خراسان فكتب اليه اني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان فوجه الى مصر من احببت واقم بالشام فتكون بقرب امير المؤمنين فان احب لقاءك أتيته من قريب فلما أتاه الكتاب غضب وقال يوليني الشام ومصر وخراسان لي فكتب الرسول الى المنصور بذلك واقبل ابو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف وخرج عن وجهه

يريد خراسان ثم ساق ابن الأثير بقية ما جرى بين ابي مسلم والمنصور الى ان قتله المنصور في هذه السنة وهذا خارج عن موضوع كتابنا اذ لا علاقة له بهذه البلاد

﴿ ترجمة عبد الله بن علي ﴾

قال في عيون التواريخ لابن شاكر في حوادث سنة ١٤٧ فيها توفي عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم السفاح والمنصور ولاه السفاح حروب مروان بن محمد وبني امية وضمن له ان جرى قتل مروان على يده ان يجعله الخليفة من بعده فسار عبد الله الى مروان حتى قتله واستولى على الشام ولم يزل اميراً عليها مدة خلافة السفاح ثم تغيرت نية السفاح له فعهد الى المنصور فلما ولي المنصور خالف عليه عبد الله ودعا الى نفسه محتجا بما كان السفاح وعده فوجه اليه المنصور ابا مسلم صاحب الدعوة فحاربه بنصيبين فانهزم عبد الله واختفى وسار الى البصرة الى اخيه سليمان بن علي فاقام عنده الى ان اخذ له امانا من المنصور ثم ان المنصور حبسه فلم يزل في الحبس حتى وقع عليه البيت وقيل ان المنصور قال يوما لجلسائه اخبروني عن ملك جبار اول اسمه عين قتل ثلاثة اول اسمائهم عين فقال احد من حضر عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق وعبد الله ابن الزبير وعبد الله ابن الاشعث قال فخليفة آخر اول اسمه عين فقال انت يا امير المؤمنين قتلت ابا مسلم واسمه عبد الرحمن وقتلت عبد الجبار فقال المنصور ويلك ومن هو الثالث قال سقط البيت على عمك عبد الله بن علي فضحك وقال ويلك اذا كان البيت سقط فما ذنبي انا ثم قال اتعرفون عين بن عين بن عين قتل ميم بن ميم بن ميم قال له رجل نعم عمك عبد الله بن علي بن عبد الله قتل مروان بن محمد بن مروان .

وزفر بن عاصم بن عبد الله لم اقف له علي ترجمة

﴿ ترجمة ابي مسلم الخراساني ﴾

قد ذكرنا فى الحوادث خبر مجيئه الى هذه البلاد بالجيوش لمقاتلة عبد الله بن علي عم السفاح وما حصل بينهما الى ان انهزم عبد الله بن علي وابو مسلم هذا هو القائم بالدعوة العباسية والمشيد لأركان خلافتهم والرافع لمنارها واخبار قيامه ووقائعه كثيرة مبسوطة في ابن الأثير وغيره من مبسوطات التواريخ وبالجملة فهو من دهاة الرجال ونابغى ذلك العصر وله فى ابن خلكان ترجمة حافلة نقتصر منها على مايأتي قال. هو ابو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الخراساني كان ابوه من رستاق فريدين من قرية تسمى سنجرد وقيل انه من قرية يقال لها ماخوان على ثلاثة فراسخ من مرو وكانت هذه القرية له مع عدة قرى وكان بعض الأحيان يجلب الى الكوفة المواشي ثم انه قاطع على رستاق فريدين فلحقه فيه عجز وانفذ عامل البلد اليه من يشخصه الى الديوان وكان له عند اذين بنداد ابن وسيحان جارية اسمها وشيكة جلبها من الكوفة فأخذ الجارية معه وهي حامل وتنحى عن مودى خراجه آخذا الى اذربيجان فاجتاز على رستاق فايق بعيسى بن معقل بن عمير اخي ادريس بن معقل جد ابي دلف العجلي فأقام عنده اياما فرأى فى منامه كانه جلس للبول فخرج من احليله نار فارتفعت فى السماء وسدت الآفاق واضاءت الأرض ووقعت بناحية المشرق فقص رؤياه على عيسى بن معقل فقال له ما اشك ان فى بطنها غلاماً ثم فارقه ومضى الى اذربيجان ومات بها ووضعت الجارية ابا مسلم ونشأ عند عيسى فلما ترعرع اختلف مع ولده الى المكتب فخرج اديباً لبيباً يشار اليه في صغره ثم

ساق بقية ماكان من امره الى ان اهدى الى الأمام ابراهيم بن محمد العباسي ثم ولاه الأمام خراسان وكان من امره ما كان الى ان قال ووصف المدائني ابا مسلم فقال كان قصيراً اسمر جميلاً حلواً نقي البشرة احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت فصيحاً بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالماً بالأمور لم ير ضاحكاً ولا مازحاً الا في وقته ولا يكاد يقطب في شيء من احواله تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه اثر السرور وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئباً واذا غضب لم يستفزه الغضب ولا يأتي النساء في السنة الامرة واحدة ويقول الجماع جنون ويكفي الأنسان ان يجن في السنة مرة وكان من اشد الناس غيرة لايدخل قصره غيره وكان في القصر كوى يطرح لنسائه منها مايحتجن اليه قالوا وليلة زفت اليه امرأته امر بالبرذون الذي ركبته فذبح واحرق سرجه لئلا يركبه ذكر بعدها وقال ابن شبرمه اصلح الله الأمير من اشجع الناس قال كل قوم في اقبال دولتهم وكان اقل الناس طمعاً واكثرهم طعاماً ولما حج نادى في الناس برئت الذمة ممن اوقد ناراً فكفى العسكر ومن معه امر طعامهم وشرابهم في ذهابهم وايابهم ومنصرفهم وهربت الأعراب فلم يبق في المناهل منهم احد لما كانوا يسمعونه من سفكه الدماء قتل في دولته ستماية الف صبرا فقيل لعبد الله بن المبارك ابو مسلم خير ام الحجاج قال لا اقول ان ابا مسلم كان خيراً من احد ولكن الحجاج كان شراً منه وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وكان اول ظهوره بمرو سنة تسع وعشرين ومماية وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما صنعه ودبره وكان ابو مسلم عند ذلك ينشد في كل وقت

ادركت بالحزم والكتمان ماعجزت عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
مازلت اسعى بجهدي فى دمارهم والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

ولما مات السفاح في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وتولى الخلافة اخوه ابو جعفر وهو بمكة صدرت من ابى مسلم اسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه فعزم على قتله وبسط المؤرخون الأسباب التي اتخذها الى ان ظفر به وقتله قال ابن خلكان وكان قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة برومية المدائن .

قال ابن الأثير وكان ابو مسلم نازكاً شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ومروءة وقيل له بما نلت ما انت فيه من القهر للأعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الأحزان والأشجان وسامحت المقادير والأحكام حتى بلغت غاية همتي وادركت نهاية بغيتي ثم انشد الأبيات المتقدمة .

وقال ايضاً ان ابامسلم ورد نيسابور على حمار بأكاف وليس معه آدمي فقصد في بعض الليالي دار الفاذوسيان فدق عليه الباب ففزع اصحابه وخرجوا اليه فقال لهم قولوا للدهقان ان ابا مسلم بالباب ويطلب منك الف درهم ودابة فقالوا له ان ذلك فقال الدهقان في اي زي هو واي عدة فأخبروه انه وحده في ادون زى فسكت ساعة ثم دعا بألف درهم ودابة من خواص دوابه واذن له وقال ياابا مسلم قد اسعفناك بما طلبت وان عرضت حاجة اخرى فبين يديك فقال ماتضيع لك مافعلته فلما ملك قال له بعض اقاربه ان فتحت نيسابور اخذت كل ماتريده من مال الفاذوسيان دهقانها المجوسي فقال ابو

مسلم له عندنا يد فلما ملك نيسابور اتته هدايا الفاذوسيان فقيل له لا تقبلها واطلب منه الأموال فقال له عندي يد ولم يتعرض له ولا لأحد من اصحابه واموالهِ وهذا يدل على علو همة وكمال مروءة اه

[ولاية صالح بن علي بن عبد الله بن العباس من سنه ١٣٧ الى ١٥٢]

قال فى زبدة الحلب ولما عاد ابو مسلم من الشام ولى المنصور حلب وقنسرين وحمص صالح بن علي بن عبد الله بن العباس سنة سبع وثلاثين ومائة فنزل حلب فابتني بها خارج المدينة قصراً يقال له بطياس بالقرب من النيرب وآثاره باقية الى الآن ومعظم اولاده ولدوا ببطياس وقد ذكرها البحتري وغيره في اشعارهم واغزا الصائفة مع ابنه الفضل فى سنة تسع وثلاثين ومائة بأهل الشام وهي اول صائفة غزيت فى خلافة بنى العباس وكانت انقطعت الصوائف فى ايام بنى امية قبل ذلك بسنين ودام صالح فى ولاية حلب الى ان مات فى سنة اثنين وخمسين ومائة ورأيت فلوساً عتيقة فتتبعت ما عليها مكتوب فاذا احد الجانبين مكتوب عليه [ضرب هذا الفلس بمدينة حلب سنة ست واربعين ومائة] وعلى الجانب الآخر [مما امر به الأمير صالح بن علي اكرمه الله]اه

قال في الكواكب المضية قال الشيخ علاء الدين بن خطيب الناصرية الطائى الشافعي رحمه الله تعالى وقد نزل حلب المحروسة جماعة من بنى هاشم واختاروها دون بقية البلاد منهم صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وابتنى قصره ببطياس وكان على الرابية المشرفة على النيرب من جهة الغرب والشمال وموضع اسطبله عن يمين المتوجه والطريق بينهما وسكنه هو وبنوه وقال ابن

خلمكان وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان شرقي حلب وتوفي صالح بن علي المذكور سنة اثنين وخمسين ومائة وهو على قنسرين وحمص وعمره ثمان وخمسون سنة .

قال ابن الأثير فى حوادث سنة تسع وثلاثين ومائة وفي هذه السنة فرغ صالح بن علي والعباس بن محمد من عمارة ماخربه الروم من ملطية ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا فى ارض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة بنتا علي وكانتا نذرتا ان زال ملك بنى امية ان تجاهدا فى سبيل الله اه

(ولاية الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس من سنه ١٥٢ الى سنه ١٥٤)

قال فى زبدة الحلب ولما مات صالح تولى حلب وقنسرين بعده ولده الفضل بن صالح واختار له النقبة بحلب فسكنها واقام بحلب والياً مدة اه

وقال في الكواكب المضية قال الصاحب سكن الفضل بن صالح حلب واختار محلة العقبة فبنى دوره فيها وهي اشرف نواحى حلب وافضلها اه

وقال فيه كان الفضل عالماً فاضلاً ناله نقرس فدخل اليه ابوه يعوده فقال له كيف انت فقال

اشكوا الى الله ماأصبت به　　من علة في اسافل القدم
كأننى لم اطأ بها كبدا　　من حاسد سر قلبه ألمي
فالحمد لله لا شريك له　　لحمي للأرض بعدها ودمي
ما من صحيح الا ستنقله　　الأيام من صحة الى سقم

ومن شعره

وسدته المدام احدى يديه　　　وتمشت بالنوم فى مقلتيه

صاحب ما منحته الود الا　　　بعد علم من .. لديه [١]

يا كريما علي تفديك نفسي　　　من اخ لم ازل كريما عليه

وانشد له حمزة الأصبهاني فى كتاب الأوصاف في البهار

كم في الربيع بساتينا ومنتزها　　　فالنور مختلف والروض مشتبه

ترى البهار صفوفا في جوانبه　　　كانها اعين تغفى وتنتبه

قال ابن شاكر فى عيون التواريخ فى حوادث سنة ١٧٢ وفيها توفي الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس امير دمشق وولي الديار المصرية ايضاً وهو الذي عمل ابواب جامع دمشق وبنى القبة التي في الصحن وتعرف بقبة المال وهو ابن عم المنصور والسفاح رحمهم الله تعالى .

وقال فى الكواكب المضية قال الطبري ولد الفضل بن صالح سنة اثنين وعشرين ومائة ومات بعانات من ارض الجزيرة عند منصرفه من العراق وتبره بها اه

ولاية موسى بن سليمان الخراسانى من سنة ١٥٤ الى ١٥٨

قال فى زبدة الحلب ثم ولى المنصور بعده (اى بعد الفضل بن صالح) موسى بن سليمان الخراسانى ومات المنصور سنة ثمان وخمسين وموسى على قنسرين وحلب . ورأيت فلوساً عتيقة فقرأت عليها (ضرب هذا الفلس بقنسرين سنة سبع وخمسين ومايه) وعلى الجانب الآخر (مما امر به الأمير موسى مولى

[١] هكذا فى الاصل ولعله مما يكون لديه

امير المؤمنين)

قال ابن جرير الطبري في حوادث سنة ١٥٤ وفي هذه السنة عزم المنصور فيما ذكر على بناء مدينة الرافقة فذكر عن محمد بن جابر عن ابيه ان ابا جعفر لما اراد بناءها امتنع اهل الرقة وارادوا محاربته وقالوا تعطل علينا اسواقنا وتذهب بمعائشنا وتضيق منازلنا فهم بمحاربتهم وبعث الى راهب في الصومعة هنالك فقال له هل لك علم بأن انسانا يبني ههنا مدينة فقال بلغني ان رجلاً يقال له مقلاص يبنيها فقال انا والله مقلاص اه وقال في حوادث سنة ١٥٥ وفيها وجه المنصور ابنه المهدى لبناء الرافقة فشخص اليها فبناها على بناء مدينة بغداد في ابوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسوّر سورها وخندقها ثم انصرف الى مدينته وقال في حوادث سنة ١٥٨ وفيها انصرف المهدى الى مدينة السلام من الرقه فدخلها في شهر رمضان اه قال في معجم البلدان (الرافقه) الفاء قبل القاف قال احمد ابن الطيب الرافقه بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع قال وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل وهي على هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه اسواقها وقد خرب بعض اسواق الرقة قلت هكذا كانت اولاً فاما الآن فأن الرقة قد خربت وغلب اسمها على الرافقه وصار اسم المدينة الرقه وهي من اعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير . قال احمد بن يحيى لم يكن للرافقه اثر قديم انما بناها المنصور في سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد ورتب بها جنداً من اهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولي عهده ثم ان الرشيد بنى قصورها وكان فيما بين الرقة والرافقه فضاء وارض ومزارع فلما قام علي ابن سليمان بن علي والياً على الجزيرة نقل اسواق الرقة الى تلك الأرض .

وكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق فلما قدم الرشيد الرقة استزاد في تلك الأسواق وكان يأتيها ويقيم بها فحدث مدة طويلة اه

ولاية الهيثم بن علي سن سنة ١٥٨ الى ١٥٩

لم اجد نقل تعيينه وانما وجدت نقل عزله فى هذه السنة قال ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١٥٨ فيها عزل الهيثم بن علي عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل بن صالح .

(ولاية الفضل بن صالح من سنة ١٦٠ الى ١٦٢)

قال ابن جرير في حوادث سنة ١٦٠ وفيها كان على الجزيرة الفضل بن صالح وقال ابن الأثير في حوادث سنة ١٦١ وفيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم مع مخائيل فى ثمانين الفا فاتى عمق مرعش فقتل وسبي وغنم واتى مرعش فحاصرها فقاتلهم فقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن علي مرابطاً بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدي فعظم عليه وتجهز لغزو الروم على ما سنذكره سنة اثنين وستين ومائة فلم يكن للمسلمين صائفة من اجل ذلك اه

(ولاية عبد الصمد بن علي من سنة ١٢٦ الى ١٦٣)

قال ابن جرير في حوادث سنة ١٦٢ ان الجزيرة كانت في هذه السنة الى عبد الصمد بن علي وقال في حوادث هذه السنة ذكر ان عبد السلام بن هاشم اليشكرى خرج بالجزيرة وكثر بها اتباعه واشتدت شوكته فلقيه قواد المهدى عدة .منهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فوجه اليه المهدي الجنود فكتب غير واحد من القواد منهم شبيب بن واج

المروزذي ثم ندب الى شبيب الف فارس واعطى كل رجل منهم الف درهم معونة والحقهم بشبيب فوافوه فخرج شبيب في اثر عبد السلام فهرب منهم حتى اتى قنسرين فلحقه بها فقتله اه . قال ابو الفدا في حوادث سنة ١٨٥ فيها مات عم المنصور عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان في القرب الى عبد مناف بمنزلة يزيد بن معاوية وبين موتهما مايزيد على مائة وعشرين سنة . وقال ابن جرير في حوادث هذه السنة فيهامات عبد الصمد بن علي ببغداد ولم يكن ثغر فقط فأدخل القبر بأسنان الصبي وماانقص له سن اه

ولاية زفر بن عاصم الهلالي سنة ١٦٣ ثم عزله فيها (وولاية عبد الله بن صالح بن علي)

قال ابن الأثير في حوادث سنة ١٦٣ في هذه السنة تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الأجناد من خراسان وغيرها وسار عنها وكان قدتوفي عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس في جمادى الآخرة وسار المهدي من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي واستصحب معه ابنه هرون الرشيد وسار على الموصل والجزيرة وعزل عنها عبد الصمد بن علي في مسيره ذلك .

وقال بن جرير في حوادث سنة ١٦٣ وفي هذه السنة سنة مسير المهدي مع ابنه هارون عزل المهدي عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي والسبب في عزله ان المهدي سلك في سفرته هذه طريق الموصل وعلى الجزيرة عبد الصمد بن علي فلما شخص المهدي من الموصل وصار بأرض الجزيرة لم يتلقه عبد الصمد ولاهيأ له نزلا ولا اصلح له قناطر فاضطغن ذلك عليه المهدي فلما لقيه تجهمه واظهر له جفاء فبعث اليه عبد الصمد بألطاف لم

يرضها فردها عليه وازداد عليه سخطاً وامر بأقامة النزل له فتعبث في ذلك وتقنع ولم يزل يربي مايكرهه الى ان نزل حصن مسلمة فدعا به وجرى بينهما كلام اغلظ له فيه القول المهدي فرد علية عبد الصمد ولم يحتمله فأمر بحبسه وعزل عن الجزيرة ولم يزل في حبسه في سفره ذلك وبعد ان رجع رضي عنه واقام له العباس بن محمد النزل . قال ابن الأثير ولما حاز المهدي قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن علي (هو عم المهدى كما في ابن خلدون) للمهدي ان لمسلمة في اعناقنا منة كان محمد ابن علي مر به فاعطاه اربعة الآف دينار وقال له اذا نفدت فلاتحتشمنا فأحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وامر لهم بعشرين الف دينار واجرى عليهم الأرزاق وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين (وفي ابن جرير بعث وهو بحلب عبد الجبار المحتسب لجلب من بتلك الناحية من الزنادقة ففعل واتاه بهم وهو بدابق فقتل جماعة منهم وصلبهم واتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين ثم عرض بها جنده وامر بالرحلة) وسار عنها (عن حلب اودابق) مشيعاً لأبنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هرون ومعه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والربيع والحسن بن قحطبه والحسن وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك وكان اليه امر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالوا فحصره هرون ثمانية وثلاثين يوماً ونصب عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالأمان ووفى لهم وفتحوا فتوحاً كثيرة ولما عاد المهدي من الغزاة زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور والعباس بن محمد بن علي والفضل بن صالح بن علي وعلي بن سليمان بن علي وقفل المسلمون سالمين الا من قتل منهم وعزل المهدي ابراهيم بن صالح عن فلسطين ثم رده

ثم قال وفي هذه السنة ولى المهدي ابنه هرون المغرب كله واذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك . وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الله بن صالح بن علي اه

قال ابن جرير وكان المهدي نزل عليه في مسيره الى بيت المقدس فاعجب بما رأى من منزله بسلمية .

[سنة ١٦٥]

[غزو الرشيد بلاد الروم وبلوغه القسطنطينية]

قال ابن جرير فيها غزا هرون بن محمد المهدي الصائفة وجهه ابوه فيما ذكر يوم السبت لأحد عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيا الى بلاد الروم في خمسة وتسعين الفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً وضم اليه الربيع مولاه فوغل هرون في بلاد الروم فافتتح ماجده ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد فأرجل يزيد ثم سقط نقيطا فضربه يزيد حتى اثخنه وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وساروا الى الدمستق بنقموديه وهو صاحب المسالح فحمل لهم من العين مائة الف دينار واربعة وتسعين الفاً واربعماية وخمسين ديناراً ومن الورق احداً وعشرين الف الف واربعماية الف واربعة عشر الفاً وثمانمائة درهم وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ اغسطه امرأة اليون وذلك ان ابنها كان صغيراً قد هلك ابوه وهو في حجرها فجرت بينها وبين هارون ابن المهدي الرسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة واعطاء الفدية فقبل ذلك منها هارون وشرط عليها

الوفاء بما اعطت له وان تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه وذلك انه دخل مدخلاً صعبا مخوفا على المسلمين فأجابته الى ما سأل والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون او سبعون الف دينار تؤديها في نيسان الأول في كل سنة وفي حزيران فقبل ذلك منها فأقامت له الأسواق في منصرفه ووجهت معه رسولاً الى المهدي بما بذلت على ان تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة والعرض وكتبوا كتاب الهدنة الى ثلاث سنين وسلمت الأسارى وكان الذي افاء الله على هارون الى ان اذعنت الروم بالجزية خمسة الآف رأس وستمائة وثلاثة واربعين رأساً وقتل من الروم في الوقائع اربعة وخمسون الفاً وقتل من الأسارى صبرا الفان وتسعون اسيرا ومما افاء الله عليه من الدواب الذلل بأدواتها عشرون الف دابة وذبح من البقر والغنم مائة الف رأس وكانت المرتزقة سوى المطوعة واهل الأسواق مائة الف وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفاً بدرهم فقال مروان بن ابي حفصة في ذلك

اطفتَ بقسطنطينية الروم مُسنِدا اليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى اتتك ملوكها بجزيتها والحرب تغلي قدورها

وقال في حوادث سنة ١٦٦ وقفل هارون ومن كان معه من خليج القسطنطينية فى المحرم لثلاث عشرة ليلة بقيت منه .

﴿ ولاية علي بن سليمان سنة ١٦٨ ﴾

لم اقف على تاريخ تعيينه لكنه فى هذه السنة كان والياً على هذه البلادمن قبل الرشيد قبل ان يلي الخلافة

قال ابن جرير في حوادث السنة المذكورة فيها نقض الروم الصلح الذي كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدي وغدروا وذلك في شهر رمضان من هذه السنة فكان بين اول الصلح وغدر الروم ونكثهم اثنان وثلاثون شهراً فوجه علي بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقنسرين يزيد بن بدر البطال في سرية الى الروم فغنموا وظفروا اهـ

[سنة ١٧٠]

في هذه السنة ولي هرون الرشيد الخلافة قال ابن جرير وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحداً وسميت العواصم اهـ

قال ياقوت العواصم هو جمع عاصم وهو المانع ومنه قوله تعالى [لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم] وهو صفة فلذلك دخله الألف واللام والعواصم حصون مواقع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي وزعم بعضهم ان حلب ليست منها وبعضهم يزعم انها منها ودليل من قال انها ليست منها انهم اتفقوا على انها من اعمال قنسرين وهم يقولون قنسرين والعواصم والشيء لا يعطف على نفسه وهو دليل حسن والله اعلم . وقال احمد بن محمد بن جابر لم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جندا فلما استخلف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيره جندا وافرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من

الثغر وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك بن صالح بن عبد الله بن عباس فى سنة ١٧٣ فبنى فيها ابنية مشهورة وذكرها المتنبي فى مدح سيف الدولة

لقد اوحشت ارض الشام طرًّا سلبت ربوعها ثوب البهاء
تنفسُ والعواصم منك عشرًا فيوجد طيب ذلك فى الهواء

ولم اقف على من ولي امر هذه البلاد سنة ١٦٩ وسنة ١٧٠ من طرف الرشيد حينما كان واليًا عامًا على هذه البلاد قبل ان يلي الخلافة ومن وليها سنة ١٧١ بعد ان وليها ويغلب على الظن انها ظلت على علي بن سليمان

[سنة ١٧٢]

قال ابن جرير غزا الصائفة فيها اسحق بن سليمان بن علي

﴿ ولاية عبد الملك بن صالح بن علي من سنة ١٧٣ الى ١٧٥ ﴾

تقدم النقل عن ياقوت فى معجم البلدان انه ولي العواصم من قبل الرشيد عبد الملك بن صالح سنة ١٧٣ وقال ابن جرير فى حوادث سنة ١٧٤ و ١٧٥ فيهما غزا الصائفة عبد الملك بن صالح قال فى زبدة الحلب لما افضى الأمر الى الرشيد ولى حلب وقنسرين عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله فأقام بمنبج وابتنى بها قصرًا لنفسه وبستانًا الى جانبه ويعرف البستان الى يومنا هذا ببستان القصر وكانت ولايته سنة خمس وسبعين ومائة ثم صرفه لأمر عتب عليه فيه

﴿ ولاية موسى بن عيسى سنة ١٧٦ ﴾

[ثم ولاية موسى بن يحيي بن خالد بن برمك في هذه السنة]

قال ابن جرير في حوادث هذه السنة فيها هاجت العصبية بالشام بين النزارية واليمانية ورأس اليمانية يومئذ ابو الهيذام وعامل السلطان بالشام موسى بن عيسى فقتل بين النزارية واليمانية على العصبية من بعضهم لبعض بشر كثير فولى الرشيد موسى بن يحيي بن خالد الشام وضم اليه من القواد والأجناد ومشايخ الكتاب جماعة .

وغزا الصائفة فى هذه السنة عبد الرحمن بن عبد الملك فافتتح حصنا

« ترجمة موسى بن يحيي بن خالد »

قال فى مختصر الذهبي موسى بن يحيي بن خالد بن برمك من كبار امراء الدولة ولاه الرشيد امرة الشام في ايام فتنة ابي الهيذام فقدم واصلح بين النزارية واليمانية وكان شاباً شجاعاً كافيا ذا دهاء ورأي .عزم المأمون ان يوليه ثغر السند لشجاعته حكى عنه ابنه هرون والأصمعي وعلي بن المديني قال الذهبي لا اعلم متى توفي اه

سنة ١٧٧ غزا الصائفة فيها عبد الرزاق بن عبد الحميد الثعلبي

سنة ١٧٨ غزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم

(ولاية جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك سنة ١٨٠)

[وعيسى بن العكي في هذه السنة]

قال ابن جرير في حوادث هذه السنة ومما كان فيها من ذلك العصبية التي هاجت بالشام بين اهلها ولما حدثت وتفاقم امرها اغتم بذلك من امرهم

الرشيد فعقد لجعفر بن يحيي على الشام وقال له اما ان تخرج انت او اخرج انا فقال له جعفر بل اقيك بنفسي فشخص في جملة القواد والكراع والسلاح وجعل على شرطه العباس بن محمد بن المسيب بن زهير وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة فأتاهم واصلح بينهم وقتل زواقيلهم والمتلصصة منهم ولم يدع بها رمحاً ولا فرساً فعادوا الى الأمن والطمأنينة واطفاء تلك النائرة واستخلف على الشام عيسى بن العكى وانصرف فازداد الرشيد له اكراماً .

وفيها شخص الرشيد من مدينة السلام مريداً الرقة على طريق الموصل ولما وصل الموصل هدم سورها بسبب الخوارج الذين خرجوا منها ثم مضى الرقة فنزلها واتخذها وطناً اه قال في القاموس في مادة (السلم) وقصر السلام للرشيد بالرقة

ترجمة جعفر بن يحيى البرمكي

للبرامكة اخبار كثيرة في كتب التاريخ والادب وجعفر هذا نابغة آلهم وواسطة عقدهم وله في تاريخ ابن خلكان ترجمة حافلة واسعة نقتطف اليسير منها هنا ونذكر بعضها في ترجمة عبد الملك بن صالح بن علي الآتية قريباً ومن احب الوقوف عليها بتمامها فليرجع اليها في هذا التاريخ قال

هو ابو الفضل جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك بن جاماس بن يستاشف البرمكي وزير هرون الرشيد كان من علو القدر ونفاذ الامر وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة عند هرون الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها وكان سمح الاخلاق طلق الوجه ظاهر البشر . اما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان اشهر من ان يذكر وكان من ذوي الفصاحة والمشهورين باللسن والبلاغة ويقال انه وقع ليلة

بحضرة هرون الرشيد زيادة على الف توقيع ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه وكان ابوه ضمه الى القاضي ابي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه ذكره ابن القادسي في كتاب اخبار الوزراء . واعتذر رجل اليه فقال له جعفر قد اغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار الينا واغنانا بالمودة لك عن سوء الظن بك . ووقع الى بعض عماله وقد شكي منه قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت . ومما ينسب اليه من الفطنة انه بلغه ان الرشيد مغموم ، لأن منجماً يهودياً زعم انه يموت في تلك السنة يعني الرشيد وان اليهودي في يده فركب جعفر الى الرشيد فرآه شديد الغم فقال لليهودي انت تزعم ان امير المؤمنين يموت الى كذا وكذا يوماً قال نعم قال وانت كم عمرك قال كذا وكذا امداً طويلا فقال للرشيد اقتله حتى تعلم انه كذب في امدك كما كذب في امده فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك وامر بصلب اليهودي فقال اشجع السلمي في ذلك

سل الراكب الموفي على الجذع هل رأى لراكبه نجماً بدا غير اعور
ولو كان نجم مخبراً عن منية لاخبره عن رأسه المتحير
يعرفنا موت الامام كأنه يعرفنا انباء كسرى وقيصر
اتخبر عن نحس لغيرك شؤمه ونجمك بادي الشر ياشر مخبر

ومضى دم المنجم هدراً بحقه . وكان جعفر من الكرم وسعة العطايا كما هو مشهور ويقال انه لما حج اجتاز في طريقه بالعقيق وكانت سنة مجدبة فاعترضته امرأة من بني كلاب وانشدته

اني مررت على العقيق واهله يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرهم اذ جعفر جار لهم ان لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء .

ثم ساق ابن خلكان الأسباب التى دعت الرشيد ان يتغير عليه وعلى آل برمك كافة وقد اختلف فيها المؤرخون ولعلها كلها اسباب قوى بعضها بعضا الى ان طفح الكيل مع الرشيد فأوقع بهم ونكبهم وقتل جعفر هذا سنة ١٨٧ ثم قال ابن خلكان ومن اعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان بن عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة [بارزة المحاسن] في ثياب رثة فقالت لي والدتي اتعرف هذه قلت لا قالت هذه ام جعفر البرمكي فأقبلت عليها بوجهي واكرمتها وتحادثنا زمانا ثم قلت يا امه ما اعجب ما رأيت فقالت لقد اتى علي يابني عيد مثل هذا وعلى رأسي اربعمائة وصيفة واني لأعد ابني عاقا لى ولقد اتى على يا بنى هذا العيد وما مناى الاجلد شاتين افترش احدهما والتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائه درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا اه

وقال ابن خلكان فى ترجمة يحى بن خالد ولما قتل هرون الرشيد جعفر بن يحى حبس يحى وابنه الفضل وكان حبسهما فى الرافقة وهى الرقة القديمة مجاورة الرقة الجديدة وهي البلدة المشهورة الآن على شاطئ الفرات ويقال لهما الرقتان تغليبا لأحد الأسمين على الآخر ولم يزل يحي في حبس الرافقة الى ان مات فى الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن فى شاطئ الفرات فى ربض هرثمة ووجد فى جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه فى الأثر والقاضى هو الحكم العدل الذي لايجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد ولم يزل

يبكي يوم كله وبقي اياماً يتبين الأسى في وجهه رحمهما الله تعالى وقال في ترجمة الفضل بن يحيى ان ولادته كانت سنة سبع واربعين ومائة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة في المحرم في السجن غداة جمعة بالرقة ولما بلغ الرشيد موته قال امري قريب من امره وكذا كان فأنه توفي في هذه السنة في جمادى الآخرة وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة ان الفضل كان يقول ما احب ان يموت الرشيد لأن امري قريب من امره ولما مات صلى عليه اخوانه في القصر الذي كانوا فيه ثم اخرج فصلى عليه الناس وجزع الناس عليه وكان من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله ولأشتهار اخبار اهله وحسن سيرتهم لم نذكرها

[سنة ١٨١]

قال ابن جرير فيها غزا الروم عبد الملك بن صالح فبلغ انقرة وافتتح مطمورة . وفيها احدث الرشيد عند نزوله الرقة في صدور كتبه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ ولاية اسماعيل بن صالح بن علي سنة ١٨٢ ﴾

قال في زبدة الحلب ثم ان الرشيد ولى حلب وقنسرين اسماعيل بن صالح بن علي لما عزله عن مصر سنة اثنين وثمانين ومائة واقطعه ما كان له بحلب في سوقها وهي الحوانيت التي بين باب انطاكية الى رأس الدلبة ثم عزله وولاه دمشق .

قال ابن جرير وغزا فيها الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ افسوس مدينة اصحاب الكهف .

« ولاية عبد الملك بن صالح مرة ثانية من سنة ١٨٢ الى ١٨٧ »

قال في زبدة الحلب ثم ولى الرشيد بعده عبد الملك بن صالح بن علي ثانية فسعى به ابنه عبد الرحمن الى الرشيد واوهمه انه يطمع في الخلافة فاستشعر منه وقبض عليه في سنة سبع وثمانين ومابة اه

[سنة ١٨٣]

[ذكر بناء الهارونية]

قال فى المعجم ناقلاً عن البلاذري في فتوح البلدان لما كانت سنة ١٨٣ امر الرشيد ببناء الهارونية بالثغر فبنيت وشحنت بالمقاتلة ومن نزع اليها من المطوعة ونسبت اليه وقال انه بناها في خلافة ابيه المهدي وتمت فى ايام ابنه ثم استولى عليها العدو لسبع بقين من شوال سنة ٣٤٨ وسبى من اهلها الفا وخمسمائة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي ثم خربها اليوم فارسل سيف الدولة غلامه عرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من بلاد بني ليون الارمنى اه

قال ابن جرير في حوادث سنة ١٨٤ فيها قدم هارون مدينة السلام منصرفاً اليها من الرقة فى الفرات فى السفن

وقال في حوادث سنة ١٨٥ وشخص الرشيد فيها الى الرقة على طريق الموصل

وقال في حوادث سنة ١٨٦ وحج بالناس فيها هارون الرشيد وكان شخوصه من الرقة للحج فى شهر رمضان ثم قال وحج معه محمد وعبدالله وقواده ووزراءه وقضاته وخلف بالرقة ابراهيم بن عثمان بن نهيك العكى على الحرم والخزائن والأموال والعسكر واشخص القاسم ابنه الى منبج فأنزله اياها بمن

ضم اليه من القود او الجند

[ولاية القاسم بن الرشيد سنة ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩]

قال ابن جرير في حوادث سنة ١٨٧ فيها غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه وفيها اغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة فوهبه لله تعالى وجعله قربانا له ووسيلة وولاه العواصم وفيها دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم في شعبان فأناخ على قرة وحاصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فاناخ على حصن سنان حتى جهدوا فبعثت اليه الروم تبذل له ثلثمائة وعشرين رجلا من اسارى المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم الى ذلك ورحل عن قرة وحصن سنان صلحاً ومات علي بن عيسى بن موسى في هذه الغزاة بأرض الروم وهو مع القاسم اهـ

وقال في حوادث سنة ١٨٨ و ١٨٩ فيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق. وقال في حوادث سنة ١٨٩ فيها توجه الرشيد الى بلاد الري وعاد منها الى بغداد فلما مر بالجسر امر بأحراق جثة جعفر بن يحيى وطوى بغداد ولم ينزلها ومضى من فوره متوجها الى الرقة فنزل السيلحين. وذكر عن بعض قواد الرشيد ان الرشيد قال لما ورد بغداد والله اني لأطوي مدينة ما وضعت بشرق ولا غرب مدينة ايمن ولا ايسر منها وانها لوطني ووطن آبائي ودار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها وما رأى احد من آبائي سوءا ولا نكبة منها ولا سيء بها احد منهم قط ولنعم الدار هي ولكني اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بني امية مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخيفي السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت

ولا خرجت عنها ابداً .

اقول وبه تتضح الأسباب التي دعت الرشيد الى اتخاذ الرقة وطناً .

﴿ ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد سنة ١٩٠ ﴾

قال ابن جرير وفي هذه السنة غزا الرشيد الصائفة واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقة وفوض اليه الأمور وكتب الى الآفاق بالسمع له والطاعة ودفع اليه خاتم المنصور يتيمن به وهو خاتم الخاصة نقشه [الله ثقتي آمنت به]

وفيها فتح الرشيد هرقلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم وكان دخلها فيما قيل في مائة الف وخمسة وثلاثين الف مرتزق سوى الأتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له واناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحاً فى ارض الروم فى سبعين الفاً . وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ومقاوبية وكان فتح الرشيد هرقلة في شوال واخربها وسبى اهلها بعد مقام ثلاثين يوماً عليها وكان شخوصه الى بلاد الروم لعشر بقين من رجب واتخذ قلنسوة مكتوباً عليها [غاز حاج] ثم سار الرشيد الى الطوانة فعسكر بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وامره بناء منزل هنالك وبعث نقفور الى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر اهل بلده خمسين الف دينار منها عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ابنه استبراق دينارين وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته في جارية من سبي هرقلة كتاباً نسخته لعبد الله هارون امير المؤمنين من نقفور ملك الروم سلام عليك اما بعد ايها الملك ان لي اليك حاجة لاتضرك في دينك ولا دنياك هينة يسيرة ان تهب لأبني جارية

من بنات هرقلة كنت قد خطبتها على ابنى فأن رأيت ان تسعفني بحاجتى فعلت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته واستهداه ايضا طيبا وسرادقا من سرادقاته فامر الرشيد بطلب الجارية فاحضرت وزينت واجلست على سرير في مضربه الذي كان نازلاً فيه وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع الى رسول نقفور وبعث اليه بما سأل من العطر وبعث اليه من التمور والاخبصة والزبيب والترياق فسلم ذلك كله اليه رسول الرشيد فأعطاه نقفور وقر دراهم اسلامية على برذون كميت كان مبلغه خمسين الف درهم ومائة ثوب ديباج ومأتى ثوب بزيون واثنى عشر بازيا واربعة كلاب من كلاب الصيد وثلاثة براذين وكان نقفور اشترط الا يخرب ذا الكلاع ولا صله ولا حصن سنان واشترط الرشيد عليه الا يعمر هرقلة وعلى ان يحمل نقفور ثلثماية الف دينار اه

[سنة ١٩١]

قال ابن الأثير فيها استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن اعين قبل ان يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين الفاً من اهل خراسان ورتب الرشيد بدرب الحدث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد بن مسلم بن قتيبة فأغارت الروم عليها فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك سعيد من موضعه وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الى طرسوس واقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة ايام من رمضان وعاد الى الرقة وامر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور واخذ اهل الذمة بمخالفة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وامر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها ففعل وتولى ذلك فرج الخادم بأمر الرشيد وسير اليها جنداً من اهل خراسان ثلاثة الآف ثم اشخص اليهم الفاً من اهل المصيصة والفاً من اهل

انطاكية وتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبني مسجدها اه

« ولاية القاسم بن الرشيد وخزيمة بن خازم سنة ١٩٢ »

قال ابن الأثير فيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث وكان مريضاً واستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة بن خازم

[سنة ١٩٣]

قال ابن جرير في هذه السنة مات هرون الرشيد في مدينة طوس ودفن في بستان من بساتينها . وفيها بويع محمد الأمين بن هرون بالخلافة . وفيها كان بدء الاختلاف الحال بين الأمين واخيه المأمون عبد الله وعزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه واقر محمد بن هرون اخاه القاسم بن هارون في هذه السنة على ماكان ابوه هارون ولاه من عمل الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم واقر القاسم على قنسرين والعواصم

(سنة ١٩٤)

قال ابن جرير فيها عزل محمد اخاه القاسم عن جميع ما كان ابوه هارون ولاه من عمل الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور وولى مكانه خزيمة بن خازم وامره بالمقام بمدينة السلام اه

(ترجمة القاسم بن الرشيد)

قال في مختصر الذهبي القاسم بن هرون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي العباسي المؤتمن بن الرشيد كان ابوه قد جعله ولي العهد بعد الامين والمأمون وشرط للمأمون ان شاء ان يقره اقره وان شاء ان يخلعه خلعه فخلعه سنة ثمان

وتسعين ومائة وتوفي سنة ثمان ومأتين وله خمس وثلثون سنة اه

ترجمة خزيمة بن خازم

قال في مختصر الذهبي خزيمة بن خازم بن خزيمة الخراساني الامير من كبار قواد المأمون ومن ابناء الدولة العباسية له ذكر في الحروب روى عن ابن ابي ذئب وعن يعقوب بن يوسف توفي سنة ثلاث ومأتين بعد ماعمي اه والعبارات المتقدمة تفيد انه من قواد الرشيد والامين وهو كذلك الا انه بعد الرشيد ترك ولده الامين ولحق بالمأمون بطلب من طاهر بن الحسين كما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ١٩٨ وطاهر بن الحسين من قواد المأمون وهو المشيد لاركان الخلافة للمأمون وهو القاتل للخليفة محمد الامين

[ولاية عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن

عباس للمرة الثالثة سنة ١٩٦

قال ابن جرير وفي هذه السنة ولى محمد بن هرون عبد الملك بن صالح بن علي على الشام وامره بالخروج اليها وفرض له من رجالها جنوداً يقاتل بها طاهراً وهرثمة .

قال ابن جرير ان طاهراً لما قوي واستعلى امره وهزم من هزم من قواد محمد وجيوشه دخل عبد الملك بن صالح على محمد وكان عبد الملك محبوساً في حبس الرشيد (كما تقدم) فلما توفي الرشيد وافضى الامر الى محمد امر بتخلية سبيله وذلك في ذي القعدة سنة ١٩٣ فكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد ويوجب به على نفسه طاعته ونصيحته فقال يا امير المؤمنين اني ارى الناس قد طمعوا فيك واهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك وقد بذلت سماحتك فان اتممت على امرك افسدتهم وابطرتهم وان كففت امرك عن العطاء والبذل اسخطتهم

واغضبتهم وليس تملك الجنود بالامساك ولا يبقى ثبوت الاموال على الانفاق والسرف ومع هذا فان جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم واضعفتهم الحرب والوقائع وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوهم ونكولا عن لقائهم ومناهضتهم فان سيرتهم الى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم واهل الشام قوم قد ضرستهم الحروب وادبتهم الشدائد وجلهم منقاد الي مسارع الى طاعتي فان وجهني امير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً يعظم نكايتهم في عدوه ويؤيد الله بهم اولياءه واهل طاعته . فقال محمد فاني موليك امرهم ومقويك بما سألت من مال وعدة فعجل الشخوص الى ما هنالك فاعمل عملا يظهر اثره ويحمد بركته برأيك ونظرك فيه ان شاء الله فولاه الشام والجزيرة واستحثه بالخروج استحثاثاً شديداً ووجه معه كنفاً من الجند والاتباع . قال فسار عبد الملك بن صالح الى الشام فلما بلغ الرقة اقام بها وانفذ رسله وكتب الى رؤساء اجناد الشام ووجوه الجزيرة فلم يبق احد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناه الا وعده وبسط له في امله ومنيته فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس وجماعة بعد جماعة فكان لا يدخل عليه احد الا اجازه وخلع عليه فاتاه اهل الشام الزواقيل والاعراب من كل فج واجتمعوا عنده حتى كثروا

ثم ان عبد الملك مرض واشتد مرضه وتوفي في هذه السنة ودفن في دار من دور الامارة بالرقة

﴿ ترجمة عبد الملك بن صالح العباسي ﴾

قدمنا في حوادث سنة ١٧٠ ان الرشيد عزل الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وسميت العاصم وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك بن صالح بن علي

قال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على منبج ان عبد الملك ولد بها وكان رجل قريش ولسان بني العباس ومن يضرب به المثل في البلاغة وكان لما دخل الرشيد الى منبج قال له هذا البلد منزلك قال يا امير المؤمنين هو لك ولي بك قال كيف بناؤه فقال دون بناء اهلي وفوق منازل غيرهم قال كيف صفتها قال طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت انها لطيبة قال بل طابت بأمير المؤمنين واين يذهب بها عن الطيب وهي برة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء في فياف فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد هذا الكلام والله احسن من الدر النظيم اه

وقال الملا في مختصره لتاريخ الذهبي في ترجمته ولي المدينة والصوائف للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين وحدث عن ابيه ومالك بن انس روى عنه ابنه علي والاصمعي والمليح بن اسماعيل حكايات وعن عبد الرحمن مؤدب اولاد عبد الملك قال قال عبد الملك لا تطرني في وجهي فانا اعلم بنفسي منك ولا تعني على ما يقبح ودع كيف اصبح الامير وكيف امسى واجعل مكان التعرض لي صواب الاستماع مني . وعن ابراهيم النديم قال كنت بين يدي الرشيد والناس يعزونه في طفل ويهنونه في مولود ولد تلك الليلة فقال عبد الملك يا امير المؤمنين آجرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه جزاء للشاكر وثواباً للصابر . قال واراد يحيي بن خالد ان يضع من عبد الملك ارضاء للرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني انك حقود فقال ايها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما لباقيان في قلبي فقال الرشيد ما رأيت احداً احتج للحقد بأحسن من هذا

وقال ابن خلكان في ترجمة جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي . حكى ابن الصابي

فى كتاب الامائل والاعيان عن اسحق النديم الموصلي عن ابراهيم بن المهدي قال خلا جعفر بن يحي يوماً في داره وحضر ندماؤه وكنت فيهم فلبس الحرير وتضمخ بالخلوق وفعل بنا مثله وامر بأن يحجب عنه كل احد الا عبد الملك بن بحران قهرمانه فسمع الحاجب عبد الملك دون ابن بحران وعرف عبد الملك بن صالح الهاشمي مقام جعفر بن يحي فى داره فركب اليه فارسل الحاجب ان قد حضر عبد الملك فقال ادخله وعنده انه ابن بحران فما راعنا الا دخول عبد الملك بن صالح في سواده ورصافيته فاربد وجه جعفر وكان ابن صالح لا يشرب النبيذ وكان الرشيد دعاه اليه فامتنع فلما راى عبد الملك حالة جعفر دعا غلامه فناوله سواده وقلنسوته ووافى باب المجلس الذي كنا فيه وسلم وقال اشركونا في امركم وافعلوا بنا فعلكم بانفسكم فجاءه خادم فالبسه حريرة واستدعى بطعام فاكل وبنبيذ فاتى برطل منه فشربه ثم قال لجعفر والله ما شربته قبل اليوم فيلخفف عنى فأمر ان يجعل بين يديه باطية يشرب منها ما يشاء وتضمخ بالخلوق ونادمنا احسن منادمة وكان كلما فعل شيئاً من هذا سرى عن جعفر فلما اراد الانصراف قال له جعفر اذكر حوايجك فأني ما استطيع مقابلة ما كان منك قال ان في قلب امير المؤمنين موجدة علي فتخرجها من قلبه الى جميل رأيه في قال قد رضي عنك امير المؤمنين وزال ما عنده منك فقال وعلي اربعة الآف الف درهم دينار قال تقضي عنك وانها لحاضرة لكن كونها من امير المؤمنين اشرف بك وادل على حسن ما عنده لك قال وابراهيم ابني احب ان أحب ان ارفع قدره بصهر من ولد الخلافة قال قدزوجه امير المؤمنين العالية ابنته قال واوثر التنبيه علي موضعه برفع لواء على رأسه قال قد ولاه امير المؤمنين مصر وخرج عبد الملك ونحن متعجبون من قول جعفر واقدامه

على مثله من غير استئذان فيه . وركبنا من الغد الى باب الرشيد ودخل جعفر ووقفنا فما كان بأسرع من ان دعى بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وابراهيم بن عبد الملك ولم يكن بأسرع من خروج ابراهيم والخلع عليه واللواء بين يديه وقد عقد له على العالية بنت الرشيد وحملت اليه ومعها المال الى منزل عبد الملك بن صالح وخرج جعفر فتقدم الينا بأتباعه الى منزله وصرنا معه فقال اظن قلوبكم تعلقت بأول امر عبد الملك فأحببتم علم آخره قلنا هو كذلك قال وقفت بين يدي امير المؤمنين وعرفته ما كان من امر عبد الملك من ابتدائه الى انتهائه وهو يقول احسن احسن ثم قال فما صنعت معه فعرفت ما كان من قولي له فاستصوبه وامضاه وكان ما رأيتم . قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما ادري ايهم اعجب فعلاً عبد الملك في شربه النبيذ ولباسه ما ليس من لبسه وكان رجلاً ذا جد وتعفف ووقار وناموس او اقدام جعفر على الرشيد بما اقدم او امضاء الرشيد ما حكم به جعفر عليه .

وقدمنا في حوادث سنة ١٨٧ ان الرشيد غضب عبد الملك وحبسه . قال ابن جرير ثمة

ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما اوجب حبسه

ذكر احمد بن ابراهيم بن اسماعيل ان عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال عبد الرحمن كان من رجال الناس وكان عبد الملك يكنى به ولأبنه عبد الرحمن لسان على فأفأة فيه فنصب لأبيه عبد الملك وقمامة فسعيا به الى الرشيد وقال له انه يطلب الخلافة ويطمع فيها فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع فذكر ان عبد الملك بن صالح ادخل على الرشيد حين سخط عليه فقال له الرشيد اكفراً

بالنعمة وجحودا لجليل المنة والتكرمة فقال يا امير المؤمنين لقد بؤت اذا بالندم وتعرضت لأستحلال النقم وما ذاك الا بغي حاسد نافسني فيك مودة القرابة وتقديم الولاية انك يا امير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امته وامينه على عترته لك عليها فرض الطاعة واداء النيصحة ولها عليك العدل فى حكمها والتثبت في حادثها والغفران لذنوبها فقال له الرشيد اتضع لي من لسانك وترفع لي من جنابك هذا كاتبك قمامة يخبر بنالك وفساد نيتك فأسمع كلامه فقال عبد الملك اعطاك ماليس في عقده ولعله لايقدر ان يعضهنى ولا يبهتنى بمالم يعرفه مني واحضر قمامة فقال له الرشيد تكلم غير هائب ولا خائف قال اقول انه عازم على الغدر بك والخلاف عليك فقال عبد الملك أهو كذلك ياقمامة قال قمامة نعم لقد اردت ختل امير المؤمنين فقال عبد الملك كيف لايكذب علي من خلفى وهو يبهتني فى وجهى فقال له الرشيد وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعتوك وفساد نيتك ولو اردت ان احتج عليك بحجة لم اجد اعدل من هذين لك فبم تدفعهما عنك فقال عبد الملك بن صالح هو مأمور اوعاق مجبور فأن كان مأموراً فمعذور وان كان عاقاً ففاجر كفور اخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله [ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فأحذروهم] قال فنهض الرشيد وهو يقول اما امرك فقد وضح ولكني لا اعجل حتى اعلم الذي يرضى الله فيك فأنه الحكم بيني وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فأني اعلم انه يؤثر كتاب الله على هواه وامر الله على رضاه . فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر فسلم لما دخل فلم يرد عليه فقال عبد الملك ليس هذا يوماً احتج فيه ولا اجاذب منازعا وخصما قال ولم قال لأن اوله جرى على غير السنة فأنا اخاف آخره قال وما ذاك قال لم ترد عليَّ السلام انصف نصفة العوام قال السلام عليكم

اقتداء بالسنة وايثاراً للعدل واستعمالاً للتحية ثم التفت نحو سليمان بن ابي جعفر فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد [١]

ثم قال اما والله لكأني انظر الى شؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد اوري ناراً تسطع فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم فمهلاً مهلا فبي والله سُهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور اثناء ازمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل . فقال عبد الملك اتق الله يا امير المؤمنين فيما ولاك وفي رعيته التي استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت ملكك بأثقل من ركني يلملم وتركت عدوك مشتغلا فالله الله في ذي رحمك ان تقطعه بعد ان بلته بظن افصح الكتاب لي بعضه او ببغي باغ ينهس اللحم ويالغ الدم فقد والله سهلت لك الوعور وذللت لك الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور فكم من ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق لك قمته كنت فيه كما قال اخو بني جعفر بن كلاب

ومقام ضيق فرجته ببناني ولساني وجدل
لو يقوم الفيل اوفياله زل عن مثل مقامي وزحل

قال فقال له الرشيد اما والله لو لا الابقاء على بني هاشم لضربت عنقك . وذكر زيد بن علي بن الحسين العلوي قال لما حبس الرشيد عبد الملك بن صالح دخل عليه عبد الله بن مالك وهو يومئذ على شرطه فقال اني اذن انا فاتكلم نال تكلم قال

١ الحباء بالكسر العطاء بلا اجزاء ولا من • وعذيرك بالنصب اى هات من يعذرك منه ويأتي لك بالعذر فيه يقول اني اريد به الخير وهو يريد لي الشر فمن لى بمن يعذرني منه ان كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني اه من شرح كامل المبرد

لا والله العظيم يا امير المؤمنين ما علمت عبد الملك الا ناصحاً فعلام حبسته قال ويحك بلغني عنه ما اوحشني ولم آمنه ان يضرب بين ابني هذين يعني الامين والمأمون فان كنت ترى ان نطلقه من الحبس اطلقناه قال اما اذا حبسته يا امير المؤمنين فلست ارى في قرب المدة ان تطلقه ولكن ارى ان تحبسه محبساً كريماً يشبه محبس مثلك مثله قال فأني افعل قال فدعا الرشيد الفضل بن الربيع فقال امض الى عبد الملك بن صالح الى محبسه فقل له انظر ما تحتاج اليه في محبسك فأمر به حتى يقام لك فذكر قصته وما سأل . قال وقال الرشيد يوماً لعبد الملك بن صالح في بعض ما كلمه ما انت لصالح قال فلمن انا قال لمروان الجعدي قال ما ابالي اي الفحلين غلب عليّ فحبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع فلم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد فأطلقه محمد وعقد له على الشام فكان مقيما بالرقة وجعل لمحمد عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعة ابداً فمات قبل محمد فدفن في دار من دور الامارة فلما خرج المأمون يريد الروم ارسل الى ابن له حوّل اباك من داري فنبشت عظامه وحولت وكان قال لمحمد ان خفت فالجأ الى فوالله لأصوننك . وذكر ان الرشيد بعث في بعض ايامه الى يحيى بن خالد ان عبد الملك بن صالح اراد الخروج ومنازعتي في الملك وقد علمت ذلك فأعلمني ما عندك فيه فأنك ان صدقتني اعدتك الى حالك فقال والله يا امير المؤمنين ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لأن ملكك كان ملكي وسلطانك كان سلطاني والخير والشر كان فيه عليّ ولي فكيف يجوز لعبد الملك ان يطمع في ذلك مني وهل كنت اذا فعلت ذلك به يفعل بي اكثر من فعلك اعيذك بالله ان تظن بي هذا الظن ولكنه كان رجلاً محتملاً يسرني ان يكون في اهلك مثله فوليته لما احمدت من مذهبه

وملت اليه لأدبه واحتماله . قال فلما اتاه الرسول بهذا اعاد اليه فقال ان انت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك فقال له انت مسلط علينا فأفعل ما اردت على انه ان كان من هذا الأمر شيء فالذنب فيه لي فبم يدخل الفضل في ذلك . فقال الرسول للفضل قم فأنه لابد من انفاذ امر امير المؤمنين فيك فلم يشك انه قاتله فودع اباه وقال له الست راضياً عني قال بلى فرضى الله عنك ففرق بينهما ثلاثة ايام فلما لم يجد عنده من ذلك شيئا جمعهما كما كان . وكان يأتيهم منه اغلظ رسائل لما كان اعداؤهم يقرفونهم به عنده فلما اخذ مسرور بيد الفضل لما اعلمه به بلغ من يحيي فأخرج ما في نفسه فقال له قل له يقتل ابنك مثله قال مسرور فلما سكن غضب الرشيد قال كيف قال فاعدت عليه القول قال قد خفت والله قوله لأنه قل ما قال لي شيئاً الا رأيت تأويله . قيل وبينما الرشيد يسير وفي موكبه عبد الملك بن صالح اذ هتف به هاتف وهو يساير عبد الملك فقال يا امير المؤمنين طأطيء من اشرافه وقصر من عنانه واشدد من شكائمه والا افسد عليك ناحيته فالتفت الى عبد الملك فقال ما يقول هذا يا عبد الملك فقال عبد الملك مقال باغ ودسيس حاسد فقال له صدقت نقص القوم ففضلتهم وتخلفوا وتقدمتهم حتى برز شأوك فقصر عنه غيرك ففي صدورهم جمرات التخلف وحزازات النقص فقال عبد الملك لا اطفأها الله واضرمها عليهم حتى تورثهم كمداً دائماً ابداً .

وقال ابن شاكر في عيون التواريخ كان عبد الملك بن صالح افصح الناس واخطبهم ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلادته قيل ليحي بن خالد البرمكي وقد ولى الرشيد عبد الملك المدينة كيف ولاه المدينة من بين اعماله قال احب ان يباهي به قريشاً ويعلمهم ان في بني العباس مثله . ووجه عبد الملك الى الرشيد فاكهة في اطباق خيزران وكتب اليه اسعد الله امير

المؤمنين دخلت بستاناً لي افادنيه كرمك وعمرته لي نعماك وقد ينعت اشجاره وراقت ثماره فوجهت الى امير المؤمنين من كل شيء على الثقة والأمكان في اطباق القضبان ليصل الى من بركة دعائه مثل ماوصل اليَّ من كثرة عطائه فقال له رجل ياامير المؤمنين لم اسمع بأطباق القضبان فقال له الرشيد يا ابله انه كنى عن الخيزران اذ كان اسما لأمنا .

قال ولما ودعه الرشيد ووجهه الى الشام قال له الرشيد الك حاجة قال نعم يا امير المؤمنين بيني وبينك بيت يزيد بن الدثينة حيث يقول

فكوني على الواشين لدّى شغوبة   كما انا للواشي الد شغوب

ثم وشى به بعد ذلك الناس وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرشيد فدخل عليه في بعض الايام وقد امتلأ قلب الرشيد عليه فقال له اكفراً بالنعمة وغدراً بالأمام الخ ما تقدم نقله عن ابن جرير

ثم قال وكتب الى الرشيد قبل اشخاصه الى العراق وقد تغير عليه

اخلاي لي شجو وليس لكم شجو   وكل امرء من شجو صاحبه خلو

من اي نواحي الارض ابغي رضاكم   وانتم اناس ما لمرضاتكم نحو

فلا حسن نأتى به تقبلونه   ولا ان اساءنا عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال والله ان كان قد قالها لقد احسن وان كان رواها لقد احسن وكتب الى الرشيد من السجن

قل لأمير المؤمنين الذي   يشكره الصادر والوارد

ياواحد الأملاك في فضله   مالك مثلي في الورى واحد

ان كان لي ذنب ولا ذنب لي   حتما كما قد زعم الحاسد

فلا تضق عفوك عني فقد   فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو في الحبس

لئن ساءني حبسي لفقد احبتي وانى فيهم لا امر ولا احلى
لقد سرني عزي بترك لقاءهم بما اتشكى من حجاب ومن ذل

ولما اخرجه الأمين من السجن دفع اليه كاتبه قمامة وابنه عبد الرحمن فقتل قمامة في حمام وهشم وجه ابنه بعمود . اه

وقال الملا في مختصر الذهبي يقال ان الرشيد انما حبسه لما رآه نظيراً له في اشياء من النبل والفصاحة

﴿ ولاية خزيمة بن حازم سنة ١٩٧ مرة ثانية ﴾

قال في زبدة الحلب ثم ولي بعد عبد الملك خزيمة بن حازم حلب وقنسرين في سنة سبع وتسعين ومائة وقيل ان الوليد بن طريف ولي حلب وقنسرين بعد عبد الملك بن صالح وبعده ورقا عبد الملك ثم بعده يزيد بن مزيد . اقول اما تولية خزيمة بن خازم فممكنة لأنه كان حيا في هذه السنة ١٨٥ كما ذكره ابن خلكان في ترجمتها . اما ورقا عبد الملك فلم اقف له على ذكر في غير زبدة الحلب . وترجمة خزيمة قد تقدمت

﴿ ولاية طاهر بن الحسين سنة ١٩٨ ﴾

قال ابن الأثير في حوادثها في هذه السنة اظهر نصر بن سيار بن شبث العقيلي الخلاف على المأمون وكان نصر من بني عقيل يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب وكان في عنقه بيعة للأمين وله فيه هوى فلما قتل الأمين اظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ماجاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب واهل الطمع وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته

نفسه بالتغلب عليه فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت . وقال ابن جرير فى حوادثها وكتب المأمون الى طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع مابيده من الأعمال فى البلدان كلها الى خلفاء الحسن بن سهل وان يشخص عن ذلك كلها الى الرقة وجعل اليه حرب نصر بن شبث وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب . قال ابن الأثير فسار طاهر الى قتال نصر وارسل اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه الى ذلك فتقدم اليه طاهر والتقوا بنواحى كيسوم واقتتلوا قتالاً شديداً ابلى فيه نصر بلاء عظيماً وكان الظفر له وعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة وكان قصارى امر طاهر حفظ تلك النواحى اه وقال في حوادث سنة ١٩٩ وفيها قوي امر نصر بن شبث العقيلي بالجزيرة وكثر جمعه وحصر حران واتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم واعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان اقوى لأمرك فقال من اي الناس فقالوا تبايع لبعض آل علي بن ابى طالب فقال ابايع بعض اولاد السوداوات فيقول انه هو خلقني ورزقني قالوا فتبايع لبعض بنى امية فقال اولئك قد ادبر امرهم والمدبر لايقبل ابداً ولو سلم على رجل مدبر لأعدانى ادباره وانما هو اي فى بنى العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم . وقال فى حوادث سنة ٢٠٤ في هذه السنة قدم المأمون بغداد وكان قد كتب الى طاهر وهو بالرقة ليوافيه بالنهروان فأتاه بها ودخل بغداد منتصف صفر

﴿ ترجمة طاهر بن الحسين ﴾

قال ابن خلكان . ابو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن

ماهان كان جده رزيق مولى طلحة الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط وكان طاهر من اكبر اعوان المأمون وسيره من مرو كرسي خراسان لما كان المأمون بها الى محاربة اخيه الأمين ببغداد لما خلع المأمون بيعته والواقعة مشهورة وسير الأمين ابا يحيي علي بن موسى بن ماهان لدفع طاهر عنه فتواقعا وقتل على المعركة وتقدم طاهر الى بغداد واخذ مافي طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها وقتله سنة ثمان وتسعين ومماية وحمل رأسه الى خراسان ووضع بين يد المأمون وعقد للمأمون على الخلافة فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته . وكان شجاعا اديبا وركب يوما ببغداد فى حراقة فأعترضه مقدس بن صيفى الخلوقي الشاعر وقد ادنيت من الشط ليخرج فقال ايها الأمير ان رأيت تسمع منى ابياتا فقال قل فأنشأ يقول

عجبت لحراقة ابن الحسين ... لا غرقت كيف لا تغرق
وبحران من فوقها واحد ... وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذاك اعوادها ... وقد مسها كيف لا تورق

فقال طاهر اعطوه ثلاثة الآف دينار وقال له زدنا حتى نزيدك فقال حسبي ثم قال واخبار طاهر كثيرة وتوفي سنة سبع ومأتين بمدينة مرو سمه خادم للمأمون وساق ابن خلكان الأسباب التي دعته الى ذلك فأرجع اليه ان شئت

﴿ ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين سنة ٢٠٤ ﴾
﴿ وولاية يحي بن معاز سنة ٢٠٥ ﴾

قال ابن جرير فى حوادث سنة ٢٠٥ فى هذه السنة ورد عبد الله بن طاهر بغداد منصرفا من الرقة وكان ابوه طاهر استخلفه عليها وامره بقتال نصر بن

شبث وقدم يحي بن معاز فولاه المأمون الجزيرة اه

﴿ ترجمة يحي بن معاز ﴾

قال الملا فى مختصر تاريخ الذهبي يحي بن معاز متولي الجزيرة كان من كبار قواد المأمون توفي سنة ست ومائتين

ولاية عبد الله بن طاهر من سنة ٢٠٦ مرة ثانية الى ٢١٣

قال ابن الأثير وفي هذه السنة ولى المأمون عبد الله من الرقة الى مصر وامره بحرب نصر ابن شيث وكان سبب ذلك ان يحي بن معاز الذي كان المأمون ولاه الجزيرة مات في هذه السنة واستخلف ابنه احمد فاستعمل المأمون عبدالله مكانه فلما اراد توليته احضره وقال له يا عبد الله استخير الله تعالى منذ شهر واكثر وارجو ان يكون قد خار لى ورأيت الرجل يصف ابنه لرأيه فيه ورأيتك فوق ما قال ابوك فيك وقد مات يحى واستخلف ابنه وليس بشيء وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شبث فقال السمع والطاعة وارجو ان يجعل الله لأمير المؤمنين الخيرة والمسلمين فعقد له وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين ولما استعمله كتب اليه ابوه طاهر كتاباً جمع فيه كل مايحتاج اليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك وقد اثبت منه احسنه لما فيه من الآداب والحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم لأنه لايستغني عنه احد من ملك وسوقة

اقول عبارته تفيد انه حذف منه مع انه قد اورده بتمامه الا اربعة اسطر فى الآخر وقد ذكره ابن جرير الطبري وانى انقله عنه لأنه فى ابن الأثير فيه غلط وتحريف من الطبع وفي ابن جرير اصح واضبط وبعد ان انتهى منه قال ذكر

ان طاهراً لما عهد الى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع امره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه فقال ما بقى ابو الطيب شيئاً من امر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسية واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ، وتقدم وامر ان يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحى الأعمال وتوجه عبد الله بن طاهر الى عمله فسار بسيرته واتبع امره وعمل بما عهد اليه وهذا نص الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فعليك بتقوى الله وحده لاشريك له . وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك . والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وماانت صائر اليه وموقوف عليه . ومسئول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه واليم عقابه فأن الله قد احسن اليك واوجب عليك الرأفة بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم . والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم فى معايشهم . ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت . ففرغ لذاك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل . ولا يشغلك عنه شاغل . فأنه رأس امرك وملاك شأنك واول ما يوفقك الله به لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك فى مواقيتها على سننها في اسباغ الوضوء لها . وافتتاح ذكر الله فيها . وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك

وتحت يدك وادأب عليها فأنها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .
ثم اتبع ذلك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقتفاء
آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فأستعن عليه بأستخارة الله
وتقواه ولزوم ما انزل الله في كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام
ماجاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قم فيه بما يحق لله عليك
ولا تمل عن العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد . وآثر
الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به فأن افضل ما تزين به المرء
الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب فيه منه الى الله
فأنه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصي والموبقات
كلها . وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل واجلالاً له ودركا
للدرجات العلى في المعاد مع مافى ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة
لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك وعليك بالأقتصاد في الأمور كلها فليس
شيءٌ ابين نفعاً ولا احضر امناً ولا اجمع فضلاً من القصد والقصد داعية الى
الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين
والسنن الهادية بالأقتصاد فآثره فى دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة
والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد فلا غاية للأستكثار
من البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة اوليائه فى
دار كرامته . واعلم ان القصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب
وانك لن تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح امورك بأفضل منه فأته واهتد
به تتم امورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك واحسن الظن بالله عز
وجل يستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الأمور كلها تستدم به النعمة

عليك ولاتنهض احداً من الناس فيما توليته من عملك قبل تكشف امره بالتهمة فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان فى امرك مغمزا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ماينقصك لذاذة عيشك . واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفى به ما احببت كفايته من امورك وتدعو به الناس الى محبتك والأستقامة فى الأمور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك ان تستعمل المسئلة والبحث عن امورك والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها ولتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة المرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فأنه اقوم للدين واحيا للسنة . واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزي بما احسن ومأخوذ بما اساء فأن الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فأسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى . واقم حدود الله في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فأن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً ففِ به واذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهله واقص اهل النميمة فأن اول فساد امرك في عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب

والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لأن النميمة لايسلم صاحبها وقائلها لايسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها امر واحب اهل الصدق والصلاح واعن الاشراف بالحق . وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنها رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيرة والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انى مسلط افعل ما اشاء فأن ذلك سريع فيك الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له واخلص لله النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه من يشاء وان تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى حد اسرع منه الى حملة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تذخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدهمائهم والأغاثة لملهوفهم . واعلم ان الأموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لاتثمر واذا كانت في اصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الأسلام واهله . ووفر منه على اولياء امير المومنين قبلك حقوقهم واوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعايشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية

خراجك وجمع اموال رعيتك وعمالك اقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك واطيب نفساً لكل ما اردت فاجهد نفسك لما حددت لك فى هذا الباب ولتعظيم حسبتك ذيه فأنما يبقى من المال ما انفق فى سبيل حقه واعرف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فأن التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى . وارج الثواب فأن الله قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ولا تحقرن ذنباً ولا تمالئن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنن عدواً ولا تصدقن نماماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلا فقيراً ولا تجيبن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا ترهبن فخرا ولا تظهرن غضباً ولا تأتين بذخاً ولا تمشين مرحاً ولا تركبن سفهاً ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفع الأيام عتابا ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه او مخافة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ من اهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك اهل الذمة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فأن ضررهم اكثر من منفعتهم وليس شيء اسرع فساداً لما استقبلت فى امر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلاً فأن رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عنهم ويدوم صفاء اوليائك لك بالأفضال عليهم وحسن العطية لهم فأجتنب

الشح واعلم انه اول ما عصى به الأنسان ربه وان العاصي بمنزلة خزي وتدبر قول الله عز وجل [ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا وايقن ان الجود من افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وارض به عملاً ومذهباً وتفقد امور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك امرهم ويزيدبه قلوبهم فى طاعتك وامر خلوصاً وانشراحاً. وحسب ذي سلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه احدى البيتين بأستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً . واعلم ان القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض وبأقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمن السبل وينصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء واشتد في امر الله وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد من الضجر والقلق واقنع بالقسم ولتسكن ريحك ويقر جدك وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك وسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجة ولا يأخذك احد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فأن الدماء من الله تعالى بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت

عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولأهله سعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولأهل الكفر من معاهديهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه وعن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا احد من خاصتك ولا تأخذن منه فوق الأحتمال له ولا تكلفن امراً فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فأن ذلك اجمع لألفتهم والزم لرضى العامة . واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعيا وانما سمي اهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام امرهم وصلاحهم وتقويم اودهم فاستعمل عليهم في كور عملك ذوى الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فأن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في عملك واحترزت النصيحة من رعيتك واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بأفامة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك . وكنت في امورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة فنافس فى هذا ولا تقدم عليه شيئاً تحمد مغبة امرك ان شاءالله واجعل في كل كورة من عملك اميناً يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم واعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأمره كله وان اردت ان تأمره بأمر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فأن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه

حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصيرة والعلم ثم خذ فيه عدته فأنه ربما نظر الرجل فى امر من امره قد واتاه على ما يهوى فقوّاه ذلك واعجبه وان لم ينظر فى عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم فى كل ما اردت وباشره بعد عون الله بالقوة. واكثر استخارة ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فأن لغدٍ اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت . واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا اخرت عمله اجتمع عليك امر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه فاذا امضيت لكل يوم عمله ارحت نفسك وبدنك واحكمت امور سلطانك وانظر احرار الناس وذوي الشرف منهم ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فأستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فأحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لايجدوا لخلتهم مساً وافرد نفسك للنظر فى امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك . والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه اصفى مسألة ووكل بأمثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله امرهم وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وارامله واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين اعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركته وزيادة واجر للأضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم وقواماً يرفقونهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وافضل امانيهم لم

يرضيهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما برم المتصفح لأمور الناس لكثرة مايرد عليه ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله ويلتمس رحمته به . واكثر الأذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم احراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية والأمم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب مافارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً.واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الأمور ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم يمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سرك واعلامك ما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامر كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر اليه والتدبير له فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى التثبت فيه

والمسألة عنه ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ولا تقبل من احدمنهم الا الوفاء والأستقامة والعون فى امور امير المؤمنين ولاتضعن المعروف الا على ذلك . وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك واستخره فأن الله مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله رضى ولدينه نظاما ولأهله عزاً وتمكينا وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً وانا اسأل الله ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك وان ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعلك افضل امثالك نصيبا واوفرهم حظاً واسناهم ذكراً وامراً وان يهلك عدوك ومن ناواك وبغى عليك ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساوسه حتى يستعلي امرك بالعز والقوة والتوفيق انه قريب مجيب اه

سنة ٢٠٩

قال ابن الأثير في هذه السنة حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث بكيسوم وضيق عليه حتى طلب الامان فاجابه اليه وتحول من معسكره الى الرقة الى عبد الله وكان مدة حصاره ومحاربته خمس سنين فلما خرج اليه اخرب عبد الله حصن كيسوم وسير نصراً الى المأمون فوصل اليه في صفر سنة عشر ومائتين

[سنة ٢١٠ سير عبد الله بن طاهر الى مصر وافتتاحها]

قال ابن الأثير في هذه السنة سار عبد الله بن طاهر الى مصر وافتتحها وكان سبب مسيره ان عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة وخرج جمع من الاندلس فتغلبوا على الاسكندرية واشتغل عبد الله بن طاهر بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار نحو مصر وافتتحها وذكر ابن الاثير تفصيل ذلك ثم قال ذكر احمد بن حفص بن ابي الشماس قال خرجنا مع عبد الله بن طاهر الى

مصر حتى اذا كنا بين الرملة ودمشق اذ نحن باعرابي قد اعترض فاذا شيخ على بعير له فسلم علينا فرددنا عليه السلام قال وكنت انا واسحق بن ابراهيم الرافقي واسحق بن ابي ربعي ونحن نساير الامير وكنا افره منه دابة واجود كسوة قال فجعل الاعرابي ينظر الى وجوهنا قال فقلت يا شيخ قد الححت في النظر اعرفت شيئاً انكرته قال لا والله ما عرفتكم قبل يومي هذا ولكني رجل حسن الفراسة في الناس قال فاشرت الى اسحق ابن ابي ربعي وقلت ما تقول فى هذا فقال

اري كاتباً داهي الكتابة بين ... عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن انه ... عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر الى اسحق بن ابراهيم الرافقي فقال

ومظهر نسك ماعليه ضميره ... يحب الهدايا بالرجال مكور
اخال به جبناً وبخلاوشيمة ... تخبر عنه انه لوزير

ثم نظر الي وقال

وهذا نديم للامير ومؤنس ... يكون له بالقرب منه سرور
واحسبه للشعر والعلم راوياً ... فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر الامير وقال

وهذا ألامير المرتجى سيب كفه ... فما ان له في العالمين نظير
عليه رداء من جمال وهيبة ... ووجه بأدراك النجاح يشير
لقد عظم الاسلام منه بذي يد ... فقد عاش معروف ومات نكير
الا انما عبد الأله ابن طاهر ... لنا والد بر بنا وامير

قال فوقع ذلك من عبد الله احسن موقع واعجبه وامر للشيخ بخمسمائة دينار

وامره ان يصحبه

(سنة ٢١١ اخلاص عبد الله بن طاهر للمأمون)

قال فى هذه السنة قال للمأمون بعض اخوته (وهو المعتصم) ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد علي بن طالب وكذا كان ابوه قبله فانكر المأمون ذلك فعاوده اخوه فوضع المامون رجلا قال له امش فى هيئة القراء والنساك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبد الله بن طاهر فادعه اليه واذكر مناقبه ورغبه فيه وابحث عن باطنه وائتني بما تسمع ففعل الرجل ذاك فاستجاب له جماعة من اعيانه فقعد بباب عبد الله بن طاهر فلما ركب قام اليه فاعطاه رقعة فلما عاد الى منزله احضره قال قد فهمت ما في رقعتك فهات ما عندك فقال ولي امانك قال نعم قال هل يجب شكر الله على العباد قال نعم قال فتجيء الي وانا فى هذه الحال لي خاتم في المشرق جائز وخاتم في المغرب جائز وفيما بينهما امري مطاع ثم ما ألتفت عن يميني ولا شمالي وورائي وامامى الا رأيت نعمة لرجل انعمها علي ومنة ختم بها رقبتي ويداً لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلا وكرماً تدعوني الى ان اكفر بهذه النعم وهذا الاحسان وتقول اغدر بمن كان اولى لهذا واحرى واسع فى ازالة خيط عنقه وسفك دمه تراك لو دعوتني الى الجنة عياناً اكان الله يحب على ان اغدر به واكفر احسانه وانكث بيعته فسكت الرجل فقال له عبد الله ما اخاف عليك الا نفسك فارحل عن هذا البلد فان السلطان الاعظم ان بلغه ذاك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك فلما ايس منه جاء الى المأمون فاخبره فاستبشر وقال ذاك غرس يدي وألف ادبي وقراب يلقحي ولم يظهر ذاك ولا علمه ابن طاهر الا بعد موت المأمون اه ابن الأثير

(ترجمة عبد الله بن طاهر بن الحسين)

قال في مختصر الذهبي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بتقديم الزاي بن اسعد مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي وهو طلحة الطلحات الامير العادل ابو العباس الخزاعي امير اقليم خراسان وما يليه ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة وتأدب في صغره وقرأ العلم والفقه وسمع من وكيع ويحي بن الضريس وعبد الله المأمون وعنه اسحق بن راهويه وهو اكبر منه ونصر بن زياد القاضي واحمد بن سعيد الرباطي والفضل بن محمد الشعراني وابنه محمد بن عبد الله الأمير وابن اخيه منصور بن طلحة . قال المرزباني كان بارع الأدب حسن الشعر تنقل في الأعمال الجليلة شرقاً وغرباً قلده المأمون مصر والمغرب ثم نقله الى خراسان وروى الحاكم في تاريخه ان اسعد جد بني طاهر كان يعرف فى العجم بفرح زرين موزه فأسلم على يد علي على ان لا يغير اسمه فسأل عن اسمه فقيل اسم مشتق من السعادة فقال هو اذن اسعد وكان والده يسمى فيروز وقال ابراهيم نفطويه لما غلب عبد الله بن طاهر على الشام وهب له المأمون ما وصل اليه من الأموال هناك ففرقها على القواد ولما دخل مصر وقف على بابها وقال اخزى الله فرعون ما كان اخبثه وادنى همته ملك هذه القرية فقال انا ربكم الأعلى والله لأدخلنها وكان ابن طاهر جواداً ممدحاً وفد عليه دعبل فلما اكثر عطاياه توارى عنه وكتب اليه

هجرتك لم اهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجي فيك الزيادة بالكفر
ولكنني لما اتيتك زائراً ... فأفرطت فى بري عجزت عن الشكر
فمن لان [١] لا آتيك الا معذراً ... ازورك فى الشهرين يوماً وفى الشهر

---

(١) اصله من الان

فـأن زدت في بري تزيدت جفوة ولا نلتقي حتى القيـامة والحشر

فوصل اليه منه ثلثمائة الف درهم وعن العباس بن مجاشع قال لما قدم ابن طاهر اعترضه دعبل فقال

جئتك مستشفعاً بلا سبب اليك الا بحرمـة الأدب

فاقضي زمـامي فانني رجل غير ملح عليك فى الطلب

فبعث اليه بعشرة الآف درهم وبهذين البيتين

اعجلتنا فأتاك عاجل برنـا قلا ولو امهلتنـا لم نقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كاننا لم نسئل

ثم قال وعن سهل بن ميسرة ان جيران دار عبد الله بن طاهر امر بأحصائهم فبلغوا اربعة الآف نفس فكان يقوم بمؤنتهم وكسوتهم فلما خرج الى خراسان انقطعت الرواتب من المؤنة وبقيت الكسوة مدة حياته وكان ابن طاهر عادلاً في الرعية عظيم الهيبة حسن المذهب قال احمد بن سعيد الرباطي سمعته يقول والله لا استطيع ان اقول ايماني كأيمان يحي بن يحي واحمد بن حنبل وهو لا يقولون [هكذا والظاهر ان الصواب وهما لايقولان] ايماننا كأيمان جبريل وميكائيل ولما مات خلف فى بيت ماله اربعين الف الف درهم دون مافي بيت العامة قال احمد بن كامل القاضي مات عبد الله بن طاهر وقد اظهر التوبة وكسر الملاهي وعمر الرباطات بخراسان ووقف لها الوقوف وافتدى الأسرى من الترك بنحو الفي الف درهم وقال ابو حسن الزيادي مـات بمرو فى ربيع الأول سنة ثلثين ومائتين بعلة الخوانيق وله ثمان واربعون سنة اه وقال ابن خلكان كان عبد الله المذكور سيدا نبيلاً عالي الهمة شهماً وكان المأمون كثير الأعتماد عليه حسن الألتفات اليه لذاته ورعاية لحق والده ولما سلفه من الطاعة في خدمته وكان

والياً على الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان واوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من اعمال نيسابور واكثروا فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث الى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج الى خراسان فخرج اليها سنة ثلاث عشرة ومائتين وحارب الخوارج وقدم نيسابور سنة خمس عشرة ومائتين وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة فلما دخلها مطرت مطراً كثيراً فقام اليه رجل بزاز من حانوته وانشد

قد قحط الناس في زمانهم حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان في ساعة لنا قدما فمرحباً بالأمير والمطر

ونقل عن الطبري ان المأمون لما مات طاهر بن الحسين كان ولده عبد الله بالرقة على محاربة نصر بن شبث ولاه عمل ابيه كله وجمع له مع ذلك الشام فوجه عبد الله اخاه طلحة الى خراسان ثم قال وكان عبد الله المذكور اديباً ظريفاً جيد الغناء نسب اليه صاحب الأغاني اصواتاً كثيرة واحسن فيها ونقلها اهل الصنعة منه وله شعر مليح ورسائل ظريفة فمن شعره قوله

نحن قوم تلیننا الحدق النجـ ـل على اننا نلين الحديدا
طوع ايدي الظباء تقتادنا الـ ـعين ونقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات اعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة احرا راً وفي السلم للغواني عبيدا

ومن مشهور شعره قوله

اغتفر زلتي لتحرز فضل الشكـ ـر مني ولا يفوتك اجري
لا تكلني الى التوسل بالعذ ر لعلي ان لا اقوم بعذري

ومن كلامه سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان في موضع واحد ثم قال وكان دخول عبد الله الى مصر سنة احدى عشرة ومايتين وخرج منها في اواخر هذه السنة فدخل بغداد في ذى القعدة منها واستمر نوابه بمصر وعزل عنها في سنة ثلاث عشر ومايتين

ولايه العباس بن المأمون سنه ٢١٣

قال ابن الأثير في حوادثها فيها ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم وولى اخاه ابا اسحاق المعتصم الشام ومصر وامر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر [لأنه ولاه خراسان كما تقدم في ترجمته] بخمسمائة الف درهم قيل لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك

ولايه اسحق بن ابراهيم زريق سنة ٢١٤

 وولاية العباس بن المأمون فى السنة المذكورة مرة ثانية

قال فى زبدة الحلب ثم ولي المأمون اسحق بن ابراهيم بن مصعب وعزل ابنه العباس في سنة اربعة عشر ومأتين ثم ان المأمون عزل اسحق بن ابراهيم في السنة وولاه مصر واعاد ابنه العباس اليها ثانية ثم ولى المأمون حلب وقنسرين ورقة الطريفى واظنه مع العباس

ترجمة العباس بن المأمون

قال في مختصر الذهبي العباس بن المأمون عبدالله بن الرشيد الهاشمي الأميراحد من ذكر للخلافة عند وفاة ابيه وقد تلكأ عند مبايعة المعتصم وهم بالخروج عليه في سنة ثلث وعشرين فقبض عليه المعتصم ومات شاباً فى سنة اربع وعشرين

ومايتين اه وقد بسط ابن الاثير في حوادث سنة ٢٢٣ الكلام على محاولة خروجه على المعتصم والقبض عليه وعلى من هم بالخروج معه فراجعه ان احببت. وقال ابن شاكر في عيون التواريخ في حوادث سنة ٢٢٣ فيها توفي العباس بن المأمون بن هارون الرشيد توفى بمنبج وكان سبب موته ان عمه المعتصم كان قد غضب عليه كما ذكرنا واعتقله فلما بلغ الى منبج نزل بها وكان العباس جائعاً فسأل الطعام فقدم اليه طعاماً كثيراً فأكل فلما طلب الماء منع منه وادرج فى مسح فمات بمنبج وصلى عليه بعض اخوته ومن كان معه والعباس هذا الذي رأي فى يد ابراهيم بن المهدي بين يدي المعتصم خاتما استحسن فصه فقال ما رأيت مثله فقال ابراهيم بن المهدي هذا الخاتم رهنته في ايام ابيك وافتككته في ايام امير المؤمنين فقال ان لم تشكر لأبي حتى رهنك لم تشكر لأمير المؤمنين افتكاك خاتمك وقيل انه لما مات العباس جزع عليه المعتصم جزعا شديداً وندم على ما كان منه وامر ان لا يحجب عنه الناس للتعزية فدخل فيمن دخل اعرابي فقال

اصبر نكن لك تابعين فأنما ... صبر الجميع بحسن صبر الراس

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

ترجمة اسحاق بن ابراهيم بن مصعب

قال في مختصر الذهبي اسحق بن ابراهيم بن مصعب الخزاعي الأمير ابن عم طاهر بن الحسين الأمير وكان يعرف بصاحب الجسر ولي امرة بغداد مدة طويلة اكثر من ثلثين سنة وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون واكرهوا على القول بخلق القرآن وكان خبيراً صارماً سائساً حازماً وافر العقل جواداً ممدحاً له مشاركة فى العلم حكى المسعودي قال حدث عنه موسى بن صالح بن شيخ

بن عميرة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له في النوم اطلق القاتل فارتاع وامر باحضار السندى وعباس فسألهما هل عندكما من قتل فقال عباس نعم واحضر رجلاً فقال ان صدقتني اطلقتك فابتدأ يحدثه بخبره فذكر انه هو وجماعة كانوا يفعلون فلما كان امس جاءتهم عجوز تختلف اليهم للفساد فجاءتهم بصبية بارعة بالجمال فلما توسطت الدار صرخت صرخة وغشي عليها فبادرت اليها وادخلتها بيتاً وسكنت روعها فقالت الله الله فيَّ يافتيان خدعتني هذه واخذتني بزعمها الى عرس وهجمت بي عليكم وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وامي فاطمة فاحفظوهما فيَّ فخرجت الى اصحابي فعرفتهم فقالوا بل قضيت اربك فبادروا اليها فحلت بينهم وبينها الى ان تفاقم الأمر ونالتني جراح فعمدت الى اشدهم في امرها فقتلته واخرجتها فقالت سترك الله كما سترتني فدخل الجيران واخذت فأطلقه اسحق توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين اه

سنة ٢١٥

قال ابن الأثير في هذه السنة سار المأمون الى الروم في المحرم وكان سيره عن طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ودخل منها الى بلاد الروم في جمادى الأولى ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة افتتحه عنوة وهدمه وفتح قبله حصن ماجدة بالأمان ووجه اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيفا وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع واطاع

ولاية عيسى بن علي بن صالح الهاشمي سنة ٢١٥

قال في زبدة الحلب لما قدم المأمون حلب للغزاة ونزل بدابق في سنة خمس عشرة

ومايتين لقيه عيسى بن صالح الهاشمي فقال له يا امير المؤمنين ابلينا في اعدائنا في الفتنة وفي ايامك فقال لا ولا كرامة فصرف ورقة وولي عيسى بن صالح نيابة عن ولده العباس فيما ارى فوجد عنده من الكفاية والضبط وحسن السيرة ما اراد فقدمه وكبر عنده واجبه وكان المأمون كلما غزا الصائفة لقيه عيسى بن علي بالرقة ولا يزال معه حتى يدخل الثغور ثم يرد عيسى الى عمله وولي المأمون في سنة خمس عشرة ومايتين قضاء حلب عبيد بن جناد بن اعين مولى بني كلاب فامتنع من ذلك فهددوه على الأمتناع فأبى

(ولايه عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح)

(سنه ٢١٨)

قال بن جرير في هذه السنة شخص المأمون من سلفوس الى الرقة وقتل بها ابن اخت الداري وامر بتفريغ الرافقة لينزلها حشمه فضج من ذلك اهلها فأعفاهم

قال فى زبدة الحلب في هذه السنة ولى المأمون عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح لما غزا الصائفة

وفي هذه السنة توفي المأمون وولي ابو اسحق المعتصم واسمه محمد سنة ٢٢٣

قال فى زبدة الحلب فى هذه السنة ولى المعتصم حلب وقنسرين حربها وخراجها وضياعها عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن علي الهاشمي

ولاية اشناس التركى من سنه ٢٢٥ الى سنه ٢٣٠

قال فى زبدة الحلب ثم ان المعتصم ولى اشناس التركي الشام جميعه والجزيرة ومصر

(سنة ٢٢٧)

فيها توفى المعتصم وولي الخلافة هرون الواثق ابو جعفر

قال ابن جرير توج الواثق اشناس والبسه وشاحين بالجوهر. قال في زبدة الحلب واظن ان اشناس بقي في ولايته الى ان مات سنة ثلاثين ومايتين في ايام الواثق

﴿ ولاية عبيد الله بن عبد العزيز مرة ثانيه سنة ٢٣٠ ﴾

قال في زبدة الحلب وولي الواثق بعد موت اشناس عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمي حلب وقنسرين حربها وخراجها وضياعها واظنه كان متوليا في ايام المعتصم من جهة اشناس فأقره الواثق على ولايته

﴿ ولاية محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح سنة ٢٣٠ ﴾

قال في زبدة الحلب وولي الواثق قنسرين وحلب والعواصم بعد عبيد الله محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح فكانت سيرته غير محمودة وكان احمر اشقر فلقب سماقة لشدة حمرته ويقال انه اول من اظهر البرطيل بالشام واوقع عليه هذا الأسم وكان لا يعرف قبل ذلك الا الرشوة على غير اكراه وكان اكثر الناس سكوتا واطولهم صمتا لا يكاد يسمع له كلام في امر يأمر به او قول يجيب عنه وكان قاضي حلب فى ايامه ابا سعيد عبيد بن جناد الحلبي توفى سنة احدى وثلاثين ومايتين وكان المأمون ولاه قضاء حلب وله يقول بن هوبر الكلبي من قصيدة يغض منه اولها

لا در در زمانك المتنكس ... الجاعل الأذناب فوق الأرؤس
ما انت الا نعمة في نقمة ... اواصل شوك في حديقة نرجس
يا قبلة ذهبت ضياعا في يد ... ضرب الاله بنانها بالنقرس
من سر ابطح مكة آباؤه ... وجدوده وكأنه من قبرس

وهذا عمر كان من معراتا البريدية من ضياع معرة النعمان وولي في ايام المتوكل معرة مصرين وقتل بها

الزلازل بأنطاكية في هذه السنين

قال الجلال السيوطي في كتاب الصلصلة في الزلزلة في سنة ٢٢٠ زلزلت الأرض ودامت اربعين يوماً وتهدمت انطاكية وفي سنة ٢٣٠ حصلت زلزلة بدمشق وامتدت الى انطاكية فهدمتها واتصلت بالجزيرة والموصل وكان اشدها بأنطاكية والعواصم

ولاية احمد بن سعد بن مسلم بن قتيبه

(وولاية نصر بن حمزة الخزاعي سنة ٢٣١)

قال ابن الأثير فيها كان الفداء بين المسلمين والروم واجتمع المسلمون فيها على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس واشترى الواثق من بغداد وغيرها من الروم وعقد الواثق لاحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي على الثغور والعواصم وامره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم وامرهما ان يمتحنا اسرى المسلمين فمن قال القرآن مخلوق وان الله لايرى في الآخرة نودي به واعطي ديناراً ومن لم يقل ذلك ترك في ايدى الروم فلما كان في عاشوراء سنة احدى وثلثين اجتمع المسلمون ومن معهم من الاسرى على النهر واتت الروم ومن معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفساً والنساء والصبيان ثمانمائة

واهل ذمة المسلمين مائة نفس وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وقيل بل كان عليه جسر ولما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم الباهلي شاتياً فاصاب الناس ثلج ومطر فمات منهم مائتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير فوجد الواثق على احمد وكان قد جاء الى احمد بطريق من الروم ينذره فقال وجوه الناس لأحمد ان عسكراً فيه سبعة آلاف لا تتخوف عليه فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحواً من الف بقرة وعشرة آلاف شاة وخرج فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي في جمادى الاولى وفي سنة ٢٣٢ توفي الواثق وولي الخلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم

ولاية علي بن اسماعيل ابن صالح ابن علي سنه ٢٣٢

قال في زبدة الحلب وولي الشارباميان في اول ايام المتوكل على حلب وقنسرين والعواصم والبين انا ذاكرهما وكان الشارباميان احد قواد المتوكل وكان خصيصا عنده فاما ان يكون المتوكل ولاه جند قنسرين والعواصم او انه كان السلطان في ايام المتوكل فكان امر الولاية اليه فانني قرأت في كتاب نسب بني صالح ابن علي قال وولي الشارباميان جند قنسرين والعواصم علي بن اسماعيل بن صالح ابن علي ابا طالب وانما اراد ان يتزين به عند المتوكل فامتنع من قبول ولايته فاعلمه ان لم يفعل كتب فيه الى الخليفة فقبلها واقام على ولاية جند قنسرين والعواصم حتى مات فكانت ايامه احسن ايام وسيرته اجمل سيرة وكان علي بن اسماعيل اذا خرج الى العواصم استخلف ابنه محمد بن علي على قنسرين وحلب فلا يفقد من ابيه شيئاً قال وولي الشارباميان الخ ما ياتي

ولاية عيسى بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح بن علي الهاشمي سنه ٢٣٢

قال في زبدة الحلب وولى الشارباميان جند قنسرين والعواصم عيسى بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح بن علي الهاشمي

﴿ ولاية طاهر بن محمد بن اسماعيل ﴾

قال في زبدة الحلب ناقلا عن كتاب نسب بني صالح وولى المتوكل طاهر بن محمد بن اسماعيل بن صالح على المظالم بجند قنسرين والعواصم والنظر في امور العمال وجاءته الولاية منه فألفاه الرسول في مرضه الذي مات فيه . ولم يظهر لي في اي سنة كانت ولايته

﴿ ولاية المنتصر بن المتوكل سنة ٢٣٥ ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر بالله وعبد الله ولقبه المعتز بالله وابراهيم ولقبه المؤيد بالله ثم قال فأما المنتصر فاقطعه افريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية الجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانة والأنبار والخابور وكور باجرمي وكور دجلة وطساسيج السواد جميعها والحرمين واليمن وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفرج بيت الذهب وكور الأهواز والمستغلات بسامرا وماه الكوفة وماه البصرة وماه سبذان ومهرجا نقذف وشهر زور والصامغان واصبهان وقم وقاشان والجبل جميعه وصدقات العرب بالبصرة

قال في زبدة الحلب فاستمر في الولاية الى ان قتل اباه وكانت الولاة من قبله اه

﴿ ولاية بغا الكبير سنة ٢٣٥ ﴾

قال في زبدة الحلب واظن ان نائب المنتصر في جند قنسرين في حياة المتوكل كان بغا الكبير فلما قتل المتوكل وفد بغا عليه . وكان قتل المتوكل سنة ٢٤٧

(سنة ٢٤٢)

قال في زبدة الحلب وفي ايام ولاية المنتصر حلب في سنة اثنين واربعين ومأتين وقع طائر دون الرخمة وفوق الغراب على دلبة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح يا معشر الناس الله الله حتى صاح اربعين صوتاً ثم طار وجاء من الغد فصاح اربعين صوتاً وكتب صاحب البريد بذلك واشهد خمسماية انسان سمعوه ولا يبعد عندي ان تكون الدلبة التي ينسب اليها رأس الدلبة .

اقول تقدم في الكلام على ولاية اسماعيل بن صالح سنة ١٨٢ ان الرشيد اقطعه ما كان له بحلب في سوقها وهي الحوانيت التي بين باب انطاكية الى رأس الدلبة

(سنة ٢٤٤)

[ذكر نقل مركز الخلافة من بغداد الى الشام مدة شهرين]

قال ابو الفدا في تاريخه في هذه السنة وصل المتوكل الى دمشق ودخلها في صفر وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبي :

اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الأمام على الطلاق
فان تدع العراق وساكنيه فقد تبكي المليحة بالطلاق

ثم استوبأ المتوكل دمشق واستثقل ماءها فرجع سامرا وكان مقامه بدمشق شهرين واياما اه

وقال الجاحظ في كتابه المحاسن والاضداد (صحيفة ١٠٢) حدثنا ثعلب عن

الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فانهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم لخاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

امير المؤمنين سما الينا | سمو البدر مال به الغريف
فان نسلم فعفو الله نرجو | وان نقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل احسنت ، ماجزاؤها يافتح، قلت العفو والصلة فامر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مري الى قومك وقولي لهم لا تردوا المال على التجار فاني اعوضهم عنه اه

اقول كان على المتوكل ان يجازي هؤلاء المسيئين على اساءتهم وتلك المحسنة على احسانها ويرد على التجار عين اموالهم

(سنة ٢٤٥)

قال ابن جرير وفيها زلزلت بالس (مسكنة) والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأدنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا افلت من اهلها الا اليسير وذهبت جبلة بأهلها

قال الجلال السيوطي في كتاب الصلصلة في الزلزلة وفي سنة ٢٤٥ عمت الزلازل الدنيا وسقط من انطاكية جبل في البحر وسقط منها ١٥٠٠ دار ومن سورها نيف وسبعون برجاً اه

[سنة ٢٤٧]

فيها قتل المتوكل وولي الخلافة المنتصر بالله واسمه محمد

ولاية وصيف التركى سنة ٢٤٥

قال ابن الأثير في هذه السنة اغزى المنتصر وصيفا التركي الى بلاد الروم ثم ساق السبب فى ذلك الى ان قال ولما سار وصيف كتب اليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر اربع سنين يغزو في اوقات ومنها الى ان يأتيه امره

وفيها توفي المنتصر بالله وولي الخلافة المستعين بالله واسمه احمد بن محمد بن المعتصم

ترجمة وصيف التركى

قال الذهبي وصيف القائد من كبار الأمراء استولى على المعتز واحتجر عليه واصطفى لنفسه الأموال والذخائر فسخت الفراعنة والاسترو شنيه وطالبوا بالأرزاق فخرج اليهم وصيف وبغا وسيما الشرابي وجماعة من الخواص فقال لهم وصيف مالكم عندنا الا التراب وما عندنا مال وقال بغا نسأل امير المؤمنين لكم ثم خرج هو وسيما الى سامرا يستأذن المعتز فبقي وصيف فى طائفة يسيرة فوثبوا عليه فقتلوه بالدبابيس وقطعوا رأسه ونصبوا الرأس على رمح ولوصيف حكاية معروفة فأنه لما دخل الى قم سأل عن رجل خامل فلما احضر ذكر انه كان اشتراه ورباه واحسن اليه فقال ما اعرف الأمير ايده الله الا اميرا فاعجبه ذلك وبالغ فى صلته وصيره من رؤساء البلد. قتل وصيف فى سنة ثلاث وخمسين ومأتين قبل بغا بيسير وكان الفاتقة والراتقة زمن المتوكل والمستعين والمعتز اه

ولاية موسى بن بغا سنة ٢٥٠

قال في زبدة الحلب وولى المستعين في سنة خمسين ومايتين قنسرين وحلب وحمص موسى بن بغا وتوجه اليها حين عاث اهل حمص على الفضل بن قارن قال ابن جرير وفيها وثب اهل حمص وقوم من كلب رجل يقال عطيف بن

نعمة الكلبي بالفضل بن قارن اخي مازيار بن قارن وهو يومئذ عامل السلطان على حمص فقتلوه في رجب فوجه المستعين اليهم موسى بن بغا الكبير فشخص موسى من سامرا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فلما قرب موسى تلقاه اهلها فيما بينها وبين الرستن فحاربهم فهزمهم وافتتح حمص وقتل من اهلها مقتلة عظيمة واحرقها واسر جماعة من رؤساء اهلها وكان عطيف قد لحق بالبدو اه

ترجمته

قال الذهبي موسى بن بغا الكبير احد قواد المتوكل ندب سنة خمسين ومائتين لحرب اهل حمص حين قاتلوا واليهم فاوقع بهم وقتل منهم خلقاً وولي الثوار في حمص وبالغ في العسف ثم ولي حرب الزنج بالبصرة فنصر عليهم وولي حرب الحسن بن احمد الكوكبي الحسني الذي استولى علي قزوين وزنجان فهزمه موسى وقتل من عسكر الكوكبي نحو العشر آلاف توفي سنة اربع وستين اه

ولاية ابي تمام ميمون بن سليمان بن عبدالملك بن صالح

سنة ٢٥١

قال في زبدة الحلب ثم ولي حلب والعواصم ابو تمام ميمون بن سليمان بن عبد الملك بن صالح في ايام المستعين وكانت له حركة وبأس في فتنة المستعين وعصى اهل حلب واقاموا على الوفاء للمستعين ببيعتهم

ولاية احمد المولد ثم الحسين بن محمد بن صالح الهاشمي

سنة ٢٥٢

قال ابن جرير في هذه السنة خلع المستعين احمد بن محمد بن المعتصم نفسه من

الخلافة وبويع للمعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم

قال في زبدة الحلب لما عصى اهل حلب واقاموا على الوفاء للمستعين ببيعتهم قدم عليهم احمد المولد محاصراً لهم فلم يجيبوه الى ما اراد من البيعة للمعتز وكان السفير بينه وبينهم الحسين بن محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح بن ابي عبد الله الهاشمي فلما بايعوا بعد ذلك للمعتز وانقضى امر المستعين ولاه احمد المولد جند قنسرين وحلب في سنة اثنين وخمسين ومأتين فاقام بها مدة يسيرة ثم انصرف الى سلمية اعني الحسين بن محمد وقيل ولى حلب وقنسرين والعواصم صالح بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح في فتنة المستعين وكان له سعي وتقدم ورياسة

ولاية ابي تمام ميمون بن سليمان بن عبد الملك بن صالح سنة ٢٥٣

قال في زبدة الحلب ثم ولي بعد ابي تمام صالح بن عبيد الله ابو تمام ميمون بن سليمان ابن عبد الملك بن صالح وهذه ولاية ثانية له ومات بالرقة .

(ولاية صالح بن عبيد الله مرة ثانية سنة ٢٥٣)

قال في زبدة الحلب ثم ولي بعد ابي تمام صالح بن عبيد الله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح الهاشمي وانقضت ولاية بني صالح الهاشميين اه

[ولايه ديوداد سنه ٢٥٤]

قال ابن جرير فيها عقد صالح بن وصيف (من كبار قواد بغداد) لديوداد على ديار مصر وقنسرين والعواصم في ربيع الاول منها اه قال في زبدة الحلب وبقي والياً الى ان تغلب احمد بن عيسى بن شيخ على الشام في ايام المهتدى

﴿ ذكر مبدأ حال احمد بن طولون ﴾

قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة . كانت ديار مصر قد اقطعها بابكيال وهو من اكابر قواد الأتراك وكان مقيماً بالحضرة واستخلف بها من ينوب عنه بها وكان طولون والد احمد بن طولون ايضاً من الأتراك وقد نشأ هو بعد والده على طريقة مستقيمة وسيرة حسنة فالتمس بابكيال من يستخلفه بمصر فأشير عليه بأحمد بن طولون لما ظهر عنه من حسن السيرة فولاه وسيره اليها وكان بها ابن المدبر على الخراج وقد تحكم في البلد فلما قدمها احمد كف يد ابن المدبر واستولى على البلد وكان بابكيال قد استعمل احمد بن طولون على مصر ليارکوج التركي كان بينه وبين احمد بن طولون مودة متأكدة استعمله على ديار مصر جميعها فقوي امره وعلا شأنه ودامت ايامه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه

(سنة ٢٥٥)

فيها خلع المعتز بالله وبويع محمد بن الواثق ولقب المهتدي بالله

(ولاية احمد بن موسى بن شيخ)

قال في زبدة الحلب بقى ديوداد والياً الى ان تغلب احمد بن عيسى بن شيخ على الشام في ايام المهتدي .

سنة ٢٥٦

قال ابن الأثير فيها خلع المهتدى بالله ومات وولي الخلافة احمد بن المتوكل ولقب المعتمد قال في زبدة الحلب لما مات المهتدى وولي المعتمد سير الى ابن شيخ بولاية ارمينية على ان ينصرف عن الشام آمنا فاجاب الى ذلك ورحل

عنها في سنة ست وخمسين ومائتين

(ولاية احمد بن طولون سنة ٢٥٦)

قال في زبدة الحلب بعد ان رحل عن هذه البلاد احمد بن عيسى بن شيخ وليها احمد بن طولون مع انطاكية وطرسوس وغيرها من البلاد وكان احمد بن طولون شجاعاً عاقلاً وعلى مربطه اربعة الآف حصان وكانت نفقته في كل يوم الف دينار

ولاية ابي احمد اخي المعتمد سنة ٢٥٨ الملقب بالموفق

قال ابن الأثير فيها في ربيع الأول عقد المعتمد لأخيه ابي احمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح في ربيع الآخر وسيرهما الى حرب الزنج بالبصرة

﴿ ولاية سيما الطويل سنة ٢٥٨ ﴾

قال في زبدة الحلب ولى ابو احمد الموفق سيما الطويل احد قواد بني العباس ومواليهم حلب والعواصم فابتنى بظاهر مدينة حلب داراً حسنة وعمل لها بستاناً وهو الذي يعرف الآن ببستان الدار ظاهر باب انطاكية وبهذه الدار سميت المحلة التي بباب انطاكية الدارين هذه والدار الأخرى بناها قبله محمد بن عبد الملك بن صالح فعرفت المحلة بالدارين لذلك واحد الدارين تعرف بالسليمانية على حافة نهر قويق وحاضر السليمانية بها يعرف وهو حاضر حلب .

قال وجدد سيما الطويل الجسر الذي على نهر قويق قريباً من داره وركب عليه باباً اخذه من بعض قصور الهاشميين بحلب يقال له قصر البنات واظن ان درب البنات بحلب يعرف به واظن القصر يعرف بأم ولد كانت لعبد الرحمن بن

عبد الملك بن صالح اسمها نبات وهي ام ولده داود وسمى سيما الباب باب السلامة وهو الباب الذي ذكره الواساني في قصيدته الميمية التي اولها

ياساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامة

وفي سيما يقول البحتري

فردت الى سيما الطويل امورنا وسيما الرضا في كل امر نحاوله

قال الرضي الحنبلي في الزبد والضرب. قلت والواساني المذكور هو الذى ينسب اليه حمام الواسانى بحلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاء على ماذكره الصاحب كمال الدين في تاريخه الكبير وان كان العوام يعتقدونه اليوم من الأولياء وارباب المزارات والله سبحانه وتعالى اعلم اه

قال ابن الأثير فيها مات ياركوج التركى فى رمضان وكان صاحب مصر ومقطعها ويدعي له فيها قبل احمد بن طولون فلما توفي استقل احمد بمصر اه اعنى انه صار اميراً عاماً على جميع القطر المصرى نيابة عن ابى احمد الموفق المولى على ديار مصر وقنسرين والعواصم كما تقدم

[سنة ٢٦٢]

قال ابن الأثير فيها تنافر ابو احمد الموفق واحمد بن طولون امير ديار مصر وصار بينهما وحشة مستحكمة وتطلب الموفق من يتولى الديار المصرية فلم يجد احداً لأن ابن طولون كانت خدمه وهداياه متصلة الى القواد بالعراق وارباب المناصب فلهذا لم يجد من يتولاها فكتب الى ابن طولون يهدده بالعزل فأجابه جواباً فيه بعض الغلظة فسير اليه الموفق موسى بن بغا فى جيش كثيف فسار الى الرقة وبلغ الخبر ابن طولون فحصن الديار المصرية واقام ابن بغا عشرة اشهر بالرقة لم يمكنه المسير لقلة الأموال معه وطالبه الأجناد بالعطاء فلم يكن

معه ما يعطيهم فاختلفوا عليه وثاروا بوزيره عبدالله بن سليمان فاستتروا واضطر ابن بغا الى العود الى العراق وكفي الله احمد بن طولون شره فتصدق باموال كثيرة

[سنة ٢٦٤]

قال ابن الأثير فى هذه السنة توفى اماجور مقطع دمشق (اي واليها) وولي ابنه مكانه فتجهز ابن طولون ليسير الى الشام فيملكه فكتب الى ابن اماجور يذكر له ان الخليفة قد اقطعه الشام والثغور فأجابه بالسمع والطاعة وسار احمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقيه ابن ماجور بالرملة فأقره عليها وسار الى دمشق فملكها واقر قواد اماجور على اقطاعهم وسار الى حمص فملكها وكذلك حماه وحلب وراسل سيما الطويل بانطاكية يدعوه الى طاعته ليقره على ولايته فامتنع فعاوده فلم يطعه فسار اليه احمد بن طولون فحصره بأنطاكية وكان سيئ السيرة مع اهل البلد فكاتبوا احمد بن طولون ودلوه على عورة البلد فنصب عليه المجانيق وقاتله فملك البلد عنوة والحصن الذي له وركب سيما وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ولم يعلم به احد فأجتاز به بعض قواده فرآه قتيلاً فحمل رأسه الى احمد فساءه قتله اه

قال في المختار من الكواكب المضية . ومن اعجب ما نقلته من تاريخ الصاحب في ترجمة محمد بن عمار الأمام بمسجد انطاكية فى ايام سيما الطويل قال محمد المذكور كنت امام المسجد بانطاكية ايام سيما الطويل وكان عليها والياً فلما جاء احمد بن طولون وفتحها وقتل سيما تقدم اليَّ ان اخطب لأحمد بن طولون يوم الجمعة فصعدت المنبر وخطبت لسيما الطويل على الرسم وانسيت ما تقدم اليَّ فلم اذكر الا وانا في الصلاة فلما قضيت الصلاة بادرت فصعدت المنبر

وقلت يا معاشر الناس قال الله تعالى [ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما] اللهم واصلح الأمير احمد بن طولون مولى امير المؤمنين حتى اتيت على الدعاء له ثم نزلت عن المنبر فلحقني غلام بكيس فيه الف دينار فدفعه اليّ انتهى .

قال في المختار من الكواكب المضية قال صاحب الأعلاق النفيسة نزل الفضل ابن صالح انطاكية وهو سهو لأن الفضل بن صالح توفي سنة ١٧٢ كما تقدم في الكلام على ولايته سنة ١٥٢ والنازل احد بنيه (بدلالة ما يأتي نقله عن زبدة الحلب) [فلما ولي سيما الطويل انطاكية قبض عليه وعلى ولده ودفنهما حيين في صندوقين فبصر رجل بالصندوق الذي كان فيه الفضل فظنه مالاً فحفر عليه واستخرجه وبه رمق وعاش بعد ذلك عشرين سنة ولم يزل ينتقل الى ان صار الى مصر فاتى احمد بن طولون ثم خرج احمد بن طولون من مصر ومعه الفضل بن صالح حتى قتل سيما الطويل واستقامت احوال الفضل المذكور انتهى

وقال في زبدة الحلب لما استولى احمد بن طولون على حلب كان قاضيها في ايامه عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ابا بكر القاضي العمري ودام على قضائها الى ان مات احمد وكان سيما حين صارت له حلب قد قصد جماعة من الأشراف من بني صالح بن علي بالأذى واستولى على املاكهم واستودع بعضهم في السجن فلما ولي احمد بن طولون قال صالح بن محمد بن اسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي الحلبي يمدحه ويشكره ويذكره ظفره بسيما بقصيدة يقول فيها

وقد لبستنا من قذا الجور ذلة ... ودار بنا كيد الأعادي فأحدقا
وكم لاذ فينا عائد بجرت له ... افاعيل عز تترك اللب اخلقا

الى ان اتيحت بأبن طولون رحمة ... اشار الى معصوصب فتفرقا
فدتك بنو العباس من ناصر لها ... انار به قصد السبيل فأشرقا
بنيت لهم مجداً تليداً بناؤه ... فلم نر بنيانا اعز واوثقا
منحتهم صفو الوداد ولم يكن ... سواك ليعطى الود صفواً مروقا
تحوز منك العبد لما قصدته ... واسكن اشراف الأقوام مطبقا (١)
للأثرة اسدوا اليه وانما ... يجازى الفتى يوماً على ما تحققا
وهيهات ما ينجيه لو ان دونه ... ثمانين سوراً في ثمانين خندقا

[ولاية لؤلؤ غلام احمد بن طولون نيابة عنه سنة ٢٦٤]

قال ابن الأثير فى حوادث هذه السنة ثم رحل احمد بن طولون الى طرسوس فدخلها وعزم على المقام بها وملازمة الغزاة فغلا السعر بها وضاقت عنه وعن عساكره فركب اهلها اليه بالخيم وقالوا له قد ضيقت بلدنا واغليت اسعارنا فأما اقمت فى عدد يسير واما ارتحلت عنا واغلظوا في القول وشغبوا عليه فقال احمد لأصحابه لتنهزموا من الطرسيوسين وترحلوا عن البلد ليظهر للناس وخاصة العدو ان ابن طولون على بعد صيته وكثرة عساكره لم يقدر على اهل طرسوس وانهزم عنهم ليكون اهيب لهم في قاب العدو (٢) وعاد الى الشام فأتاه خبر ولده العباس وهو الذى استخلفه بمصر انه قد عصي عليه واخذ الأموال وسار برقة مشاقفاً لأبيه فلم يكترث بذلك ولم ينزعج له وثبت وقضي اشغاله وحفظ اطراف بلاده وترك بحران عسكراً وبالرقة عسكراً مع غلامه لؤلؤ وكانت حران

(١) هكذا في الأصل (٢) يعني بذلك اعلان قوة اهل طرسوس وعدم قدرة ابن طولون عليهم لينكف عنهم ملوك الروم المجاورون لهم

لمحمد بن اتامش وكان شجاعاً فأخرجه عنها وهزمه هزيمة قبيحة واتصل خبره بأخيه موسى بن اتامش وكان شجاعاً بطلاً فجمع عسكراً كثيراً وسار نحو حران وبها عسكر ابن طولون ومقدمهم احمد بن جيعويه فلما اتصل به خبر مسير موسى اقلقه ذلك وازعجه ففطن له رجل من الأعراب يقال له ابو الأغر فقال له ايها الأمير اراك مفكراً منذ اتاك خبر ابن اتامش وما هذا محله فأنه طياش قلق ولو شاء الأمير ان آتيه به اسيراً لفعلت فغاظه قوله وقال قد شئت ان تأتي به اسيرا قال فأضمم اليَّ عشرين رجلا اختارهم قال افعل فأختار عشرين رجلاً وسار بهم الى عسكر موسى فلما قاربهم كمن بعضهم وجعل بينه وبينهم علامة اذا سمعوها ظهروا ثم دخل العسكر في الباقين في زي الاعراب وقارب مضارب موسى وقصد خيلا مربوطة فأطلقها وصاح هو واصحابه فيهافنفرت وصاح هو ومن معه من الاعراب واصحاب موسى غارون وقد تفرق بعضهم في حوائجهم وانزعج العسكر وركبوا وركب موسى فانهزم ابو الاغر من بين يديه فتبعه حتى اخرجه من العسكر وجاز به الكمين فنادى ابو الأغر بالعلامة التي بينهم فثاروا من النواحي وعطف ابو الأغر على موسى فأسروه فاخذوه وساروا حتى وصلوا الى ابن جيعويه فعجب الناس من ذلك وحاروا فسيره ابن جيعويه الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين اه

[سنة ٢٦٨]

قال ابن الأثير فيها في ذي القعدة خرج بالشام رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي يقال له بكار بين سلمية وحلب وحمص فدعا لأبي احمد الموفق فحاربه ابن عباس الكلابي فأنهزم الكلابي فوجه اليه لؤلؤ صاحب ابن طولون

قائداً يقال له يوذر في عسكر فرجع وليس معه كبير امر. وفيها خالف لؤلؤ صاحب ابن طولون صاحب مصر على مولاه وفي يده حمص وقنسرين وحلب وديار مضر من الجزيرة وسار الى بالس فنهبها وكاتب الموفق في المسير اليه واشترط شروطاً فأجابه ابو احمد الموفق اليها وكان بالرقة فسار الى الموفق فنزل قرقيسيا وبها ابن صفوان العقيلي فحاربه واخذها منه وسلمها الى احمد بن مالك بن طوق وسار الى الموفق فوصل اليه وهو يقاتل الخبيث العلوى [عميد الزنج الخارج في بلاد العراق على الموفق] قال في زبدة الحلب وقتل لؤلؤ للعلوى بالبصرة في سنة تسع وستين ومأتين فوجد له اربعماية الف دينار فذكر لؤلؤ الطولوني انه لا يعرف لنفسه ذنبا الا كثرة ماله واثاثه ولما انحدر لؤلؤ من الرقة كان معه من السفن والخزائن زهاء ثلاثماية خزانة .

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٧٣ ولم تزل امور لؤلؤ في ادبار الى ان افتقر ولم يبق له شيء ثم عاد الى مصر في آخر ايام هارون بن خمارويه فريداً وحيداً بغلام واحد فكان هذا ثمرة العقل السخيف وكفر الأحسان اه هذا ما كان من امر لؤلؤ مع ابي احمد الموفق .

واما ما كان من امر احمد بن طولون مع المعتمد فأن المعتمد سار نحو مصر وكان سبب ذلك انه لم يكن له من الخلافة غير اسمها ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا كثير وكان الحكم كله للموفق والأموال تجبى اليه فضجر المعتمد من ذلك وانف منه فكتب الى احمد بن طولون يشكوا اليه حاله سراً من اخيه الموفق فاشار عليه احمد باللحاق به بمصر ووعده النصرة وسير عسكراً الى الرقة ينتظر وصول المعتمد اليه فاغتنم المعتمد غيبة الموفق عنه فسار في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد فاقام بالكحيل يتصيد فلما سار الى عمل اسحاق بن

كنداجيق وكان عامل الموصل وعامة الجزيرة وثب بن كنداجيق بمن مع المعتمد من القواد فقبضهم وهم ينزك واحمد بن خاقان وخطارمش فقيدهم واخذ اموالهم ودوابهم وكان قد كتب اليه صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق وكان سبب وصوله الى قبضهم انه اظهر انه معهم في طاعة المعتمد اذ هو الخليفة ولقيهم لما صاروا الى عمله وسار معهم عدة مراحل فلما قارب عمل ابن طولون ارتحل الأتباع والغلمان الذين مع المعتمد وقواده ولم يترك ابن كنداجيق اصحابه يرحلون ثم خلا بالقواد عند المعتمد وقال لهم انكم قاربتم عمل ابن طولون والأمر امره وتصيرون من جنده وتحت يده افترضون بذلك وقد علمتم انه كواحد منكم وجرت بينهم فى ذلك مناظرة حتى تعالى النهار ولم يرحل المعتمد ومن معه فقال ابن كنداجيق قوموا بنا نتناظر فى غير حضرة امير المؤمنين فأخذ بأيديهم الي خيمته لأن مضاربهم كانت قد سارت فلما دخلوا خيمته قبض عليهم وقيدهم واخذ سائر من مع المعتمد من القواد فقيدهم فلما فرغ من امورهم مضى الى المعتمد فعزله فى مسيره من دار ملكه وملك آبائه وفراق اخيه الموفق على الحال التي هو بها من حرب من يريد قتله وقتل بيته وزوال ملكهم [يعنى به العلوي عميد الزنج الخارج على الموفق بأرض العراق كما قدمنا] ثم حمله والذين كانوا معه حتى ادخلهم سامرا . واما احمد بن طولون فأنه كما فى زبدة الحلب خرج من مصر في مائة الف فقبض على حرم لؤلؤ وباع ولده واخذ ما قدر عليه مما كان له وهرب لؤلؤ منه ولحق بأبي احمد طلحة بن المتوكل الملقب بالموفق كما تقدم

(ولاية عبد الله بن الفتح سنة ٢٦٩)

قال فى زبدة الحلب ثم ان احمد بن طولون وصل الى الثغور فأغلقوها في

وجهه فعاد الى انطاكية فمرض فولى على حلب عبد الله بن الفتح وصعد الى مصر مريضاً فمات سنة سبعين ومائتين

﴿ ترجمة احمد بن طولون ﴾

قال ابن خلكان هو الامير ابو العباس احمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور كان المعتز بالله قد ولاه مصر ثم استولى على دمشق والشام اجمع وانطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق ابي احمد طلحة بن المتوكل وكان نائباً عن اخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله بحرب صاحب الزنج [متعلق باشتغال] وكان احمد عادلاً جواداً شجاعاً متواضعا حسن السيرة صادق الفراسة يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد احوال رعاياه ويحب اهل العلم وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام وكان له الف دينار في كل شهر للصدقة فأتاه وكيله يوماً فقال انى تأتيني المرأة وعليها الأزار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني افأعطيها فقال له من مد يده اليك فأعطه وكان مع ذلك طائش السيف قال القضاعي يقال انه احصى من قتله ابن طولون صبراً ومن مات في حبسه فكان عددهم ثمانية عشر الفاً وكان يحفظ القرآن الكريم ورزق حسن الصوت وكان من ادرس الناس للقرآن وبنى الجامع المنسوب اليه الذي بين القاهرة ومصر شرع فيه سنة اربع وخمسين ومائتين وتوفي فى ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وزرت قبره في تربة عتيقة بالقرب من الباب المجاور للقلعة على طريق المتوجه الى القرافة الصغرى بسفح المقطم اه

اقول وقد الف احمد بن يوسف كتاباً مخصوصاً في سيرته واحواله ورأيت فى الخطط للمقريزى كثيراً من إخباره وآثاره في الديار المصرية وهي تدل على

تقدم مصر على عهد ولايته وتوسعها في الثروة والحضارة والعمران رحمه الله تعالى
وبعد وفاته تولى مصر ابنه [ابو الجيش خمارويه]

ولاية محمد بن العباس بن سعيد الكلابي سنة ٢٧١ من طرف خمارويه

قال فى زبدة الحلب لما ولي ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون مصر بعد وفاة ابيه ولى حلب ابا موسى محمد بن العباس بن سعيد الكلابي في سنة احدى وسبعين ومائتين ونزل ابو الجيش من مصر الى حلب وكاتب ابا احمد الموفق بن المتوكل بأن يولى حلب ومصر وسائر البلاد التي في يده ويدعي له على منابرها فلم يجبه لذلك فاستوحش من الموفق وولي في حلب القائد احمد بن دعباش وصعد الى مصر .

ولاية احمد بن دعباش سنة ٢٧١ من طرف خمارويه

قال ابن الأثير فيها كانت وقعة بين اسحق بن كنداجيق وبين ابن دعباش وكان بن دعباش بالرقة عاملاً عليها وعلى الثغور والعواصم لأبن طولون وابن كنداجيق على الموصل للخليفة .

قال ابن الأثير لما توفي احمد بن طولون كان اسحق بن كنداجيق على الموصل والجزيرة فطمع هو وابن ابي الساج فى الشام واستصغر اولاد احمد وكاتبا الموفق بالله فى ذلك واستمداه فأمرهما بقصد البلاد ووعدهما انفاذ الجيوش فجمعا وقصدا ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليه واعانهما النائب بدمشق لأحمد بن طولون ووعدهما الانحياز اليهما فتراجع من بالشام من نواب احمد بانطاكية وحلب وحمص وعصى متولي دمشق واستولى اسحق على ذلك

﴿ ولاية اسحق بن كنداجيق ثم محمد بن ديوادد ﴾

ابن ابي الساج سنة ٢٧١ من طرف الموفق

قال في زبدة الحلب لما استولي اسحق على هذه الديار ولاه الموفق حلب واعمالها ثم وليها محمد بن ديوداد بن ابي الساج سنة احدى وسبعين ومائتين .
قال ابن الأثير ولما بلغ الخبر الى ابي الجيش خمارويه بن احمد سير الجيوش الى الشام فملكوا دمشق وهرب النائب الذي كان بها وسار عسكر خمارويه من دمشق الى شيزر لقتال اسحق بن كنداجيق وابن ابي الساج فطاولهم اسحق ينتظر المدد من العراق وهجم الشتاء على الطائفتين واضر بأصحاب ابن طولون فتفرقوا في المنازل بشيزر ووصل العسكر العراقي الى كنداجيق وعليهم ابو العباس احمد بن الموفق وهو المعتضد بالله فلما وصل سار مجداً الى عسكر خمارويه بشيزر فلم يشعروا حتى كبسهم في المنازل ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وسار من سلم الى دمشق على اقبح صورة فسار ابو العباس احمد بن الموفق اليهم فجلوا عن دمشق الى الرملة وملك هو دمشق ودخلها في شعبان سنة احدى وسبعين ومائتين واقام عسكر ابن طولون بالرملة فارسلوا الى خمارويه يعرفونه الحال فخرج من مصر في عساكره قاصداً الشام

﴿ ذكر وقعة الطواحين بين ابي العباس المعتضد وبين خمارويه ﴾

قال ابن الأثير وفي هذه السنة كانت وقعة الطواحين بين ابي العباس المعتضد وبين خمارويه بن احمد بن طولون وسبب ذلك ان المعتضد سار من دمشق بعد ان ملكها نحو الرملة الي خمارويه فأتاه الخبر بوصول خمارويه الي عساكره وكثرة

من معه من الجموع فهم بالعود فلم يمكنه من معه من اصحاب خماويه الذين صاروا معه وكان المعتضد قد اوحش ابن كنداجيق وابن ابي الساج ونسبهما الى الجبن حيث انتظراه ليصل اليهما ففسدت نياتهما معه ولما وصل خمارويه الى الرملة نزل على الماء الذي عليه الطواحين فملكه فنسبت الوقعة اليه ووصل المعتضد وقد عبّأ اصحابه وكذلك ايضاً فعل خمارويه وجعل لهم كمينا عليهم سعيد الأيسر وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فلما رأي ذلك خمارويه ولم يكن رأى مصافاً قبله ولى منهزماً في نفر من الأحداث الذين لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر ونزل المعتضد الى خيام خمارويه وهو لا يشك فى تمام النصر فخرج الذين عليهم سعيد الأيسر وانضاف اليه من بقي من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم وحملوا على عسكر المعتضد وهم مشغولون بنهب السواد ووضع المصريون السيف فيهم وظن المعتضد ان خمارويه قد عاد فركب وانهزم ولم يلو على شيء فوصل الى دمشق ولم يفتح له اهلها بابها فمضى منهزما حتى بلغ طرسوس وبقي العسكران يضطربان بالسيوف وليس لواحد منهما امير وطلب سعيد الأيسر خمارويه فلم يجده فأقام اخاه ابا العشائر وتمت الهزيمة على العراقيين وقتل منهم خلق كثير واسر كثير وقال سعيد للعساكر ان هذا اخو صاحبكم وهذه الأموال تنفق فيكم ووضع العطاء فأشتغل الجند عن الشغب بالأموال وسيرت البشارة الى مصر ففرح خمارويه بالظفر وخجل للهزيمة غير انه اكثر الصدقة وفعل مع الأسرى فعلة لم يسبق الى مثلها فقال لأصحابه ان هؤلاء اضيافكم فاكرموهم ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اختار المقام عندنا فله الأكرام والمواساة ومن اراد الرجوع جهزناه وسيرناه فمنهم من اقام ومنهم من سار مكرما وعادت عساكر خمارويه الى الشام ففتحه اجمع

فأستقر ملك خمارويه له

ولاية محمد بن ديوداد بن ابي الساج المعروف بالافشين سنة ٢٧٣ من طرف خمارويه صاحب مصر

قال في زبدة الحلب لما انهزم ابو العباس المعتضد انتهى الي انطاكية وكان محمد بن ديوداد المعروف بالأفشين بن ابي الساج قد فارق ابا العباس المعتضد لكلام اغلظ له فيه فجاء قبل وقعة الطواحين واستولي على حلب ومعه اسحق بن كنداج وسار ابو العباس من انطاكية الي طرسوس فاغلقها اهلها دونه ومنعوه من دخولها فسار الى مرعش ثم الي كيسوم ثم الي سميساط وعبر الفرات ونكب عن حلب لاستيلاء الأفشين عليها وكان قد جرت بينهما وحشة ونزل خمارويه الي حلب فصالحه الأفشين وصار في جملته ودعا له على منابر اعماله وحمل اليه خمارويه مائتي الف دينار ونيفا وعشرين الف دينار لوجوه اصحابه وعشرين الف دينار لكاتبه وذلك في سنة ثلاث وسبعين ومائتين واعطاه الافشين ولده رهينة على الوفاء بعهده اه وعبارة ابن الأثير تفيد ان خمارويه لم ينزل الي حلب لمصالحته بل ان الأفشين راسله لمنافرة حصلت بينه وبين اسحق بن كنداج ونص عبارته في حوادث سنة ٢٧٣

في هذه السنة فسد الحال بين محمد ابن ابي الساج واسحق بن كنداج وكانا متفقين في الجزيرة وسبب ذلك ان ابن ابي الساج نافر اسحق في الأعمال واراد التقدم وامتنع عليه اسحق فأرسل ابن ابي الساج الى خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر واطاعه وصار معه وخطب له بأعماله وهي قنسرين وسير ولده ديوداد الى خمارويه رهينة فأرسل اليه خمارويه مالاً جزيلاً له ولقواده

وسار خمارويه الى الشام فاجتمع هو وابن ابي الساج ببالس وعبر ابن ابي الساج الفرات الى الرقة فلقيه ابن كنداج وجرى بينهما حرب انهزم فيها ابن كنداج واستولي ابن ابي الساج على ماكان لأبن كنداج وعبر خمارويه الفرات ونزل الرافقة ومضى اسحق منهزما الى قلعة ماردين فحصره ابن ابي الساج وسار عنها الى سنجار فأوقع بها بقوم من الأعراب وسار ابن كنداج من ماردين نحو الموصل فلقيه ابن ابي الساج ببرقعيد فكمن كمينا فخرجوا على ابن كنداج وقت القتال فانهزم عنها وعاد الى ماردين فكان فيها وقوي امر ابن ابي الساج وظهر امره واستولى على الجزيرة والموصل وخطب لخمارويه ثم لنفسه بعده اه

قال المقريزي في خطط مصر في الكلام على ولاية ابي الجيش خمارويه بعد ان ذكر بعضاً من هذه الوقائع . وكاتب خمارويه ابا احمد الموفق في الصلح فأجابه الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فائق الخادم الى مصر في رجب ذكر فيه ان المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خمارويه سلخ رجب فامر بالدعاء لأبي احمد الموفق وترك الدعاء عليه .

سنة ٢٧٤

قال ابن الأثير وفيها جمع اسحق بن كنداج جمعاً كثيراً وسار نحو الشام فبلغ الخبر خمارويه فسار اليه وقد عبر الفرات فالتقيا وجرى بين الطائفتين قتال شديد انهزم فيه اسحق هزيمة عظيمة لم يرده شيءٌ حتى عبر الفرات وتحصن بها وسار خمارويه الى الفرات نعمل جسراً فلما علم اسحق بذلك سار من هنالك الى قلاع له قداعدها وحصنها وارسل الى خمارويه يخضع له ويبذل له الطاعة في

جميع ولايته وهي الجزيرة وما والاها فأجابه الي ذلك وصالحه ابن ابي الساج ،
اي صالح لأبن كنداج

قال في زبدة الحلب لما اعطى ابن ابي الساج ولده رهينة لخمارويه دفع خمارويه له ثلاثين الف دينار فقال ابن ابي الساج (صوابه ابن كنداج) خدعكم اذ اعطاكم بولة يبول مثلها في كل ليلة مرات واخذ منكم ثلاثين الفاً ثم ان ابن ابي الساج نكث عهده مع ابي الجيش خمارويه والتقيا بالثنية من اعمال دمشق فانهزم ابن ابي الساج فاستبيح عسكره اسرا وقتلا وفي ذلك يقول البحتري

وقد تدلت جيوش النصر منزلة على جيوش ابي الجيش بن طولونا
يوم الثنية اذ ثنى بكرته خمسين الفاً رجالاً او يزيدونا

قال ابن الأثير لما انهزم ابن ابي الساج احضر خمارويه ولده وكان رهينة عنده فخلع عليه واطلقه وسيره الي ابيه وعاد الي مصر . قال في زبدة الحلب وكتب الي ابن ابي الساج يوبخه ويقول له اكان يجب ياقليل المروءة والأمانة ان نصنع برهنك ما اوجبه غدرك معاذ الله ان تزر وازرة وزر اخرى ورجع ابو الجيش خمارويه الى مصر في سنة خمس وسبعين ومائتين ولهذه الوقائع زيادة تفصيل في ابن الأثير في حوادث سنة ٢٧٥ قال قد ذكرنا انفاق ابن ابي الساج على خمارويه فسمع خمارويه الخبر فسار من مصر في عساكره نحو الشام فقدم اليه آخر سنة اربع وسبعين فسار ابن ابي الساج اليه فالتقوا عند ثنية العقاب بقرب دمشق واقتتلوا في المحرم من هذه السنة وكان القتال بينهما فانهزمت ميمنة خمارويه واحاط باقي عسكره بابن ابي الساج ومن معه فمضى منهزماً واستبيح معسكره واخذت الأثقال والدواب وجميع ما فيه وكان قد خلف بحمص شيئاً كثيراً فسير اليه خمارويه قائداً في طائفة من العسكر جريدة فسبقوا ابن ابي الساج اليها ومنعوه من

ثم منها الى الرقة فتبعه خمارويه ففارق الرقة فعبر خمارويه الفرات وسار في اثر ابن ابي الساج فوصل خمارويه الى مدينة بلد وكان قد سبقه ابن ابي الساج الى الموصل فلما سمع ابن ابي الساج بوصوله الي بلد سار عن الموصل الى الحديثة واقام خمارويه ببلد وعمل له سريراً طويل الأرجل فكان يجلس عليه في دجلة

ذكر الحرب بين بن كنداج وبين بن ابى الساج

قال ابن الأثير لما انهزم ابن كنداج من ابن ابي الساج كما ذكرناه (اي في اول سنة ٢٧٤) اقام الى ان انهزم ابن ابي الساج من خمارويه فلما وافى خمارويه بلدا اقام بها مع اسحق بن كنداج جيشاً كثيراً وجماعة من القواد ورحل يطلب ابن ابي الساج فمضى بين يديه وابن كنداج يتبعه الى تكريت فعبر ابن ابي الساج دجلة واقام ابن كنداج وجمع السفن ليعمل جسراً يعبر عليه وكان يجري بين الطائفتين مراماة وكان ابن ابي الساج في نحو الفي فارس وابن كنداج في عشرين الفا فلما رأى ابن الساج اجتماع السفن سار عن تكريت الى الموصل ليلا فوصل اليها في اليوم الرابع فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى وسار ابن كنداج يتبعه فوصل الى الفريق فلما سمع ابن ابي الساج خبره سار اليه فالتقوا واقتتلوا عند قصر حرب فاشتد القتال بينهم وصبر ابن ابي الساج صبراً عظيماً لأنه كان في قلة فنصره الله وانهزم ابن كنداج وجميع عسكره ومضى منهزما وكان اعظم الأسباب في هزيمته بغيه فانه لما قيل له ان ابن ابي الساج قد اقبل نحوك من الموصل ليقاتلك قال استقبل الكلب فعد الناس هذا بغيا وخافوا منه فلما انهزم وسار الى الرقة وتبعه محمد اليها وكتب الى ابي احمد الموفق يعرفه ما كان منه ويستأذنه في عبور الفرات الى الشام بلاد خمارويه فكتب اليه الموفق يشكره

ويأمره بالتوقف الى ان يصله الأمداد من عنده واما ابن كنداج فأنه سار الى خمارويه فسير معه جيشاً فوصلوا الى الفرات فكان اسحق ابن كنداج على الشام وابن ابي الساج بالرقة ووكل بالفرات من يمنع من عبورها فبقوا كذلك مدة ثم ان ابن كنداج سير طائفة من عسكره فعبروا الفرات في غير ذلك الموضع وساروا فلم تشعر طائفة من عسكر ابن ابي الساج كانوا طليعة الا وقد اوقعوا بهم فانهزموا من عسكر اسحق الى الرقة فلما رأى ابن ابي الساج ذلك سار عن الرقة الى الموصل فلما وصل اليها طلب من اهلها المساعدة بالمال وقال لهم ليس بالمضطر مروءة فأقام بها نحو شهر وانحدر الى بغداد فاتصل بأبي احمد الموفق في ربيع الأول ست وسبعين ومائتين فاستصحبه معه الى الجبل وخلع عليه ووصله بمال واقام ابن كنداج بديار ربيعة وديار مضر من ارض الجزيرة اه

ولاية طغج بن جف من طرف خمارويه سنة ٢٧٦

قال في زبدة الحلب بعد ان انهزم ابن ابي الساج ولحق بأبي احمد الموفق وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين ولي خمارويه على حلب غلام ابيه طغج بن جف والد الأخشيد ابي بكر محمد بن طغج .

سنة ٢٧٨

في هذه السنة توفي ابو احمد الموفق بالله بن المتوكل وبويع ابنه ابو العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتضد بالله

سنة ٢٧٩

فيها في المحرم خرج المعتمد على الله وجلس للقواد والقضاة ووجوه الناس واعلمهم انه خلع ابنه المفوض الى الله جعفر من ولاية العهد وجعل ولاية

العهد للمعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق وتوفى المعتمد في رجب من هذه السنة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة اشهر وكان في خلافته محكوماً عليه قد تحكم عليه اخوه ابو احمد الموفق وضيق عليه حتى انه احتاج في بعض الأوقات الى ثلثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت فقال .

اليس من العجايب ان مثلي　　يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا　　وما من ذاك شيءٌ في يديه
اليه تحمل الأموال طرا　　ويمنع بعض ما يجبى اليه

قال المقريزي في الخطط لما بويع المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق بعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الأعمال على ان يحمل في كل عام مائتى الف دينار عما مضى وثلثمائة الف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه فى سنة احدى وثمانين .

قال في زبدة الحلب لما بويع بالخلافة ابو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله بايعه ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وخطب له فى عمله وسير اليه هدية سنية مع الحسين بن عبد الله الجصاص وطلب منه ان يزوج ابنته من على ابن المعتضد فقال المعتضد بل انا ازوجها فتزوجها وهي قطر الندى وقيل انه دخل معها مائة هاون ذهب في جهازها وان المعتضد دخل خزانتها وفيها من المناير والأباريق والطاسات وغير ذلك من الآنية الذهبية فقال يا اهل مصر ما اكثر صفركم فقال له بعض القوم يا امير المؤمنين انما هو ذهب وزفت الى

المعتضد مع صاحب ابيها الحسين بن عبد الله بن الجصاص فقال المعتضد لأصحابه اكرموها بشمع العنبر فوجد في خزانة الخليفة اربع شمعات من عنبر في اربعة انوار فضة فلما كان وقت العشاء جاءت اليه وقدامها اربع مائة وصيفة في يد كل واحدة منهن نور ذهب وفضة وفيه شمعة عنبر فقال المعتضد لأصحابه اطفئوا شمعنا واستترونا وكانت اذا جاءت اليه اكرمها بأن يطرح لها مخدة فجاءت اليه يوماً فلم يفعل ما كان يفعله بها فقالت اعظم الله اجر امير المؤمنين قال فيمن قالت في عبده خمارويه تعني اباها فقال او قد سمعت بموته قالت لا ولكني لما رأيتك قد تركت اكرامي علمت ان ابي قد مات وكان خبره قد وصل الى المعتضد فكتمه عنها فعاد الى اكرامه لها بطرحه لها المخدة في كل الأوقات .

قال المقريزي في الخطط وكان قتل خمارويه بدمشق سنة اثنين وثمانين ومايتين على فراشه ذبحه جواريه وخدمه وحمل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم

سنة ٢٨١

قال ابن الأثير فيها دخل طغج بن جف طرسوس لغزو الصائفة من قبل خمارويه فبلغ طرابزون وفتح بلودية في جمادى الآخرة .

سنة ٢٨٢

قال في زبدة الحلب فيها قتل خمارويه بدمشق وحلب في ولاية طغج بن جف من قبله واظن ان قاضي حلب بعد ايام بن طولون حفص بن عمر قاضي حلب وولي مكان خمارويه جيش بن خمارويه وطغج في حلب على حاله وعزل القواد جيش ابن خمارويه وولوا اخاه هارون بن خمارويه وبقيت حلب في ولاية طغج بن جف وسير الى المعتضد رسولاً يطلب منه اجراءه على عادة ابيه في البلاد التي كانت في ولايته فلم يفعل وسير رسولاً الى هارون فاستنزله عن حلب وقنسرين والعواصم وتسلم هارون مصر وبقية الشام واتفق الصلح مع المعتضد

وهرون على ذلك فى جمادى الأولى في سنة ست وثمانين وكان هرون قد ولي قضاء حلب وقنسرين ابا زرعة محمد بن عثمان الدمشقي فعزله المعتضد

ترجمة طغج بن جف الفرغاني الأصل

قال ابن خلكان في ترجمة محمد بن طغج كان المعتصم بالله بن هرون الرشيد قد جلبوا اليه من فرغانة جماعة كثيرة فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم فى الحروب فوجه المعتصم من احضرهم فلما وصلوا اليه بالغ فى اكرامهم واقطعهم قطائع بسرمن رأى قطائع جف الى الآن معروفة هناك ولم يزل مقيما بها وجاءته الأولاد وتوفى جف ببغداد سنة سبع واربعين فخرج اولاده الى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معايش فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو اذ ذاك مقيم بديار مصر فأستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طغج الى جملة اصحاب اسحق بن كنداج فلم يزل معه الى ان مات احمد بن طولون وجرى الصلح بين ولده ابي الجيش خمارويه المقدم ذكره وبين اسحق ابن كنداج ونظر ابو الجيش الى طغج بن جف في جملة اصحاب اسحق فأعجب به واخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه الى ان قتل ابو الجيش في تاريخه المقدم ذكره فرجع طغج الى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وعرف له ذلك . وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فسام طغج ان يجري فى التذلل له مجرى غيره فكبرت نفس طغج عن ذلك فأغرى به الملك المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه ابا بكر محمد بن طغج فتوفي طغج في السجن وبقي ولده ابو بكر بعده محبوساً مدة ثم اطلق وخلع عليه ثم ساق ابن خلكان بقية ترجمة ابي بكر محمد بن طغج الذي لقب بالأخشيد وتملك مصر .

(ولاية المكتفى بالله ابي محمد علي بن احمد سنة ٢٨٦)

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٨٥ فيها وجه هرون بن خمارويه الى المعتضد ليسأله ان يقاطعه على مافي يده ويدنو به من مصر والشام ويسلم اعمال قنسرين الى المعتضد ويحمل كل سنة اربعماية الف وخمسين الف دينار فأجابه الى ذلك وسار من آمد واستخلف فيها ابنه المكتفي ووصل الى قنسرين والعواصم فتسلمها من اصاب هرون وكان ذلك سنة ست وثمانين ومائتين وقال في حوادث سنة ٢٨٦ فيها سار المعتضد من آمد بعد ان ملكها الى الرقة فولي ابنه عليا المكتفي قنسرين والعواصم والجزيرة

﴿ ولاية اسحق بن علي الخراساني سنة ٢٨٦ ﴾

قال في زبدة الحلب لما ولي المكتفي بالله حلب وقنسرين في هذه السنة من قبل ابيه المعتضد ولي بحلب الحسن بن علي المعروف بكورة الخراساني واليه ينسب دار كورة التي داخل باب الجنان بحلب والحمام المجاورة لها وقد خربت الآن ولم يبق لها اثر وكان كاتب علي بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصراني فقلده النظر في هذه النواحي . قال ابن الأثير تقلد الحسين بن عمرو الكاتب النصراني النظر في الأموال فقال الخليع في ذلك

حسين بن عمرو عدو القرا ... ن يصنع في العرب مايصنع
يقوم لهيبته المسلمون ... صفوفا لفرد اذا يطلع
فأن قيل قد اقبل الجاثليق ... تحفى له ومشي يظلع

قال في زبدة الحلب وسار المعتضد في سنة ٢٨٧ خلف وصيف خادم ابن ابي الساج الى الثغور الى ان لحقه فضم الثغور ايضاً الى كوره وعاد الى انطاكية ووصيف

معه ثم رحل الى حلب فأقام بها يومين ووجد لوصيف بعد اسره في بستان بحلب مال كان دفنه وهو بها مع مولاه مبلغه ستة وخمسون الف دينار فحمل الى المعتضد .

﴿ ولاية احمد بن سهل التوشجاني سنة ٢٨٩ ﴾

ثم رحل المعتضد الى بغداد فمات في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وتولى الخلافة ولده ابو محمد ولقب بالمكتفي فصرف الحسن بن علي كورة عن ولايته وولي احمد بن سهل التوشجاني في جمادى الاخرة سنة تسع وثمانين ومايتين ثم صرف عنها

ولايه ابي الاغر خليفه بن المبارك السلمى سنه ٢٩٠

ومحاربته للقرامطه

وولي حلب في هذه السنة ابا الأغر خليفة بن المبارك السلمي ووجهه اليها لمحاربة القرمطي صاحب الخال لعنه الله فأنه كان قد عاث فى البلاد وغلب على حمص وحماه ومعرة النعمان وسلمية وقتل اهلها وسبى النسآء والأطفال وقدم ابو الأغر في عشرة الآف فارس فانفذ القرمطي سرية فخرج ابو الأغر الى وادي بطنان فلما استقر وافاه جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه وكبسهم وقتل عامة اصحابه وخادماً جليلاً يقال له بدرٌ القدامي وسلم ابو الأغر في الف رجل فصار الى قرية من قرى حلب وخرج اليه ابنه فى جماعة من الرجال والأولياء فدخل الى حلب واقام القرامطة على مدينة حلب على سبيل المحاصرة فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين تسرع اهل مدينة حلب الى الخروج للقاء القرامطة فوقعت الحرب بين الفئتين ورزق الله الحلبيين

النصر عليهم وخرج ابو الأغر فأعانهم فقتل من القرامطة خلق كثير وخرج ابو الأغر يوم عيد الفطر الى المصلى وعيد بأهل حلب وخطب الخطيب وعادة الرعية على حال سلامة واشرف ابو الاغر على القرامطة فلم يخرج منهم احد اليه ثم انهم رحلوا الى صاحبهم فى سنة ثلاثمائة.

﴿ ولاية عيسى غلام النوشري سنة ٢٩٠ ﴾

ثم ان المكتفي عزل من حلب ابا الاغر وولى عيسى غلام النوشري وكان المكتفي قد صار الى الرقة في سنة احدى وتسعين ومائتين وكان وجه بمحمد بن سليمان صاحب الجيش الى حلب والشام في عشرين الف فارس وراجل لمحاربة الطولونية والقرامطة واستنقاذ مصر من الطولونية فقدم محمد بن سليمان حلب في اواخر شوال سنة تسعين والوالي بها على الحرب عيسى غلام النوشري فدخلها محمد في احسن تعبئة وزين واقام بها اياماً وطالب عمال الخراج بحمل المال فقصده رؤساء بني تميم وبني كلاب فأمر عيسى والي حلب ان يستخلف على عمله ويشخص معه الى مصر فامتثل امره واستخلف على حلب ولده وانفق فى جنده ورحل في آخر شوال معه فلما وافى معرة النعمان خلع عليه وحمله وولاه بلدة هي من مدن ساحل بحر الشام بالقرب من جبلة الى حدود حماه ولقيهم القرامطة بين تل بنش وكفر طاب في عشرة الآف فارس فنصره الله عليهم وانهزموا وقتل الرجالة وادبر اكثر الخيالة وصار محمد بن سليمان الى مصر وافتتحها من يد الطولونية عند قتل هرون بن خمارويه واستولى على اموالها ثم ضم الى طنج بن جف الطولوني اربعة الآف رجل وولاه حلب واخرجه عن مصر فلما صار الى حلب وجد بها ابن الواثقي وقد انفذه السلطان الى حلب لعرض جيوش الواردين

من مصر وذلك في سنة اثنين وتسعين ومائتين فعرض ابن الواثقي جيشه لما وصل الى حلب وامره بالنفوذ الى بغداد فرحل حتى وافى مدينة السلام وكذلك ورد جماعة من القواد الطولونية فعرضهم وتوجهوا الى بغداد ووافى وصيف البكتمري وابن عيسى النوشري صاحب حلب بغداد يوم الاثنين لثلاثة عشر بقيت من شعبان سنة اثنين وتسعين ومائتين ومعهما طنج واخوه وابن لطنج فخلع عليهم وطوق منهم البكتمري وابن عيسى النوشري ثم شخص عيسى النوشري عن مصر الى حلب لأنه واليها فلما كان بعد شخوصه اليها بايام ورد كتاب العباس بن الحسن الوزير بتولية عيسى النوشري مدينة مصر ويؤمر محمد بن سليمان بالشخوص الى طرسوس للغزو فوجه محمد بن سليمان من لحق بالرملة فرده وورد الى عيسى كتاب من السلطان فعاد والياً على مصر . وكانت وفاة عيسى سنة ٢٩٧

ولايه ابي الحسن ذكا بن عبد الله اعور

من سنة ٢٩٢ الى سنة ٣٠٢

قال في زبدة الحلب وولى المكتفي في هذه السنة ابا الحسن ذكا بن عبد الله الأعور حلب ودام بها الى سنة اثنين وثلاثمائة وكان كريما يهب ويعطي واليه تنسب دار ذكا التي هي الآن دار الزكاة والى جانبها دار حاجبه فيروز فانهدمت وصارت تلا يعرف بتل فيروز فنسفه السلطان الملك الظاهر رحمه الله في ايامه وظهر فيه بقايا من الذخائر مثل الزئبق وغيره وهو موضع سوق الصاغة الآن ولأبي بكر الصنوبري الشاعر فيه مدائح كثيرة وعاد محمد بن سليمان الى حلب ووافاه مبارك القمي بكتاب يؤمر فيه بتسليم الأموال وركب اليه ذكا الأعور صاحب

حلب وابو الأغر خليفة بن مبارك وغيرهما فاختلط بهم وسار معهم الى المدينة فأدخلوه الى الدار المعروفة بكورة بباب الجنان ووكلوا به في الدار وشخص ذكا عن حلب لمحاربة ابن الخلنجي مع ابي الأغر الى مصر ووجه بمحمد بن سليمان مقبوضاً الى بغداد

سنة ٢٩٣

قال ابن الأثير فيها اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالاً شديداً ثم انهزموا وقتلوا اكثرهم وقتلوا رؤساء بني تميم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها

سنة ٢٩٥

فيها توفي امير المؤمنين المكتفي بالله ابو محمد علي بن المعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق المتوكل وكانت خلافته ست سنين وست اشهر وولي الخلافة المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله .

قال في زبدة الحلب فيها عاثت بنو تميم في بلد حلب وافسدت فساداً عظيماً وحاصروا ذكا بحلب فكتب المقتدر الى الحسين بن حمدان في انجاد ذكا بحلب فأسرى من الرحبة حتى اناخ عليهم بخناصرة واسر منهم جماعة وانصرف ولم يجتمع بذكا في ذلك يقول شاعر من اهل الشام

اصلح ما بين تميم وذكا　　　ابلج يشكي بالرماح من شكا
يدك بالجيش اذا ما سلكا　　　كأنه سليكة ابن السلكا

وكان وزير ذكا وكاتبه ابا الحسن محمد بن عمر بن يحيى النفري واليه ينسب حمام النفري وهي الآن داثرة وداره هي المدرسة النفرية ومدحه الصنوبري الشاعر.
قال ابن الأثير في هذه السنة خلع على الأمير ابي العباس بن المقتدر بالله وقلد

اعمال مصر والمغرب وعمره اربع سنين واستخلف له على مصر مؤنس الخادم
قال عريب بن سعد القرطبي في صلة تاريخ الطبري وهو مطبوع معه في آخره .
في هذه السنة قلد ابو بكر محمد بن علي الماذرائي اعمال مصر والأشراف على
اعمال الشام وتدبير الجيوش وخلع عليه وذلك في النصف من شهر رمضان . اقول
يظهر انه قام بأمور مصر نيابة عن مؤنس الخادم بدليل ما يأتيك قريبا .
قال القرطبي وفيها مات الحسن بن الحسن بن رجاء وكان يتقلد اعمال الخراج
والضياع بحلب مات فجأة وحمل تابوته الى مدينة السلام .

سنة ٣٠٢

قال القرطبي لما استعمل امر عبيد الله الشيعي القائم بالمغرب وقدم ولد عبيد الله
الاسكندرية انهض المقتدر مؤنساً الخادم وندب معه العساكر وكتب الى عمال اجناد
الشام بالمصير الى مصر وكتب الى ابن كيغلغ وذكا الأعور وابي قابوس
الخراساني باللحاق بتكين لمحاربته وخلع على مؤنس في شهر ربيع الأول سنة ٣٠٢
وخرج متوجهاً الى مصر

﴿ ولاية احمد بن كيغلغ سنة ٣٠٢ ﴾

قال في زبدة الحلب لما قدم مؤنس الخادم الى حلب عزل ذكا الأعور عن حلب
وولاه دمشق ومصر وولي حلب الأمير ابا العباس احمد بن كيغلغ . وتوفي ذكا
الأعور الرومي بمصر سنة ٣٠٧ وكان على قضاء حلب سنة تسعين محمد بن محمد
الخدوعي ثم ولي القضاء بحلب وقنسرين محمد بن ابي موسى الضرير الفقيه في
سنة سبع وتسعين ومائتين وشخص الى عمله لأربع عشرة ليلة خلت من شهر
ربيع الآخر ثم صرف محمد بن ابي موسى عن قضاء حلب وقنسرين في سنة

ثلاثمائة بأبي حفيص عمر بن الحسن بن نصر الحلبي القاضي وكانت داره بسوق السراجين وعزل ابو حفيص عن القضاء فى حلب سنة اثنين وثلاثمائة ووليها ابو عبد الله محمد بن عبدة بن حرب وتوفي عمر بن الحسن القاضي سنة سبع وثلاثمائة وكان محمد بن عبدة بن حرب قاضيا بها سنة خمس وثلاثمائة ثم تولى قضاء حلب وحمص ابراهيم بن جعفر بن جابر ابو اسحق الفقيه في سنة ست وثلاثمائة وولي الخراج من قبل المكتفي بحلب الحسن بن الحسن بن رجاء بن ابي الضحاك وتوفي بحلب فى جمادى الأولى سنة احدى وثلاثمائة فجأةً . وولي الخراج بعده علي بن احمد بن بسطام والأنقاق عبد الله بن محمد بن سهل ثم توفي سنة اثنين وثلاثمائة وتولى مكانه محمد بن الحسن بن علي الناظري .

وكان ابو العباس بن كيغلغ اديبا شاعرا جوادا وهو الذى مدحه المتنبي بقوله [كم قتيل كما قتلت شهيد] ومن شعر الأمير احمد بن كيغلغ قوله

قلت له والجفون قرحى قد اقرح الدمع ما يليها
مالي في لوعتي شبيه قال وابصرت لي شبيها

واورد له ابن خلكان في ترجمة محمد بن طنج قوله

لا يكن للكاس في كفك يوم النيث لبث او ما تعلم ان الغيث ساق مستحث

وقوله

ان قسم الناس فحسبي بك من كل احد واعطشا الى فم يمج خمراً من برد

وقال ثمة قد ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة مستقلة

﴿ولاية ابى قابوس محمود بن جك الخراساني سنه ٣٠٢﴾

قال في زبدة الحلب ثم ولى مؤنس حلب ابا قابوس محمود بن جك الخراساني

وكان جباراً قاسياً منحرفاً عن اهل البيت وقيل هو محمود بن حمل فدام والياً بها الى سنة اثنى عشر وثلاثمائة

سنة ٣٠٥

قال ابن جرير فيها في ربيع الآخر ورد الخبر بموت العباس ابن عمر الغنوي وكان عامل ديار مضر ومقيماً بالرقة فحمل ما تخلف من المال والأثاث والكراع الى المقتدر واضطرب بعد موته امر ديار مضر فقلدها وصيف البكتمري فلم يظهر منه اثر يرضي فعزل وقلدها جنى الصفواني فضبطها

﴿ ولاية وصيف البكتمري الخادم سنة ٣١٢ ﴾

قال في زبدة الحلب وكان مؤنس المظفر بالشام فاستدعى الى بغداد لقتال القرمطي فسار اليها وولى حلب وصيف البكتمري الخادم سنة اثنى عشر وثلاثمائة ثم عزله عنها سنة ست عشرة وثلاثمائة

(ولايه هلال بن بدر ابى الفتح سنه ٣١٦)

قال في زبدة الحلب لما عزل وصيف البكتمري سنة ٣١٦ ولي حلب هذه السنة هلال بن بدر ابو الفتح غلام المعتضد وكان امير دمشق قبل ذلك ثم عزل عن حلب وولي قطربل وسامرا سنة سبع عشرة

(ولاية وصيف البكتمرى ثانية سنه ٣١٧)

قال في زبدة الحلب ثم وليها في هذه السنة وصيف ثانية ومات بحلب على ولايته يوم الثلاثا لثمان خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وقيل ان وفاته سنة خمس عشرة وثلاثمائه وكان كاتبه عبد الله والد ابي العباس احمد بن عبد الله الشاعر المعروف بأبن كاتب البكتمري

[ولايه احمد بن كيغلغ سنه ٣١٨]

قال في زبدة الحلب ثم وليها الأمير احمد بن كيغلغ ثانية الى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

[ولايه طريف بن عبد الله سنه ٣١٩]

قال فى زبدة الحلب ثم ولى مؤنس المظفر غلامه طريف بن عبدالله السبكري الخادم في سنة تسع عشرة وثلاثمائة وكان ظريفا شجاعا شهماً وحاصر بنى الفصيص فى حصونهم باللاذقية وغيرها فحاربوه حرباً شديداً حتى نفد جميع ماكان عندهم من القوت والماء فنزلوا على الأمان فوفى لهم واكرمهم ودخلوا معه حلب مكرمين معظمين فأضيفت اليه حمص مع حلب .

اقول وقد كان طريف موجودا في بغداد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وتولى للقاهر بالله قبض مؤنس الخادم الذي لقب بالمظفر وقد بسط ابن الأثير في حوادث هذه السنة اسباب ذلك وكيفيته ثم ان القاهر قبض على طريف وحبسه وبقي محبوساً الى ان خلع القاهر بالله فى جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وولي الخلافة الراضي بالله

ولايه بشرى الخادم سنه ٣٢٠ او ٣٢١

قال في زبدة الحلب ثم ولي القاهر بالله بشرى الخادم دمشق وحلب وسار الى حلب ثم الى حمص فكسره محمد بن طنج واسره وخنقه . ولم اقف على تاريخ ولايته اكانت سنة ٣٢٠ او سنة ٣٢١ الى رمضان منها اي الى حين مجيء محمد بن طغج الى حلب متوجهاً الى مصر معينا والياً عاماً عليها وعلى البلاد الشامية .

ولاية محمد بن طغج للمرة الاولى سنة ٣٢١

قال المقريزي فى الخطط ولي محمد بن طغج الفرغاني ابوبكر مصر من قبل القاهر بالله على الصلاة فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوماً الى ان قدم رسول احمد بن كيغلغ بولايته الثانية على مصر .

ولاية طريف بن عبدالله السبكري سنة ٣٢٢

للمرة الثانية

قال ابن الأثير لما ولي الخلافة الراضي بالله سنة ٣٢٢ استعمل طريفا على الفرات والثغور الجزرية والشامية واجناد الشام وديار مصر يصرف من يرى ويستعمل من يرى فى الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك .

ولايه بدر الخرشني سنه ٣٢٤

وولاية طريف فى هذه السنة للمرة الثالثة

قال في زبدة الحلب كان الراضي قد خاف على بدر الخرشني من الحجرية ان يفتكوا به فقلده حلب واعمالها وهي بيد طريف سنة اربع وعشرين وامره بالمسير من يومه فسار وبلغ طريفا فانفذ صاحبا له الى ابن مقلة [الوزير في بغداد] وبذل له عشرين الف دينار ليجدد له العهد وان لا يصرف عن حلب ووصل الخرشني فدافعه طريف رجاء ان يقضي ابن مقلة وطره فزحف بدر الخرشني والتقى طريف فى ارض حلب فانهزم طريف من بين يديه وتسلم بدر حلب واقام بها مدة يسيرة ثم كوتب من الحضرة بالانصراف فرجع الى الحضرة وقلد طريف حلب مرة ثالثة فقلد طريف من جهة حلب والعواصم فاقام بها الى سنة

اربع وعشرين وثلاثمائة وكان قاضي حلب عبد الله بن عبد الرحمن بن اخي الأمام .

ولاية محمد بن طغج بن جف الملقب بالاخشيد

سنة ٣٢٤ على مصر والشام

قال ابن الاثير في حوادث سنة ٣٢٤ في هذه السنة قلد الراضي بالله محمد بن طغج اعمال مصر مضافا الى مابيده من الشام وعزل احمد بن كيغلغ عن مصر . وهذه ولايته الثانية لكن سيأتي في ترجمته المنقولة عن ابن خلكان ان ولايته للمرة الثانية كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ودخل مصر لسبع بقين من شهر رمضان المعظم من هذه السنة ومثله في الخطط للمقريزي والله اعلم

ولاية احمد بن سعيد ابن العباس الكلابي

قال في زبدة الحلب ثم ولي حلب ابو العباس احمد بن سعيد بن الباس الكلابي ومدحه ابو بكر الصنوبري وكان بها نائبا عن ابي بكر الأخشيد محمد بن طغج بن جف في غالب ظني فأن الأخشيد استولى على الشام الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وفي ولاية ابي العباس الكلابي وردت بنو كلاب الى الشام من ارض نجد واغارت على معرة النعمان فخرج اليهم والي المعرة معاذ بن سعيد بجنده وتبعهم الى البراغيثي فعطفوا عليه واسروه واكثر جنده واقام فيهم مدة يعذبونه فخرج اليهم ابو العباس احمد بن سعيد الكلابي والي حلب فخلصه منهم وكان ورودهم في سنة خمس وعشرين وثلاثماية

(ولاية محمد بن رايق سنة ٣٢٧)

قال ابن الأثير فيها قلد الراضي بالله محمد بن رائق طريق الفرات وديار مضر حران والرها وما جاورها وجند قنسرين والعواصم فأجاب ابن رائق وسار

عن بغداد الى ولايته قال فى زبدة الحلب وكان مسيره من بغداد في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

(ولاية محمد بن يزداذ سنة ٣٢٨ نيابة عن ابن رائق)

قال فى زبدة الحلب دخل ابن رائق حلب في سنة ثمان وعشرين وسار عنها الى قتال محمد بن طغج بن جف الفرغاني وولى حلب نيابة عنه خاصة محمد بن يزداذ .

قال ابن الأثير لما دخل ابن رائق الشام قصد مدينة حمص فملكها ثم سار منها الى دمشق وبها بدر بن عبد الله الأخشيدي المعروف ببدير واليا عليها للأخشيد فأخرجه ابن رائق منها وملكها وسار منها الى الرملة فملكها وسار الى عريش مصر يريد الديار المصرية فلقيه الأخشيد محمد بن طغج وحاربه فانهزم الأخشيد فاشتغل اصحاب بن رائق بالنهب ونزلوا في خيم اصحاب الأخشيد فخرج عليهم كمين للأخشيد فأوقع بهم وهزمهم وفرقهم ونجا ابن رائق في سبعين رجلاً ووصل الى دمشق على اقبح صورة فسير اليه ألاخشيد اخاه ابا نصر بن طغج فى جيش كثيف فلما سمع بهم ابن رائق سار اليهم من دمشق فالتقوا باللجون رابع ذي الحجة فانهزم عسكر ابى نصر وقتل هو فاخذه ابن رائق وكفنه وحمله لأخيه الأخشيد وهو بمصر وانفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الأخشيد كتابا يعزيه عن اخيه ويعتذر مما جرى ويحلف انه ما اراد قتله وانه قد انفذ ابنه ليفديه به ان احب فتلقى الأخشيد مزاحما بالجميل وخلع عليه ورده الى ابيه واصطلحا على ان يكون الرملة وما وراءها الى مصر للأخشيد وباقي الشام لمحمد بن رائق ويحمل اليه الأخشيد عن الرملة كل سنة مائة الف

واربعين الف دينار اه وفي هذه السنة قتل طريف السبكري

سنة ٣٢٩

فيها توفي الراضي بالله ابو العباس احمد بن المقتدر منتصف ربيع الأول وكانت خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وكان عمره اثنين وثلاثين سنة وشهوراً . وولي الخلافة المتقي لله . وفيها عاد ابو بكر محمد بن رائق من الشام الى بغداد وصار امير الامراء

﴿ ذكر قتل ابن رائق وولاية ناصر الدولة بن حمدان ﴾

(امرة الأمراء وابتداء امر علي بن عبد الله بن حمدان وتلقيبه بسيف الدولة)

قال ابن الأثير كان المتقي لله قد انفذ الى ناصر بن حمدان [امير الموصل] يستمده على البريديين [نسبة الى عبد الله البريدي احد العمال بالأهواز ثم صار وزيراً للخلفاء ثم خرج عليهم وقوي امره] فأرسل اخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة له في جيش كثيف فلقي المتقي وابن رائق بتكريت قد انهزما فخدم سيف الدولة للمتقي خدمة عظيمة وسار معه الى الموصل ففارقها ناصر الدولة الى الجانب الشرقي وتوجه نحو معلثايا وترددت الرسل بينه وبين ابن رايق حتى تعاهدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي فعبر اليه الأمير ابو منصور بن المتقي وابن رايق يسلمان عليه فنثر الدنانير والدراهم على ولد المتقي فلما ارادوا الأنصراف من عنده ركب ابن المتقي واراد ابن رايق الركوب فقال له ناصر الدولة تقيم اليوم عندي لنتحدث فيما نفعله فاعتذر ابن رايق بابن المتقي فالح عليه ابن حمدان فاستراب به وجذب كمه من يده فقطعه واراد الركوب فشب به الفرس فصاح ابن حمدان بأصحابه اقتلوه فقتلوه والقوه في

دجلة وارسل ابن حمدان الى المتقي يقول انه علم ان ابن رايق اراد ان يغتا له ففعل به ما فعل فرد عليه المتقي رداً جميلاً وامره بالمسير اليه فسار ابن حمدان الى المتقي لله فخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله امير الأمراء وذلك مستهل شعبان فخلع على اخيه ابى الحسين عليّ ولقبه سيف الدولة وكان قتل ابن رايق يوم الأثنين لتسع بقين من رجب

ولاية مساور بن محمد سنة ٣٢٩ من طرف الاخشيد بمصر

قال ابن الأثير لما قتل ابن رايق سار الأخشيد من مصر الى دمشق وكان بها محمد بن يزداذ خليفة ابن رايق فأستأمن الى الأخشيد وسلم اليه دمشق فاقره عليها ثم نقله الى مصر وجعله علي شرطتها ويقال ان لأبن رايق شعرا منه

يصفر وجهي اذا تأمله طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته من دم قلبي اليه قد نقلا

وقيل انهما للراضي بالله اه قال في زبدة الحلب ان ابا بكر محمد بن طغج الأخشيد سير كافور الخادم من مصر معه وفي مقدمته ابو المظفر مساور بن محمد الرومي احد قواد الأخشيد فوصل الى حلب فالتقى كافور ومحمد بن يزداذ الوالي بحلب من قبل رايق فكسره كافور واسره واخذ منه حلب وولى بها مساور بن محمد الرومي وعاد كافور الى مصر اه

قال فى زبدة الحلب وهذا ابو المظفر بن محمد الرومي مدحه المتنبي بقوله

امساور ام قرن شمس هذا ام ليث غاب يقدم الأستاذا

يريد بالأستاذ كافور الخادم وذكر فيها كسرة بن يزداذ فقال

هبك بن يزداذ حطمت وصحبه اترى الورى اضحوا بني يزداذا

ومساور هو صاحب الدار المعروفة بدار ابن الرومي بالزجاجين بحلب وتعرف ايضاً بدار ابن مستفاذ وهي شرقي المدرسة العمادية التي جددها سليمان بن عبد الجبار بن رايق بحلب وهي المنسوبة الى بنى العجمي واظن ان قاضي حلب فى هذا التاريخ كان ابا طاهر محمد بن سفيان الدباس او قبل هذا التاريخ .

ولاية احمد بن على بن مقاتل سنة ٣٣٠

على ديار مضر من طرف ابن رايق

ثم ولاية ابى الحسن علي بن طياب من طرف ناصر الدولة بن حمدان وولاية يانس المونسي حلب فى هذه السنة

قال ابن الأثير فى حوادث هذه السنة فيها تجهز ناصر الدولة بن حمدان من الموصل وانحدر هو والمتقي واستعمل على اعمال الخراج والضياع بديار مضر وحران والرقة ابا الحسن على بن طياب وسيره من الموصل وكان علي ديار مضر ابو الحسين احمد بن على بن مقاتل خليفة لأبن رايق فاقتتلوا فقتل ابو الحسين بن مقاتل واستولى بن طياب عليها . وذكر في زبدة الحلب هذه الوقعة بأبسط من هذا فقال كان احمد بن علي بن مقاتل بحلب (لعله يقصد بديار حلب) من جهة ابي بكر ابن رائق ومعه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق فقلد ناصر الدولة علي بن خلف (فى ابن الاثير طياب) ديار مضر والشام وانفذ معه عسكراً وكاتب يونس المونسى ان يعاضده وكان يلي ديار مضر (في ابن الاثير يلي الرقة) من قبل ناصر الدولة فسار الى جسر منبج وسار احمد بن مقاتل ومزاحم الى منبج فالتقوا على شاطئ الفرات وسير يانس كاتبه ونذيراً غلامه برسالة الى ابن مقاتل فاعتقلهما ووقعت الحرب بين الفئتين ولحق يانس جراحاً كادت تتلفه فعدل به الى قلعة

نجم ليشد د ويداوى ونظر نذير غلامه وهو معتقل في عسكر بن مقاتل على بغل الى شاكرى ليانس معه جنيبة من خيله فأخذ الشاكرى وركب الجنيبة وصار الى ابن مقاتل فقتله وانهزم عسكره وافاق يانس المونسي فسار وعلي بن خلف متوجهين الى حلب وتلاوم قواد ابن مقاتل على هزيمتهم فعادوا الى القتال في وادى بطنان وانهزموا ثانية وملك علي بن خلف ويانس المونسى حلب في سنة ثلاثين وثلاثمائة ثم ان علي بن خلف سار منها الى الاخشيد محمد بن طغج فاستوزره وعلا امره معه الى ان رآه يوماً وقد ركب في اكثر الجيش بالمطارق والزين ومحمد جالس فى منتزه له فأمر بالقبض عليه فلم يزل محبوساً الى ان مات محمد بن طغج فأطلق وبقي يانس المؤنس والياً على حلب في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وكان يانس هذا مولي مونس المظفر الخادم وتولي الموصل فى ايام القاهر وكان يلي ديار مضر من قبل ناصر الدولة الى ان كان من امره ماذكرناه فاستأمن الي الاخشيد ودعا له على المنابر بعمله اه

قال ابن الاثير فيها فى ربيع الآخر وصل الروم الى قريب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر الف انسان اه

[سنة ٣٣١]

فداء الأسرى بمنديل المسيح عليه السلام

قال ابن الاثير فيها ارسل ملك الروم الى المتقي لله يطلب منديلاً زعم ان المسيح مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه فى بيعة الرها وذكر انه ان ارسل المنديل اطلق عدداً كثيراً من اسارى المسلمين فاحضر المتقي لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فبعض رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الأسلام لم يطلبه ملك من ملوك

الروم وفى دفعه اليهم غضاضة وكان في الجماعة على ابن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذي هم فيه اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الأسرى ففعل ذلك وارسل الى الملك من يتسلم الأسرى من بلاد الروم فاطلقوا

﴿ ولاية ابي بكر محمد بن علي بن مقاتل سنة ٣٣٢ ﴾

(وولاية ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فى هذه السنة)

قال فى زبدة الحلب فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة اتفق ناصر الدولة ابن حمدان وتورون [احد قواد بغداد] على ان تكون من مدينة الموصل الى آخر اعمال الشام لناصر الدولة واعمال السن الى البصرة لتورون وما يفتحه مما وراء ذلك وان لايتعرض احد منهما لعمل الآخر . قال ابن الأثير تم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين كل سنه بثلاثة الآف الف وستمائة الف درهم وعاد تورون الى بغداد واقام المتقي عند بنى حمدان بالموصل ثم سار وا الى الرقة فأقاموا بها اه

وقال ابن الأثير فيها فى ربيع الأول استعمل ناصر الدولة بن حمدان ابا بكر محمد بن على بن مقاتل على طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وحمص وانفذه اليها من الموصل ومعه جماعة من القواد ثم استعمل بعده في رجب من السنة ابن عمه ابا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك فلما وصل الرقة منعه اهلها فقاتلهم فظفر بهم واحرق من البلد قطعة واخذ رؤساء اهلها وسار الى حلب اه قال في زبدة الحلب ووافق ناصر الدولة ابا محمد بن حمدان (هكذا والصواب ابا بكر محمد بن مقاتل او ابا عبد الله الحسين

بن سعيد بن حمدان) على ان يؤدى اليه اذا دخل حلب خمسين الف دينار فتوجه ابوبكر من الموصل ومعه جماعة من القواد فوقع بين الأمير سيف الدولة بن حمدان وبين ابن عمه ابى عبد الله الحسين بن حمدان كلام بالموصل واراد القبض عليه فقلد ناصر الدولة اباعبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان اخا الأمير ابي فراس حلب واعمالها وديار مضر والعواصم وكمايفتحه من بلاد الشام فتوجه في اول شهر رجب سنة اثنين وثلاثين وثلاثماية ودخل الرقة بالسيف لان اهلها حاربوه مع اميرها محمد بن حبيب البلزمى فأسره وسمله واحرق قطعة من البلد وقبض على رؤساء اهلها وصادرهم وتوجه الى حلب ومعه ابو بكر محمد بن على بن مقاتل وبحلب يانس المونسى واحمد بن العباس الكلابي فهربا من بين يديه من حلب وتبعهما الى معرة النعمان ثم الى حمص وهرب امير حمص اسحق بن كيغلغ بين هذه البلاد وملك هذه البلاد ودانت له العرب ثم عاد الى حلب واقام بها الى ان وافا الأخشيد ابو بكر محمد بن طغج بن جف الفرغانى وقدمها الأخشيد في ذى الحجة من هذه السنة ولما دنا الأخشيد من حلب انصرف الحسين بن حمدان عنها لضعفه عن محاربته الى الرقة وكان ابن مقاتل مع ابن حمدان بحلب فلما احس بقرب الأخشيد منها وتعويل احمد بن حمدان على الانصراف استتر في منارة المسجد الجامع الى ان انصرف ابن حمدان ودخل الأخشيد فظهر له ابن مقاتل واستأمن اليه وقلده الأخشيد اعمال الخراج والضياع بمصر واما الحسين بن سعيد فأنه لما وصل الى الرقة وجد المتقي لله بها هاربًا من تورون التركى وقد تغلب على بغداد وسيف الدولة ابو الحسن على بن عبدالله بن حمدان مع المتقى بالرقة وقد فارق اخاه ناصر الدولة لكلام جرى بينهما فلم يأذن المتقى لأبي عبد الله الحسن في دخوله الرقة واغلقت ابوابها

دونه ووقعت المباينة بينه وبين عمه سيف الدولة وسعى بينهما في الصلح فتم ومضى الى حران ومنها الى الموصل وقدم الأخشيد عند حصوله بحلب مقدمة الى بالس وسار بعدها بعد ان سير المتقي ابا الحسن احمد بن عبد الله بن اسحق الخرقي يسأل الأخشيد ان يسير اليه ليجتمع معه بالرقة ويجدد العهد به ويستعين به على نصرته ويقتبس من رأيه فلما وصل ابو الحسن الى حلب تلقاه الأخشيد واكرمه واظهر السرور بقرب المتقي وانفذ من وقته مالاً مع احمد بن سعيد الكلابي الى المتقي وسار خلفه حتى نزل وبينه وبين المتقى الفرات فراسله المتقى بالخرقي وبوزيره ابي الحسين بن مقلة فعبر اليه يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ووقف بين يدى المتقي لله ثم ركب المتقي لله فمشى بين يديه وامره ان يركب فلم يفعل ولم يدع احداً من اصحاب المتقي وحواشيه وكتابه الا بره ووصله واجتهد بالمتقي لله ان يسير معه الى الشام ومصر فأبى فأشار عليه بالمقام مكانه وضمن له ان يمده بالأموال فلم يفعل وعاد الى بغداد لأنه كان قد كاتبه توزون فى الصلح وخدعه وقبض عليه وبايع المستكفى .

وكتب المتقى عهداً للأخشيد بالشام ومصر على ان الولاية له ولأبي القاسم انوجور ابنه الى ثلاثين سنة وكتب الأخشيد فى هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له ومما يجب عليك ان تقف عليه اطال الله بقاءك اني لقيت امير المؤمنين بشاطئ الفرات فأكرمنى وحبانى وقال كيف انت يا ابا بكر اعزك الله فرحاً بأنه كناه والخليفة لايكنى احداً وعاد الاخشيد من الرقة الى حلب

[ولاية ابي الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد]

[الكلابي سنة ٣٣٣ من طرف الأخشيد]

قال في زبدة الحلب ولما عاد الأخشيد من الرقة الى حلب وسار الى مصر ولى بحلب من قبله ابا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابي وولى اخاه انطاكية فحسد ابا الفتح اخوته الكلابيون وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا اليه حلب .

﴿ ترجمة ابي بكر محمد بن طغج الملقب بالأخشيد المتوفى سنة ٣٣٤ ﴾

كان ينبغي أن نذكر ترجمته عند انتهاء حوادثه في سنة وفاته غير انا وجدنا ان ذلك يقطع سلسلة الكلام على تملك سيف الدولة لحلب فآثرنا ذكرها هنا .

قدمنا في ترجمة ابيه طغج بن جف اصل جف ومبدأ امره وحبس المكتفي لطغج في بغداد وانه حبس معه محمد بن طغج وتوفي طغج في الحبس واطلق ولده وخلع عليه .

قال ابن خلكان لما اطلق من الحبس هرب الى الشام واقام متغربا في البادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تكين الجرزي [امير مصر من طرف الخليفة العباسي] على الحجاج لقطع الطريق عليهم وذلك في سنة ست وثلثمائة وهو يومئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين وظفر بهم ونجا الحجاج وقد فرغ من امرهم بأسر من اسره وقتل من قتله وشرد الباقين وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت منه فانفذ اليه خلعا وزاد في رزقه ولم يزل ابو بكر في صحبة تكين الى سنة ست عشرة وثلثمائة ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر

اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ثمان عشرة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى ان ولاه القاهر بالله ولاية مصر فى شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة ودعى له بها مدة اثنين وثلاثين يوماً ولم يدخلها . ثم اعيد اليها من جهة الخليفة الراضى بالله بن المقتدر وضم اليه البلاد الشامية والجزرية والحرمين وغير ذلك ودخل مصر يوم الأربعا لسبع بقين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة .

ثم ان الراضي لقبه بالاخشيد فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة وانما لقبه بذلك لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من اولادهم كما سبق ذكره وتفسيره بالعربى ملك الملوك وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا اللقب ودعى للأخشيد على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم عليه وكان ملكاً حازماً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير مكرماً للجند شديد القوى لايكاد يحرقوسه غيره وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه عيون السير ان جيشه كان يحتوي على اربعة آلاف رجل وانه كان جبانا [١] وكان له ثمانية الآف مملوك يحرسه في كل ليلة الفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر ثم لايثق حتى يمضى الى خيم الفراشين فينام بها ولم يزل على مملكة

(١) مما يجدر ذكره هنا ماذكره العكبرى فى شرحه على المتنبي لقوله • كل يريد رجاله لحياته • يامن يريد حياته لرجاله • قال يريد ان الملوك سواك يطلبون عسكرهم وجنودهم ليدفعوا عنهم ويجمعونهم على اعدائهم ليسلموا وانت تريد رجالك ان يبقوا ويسلموا وتدافع عنهم • وهذا غاية الكرم والشجاعة • وقد بنى البيت على حكاية تذكر عن سيف الدولة مع الاخشيد وذلك انه جمع جيشاً عظيما واتى اليه ليتغلب فوجه اليه سيف الدولة يقول له قد جمعت هذا الجيش وجئت الى بلادي ابرز الي ولاتقتل الناس بيني و بينك فأينا غلب اخذ البلاد وملك اهلها فوجه الى سيف الدولة يقول مارأيت اعجب منك انما جمعت هذا الجيش العظيم لأقي به نفسي افتريد ان ابارزك ان هذا لجهل اهـ

وسعادة الى ان توفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين بدمشق وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن به وقال ابو الحسن الرازي توفي في سنة خمس وثلاثين والله اعلم وكانت ولادته منتصف شهر رجب سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد .

قال ابوا الفدا في حوادث سنة ٣٣٤ في هذه السنة مات الأخشيد بدمشق وكان قد سار من مصر اليها وهو محمد بن طنج صاحب مصر ودمشق وكان قبل مصيره عن مصر قد وجد بداره رقعة مكتوب عليها قد رتم فأسأتم وملكتم فبخلتم ووسع عليكم فضيقتم وادرَّت لكم الأرزاق فقنطتم ارزاق العباد واغتررتم بصفو ايامكم ولم تتفكروا في عواقبكم واشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات وتهاونتم بسهام الأسحار وهن صائبات ولا سيما ان خرجت من قلوب قرحتموها واكباد اجعتموها واجساد اعريتموها ولو تأملتم في هذا حق التأمل لانتبهتم او ماعلمتم ان الدنيا لو بقيت لعاقل ما وصل اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم ومن المحال ان يموت المنتظرون كلهم حتى لا يبقى منهم احد ويبقى المنتظر افعلوا ما شئتم فأنا صابرون وجوروا فأنا بالله مستجيرون وثقوا بقدرتكم وسلطانكم فأنا بالله واثقون وهو حسبنا ونعم الوكيل فبقي الأخشيد بعد سماع هذه الرقعة في فكر وسافر الى دمشق ومات وولي الأمر بعده ابنه ابو القاسم انوجور وتفسيره محمود .

[استيلاء سيف الدولة على حلب سنة ٣٣٣]

وذكر دولة بني حمدان من هذه السنة الى سنة ٣٩٤

قال في زبدة الحلب قد كان سيف الدولة طلب من اخيه ولاية فقال له اخوه

ناصر الدولة الشام امامك وما فيه احد يمنعك عنه وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وضعف ابي الفتح عن مقاومته فسار الى حلب فلما وصل الى الفرات خرج اخوة ابي الفتح عثمان بن سعيد بأجمعهم للقاء سيف الدولة فرأى ابو الفتح انه مغلوب ان جلس عنهم وعلم حسدهم له فخرج معهم فلما قطع سيف الدولة الفرات اكرم ابا الفتح دون اخوته واركبه معه في العمادية وجعل سيف الدولة يسأله عن كل قرية يجتاز بها ما اسمها فيقول ابو الفتح هذه الفلانية حتى عبروا بقرية يقال لها ابرم وهي قرية قريبة من الغابا فقال له سيف الدولة ما اسم هذه القرية فقال ابو الفتح ابرم فظن سيف الدولة قد اكبره بالسوآل فقال له ابرم من الأبرام فسكت سيف الدولة عن سوآله فلما عبروا بقرى كثيرة ولم يسأله عنها علم ابو الفتح بسكوت سيف الدولة فقال له ابو الفتح ياسيدي ياسيف الدولة وحق رأسك ان القرية التي عبرناها اسمها ابرم واسأل عنها غيري فتعجب سيف الدولة من ذكائه فلما وصل الى حلب اجلسه معه على السرير ودخل سيف الدولة حلب يوم الأثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان القاضي بها احمد بن محمد بن ماثل فعزله وولى ابا حصين علي بن عبد الملك بن بدر بن الهيثم الرقي وكان ظالما فكان اذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة ويقول كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك وعلى ابي حصين الدرك .

ثم ان الأخشيد سير عسكراً الى حلب مع كافور ويانس المونسي وكان الأمير سيف الدولة غازيا بأرض الروم قد هتك بلد الصفصاف وعرنسوس فغنم ورجع فسار لحينه الى الأخشيدية فلقيهم بالرستن فحمل سيف الدولة على كافور فانهزم وازدحم اصحابه في جسر الرستن فوقع في النهر منهم جماعة ورفع سيف

الدولة السيف فأمر غلمانه ان لا يقتلوا احداً منهم وقال الدم لي والمال لكم فاسر منهم نحو اربعة الآف من الأمراء من غيرهم واحتوى على جميع سواده ومضى كافور هارباً الى حمص وسار الى دمشق وكتب الى الأخشيد يعلمه بهزيمته واطلق سيف الدوله الأساري جميعهم فمضوا وشكروا فعله ورحل سيف الدولة بعد هزيمتهم الى دمشق ودخلها في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين واقام بها فكاتبه الاخشيد يلتمس منه الموادعة والأقتصار على مافي يده فلم يفعل وخرج سيف الدولة الى الأعراب فلما عاد منعه اهل دمشق من دخولها فبلغ الاخشيد ذلك فسار من الرملة وتوجه يطلب سيف الدولة فلما وصل طبرية عاد سيف الدولة الى حلب بغير حرب لأن اكثر اصحابه وعسكره استأمنوا الى الأخشيد فـاتبعه الأخشيد الى ان نزل معرة النعمان في جيش عظيم فخرج سيف الدولة ولقيه بأرض قنسرين في شوال سنة ثلاث وثلاثين وكان الاخشيد قد جعل مطارده وبوقاته فى المقدمة وانتقى من عسكره نحو عشرة الآف وسماهم الصابرية فوقف بهم في الساقة فحمل سيف الدولة على مقدمة الاخشيد فهزمها وقصد قبته وخيمه وهو يظنه في المقدمة فحمل الأخشيد ومعه الصابرية فاستخلص سواده ولم يقتل من العسكرين غير معاذ بن سعيد والى معرة النعمان من قبل الاخشيد فأنه حمل على سيف الدولة ليأسره فضربه سيف الدولة بمستوفى [١] كان معه فقتله وهرب سيف الدولة فلم يتبعه احد من عسكر الاخشيد وسار على حاله الى الجزيرة فدخل الرقة وقيل انه اراد دخول حلب فمنعه اهلها ودخل الاخشيد حلب وافسد اصحابه فى جميع النواحي وقطعت الاشجار التي كانت في ظاهر حلب وكانت عظيمة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً واشعار الصنوبري

[١] المستوفي هو عمود حديد طول ذراعين مربع الشكل له مقبض مدور في وسطه

تدل على ذلك ونزل عسكر الاخشيد على الناس بحلب وبالغوا في اذى الناس لميلهم الى سيف الدولة وعاد الاخشيد الى دمشق بعد ان ترددت الرسل بينه وبين سيف الدلة واستقر الامر على ان افرج الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية وقرر مالاً عن دمشق يحمله اليه فى كل سنة وتزوج سيف الدولة بابنة اخي الاخشيد عبد الله بن طنج وانتظم هذا الامر على يد الحسن بن طاهر العلوي وسفارته فى شهر ربيع الاول سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فسار الاخشيد الى دمشق وعاد سيف الدولة الى حلب وتوفي الاخشيد بدمشق فى ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وقيل فى المحرم من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وملك بعده ابنه ابو القاسم انوجور واستولى على التدبير ابو المسك كافور الخادم وكان سيف الدولة فيما ذكر قد عمل على تخلية الشام فلما مات الاخشيد سافر كافور بعسكر مولاه الى مصر من دمشق وكان قد استولى على مصر رجل مغربي فحاربه كافور وظفر به وخلت دمشق من العساكر فطمع فيها سيف الدولة وسار اليها فملكها واستأمن اليه يانس المونسي في قطعة من الجيش واقام سيف الدولة بدمشق وجبى خراجها ثم اتته والدته نعم ام سيف الدولة الى دمشق وسار سيف الدولة الى طبرية وكان سيف الدولة فى بعض الايام يساير الشريف العقيقي بدمشق فى الغوطة بظاهر البلد فقال سيف الدولة للعقيقي ما تصلح هذه الغوطه تكون الا لرجل واحد فقال له الشريف العقيقي هي لاقوام كثيرة وغالبها وقف [الجملة الاخرة من تاريخ القرماني] فقال سيف الدولة له لئن اخذتها القوانين السلطانية ليتبرأن اهلها منها فأسرها الشريف في نفسه واعلم اهل دمشق بذلك وجعل سيف الدولة يطالب اهل دمشق بودايع الاخشيد واسبابه فكاتبوا كافوراً فخرج في العساكر المصرية ومعه انوجور بن الاخشيد

فخرج سيف الدولة الى اللجون واقام اياما قريبا من عسكر الأخشيد بأ كسال فتفرق عسكر سيف الدولة في الضيـاع يطلب العلوفة فعلم به الأخشيدية فزحفوا اليه وركب سيف الدولة يتشرف فرآهم زاحفين في تعبئه فعاد الى عسكره فأخرجهم فنشبت الحرب فقتل من اصحابه خلق واسر كذلك وانهزم سيف الدولة الى دمشق فأخذ والدته ومن كان بها من اهله واسبابه وسار من حيث لم يعرف اهل دمشق بالوقعة وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة خمس وثلاثين وجاء سيف الدولة الى حمص وجمع جمعاً لم يجتمع له قط مثله من بني عقيل وبني نمير وبني كلاب وخرج من حمص وخرجت عساكر بني طغج من دمشق فالتقوا بمرج عذرا [قريبة بغوطة دمشق] وكانت الوقعة اولاً لسيف الدولة ثم آخرهـا عليه فانهزم وملكوا سواده وتقطع اصحابه في ذلك البلد فهلكوا وتبعوه الى حلب فعبر الى الرقة وانحاز يانس المؤنسي من عساكر سيف الدولة الى انطاكية ووصل ابن الاخشيد حلب في ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فاقام بها وسيف الدولة بالرقة فراسل انوجور يانس المؤنسي وهو بانطاكية وضمن هو وكافور ليانس ان يحملا بحاب في مقابلة سيف الدولة وضمن لهما يانس ان يقوم في وجه سيف الدولة بحلب وان يعطيهم ولده رهينة على ذلك فأجابوه وانصرف كافور وانوجور بالعسكر عن حلب الى القلعة واتاها يانس فتسلمها وقيل ان الأخشيدية عادوا واقام سيف الدولة بحلب فخالف عليه يانس والساجية وارادوا القبض عليه فهرب وكتابه واصحابه وملك يانس حلب ولم يقم يانس بحلب الا شهراً حتى اسرى سيف الدولة الى حلب في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فكبسه فانهزم يانس الى سرمين يريد الأخشيد فأنفذ سيف الدولة في طلبه سرية مع ابراهيم بن البارد العقيلي فادركته عند

داديخ فانهزم وخلى عياله وسواده واولاده وانهزم الى اخيه بميافارقين وكان ابن البارد قد وصل الى سيف الدولة في سنة خمس وثلاثين وكان في خدمة اخيه ناصر الدولة ففارقه وقدم على سيف الدولة . ثم ان الرسل ترددت بين سيف الدولة وابن الأخشيد وتجدد الصلح بينهما على القاعدة التي كانت بينه وبين ابيه دون المال المحمول عن دمشق وعمر سيف الدولة داره بالحلبة وقلد ابا فراس ابن عمه منبج وما حولها من القلاع واستقرت ولاية سيف الدولة لحلب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وهذه هي الولاية الثالثة اه (١)

قال في الزبد والضرب لما عاد سيف الدولة الى حلب ولى قضاءها احمد بن اسحاق الحلبي الحنفي المعروف بالجرد ولما عمر القصر بالحلبة اجرى نهر قويق فيه من تحت الخناقية حتى تدخل فيه من جانب وتخرج من آخر في المكان المعروف بالفيض .

ويقال ان سيف الدولة رأى في المنام ان حية قد تطوقت داره فعظم عليه ذلك فقال له بعض المفسرين الحية في النوم ماء فأمر بحفر حفير بين داره وبين قويق حتى ادار الماء حول الدار وقال له آخر كلاماً معناه ان الروم تحتوي على دارك فأمر به فدفع واخرج بعنف وقضى الله سبحانه انهم فتحوا حلب واستولوا على داره اه

قال ابن خلدون لما ملك سيف الدولة مدينتي حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين صار امر الصوائف اليه وكان له فيها آثار وكان للروم في ايامه جولات حسنت فيها مدافعته .

---

[١] الى هنا انتهت النبذة المطبوعة من زبدة الحلب في باريس مع ترجمتها بالأفرنسية الموجودة في المكتبة السلطانية بمصر وعنها استنسخت

سنة ٣٣٥

قال ابن الأثير في هذه السنة كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الشملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان وكان عدة الأسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرا من ذكر وانثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيراً لكثرة من معهم من الأسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة

سنة ٣٣٧

قال ابن الأثير في هذه السنة سار سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ الروم مرعش واوقعوا بأهل طرسوس

سنة ٣٣٩

قال ابن الأثير في هذه السنة دخل سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم فغزا واوغل فيها وفتح حصونا كثيرة وسبى وغنم فلما اراد الخروج من بلد الروم اخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين اسراً وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا اثقال المسلمين واموالهم ونجا سيف الدولة في عدد يسير.

سنة ٣٤٠

قال العكبري في شرح ديوان المتنبي في الكلام على قوله

ذي المعالي فليعلون من تعالى   هكذا هكذا والا فلا لا

انه قال هذه القصيدة يذكر نهوض سيف الدولة الى الثغر وذلك في جمادى الأولى سنة اربعين وثلثمائة قال وكان سبب عمل هذه القصيدة ان سيف الدولة ورد عليه ان الدمستق وجيوش النصرانية قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد وقدروا انها فرصة فيه لما تداخل اهله من الأنزعاج والقلق وكان ملكهم قد الزمهم قصده وانجدهم بأصناف العسكر من البلغر والروس والصقلب

وانفذ معهم العدد الكثير والعدد فركب سيف الدولة نافراً وانتقل الى غير الموضع الذي كان فيه ونظر فيما يجب ان ينظر فيه وسار عن حلب فى جمادى الأولى فنزل رعبان واخبار الحدث عليه مستعجمة لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم فلما ضجر لبس سلاحه وامر اصحابه بمثل ذلك وسار زحفاً فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه ان العدو لما اشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار وامتنع اهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل فنزل سيف الدولة بظاهره واتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم الى حصن رعبان ووقعت الضجة وظهر الاضطراب وولى كل فريق على وجه وخرج اهل الحدث فأوقعوا ببعضهم واخذوا آلة سلاحهم وأعدّوه فى حصنهم اه

سنة ٣٤١

قال ابن الأثير فى هذه السنة ملك الروم مدينة سروج وسبوا اهلها وغنموا اموالهم واخربوا المساجد .

وفي هذه السنة بنى سيف الدولة مرعشاً وامتدحه عند ذلك ابو الطيب المتنبي بقصيدة قال في مطلعها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا ... فأنك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنهـا

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم ... وانك حزب الله صرت لهم حزبا

فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم ... ويوما بجود تطرد الفقر والجدبا

سراياك تترى والدمستق هارب ... واصحابه قتلى وامواله نهبا

اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا ... وادبر اذ اقبلت يستبعد القربا

ومنهـا

فاضحت كأن السور من فوق بدئه الى الأرض قد شق الكواكب والتربا
تصد الرياح الهوج عنها مخافة وتفزع منها الطير ان تلقط الحبا

ومنهـا

كفى عجبا ان يعجب الناس انه بنى مرعشاً تبـاً لآرائهم تبا

سنة ٣٤٢

قال ابن شداد فى الأعلاق الخطيرة وفى سنة اثنين واربعين وثلثمائة غزا سيف الدولة ملطية وشاطئ الفرات وقتل من الروم وسبا واسر قسطنطين ابن الدمستق ولم يزل عنده الى ان مات في اسره وكان كتب الى ابيه الدمستق باكرام سيف الدولة . وهو الذي كان يخدمه في مرضه فرأى منه الشفقة واللطف الذي فعله وقيل ان قسطنطين المأسور كان في غاية الحسن فبذل ابوه فيه ثمانمائة الف دينار وثلثة الآف اسير فاشتط سيف الدولة فسير الدمستق الى عطار نصراني بحاب وامره ان يسقي ولده سما ففعل ومات وعدت هذه من غلطات سيف الدولة وفي ترهب الدمستق يقول ابو الطيب

فلو كان ينجى من علىٍّ ترهب ترهبت الأملاك مثنى وموحداً

وقال ابو العباس احمد بن النامي .

لكنه طلب الترهب خيفة ممن له تتقاصر الأعمـار
فكان قائم سيفه عكازه ومكان مـا يتمنطق الزنـار

سنة ٣٤٣

قال ابن الاثير فى في هذه السنه شهر ربيع الاول غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل واسر وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين ابن الدمستق

فعظم الأمر على الروم وعظم الأمر على الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة فالتقوا عند الحدث في شعبان فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم وممن معهم خلق عظيم واسر صهر الدمستق وابن بنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مسلولا اه

قال العكبري فى شرح ديوان المتنبي فى شرح قوله

على قدر اهل العزم تأتي العزائم　　وتأتي على قدر الكرام المكارم

كان سبب هذه القصيدة ان سيف الدولة سار نحو ثغر الحدث وكان اهلها قد سلموها بالأمان الى الدمستق فنزل بها سيف الدولة فى جمادي الآخرة سنة ثلاث واربعين وثلثمائة فبدأ فى يومه بخط الأساس وحفر اوله بيده ابتغاء ما عند الله تعالى فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس دمستق النصرانية فى خمسين الف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والبلغر والصقلب ووقعت الوقعة يوم الاثنين سلخ جمادي الآخرة وان سيف الدولة حمل بنفسه في نحو من خمسمائه من غلمانه فقصد موكبه فهزمه واظفره الله به وقتل ثلاثة آلاف من مقاتلته واسر خلقاً كثيراً فقتل بعضهم واستبقى البعض واسر تودس الاعور بطريق سمندو وهو صهر الدمستق واقام على الحدث الى ان بناها ووضع بيده آخر شرافة منها يوم الثلاثا ثالث عشرة ليلة خلت من رجب وفي هذا اليوم انشد ابو الطيب هذه القصيدة لسيف الدوله بالحدث اه

اقول عبارة ابن الاثير تفيد ان قسطنطين ابن الدمستق كان فيمن قتل وما نقلناه عن ابن شداد وعن العكبري يفيد انه اسر ويغلب على الظن ان هذه الرواية هي الاصح ولعل للدمستق ولداً آخر قتل في هذه الوقائع وقد

اشتبه ذلك على ابن الاثير والله اعلم

سنة ٣٤٥

قال ابن الأثير فى هذه السنة في رجب سار سيف الدولة بن حمدان فى جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبى واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى آذنة فاقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس فخلع عليه واعطاه شيئاً كثيراً وعاد الى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا الى ميافارقين واحرقوا سوادها ونهبوا وخربوا وسبوا اهله ونهبوا اموالهم وعادوا

سنة ٣٤٨

قال ابن الأثير في هذه السنة غزت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا وعادوا سالمين

سنة ٣٤٩

قال ابن الأثير في هذه السنة غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فاثر فيها آثاراً كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ من السبي والغنائم والاسرى شيئاً كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق فلما ارادوا الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب ان يستبد ولا يشاور أحداً لئلا يقال انه اصاب برأي غيره وعاد في الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم واخذوا اثقاله ووضعوا السيف فى اصحابه فأتوا عليه قتلاً واسراً وتخلص هو فى ثلثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأي كل من يجهل آراء الناس العقلاء .

سنة ٣٥٠

قال ابن الأثير في هذه السنة سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ من كان فيها من المسلمين وقتل كثيراً منهم وافلت صاحب انطاكية وبه جراحات

وفيها في رمضان دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين غازياً وانه فى رمضان غنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبى واسر وخرج سالماً

[سنة ٣٥١]

قال ابن الأثير في هذه السنة في المحرم نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهي في سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم في جميع عظيم فأنفذ بعض عسكره فصعدوا الى الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع فى النقب طلبوا الأمان فأمنهم الدمستق وفتحوا له باب المدينة فدخلها فرأى اصحابه الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى في البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهله الى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما اصبح انفذ رجالته في المدينة وكانوا ستين الفاً وامرهم بقتل من وجدوه في منزله فقتلوا خلقاً كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وامر بجمع ما في البلد من السلاح فجمع فكان شيئاً كثيراً وامر من في المسجد بأن يخرجوا من البلد حيث شاؤا من يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لايدرون اين يتوجهون فماتوا فى الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ماخلفه الناس من اموالهم

وامتعتهم وهدموا سوري المدينة (١) واقام الدمستق في بلد الأسلام احدا وعشرين يوماً وفتح حول عين رزبة [٢] اربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالأمان وان حصناً من تلك الحصون التي فتحت بالأمان امر اهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض احد الأرمن ببعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا اربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الصوم انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج في اربعة الآف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا لأبن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما اصابهم هذا الوهن

[١] زاد ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية عند ذكره لهذه الحوادث انه قطع من حول البلد اربعين الف نخلة

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان [عين زربى] بفتح الزاي وسكون الراء بلد بالثغر من نواحي المصيصة قال ابن الفقيه كان تجديد زربى وعمارتها على يد ابي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠ وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد ثم استولى عليها الروم فخربوها فانفق سيف الدولة ثلاث الآف الف درهم حتى اعاد عمارتها ثم استولى عليها في ايام سيف الدولة وهي في ايديهم الى الان واهلها اليوم ارمن وهي من اعمال ابن ليون وقد نسب اليها قوم من اهل العلم منهم ابو محمد اسماعيل بن علي الشاعر العين زربي القائل

وحقكم لازرتكم في دُجنة ... من الليل تخفيني كأني سارق
ولازرت الا والسيوف هواتف ... الي واطراف الرماح لواحق

قال الواقدي ولما كانت سنة ١٨٠ امر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وتحصينها وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم و اقطعهم بها المنازل ثم لما كانت ايام المعتصم نقل اليها والى نواحيها قوماً من الزط الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع اهل الثغر بهم اه

اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك فلما علم ابن زيات حقيقة الأمر صعد الى روشن فى داره فألقى نفسه منه الى نهر تحته فغرق وراسل اهل بغراس الدمستق وبذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم عنها بغير سبب

قال ابن الأثير فى هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق نقفور سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لأنه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضي صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم وعند وصوله سبق خيله وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر اعجله الأمر عن الجمع والأحتشاد فخرج اليه فيمن معه فقاتله فلم يكن قوة الصبر لقلة من معه فقتل اكثرهم ولم يبق من اولاد داود بن حمدان احد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلثمائة بدرة من الدراهم واخذ له الفاً واربعمائة بغل ومن خزائن السلاح مالا يحصى فأخذ الجميع وخرب الدار وملك الحاضر [١] وحصر المدينة فقاتله اهلها وهدم

(١) قال ياقوت في معجم البلدان والذى شاهدناه نحن من حاضر حلب انها محلة كبيرة كالمحلة العظيمة بظاهر حلب بين بناءها وسور المدينة رمية سهم من جهة القبلة والمغرب ويقال لها حاضر السليمانية ولا نعرف السليمانية واكثر سكانها تركمان مستعربة من اولاد الأجناد وبها جامع حسن مفرد تقام فيه الخطبة والجمعة والأسواق الكثيره من كل ما يطلب ولها وال يستقل بها اه اقول على مقتضى ماذكره يكون ابتداء هذه الابنية من المكان المعروف الان بالقبة والعامود غربي منعطف نهر قويق المسمي بالفيض آخذاً الى المكان المعروف بجسر

الروم في السور ثلمه فقاتلهم اهل حلب فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا الى جبل جوشن ثم ان رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس اموالهم ليمنعوها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خالياً من الناس قصدوه وقربوا منه فلم يمنعهم احد فصعدوا الى اعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الأبواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى ان تعبوا وضجروا وكان في حلب الف واربعمائة من الأسارى فتخلصوا واخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبي من البلد بضعة عشر الف صبي وصبية وغنموا مالا يوصف كثرة فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة امر الدمستق باحراق الباقي (زاد ابن مسكويه هنا في تاريخه تجارب الأمم ما نصه وعمد الى الجباب التي يحرز فيها الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض) واحرق المساجد وكان قد بذل لأهل البلد الأمان على ان يسلموا اليه ثلاثة الآف صبي وصبية ومالاً ذكره وينصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فملكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مأتي الف رجل منهم ثلاثون الف رجل بالجواشن وثلاثون الفا للهدم واصلاح الطرق من الثلج واربعة الآف بغل يحمل الحسك الحديد (زاد ابن مسكويه هنا يطرحه حول عسكره بالليل وخركاهات

الحج على شكل نصف دائرة ويدخل في ذلك المحلة المعروفة بالكلاسة ثم تمتد من جسر الحج الى المحلة المعروفة بالمغاير ثم منها الى المحلة المعروفة بالفردوس والمقامات ولم يبق سوى ابنية هذه المحلات الثلاث وبعض آثار من المدارس والرباطات والرباط المعروف بالفردوس ولسان حالها ناطق عما كانت عليه من عظمة العمران وهذه المحلات الثلاث بالنسبة الى ما كان ثمة من الابنية يقدر بالعشر وقد صار البعض كروماً وبساتين وبعضها لا زال خاوياً خالياً

عليها لبود مغربية) ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه واقام الدمستق تسعة ايام واراد الأنصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن اخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في ايدينا وليس من يدفعنا عنه فلاي سبب ننصرف عنه فقال الدمستق قد بلغنا مالم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخربنا واحرقنا وخلصنا اسرانا وبلغنا مالم يسمع بمثله فتراجعا الكلام الى ان قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فأنني مقيم بعسكري على باب المدينة فتقدم ابن اخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة القي عليه حجر فسقط ورمي بخشب فقتل فاخذه اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من اسرى المسلمين وكانوا الفاً ومائتي رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعودوا اليهم بزعمه وفي هامش تجارب الأمم نقلاً عن تاريخ علي بن محمد الشمشاطي مانصه .

قال في ذي القعدة اقبلت الروم فخرجوا من الدروب فخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى اعزاز في اربعة آلاف فارس وراجل ثم تيقن انه لا طاقة له بلقاء الروم لكثرتهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك ثم جاءه الخبر بأن الروم مالوا نحو العمق فجهز فتاه نجا في ثلاثة الآف لقصدهم ثم لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهر بنفسه ونادى في الرعية من لحق بالأمير فله دينار فلما سار فرسخا لقيه بعض العرب فأخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية واشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقع القتال في اماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقة العدو في اربعين الف رجل بالرماح وفيهم ابن الشمقيق وامتد الجيوش على

النهر واحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما ساواهم لوى رأس فرسه وقصد ناحية بالس وسار وراءه ابن الشمقيق في عشرين الفاً فانكى في اصحابه وانهزمت الرعية الذين كانوا على النهر عندما انصرف سلطانهم واطلهم السيف وازدحموا فى الأبواب وتعلق طائفة من السور بالجبال فقتل منهم فوق الثلاثمائة وقتل من الكبار ابو طالب ابن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي واسر كاتب سيف الدولة الفياضي وابو نصر الى [هكذا] بن حسين بن حمدان وكان عسكر الروم ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصى . ثم تقدم من الغد منتصر حاجب الدمستق الى السور فقال اخرجوا الينا شيخين تعتمدون عليهما فخرج شيخان الى الدمستق فقربهما وقال اني احببت ان احقن دماءكم فتخيروا اما ان تشتروا البلد او تخرجوا عنه بأهلكم وانما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه فى مشاورة الناس فلما كان من الغد اتى الحاجب فقال ليخرج الينا عشرة منكم لنعرف ما عمل عليه اهل البلد وكان رأي اهل البلد على الخروج بالأمان فخرج العشرة وطلبوا الأمان وتدخل الروم فقال الدمستق صح ما بلغني عنكم قالوا وما هو قال بلغني انكم قد اقمتم مقاتلتكم فى الأزقة مختفين فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل اصحابي للنهب اغتالوهم فقالوا ليس فى البلد من يقاتل قال فاحلفوا فحلفوا له وانما اراد ان يعرف صورة البلد فحينئذ تقدم بجوشه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة ونصبت سلالم على باب اربعين وعند باب اليهود وصعدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الأبواب وقضي الأمر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وبقي السيف يعمل بها ستة ايام الى يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة فزحف ابن الدمستق وابن الشمقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمقيق من عظمائهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف

الدمستق الى مخيمه ونودي من كان معه اسير فليقتله فقتلوا خلقاً كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قداقبلت نحو قنسرين وكانت نجدة لهم فتوهم الدمستق انها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفاً اه

وفيها ايضاً فتح الروم حصن داوك وثلاثة حصون مجاورة له بالسيف .

وفيها فى جمادى الآخرة اعاد سيف الدولة بناء عين زربة وسير حاجبه فى جيش مع اهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصد الروم حصن سيسية فملكوه

وفيها سار نجا غلام سيف الدولة فى جيش الى حصن زياد فلقيه جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل

وفيها في شوال اسرت الروم ابا فراس بن سعد بن حمدان من منبج وكان متقلدا لها وله ديوان شعر جيد

[سنة ٣٥٢]

قال ابن الأثير في هذه السنة فى صفر امتنع اهل حران على صاحبها هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وعصوا عليه وسبب ذلك انه كان متقلداً لها ولغيرها من ديار مضر من قبل عمه سيف الدولة فعسفهم نوابه وظلموهم وطرحوا الأمتعة على التجار من اهل حران وبالغوا فى ظلمهم وكان هبة الله عند عمه سيف الدولة بحلب فثار اهلها على نوابه وطردوهم فسمع هبة الله بالخبر فسار اليهم وحاربهم وحصرهم فقاتلهم وقاتلوه اكثر من شهرين فقتل منهم خلق كثير فلما رأى سيف الدولة شدة الأمر واتصال الشر قرب منهم وراسلهم واجابهم الى ما يريدون فاصطلحوا وفتحوا ابواب البلد وهرب منه العيارون خوفاً من هبة الله

﴿ ذكر غزوة الى الروم وعصيان حران ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة في شوال دخل اهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها ايضا نجا غلام سيف الدولة ابن حمدان من درب آخر ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه فأنه كان قد لحقه قبل ذلك بسنتين فالج فاقام على رأس درب من تلك الدروب فأوغل اهل طرسوس فى غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا فرجع سيف الدولة الى حلب فلحقه فى الطريق غشية ارجف عليه الناس بالموت فوثب هبة الله بن اخيه ناصر الدولة ابن حمدان بأبن دنجا فقتله وكان خصيصاً بسيف الدولة (١)

وانما قتله لأنه كان يتعرض لغلام له فغار لذلك ثم افاق سيف الدولة فلما علم هبة الله ان عمه لم يمت هرب الى حران فلما دخلها اظهر لأهلها ان عمه مات وطلب منهم اليمين على ان يكونوا سلما لمن سالمه وحرباً لمن حاربه فحلفوا له واستثنوا عمه فى اليمين فأرسل سيف الدولة غلامه نجا الى حران فى طلب هبة الله فلما قاربها هرب هبة الله الى ابيه بالموصل فنزل نجا على حران فى السابع والعشرين من شوال فخرج اهلها اليه من الغد فقبض عليهم وصادرهم على الف الف درهم ووكل بهم حتى ادوهـا في خمسة ايام بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم واهليهم فأخرجوا امتعتهم فباعوا كل ما يساوي ديناراً بدرهم لأن اهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشترى لأنهم مصادرون واشترى ذلك اصحاب نجا بما ارادوا وافتقر اهل البلد وسار نجا الى ميافارقين وترك حران

(١) عبارة ابن مسكويه في تجارب الأمم هكذا وجاء ابو الحسين ابن دنجا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بعيد الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر ابا الحسين بن دنجا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان في يده فوقع في لبته ومضى يريد الهرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك لغيرة لحقته من تعرض ابن دنجا لغلام من غلمانه اه

شاغرة بغير وال فتسلط العيارون على اهلها وكان من امر نجا ما نذكره سنة ثلاث وخمسين

وفيها في ربيع الأول اجتمع من رجالة الأرمن جماعة كثيرة وقصدوا الرها فاغاروا عليها فغنموا واسروا وعادوا موفورين

(سنة ٣٥٣)

(ذكر عصيان نجا وقتل سيف الدولة له)

قال ابن الاثير قد ذكرنا سنة اثنين وخمسين ما فعله نجا غلام سيف الدولة بن حمدان باهل حران وما اخذه من اموالهم فلما اجتمعت عنده تلك الاموال قوي بها وبطر ولم يشكر ولي نعمته بل كفره وسار الى ميافارقين وقصد بلادارمينية وكان قد استولى على كثير منها رجل من العرب يعرف بأبي الورد فقاتله نجا فقتل ابو الورد واخذ نجا قلاعه وبلاده خلاط وملازكرد وموش وغيرها وحصل له من اموال ابي الورد شيء كثير فاظهر العصيان على سيف الدوله فاتفق ان معز الدولة بن بويه سار عن بغداد الى الموصل ونصيبين واستولى عليها وطرد عنها ناصر الدولة [اخا سيف الدولة] على ما نذكره آنفا فكاتبه نجا وراسله وهو بنصيبين يعده المعاضدة والمساعدة على مواليه بني حمدان فلما عاد معز الدولة الى بغداد واصطلح هو وناصر الدولة سار سيف الدولة الى نجا ليقاتله على عصيانه عليه وخروجه عن طاعته فلما وصل الى ميافارقين هرب نجا من بين يديه فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه التي اخذها من ابي الورد واستأمن اليه جماعة من اصحاب نجا فقتلهم واستأمن اليه اخو نجا فأحسن اليه واكرمه وارسل الى نجا يرغبه ويرهبه الى ان حضر عنده فاحسن اليه واعاده الى مرتبته ثم ان

غلمان سيف الدولة وثبوا على نجا في دار سيف الدولة بميافارقين في ربيع الأول سنة اربع وخمسين فقتلوه بين يديه فغشي على سيف الدولة واخرج نجا فألقى في مجرى الماء والأقذار وبقي الى الغد ثم اخرج ودفن .

قال ابن مسكويه في تجارب الأمم في هذه السنة فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فأمرت زوجته وهي بنت ابي العلاء سعيد بن حمدان ان يجر برجل نجا ففعل ذلك الى ان اخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ماجرى وطرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والأقذار وبقي فيه الى الغد وقت العصر ثم اخرج وكفن ودفن . وفي هامشه نقلاً عن صاحب ميافارقين ما نصه حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فتكلم سيف الدولة في شيءٍ وحاجه وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجاحاً فضربه على رأسه بسيف نقتله فحمل الى ميافارقين ودفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها اه

[سنة ٣٥٤]

﴿ ذكر مخالفة اهل انطاكية على سيف الدولة ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة عصى اهل انطاكية على سيف الدولة بن حمدان وكان سبب ذلك ان انساناً من اهل طرسوس كان مقدماً فيها يسمى رشيقاً النسيمي كان في جملة من سلمها الى الروم وخرج الى انطاكية فلما وصلها اخدمه انسان يعرف بأبن الأهوازى كان يضمن الأرحاء بانطاكية فسلم اليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء وحسن له العصيان واعلمه ان سيف الدولة بميافارقين

قد عجز عن العود الى الشام فعصى واستولى على انطاكية وسار الى حلب وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة وهو قرعويه حروب كثيرة صعد قرعويه الى قلعة حلب فتحصن بها وانفذ سيف الدولة عسكرا مع خادمه بشارة نجدة لقرعويه فلما علم بهم رشيق انهزم عن حلب فسقط عن فرسه فنزل اليه انسان عربي فقتله واخذ رأسه وحمله الى قرعويه وبشارة ووصل ابن الأهوازي الى انطاكية فاظهر انساناً من الديلم اسمه وزير وسماه الأمير وتقوى بانسان علوي ليقيم له الدعوة وتسمى هو بالأستاذ فظلم الناس وجمع الأموال وقصد قرعويه الى انطاكية وجرت بينهما وقعة عظيمة فكانت على ابن الأهوازى اولاً ثم عادت على قرعويه فانهزم وعاد الى حلب ثم ان سيف الدولة عاد من ميافارقين عند فراغه من الغزاة الى حلب فأقام بها ليلة وخرج من الغد فواقع وزير وابن الأهوازي فقاتل من بها فانهزموا واسر وزير وابن الأهوازي فقتل وزير وسجن ابن الأهوازي مدة ثم قتله

سنة ٣٥٥

قال ابن مسكويه في تجارب الأمم في حوادث سنة ٣٥٥ وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة ابا فراس الحارث بن سعيد ابن حمدان وابا الهيثم ابن القاضي ابي حصين اه وفي هامشه نقلا عن تاريخ الأسلام وفي هذه السنة قدم ابو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الأسر الى ميافارقين اخذته اخت الملك لتفادي به اخاها فجاء ستة الآف فنفذ سيف الدولة اخاها في ثلاثمائة الى حصن الهتاخ فلما شاهد بعضهم بعض سرح المسلمون اسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم اسيرهم ابا الفوارس في خمسة فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا ثم صار كل واحد الى اصحابه فترجلوا وقبلوا له الأرض

ثم احتفل سيف الدولة لأبن اخيه وحمل له الخيل والمماليك والعدد التامة فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فانفق في سنة وثلاثة اشهر نيفاً وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من الأسرى من امير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفساً وتقدر امر اربعة اعوام وارسل ابا القاسم الحسين بن علي المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة الآف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك وانفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

ذكر نزول الروم على انطاكية وما كان بينهم وبين (سيف الدولة)

وقال ايضاً . وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى الشام فعاث وافسد واقام به نحو خمسين يوماً فبعث سيف الدولة يستنجد اخاه ناصر الدولة يقول ان نقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي ان يكتب بشيء فقال لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فأنه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه وان اهل انطاكية راسلوا نقفور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحي بن زكريا عليهما السلام والكرسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلي فيها ويسير الى بيت المقدس وكان الذي جر خروجه واحنقه احراق بيعة المقدس في هذا العام وكان البترك كتب الى كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكاتب متولي القدس بالشد على يده فجاءه من الناس مالم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة واخذوا زينتها فراسل كافور طاغية الروم بأن يرد البيعة الى افضل ما كانت فقال بل انا ابنيها بالسيف

واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه ان احب سيره اليه سار وان احب حفظه ديار بكر سار اليها وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وانجفل الناس وعظم الخطب واخليت نصيبين ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج واحرق الربض وخرج اليه اهلها فأقرهم ولم يؤذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخراً الى قنسرين ورجاله والأعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة تخرج الا اوقعوا بها . واخذت الروم اربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك الروم وبذل له مالاً يعطيه اياه فى ثلاثة اقساط فقال لا اجيبه الا ان يعطينى نصف الشام فأن طريقي الى ناحية الموصل على الشام فقال سيف الدولة لا اعطيه ولا حجراً واحداً . ثم جالت الروم باعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانكى العربان في الروم غير مرة وكسبوا مالا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية يحاصرها ثمانية ايام ليلا ونهاراً وبذل الأمان لأهلها فأبوا فقال انتم كاتبتمونى ووعدتموني بالطاعة فاجابوا انما كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بأرمينية بعيداً عنا وظننا انه لا حاجة له في البلد وكان السيف بين اظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط اديا نناوبلدنا شيئاً . فناجزهم الحرب من جوانبها فحاربوه اشد حرب وكان عسكره معوزاً من العلوفة ثم بعث نائب انطاكية محمد بن موسى الى قرعويه متولي نيابة حلب بتفاصيل الأمور وبثبات الناس على القتال . وانا ليلي ونهاري فى الحرب لا استقر ساعة وان اللعين قد ترحل عنا ونزل الجسر

وفيها اوقع تقي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب ثم جاء الخبر بأن نائب انطاكية محمد بن موسى الصلحي اخذ الأموال

التي في خزائن انطاكية معدة وخرج بها كانه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقيل انه كان عزم على تسليم انطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع اهل البلد على ضبطه فخشي ان ينم خبره الى سيف الدولة فهرب بالأموال اه

﴿ ذكر خراب قنسرين في هذه السنة ﴾

قال ياقوت فى المعجم البلدان كانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم وبعض يدخل قنسرين فى العواصم ومازالت عامرة آهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع ما كان بربضها فخاف اهل قنسرين وتفرقوا في البلاد فطائفة عبرت الفرات وطائفة نقلها سيف الدولة بن حمدان الى حلب كثر بهم من بقي من اهلها فليس بها اليوم سنة [٦٢٤] الا خان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وقال بعضهم كان خراب قنسرين فى سنة ٣٥٥ قبل موت سيف الدولة بأشهر كان قد خرج اليها ملك الروم وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه فجاء الى قنسرين وخربها واحرق مساجدها ولم تعمر بعد ذلك

قال ابن الاثير وفيها تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة ابن عمه ابا فراس ابن حمدان

سنة ٣٥٦

قال ابن الاثير فيها في صفر مات سيف الدولة بن حمدان

(ترجمة سيف الدولة بن حمدان)

قال ابن خلكان سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان قال ابو منصور الثعالبي فى كتابه يتيمة الدهر كان بنو حمدان ملوكا اوجههم للصباحة

والسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرجال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر وانما السلطان سوق يجلب اليها ما ينفق لديها وكان اديباً شاعراً محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز له وكان كل من ابي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وابي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدايح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ومن محاسن شعر سيف الدولة في وصف قوس قزح وقد ابدع فيه كل الأبداع وقيل ان هذه الأبيات لأبي صقر القبيصي والأول ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر

وساق صبوح للصبوح دعوته | فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم | فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً | على الجوّ دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب بأصفر | على احمر في اخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل | مصبغة والبعض اقصر من بعض

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة وكانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم في غاية الجمال فحسدها بقية الحظايا لقربها منه ومحلها من قلبه وعزّ من عليّ ايقاع مكروه بها من سم او غيره فبلغه الخبر وخاف عليها فنقلها الى بعض الحصون احتياطاً وقال

راقبتني العيون فيك فأشفقـ | ـت ولم اخل قط من اشفاق
ورأيت العدو يحسدني فيـ | ـك مجداً بأنفس الاعلاق
فتمنيت ان تكوني بعيداً | والذي بيننا من الود باق

رب هجر يكون من خوف هجر　　وفراق يكون خوف فراق

ورأيت هذه الابيات بعينها فى ديوان عبد المحسن الصوري والله اعلم لمن هي منهما ومن شعره ايضاً

اقبله على فزع　　كشرب الطائر الفزع

رأى ماء فأطمعه　　وخاف عواقب الطمع

وصادف خلسة فدنا　　ولم يلتذ بالجرع

ويحكى ان ابن عمه ابا فراس كان يوماً بين يديه فى نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة ايكم يجيز قولي وليس له الا سيدي يعني ابا فراس

لك جسمي تعله　　فدمي لم تحله　　(فى نسخة اخرى لك قلبي تحله)

فارتجل ابو فراس وقال . قال ان كنت مالكا　　فلي الامر كله (ولعله الاحسن)

فاستحسنه واعطاه ضيعة بأعمال منبج المدينة المعروفة تغل الفي دينار في كل سنة ومن شعر سيف الدولة قوله

تجنى عليّ الذنب والذنب ذنبه　　وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب

اذا ابرم المولى بخدمة عبده　　تجنى له ذنباً وان لم يكن ذنب

واعرض لما صار قلبي بكفه　　فهلا جفاني حين كان لي القلب

ويحكى ان سيف الدولة كان يوماً بمجلسه والشعراء ينشدونه فتقدم اعرابي رث الهيئة وانشد وهو حينئذ بمدينة حلب

انت عليّ وهذه حلب　　قد نفد الزاد وانتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد وبالامير　　تزهى على الورى العرب

وعبدك الدهر قد اضر بنا　　اليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة احسنت والله وامر له بمائتي دينار وقال ابو القاسم عثمان

بن محمد العراقي قاضي عين زربة حضرت مجلس الامير سيف الدولة بحلب وقد وافاه القاضي ابو النصر محمد بن محمد النيسابوري فطرح من كمه كيساً فارغاً ودرجا فيه شعر استأذنه في انشاده فأذن له فانشد قصيدة اولها

حباؤك معناه وامرك نافذ   وعبدك محتاج الى الف درهم

فلما فرغ من انشاده ضحك سيف الدولة ضحكا شديداً وامر له بألف دينار فجعلت في الكيس الفارغ الذى كان معه .

وكان ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم المعروفان بالخالديين الشاعرين المشهورين وابو بكر اكبرهما قد وصلا الى حضرة سيف الدولة ومدحاه فأنزلهما وقام بواجب حقهما وبعث لهما مرة وصيفا ووصيفة ومع كل واحد منهما بدرة وتخت ثياب من عمل مصر فقال احدهما من قصيدة طويلة

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا   الا ومالك في النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدراً اشرقت   بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ اتانا وهو حسنا يوسف   وغزالة هي بهجةً بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه   حتى بعثت المال وهو نفيس
اتت الوصيفة وهي تحمل بدرة   واتى على ظهر الوصيف الكيس
وحبوتنا مما اجادت حوكه   مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول م   والمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة احسنت الا في لفظة المنكوح فليست مما يخاطب الملوك بهـا واخبار سيف الدولة كثيرة مع الشعراء خصوصاً المتنبي والسري الرفاء والنامي والببغاء والواواء وتلك الطبقة . وكانت ولادته فى ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل سنة احدى وثلثمائة وتوفي يوم الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة بحلب ونقل الى ميافارقين ودفن فى تربة امه وهي داخل البلد وكان

مرضه عسر البول وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً وعمله لبنة بقدر الكف واوصى ان يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته بذلك وملك حلب في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة انتزعها من يد احمد بن سعيد الكلابي صاحب الاخشيد ورأيت في تاريخ حلب ان اول من ولي حلب من بني حمدان الحسين بن سعيد وهو اخو ابي فراس بن حمدان وانه تسلمها في رجب سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وكان شجاعاً موصوفا وفيه يقول ابن المنجم

واذا رأوه مقبلا قالوا الا ... ان المنايا تحت راية ذاكا

وتوفي الحسين بن حمدان بالموصل ودفن بالمسجد الذي بناه بالدير الأعلى . ثم قال وكان سيف الدولة قبل ذلك مالك واسط وتلك النوحي وتقلبت به الأحوال وانتقل الى الشام وملك دمشق ايضاً وكثيرا من بلاد الشام والجزيرة وغزاوته مع الروم مشهورة وللمتنبي في أكثر الوقائع قصائد رحمه الله تعالى اه

وقال الملا في مختصر الذهبي ومن خطه نقلت ذكر ابن النجار ان سيف الدولة حضره عيد النحر ففرق على ارباب دولته ضحايا وكانوا الوفا فأكثر من ناله منهم مائة رأس واقلهم شاة قال ولزمه في فك الأسرى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ستمائة الف دينار وكان سيف الدولة شيعيا متظاهرا مفضلا على الشيعة والعلويين وقال القرماني في تاريخه كان بنو حمدان شيعة لكن كان تشيعهم خفيفا ولم يكونوا كبني بويه فأن بني بويه كانوا في غاية القباحة سبابين [١] قال في المختار من الكواكب المضية قال المهلبي ان مذهب اهل حلب كان مذهب اهل السنة والجماعة ولم يكن بها رافضي الى ان هجمها الروم في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقتلوا معظم اهلها فنقل اليها سيف الدولة بن حمدان جماعة من الشيعة

(١) بنو بويه كانوا ملوكا في بغداد متغلبين على الخلفاء

مثل الشريف ابراهيم العلوي وغيره وكان سيف الدولة يتشيع فغلب على اهلها التشيع لذلك [الناس على دين ملوكهم] وعنه قال الحافظ الذهبي في تاريخ الأسلام كان بجامع حلب خزانة الكتب وكان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان [١] وغيره فلما صلب ثابت بن اسلم ابو الحسن الحلبي احد علماء الشيعة بمصر احرقت الكتب وكان صلبه قريبا من سنة ستين واربعمائة وقد ولي خزانة الكتب فقال من بحلب من الأسماعيلية هذا يفسد الدعوة وقد كان صنف كتابا في كشف عوارهم وابتداء دعوتهم فحمل الى صاحب مصر فأمر بصلبه .

وفي الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة قال يحي بن ابي طي في تاريخه في حوادث سنة ٣٥١ فى هذه السنة ظهر مشهد الدكة وكان سبب ظهوره ان سيف الدولة علي بن حمدان كان فى احد مناظره بداره التي بظاهر المدينة فرأى نوراً ينزل على المكان الذي فيه المشهد عدة مرار فلما اصبح ركب بنفسه الى ذلك المكان وحفره فوجد حجراً عليه كتابة [هذا المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب] رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فبنى عليه هذا المشهد قال وقال بعضهم ان سبي نساء الحسين لما وردوا هذا المكان طرح بعض نسائه هذا الولد فانا نروي عن آبائنا ان هذا المكان يسمى بالجوشن لأن شمر بن ذى الجوشن عليه اللعنة نزل عليه بالسبي والروس وانه كان معدنا يعمل منه الصفر وان اهل المعدن فرحوا بالسبي فدعت عليهم زينب بنت الحسين ففسد المعدن من يومئذ . ا

(١) قال احمد باشا تيمور المصرى في مقالة له منشورة في مجلة الهلال (سنة ٢٨ جزء ٤ صفحة ٣٢ ذكر فيها نوادر المخطوطات • فى المكتبة السلطانية بالقاهرة نسخة شمسية من هيئة اشكال الارض فى طولها والعرض بالمصورات مما الف لسيف الدولة بن حمدان وهي منقولة من خزانة طوب قبو بالاستانة اه

وقال بعضهم ان هذه الكتابة التي على الحجر قديمة واثر هذا المكان قديم وان هذا الطرح الذي زعموا لم يفسد وبقاؤه دليل على انه ابن الحسين فشاع بين الناس هذه المفاوضة التي جرت وخرجوا الى هذا المكان وارادوا عمارته فقال سيف الدولة هذا موضع قد اذن الله لي فى عمارته على اسم اهل البيت قال يحي بن ابي طي ولحقت هذا المشهد وهو باب صغير من حجر اسود عليه قنطرة مكتوب عليها بخط اهل الكوفة كتابة عريضة

[عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء اوجه الله وقربته اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي ابي طالب [رضي الله عنهم] الأمير الأجل سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان] . وذكر التاريخ المتقدم اي سنة ٣٥١

وقال المقريزي في الجزء الثالث من الخطط اول من قال فى الأذان بالليل محمد وعلي خير البشر الحسين المعروف باميركا بن شكنب ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمي معناه الكرش وهو علي بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم قاله الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابة ولم يزل الأذان بحلب يزاد فيه حي على خير العمل ومحمد وعلي خير البشر الى ايام نور الدين محمود فأنه لما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعى ابا الحسن علي ابن الحسن بن محمد البلخي الحنفي اليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء والقى بها الدروس فلما سمع الأذان امر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان لهم وقال لهم مروهم يؤذنوا الأذان المشروع ومن امتنع كبوه على رأسه فصعدوا وفعلوا ما امرهم به واستمر الأمر على ذلك (وسيأتي فى الكلام على ولاية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الشهيد ماكان من امر الشيعة في ولايته]

وفي تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٣٥٦ قال فيها توفي ابو الفرج علي بن الحسين الكاتب الأصفهاني الأموي صاحب كتاب الأغاني كان على امويته شيعيا قيل انه جمع كتاب الاغاني في خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة فاعطاه الف دينار واعتذر اليه .

وقال الثعالبي في يتيمة الدهر حكى ابن لبيب غلام ابى الفرج البيغا ان سيف الدولة كان قد امر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليها اسمه وصورته فأمر يوما لأبي الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالا

نحن في جود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذا الدنانير لم يجر قديما في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

وقال فيها ايضا استنشد سيف الدولة يوماً ابا الطيب المتنبي قصيدته التي اولها

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها فاندفع ابو الطيب ينشدها فلما بلغ قوله فيها

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمي هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امريءُ القيس بيتاه

كأني لم اركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وبيتاك لا يلتئم سطراهما كما ليس يلتئم سطر هذين البيتين كان ينبغي لامريءُ القيس ان يقول

كأني لم اركب جواداً ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

ولم اسبأ الزق الروي للذة　　ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك ان تقول

وقفت وما في الموت شك لواقف　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الابطـال كلمى هزيمة　　كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال ايد الله مولانا ان صح ان الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان اعلم بالشعر منه فقد اخطأ امرؤ القيس واخطأت انا ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز لا يعرف بجملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لانه هو الذي اخرجه من الغزلية الى الثوبية وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازل الاعداء وانا لما ذكرت الموت فى اول البيت اتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من ان يكون عبوساً وعينه من ان تكون باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الاضداد في المعنى وان لم يتسع اللفظ لجميعها فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلاة وفيها خمسمائة دينار

وقال الثعالبي ايضاً انشدت لسيف الدولة في وصف نار الكانون

كأنما النار والرماد معا　　وضؤها في ظلامه محجب

وجنة عذراء مسها خجل　　فاستترت تحت عنبر اشهب

وانشدني ابو الحسن احمد بن فارس قال انشدني شاعر يعرف بالمتيم لسيف الدولة

قد جرى فى دمعه دمه　　فالى كم انت تظلمه

رد عنه الطرف منك فقد　　جرحته منه اسهمه

كيف يستطيع التجلد من　　خطرات الوهم تؤلمه

وانشدني غير واحد له فى اخيه ناصر الدولة ابي محمد

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها   وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يكن بي عنها نكول وانما   تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصلياً   اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

وهذا البيت عند ابن الاثير هكذا . اما كنت ترضى ان اكون الخ
وقال فى المختار من الكواكب المضية ان ناصر الدوله اكبر سناً من سيف الدولة واقدم منزلة عند الخلفاء وكان سيف الدولة كثير التأدب معه وجرت بينهما يوماً وحشة فكتب اليه سيف الدولة

لست اجفو وان جفوت ولا   اترك حقاً على كل حال
انما انت والد والاب الجافي   يجازى بالصبر والاحتمال

وقال الحسن بن خالويه النحوي دخلت يوماً علي سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي اقعد ولم يقل اجلس فعلمت بذلك معرفته بعلم الادب وذلك ان المختار ان يقول للقائم اقعد وللنائم او الساجد اجلس لأن القعود الانتقال من علو الى اسفل ولذلك يقال لمن اصيب برجله مقعد والجلوس الانتقال من سفل الى علو ولذلك قيل اسجد . وذكر ابن عشائر قال كان سيف الدولة اذا اكل الطعام وقف على مائدته اربعة وعشرون طبيباً وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين ومنهم من يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم وقال الذهبي توفي سيف الدولة وتولى امره القاضي ابو الهيثم بن ابي حصين وغسله عبد الرحمن بن سهل المالكى قاضي الكوفة وغسله بالسدر ثم بالصندل ثم بالدريرة ثم بالصبر والكافور ثم بماء الورد ثم بالماء ونشف بثوب ديبقي يساوي نيفاً وخمسين ديناراً اخذه الغاسل وجميع ما عليه وصبره بصبر ومر وكافور وجعل على وجهه

وبخره مائة مثقال غالية وكفن في سبعة اثواب تساوي الف دينار وجعل فى التابوت مضربة ومخدتان اه وقد تقدم انه حمل الى ميافارقين ودفن فيها رحمه الله تعالى وفى هامش تاريخ ابن مسكويه في حوادث سنة ٣٥٦ نقلاً عن صاحب التكمله مانصه. حكي ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه وبيده رمحه وبين يديه عبد صغير له وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا فى الرقعة [الف دينار] على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فأعطاهم الصيرفي الدنانير فى الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال ذاك سيف الدولة بن حمدان اه

وفي كتاب الكنايات للجرجانى [في صحيفة ٥٤] سمعت الطبري يقول كنت يوماً بين يدي سيف الدولة بحلب فدخل عليه ابن عم له فاستبطأه الامير وقال له اين كنت اليوم وبم اشتغلت فقال له ايد الله مولانا حلقت رأسي واصلحت شعري وقلمت اظفاري فقال له لو قلت اخذت من اطرافي كان اوجز وابلغ اه

وفي ثمرات الأوراق لأبن حجة الحموي . ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فأنشدوه فدخل معهم رجل شامي فأنشده (وكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط . وكنت كسنور عليهم تسقفا) فأمر بأخراجه فقام على الباب يبكى فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وامر برده وقال له مالك تبكى قال .قصدت مولانا بكل ما اقدر عليه اطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب املي بكيت. فقال له سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم وكم كنت املت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف

درهم فأخذها وانصرف اهـ

(دولة الأدب في حلب)

[على عهد سيف الدولة بن حمدان]

تحت هذا العنوان القى في حلب الاديب الفاضل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق محاضرة في نادي الشهباء وذلك في رجب سنة ١٣٤١ الموافق شهر شباط سنة ١٩٢٣ ونشرت في جريدة سورية الشمالية التي تصدر في حلب اقتطفنا منها مالا ذكر له عندنا مما له علاقة في تاريخ الشهباء تتمة للفائدة قال في مطلعها

لكل قرن من قرون العز في العرب نابغة او نوابغ من الملوك والامراء ومثلهم من العلماء والادباء وقد امتاز القرن الرابع في الشام — واذا قلنا الشام عنينا هذا القطر المحبوب الممتدّ من العريش الى الفرات ومن جبال طورس الى البادية على نحو ماكان يعرفه العرب — بقيام بني حمدان فيه ورئيسهم سيف الدولة بن حمدان استولى على القسم الشمالي منه والدولة العباسية قد اخذت تتناوشها ملوك الاطراف وامراؤها في العراق ومصر والشام والجزيرة واخذت دولة الخلافة بالضعف بصنع بعض الخوارج ومنهم من كان ينازعها السلطة علناً ومنهم من كان يشاركها فيها ويخضع لها في الصورة الظاهرة وبنو حمدان كانوا من هذا النوع الاخير .

اصل بني حمدان بطن من بني تغلب بن وائل من العدنانية وهم بنو حمدان ابن حمدان كانوا ملوك الموصل والجزيرة وحلب في ايام المتقي بالله العباسي واول من ملك منهم ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان ثم اخوه ابراهيم بن حمدان

ثم اخوه سعيد ونصر ابناء حمدان ثم استولى على الشام وحلب معين الدولة علي ابن ابي الهيجاء بن حمدان

رسخت بسيف الدولة اقدام بني حمدان في هذه الديار واتخذ حلب عاصمته وكانت مملكته عبارة عن جند حمص وجند قنسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار بكر ولما تم له الامر مثل في بلاده الصورة التي كان يريد ان يمثلها في دمشق وابى اهلها عليه تمثيلها فاخذ يستصفي الاملاك ويصادر الاموال ويبني الدور والقصور ويظهر من الابهة ما كاد يعجز عنه الخوالف من العباسيين في بغداد والامويين في الاندلس والفاطميين في مصر

لم تكن الجباية في تلك القرون حالة مستقرة فما ورد عن التاريخ واصحابه من قوانينها العادلة السهلة التطبيق كان يجرى العمل به في البلاد كلها وكانت صورة التنفيذ تختلف باختلاف نزهة السلطان وعفته عن اموال الناس ، وسيف الدولة كان على الارجح من القائلين بأن الغاية تبرر الواسطة

كان رحمه الله على ما اجمع عليه الثقاة مثل ابن حوقل معاصره والازدي وسبط ابن الجوزي يجوّز اخذ ما في ايدي الناس ليستعين به على غزو الروم ويسرف بجانب كبير يفضل به على الشعراء والادباء فيخرجه من اكياس الرعية وجيوبهم لينفقه في وجوه المبرات والعطايا ولذلك اسس في هذه المدينة الجميلة دولة في الادب لم يقم مثلها في الشام منذ نحو عشرين قرناً الى يومنا هذا

ليس في العالم شر محض ولا خير محض ولكل عاقل في الارض مزية كما انه له ما يعدّ عليه من الهنات وسيف الدولة من هذا القبيل لم تكن اعماله الى الخير المحض بمصادراته واسرافه وكانت له مزيتان قل ان يكتبا لغيره وهما : نهضة الآداب في هذه البلاد ودفع عادية الروم عنها ولولاه لعاد اليها سلطانهم بعد

ان تقلص بالاسلام نيفاً وثلاثة قرون . وهذا الاجمال كما ترون يحتاج الى تفصيل

كان هم سيف الدولة في سياسته الخارجية ان يضعف الروم في آسيا الصغرى فكان كثيراً ما يغزوهم ويفتح حصونهم ويسبي من ابنائهم ويخرب في زروعهم وقراهم ويستصفي اموالهم وعروضهم وقيل انه غزاهم اربعين مرة كانت فيها بعض الغزوات له وبعضها عليه وكان همه في سياسته الداخلية تنجيد القصور وجمع الاموال والتجوز في اخذ الحلال والحرام منها واظهار ابهة الملك والافضال على الشعراء وكانت عصبيته من عرب الجزيرة مسقط رأسه ومنبعث دولته ومن عرب الشام مثل بني كلاب الذين ادناهم وأمن سربهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم. قال في مسالك الابصار : وبنو كلاب هم عرب اطراف حلب والروم ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعد ولا تزال (اي في القرن الثامن) تباع بنات الروم وابناؤهم من سباياهم ويتكلمون بالتركية يركبون الاكاديش وهم عرب غزو ورجال حروب وابطال جيوش وهم من اشد العرب بأساً واكثرهم ناساً وكانت له طرق غريبة في الرحمة من ذلك انه سار مرة بالبطارقة الذين في اسره الى الفداء وكان في اسر الروم ابن عمه ابو فراس وجماعة من اكابر الحلبيين والحمصيين فأخذ بالفداء ولما لم يبق من اسرى الروم احد اشترى الباقين كل نفس باثنين وسبعين ديناراً حتى نفذ ما معه من المال فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته (درعه) الجوهر المعدومة المثل ثم لما لم يبق احد من اسرى المسلمين كاتب نقفور ملك الروم على الصلح ، قال ابن الوردي : وهذه من محاسن سيف الدولة . ولقد امتازت دولة سيف الدولة بمزيتين الاولى سياسية اسلامية والثانية علمية ادبية فمزيتها السياسية انه كثيراً ما اغار على الروم وجعل ديدنه التخريب في بلادهم ليردهم عن قصد بلاده لانهم كانوا يطمعون فيها منذ

القديم ويذكرون من تاريخها انهم حكموها طويلا ، فكان بعمله سداً حاجزاً دون انبعاثهم الى هذه البلاد فخدم بذلك الاسلام والعرب ، والمزية الثانية لدولته جعلها كحضرة بني العباس على ضيق رقعتها وذلك في الافضال على العلم والادب فكان يقصده اهل هذا الشأن فينزلهم في بلاده على الرحب والسعة ويبرهم بصلاته ، قال في دائرة المعارف الاسلامية : (ان الفضل الذي احرزه سيف الدولة بن حمدان بنشر العلوم والآداب العربية هو عنوان مجد لا يقل عن اعماله الحربية) اه

ومما يؤخذ عليه تغاليه في الافضال على الشعراء والادباء على ان منهم كابي الطيب المتنبي مثلاً من فارقه بعد ان منحه الاقطاعات والانعامات الكثيرة ليستجدي اكف كافور في مصر فقد اعطى سيف الدولة شاعره المتنبي ضيعة بالمعرة اسمها [صف] اقطاعاً له واقطع قرية [عين جارة] وهي من الضياع الكبرى ابن علي احمد بن البازيار نديمه عدا ما كان يناله من صلاته وذكروا ان الناشئ الأحصى دخل على سيف الدولة فانشده قصيدة له فيه فاعتذر سيف الدولة بضيق اليد يومئذ وقال له اعذر فما يتأخر حمل المال فاذا بلغك ذلك فأتنا نضاعف جائزتك ونحسن اليك فخرج من عنده فوجد على باب سيف الدولة كلاباً تذبح لها السخال وتطعم لحومها فعاد الى سيف الدولة فانشده هذه الابيات :

رأيت بباب داركم كلاباً ... تغذيها وتطعمها السخالا
فما في الارض ادبر من اديب ... يكون الكلب احسن منه حالا

ثم اتفق ان حملت الى سيف الدولة اموال من بعض الجهات على بغال فضاع منها بغل بما عليه وهو عشرة الاف دينار وجاء هذا البغل حتى وقف على باب الناشئ الشاعر بالأحص فاخذ ما عليه من المال واطلقه ثم جاء حلب ودخل على سيف

الدولة وانشده قصيدة يقول له فيها:

ومن ظن ان الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم

يفوت الغنى من لاينام عن السرى وآخر يأتى رزقه وهو نـائم

فقال له سيف الدولة بحياتى وصل اليك المال الذي كان على البغل فقال نعم فقال خذه بجائزتك مباركاً لك فيه . ان ما صدر عن سيف الدولة غاية في الكرم ولكنه لايجوز فى الشرع والعقل ان تجبى هذه الاموال من الفقراء والاغنياء لتصرف في مصالح الامة ثم يأخذها شاعر واحد ومعلوم ان العشرة آلاف دينار فى القرن الرابع لاتقل قيمتها عن مئة الف دينار في هذا القرن ولذلك قال ابن نباتة في مدح سيف الدولة وقد تبرم بكثرة ما ناله من عطائه :

قد جدت لي باللها حتى ضجرت بها وكدت من ضجر اثني على البخل

ان كنت ترغب فى بذل النوال لنا فـاخلق لنـا رغبةً او لا فلا تنل

لم يبق جودك في شيئاً اؤمله تركتنى اصحب الدنيـا بلا امل

مثال آخر من اسراف سيف الدولة : ذكر انه ضرب دنانير خاصة للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته ، قـال بعض المؤرخين في حوادث سنة ٣٥٤ فيها صاهر سيف الدولة اخاه ناصر الدولة فزوج ابنته ابا المكارم وازوج ابا المعالى بابنة ناصر الدولة وازوج ابا تغلب بابنته ست الناس وضرب دنانير في كل دينار ثلاثون ديناراً وعشرون وعشرة مكتوب عليها [محمد رسول الله] ، امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، فاطمة الزهراء ، الحسن الحسين ، جبريل وعلى الجـانب الآخر : امير المؤمنين المطيع لله الاميران الفاضلان ناصر الدولة وسيف الدولة الاميران (ابو تغلب وابو المكارم)وجاد بما لم يجد به احد ، يقال ان المبلغ الذى جاد به سبعمائة الف دينار ؛ فما قولكم

بن بجود بهذا المبلغ في عرس وهو مبلغ جسيم لا تقل قيمته اذا قدرناه بسكة زماننا عن سبعة ملايين دينار ان هذا العمل ممقوت شرعاً وعقلالانه التبذير بعينه وبهذا رأيتم ان المال لا قيمة له في نظر سيف الدولة فقد ذكروا — وهو مما يعاب عليه — ان الخليفة المتقي العباسي لما استولى البريدي على بغداد استنجد ببني حمدان امراء الموصل فطلب سيف الدولة من الخليفة مالا لينفقه في الجيش حتى يقويه ويمنع الأتراك من بغداد فاعطاه الخليفة اربعمائة الف دينار ففرقها سيف الدولة في اصحابه ثم هرب سيف الدولة ودخل [توزون] بغداد وملكها وذكر ابن حوقل في كلامه على بالس [مسكنة] ان سيف الدولة بعد انصرافه عن لقائه صاحب مصر وقد هلك جميع جنده انفذ المعروف بابي الحصين القاضي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن السفر ولم يطلق لهم النفوذ فاخرجهم عن احمال واطواف زيت الى ماعدا ذلك له من متاجر الشام في دفعتين بينهما شهور قلائل وايام يسيرة الف الف دينار

قال ابن مسكويه كان سيف الدولة معجباً بنفسه يحب ان يستبد برأيه كريماً شجاعاً محبا للفخر والبذخ مفرطاً في السخاء والكرم شديد الاحتمال لمناظريه والعجب بآرائه سعيداً مظفراً في حروبه جائراً على رعيته اشتد بكاء الناس عليه ومنه

ولقد قيل انه اجتمع لسيف الدولة بن حمدان ما لم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بن نباتة الفارقي ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابي وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديين [وهما يشبهان الاخوين الافرنسيين ليكو نكور] والصنوبري ومداحه المتنبي والسلامي والوأواء الدمشقي والببغاء والنامي وابن نباتة السعدي والصنوبري وغيرهم بل انه اجتمع ببابه ما لم يجتمع بباب احد من

الملوك بعد الخلفاء من شيوخ الشعر ونجوم الدهر وكان اديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز بما يمدح به ولقد اورد صاحب اليتيمة من شعراء سيف الدولة وممن كانوا يقصدونه من آلافاق لينفقوا من ادبهم في سوقه ما هو بهجة النفوس مدى الايام وربما قل في الملوك من مدح بمثل ما مدح به سيف الدولة حتى ان كلاً من ابي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وابي الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختارا من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة الاف بيت وكل هذه الاجادة في الشعراء وتخريج الرجال كانت منبعثة من وراء اعطاء سيف الدولة للمال بدون حساب

تجلت في عهد سيف الدولة في ديار الشام روح غريبة فى الادب العربي وظهر بمظهر لم يسبق له عهد مثله ولا جاء فى القرون التالية شبه له ونظير اللهم الا اذا كان على عهد الامويين ولم تبلغنا اخبار شعرائه وقد استفاد من هذه الحركة الادبية القاصي والداني كان ابو بكر الخوارزمي في ريعان عمره قد دوّخ بلاد الشام وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ومطرح الغرباء والفضلاء فاقام ما اقام بها على ابي عبد الله بن خالويه وابي الحسن السميساطي وغيرهما من ائمة الادباء وابي الطيب المتنبي وابي العباس النامي وغيرهما من فحول الشعراء بين علم يدرسه وادب يقتبسه ومحاسن الفاظ يستفيدها وشوارد اشعار يصيدها وهو احد افراد الدهر وامراء النظم والنثر وكان يقول ما فتق قلبي وصقل ذهني وارهف حد لساني وبلغ هذا المبلغ بي الا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت باجزاء نفسي

قام سيف الدولة بهذه النهضة الادبية وقد كاد القرن الثالث في الشام يخلو من الشعراء والادباء لانهم قصدوا بغداد عاصمة الملك وبقيت الشام بمعزل ولم ينبغ

في هذا العصر غير رجال في الحديث والمغازي والفقه وضعف الادب حتى اخذ ابن حمدان بيده وايدي المشتغلين به فكأن القرنين السالفين كانا كالمقدمة للكتاب الكبير الذى صدر في القرن الرابع وشرحه نوابغ الادب العربي احسن شرح وفيه قام اساطين الشعر ابو تمام وابو الطيب وابو عبادة واليهم انتهت الزعامة في الاجادة

بلادنا بلاد الشعر والشعر كان مبدأ دخول العرب فى الحضارة لم يحرصوا على شيء حرصهم على روايته ودرايته واشد ما يكثر الشعراء في ارض صح اقليمها واعتدل نسيمها وطابت تربتها واديمها وصفت امواهها وسانح نميرها وكثرت ظلالها باشجارها وغرّدت اطيارها فى اسحارها وهذه الحالة على حصة موفورة في القطر الذي يتاخم جزيرة العرب وشمالها فكان شعراء الشام وما يقاربها اشعر من شعراء العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام والسبب في تبريزهم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم — كما قالوا — من خطط العرب ولا سيما اهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لألسنة اهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واذا اضيفت الى هذه الأسباب الطبيعية اسباب اخرى من تنشيط ملك واعجاب امة بعمل العالم او الشاعر والكاتب تفتحت القرائح وتجلى نبوغ الافراد في اجمل مظاهره كما جرى في ايام سيف الدولة الذي يشبه من كثير من الوجوه لويس الرابع عشر ملك فرنسا هذا مع اعتبار الفرق بين العصرين فان ابن القرن التاسع لا يتأتى ان يكون مثل ابن القرن التاسع عشر وابن غربي آسيا لا يصح بحال من الأحوال ان يشبه ابن غربي اوروبا ولكن الرجال قد يتشابهون على كل حال ووجه الشبه ظاهر بين الملكين ولا سيما فيما يتعلق بالمعارف والآداب

ولكن عمل لويس الرابع عشر اتصل بعده وما زال في نمو وعلوّ وعمل سيف الدولة زال — ويا للأسف — بزواله وهذا اهم فرق بين هذا الشرق وذاك الغرب هناك يتسلسل الفكر قروناً وهنا ينقطع ويتحول هناك تتناوله الجماعات بعد الأفراد فتحسنه وتزيد فيه وهنا يدفن مع صاحبه ولا يبقى غير تذكاره فعاش الشرق بالفرد وعاش الغرب بالجماعة !!!

لو الهم سيف الدولة ان يقتصد قليلا من جوائز الشعراء فقط خل عنك سائر اسرافاته ويعمل فيها عملا يكل امره الى ابقاء الاجيال التي جاءت بعده لاثر وحده في مدنية الشام اكثر من تأثير الرومان واليونان ولما نسي اسمه الا من دواوين الادب واسفار المحاضرات ، ومن قام امره بالاستبداد ولم يحفل بآراء اصحاب الرأي تضمحل سلطته عند اول عارض داخلي او خارجي يعرض لها .

ان سيف الدولة مثل الاستبداد الممزوج بالعقل وحب الادب والشعر لانه كان شاعراً مجيداً جيد الطبع كريم النفس وكانت فائدته الشخصية اقل من فائدة الآداب عامة على يده وجعل الشهباء مركز دائرته فاصبحت فى سنين قليلة عاصمة الآداب فاورثنا شعراء سيف الدولة واورثوه مجدا لا يبلى على وجه الدهر جديده اه

ولاية ابى المعالي شريف بن سيف الدولة للمرة الأولى

من سنة ٣٥٦ الى سنة ٣٥٨

قال في المختار من الكواكب المضية لما توفي سيف الدولة كان ابنه ابو المعالي سعد الدولة بميافارقين فسار غلمان سيف الدولة واحضروه الى حلب فوصل اليها في ربيع الاول سنة ست وخمسين وجلس الحاجب قرعويه بحضرته ورد

التدبير اليه

سنة ٣٥٧

قال ابن الاثير فيها في ذي القعدة وصلت سرية كثيرة من الروم الى انطاكية فقتلوا فى سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر الفاً من المسلمين

وفي هامش تجارب الأمم نقلا عن صاحب تاريخ الأسلام فى هذه السنة فى ذي القعدة اقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلتفتوا اليه فهددهم وقال ارحل واضرب الشام واعود اليكم من الساحل ورحل فى اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فاخذها وغدر بهم واسر منهم اربعة الآف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فاحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه الى الحصون والبراري والجبال المنيعة ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها فصلى فى البيعة واخذ منها رأس يحيي بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فأخذ ربضها واقام فى الشام اكثر من شهرين ورجع فارضاه اهل انطاكية بمال عظيم وقال ايضاً ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملكها بالأمان وخافهم صاحب حلب ابو المعالي بن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بالس واقام بها الأمير قرعويه ثم ذهب ابو المعالي الى ميافارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل ابي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد ابو المعالى الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوا له ايضا واستنصر بابن عمه ابي تغلب فكتب اليه يعرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الى ميافارقين فى ثلثمائة فارس فقل ما بيده ووافت الروم الى ناحية ميافارقين وارزن يعيثون ويقتلون

واقاموا ببلد الأسلام خمسة عشر يوماً ورجعوا بما لا يحصى اه

وفى المختار من الكواكب المضية ثم ان ابا المعالي اخرج قرعويه من حلب لمخالفة اهل حلب عليه فتقرب اليهم بعمارة السور والقلعة وكانت قد هدمتها الروم حين هجموها سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكان قد اتفق وصول عساكر الروم الى ناحية انطاكية فأشار قرعويه على سعد الدولة بالخروج من حلب فلما خرج قال له اهل حلب لا يريدونك فامض الى والدتك فمضى الى ميافارقين واستولى قرعويه على حلب في المحرم سنة ثمان وخمسين هو ومولاه بكجور الحاجبي وكتب اسمه مدة على السكة ودعي له على المنابر

[ولاية قرعويه غلام سيف الدوله سنة ٣٥٨]

قال ابن الأثير في هذه السنة دخل ملك الروم الشام لم يمنعه احد ولا قاتله فسار في البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فلكها ونهبها وسبى من فيها الى ان قال واقام في الشام شهرين يقصد اي موضع شاء واراد ان يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان اهلها قد اعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وقد اخرج ابا المعالي ابن سيف الدولة منها على ما نذكره فصانع الروم عليها فعادوا الى بلادهم .

قال ولما اخرج قرعويه غلام سيف الدولة ابا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان سار ابو المعالي الى حران فمنعه اهلها من الدخول اليهم فطلب منهم ان يأذنوا لأصحابه ان يدخلوا ويتزودوا منها يومين فاذنوا لهم ودخل الى والدته بميافارقين وهي ابنة سعيد بن حمدان وتفرق عنه اكثر اصحابه ومضوا

الى ابي تغلب بن حمدان فلما وصل الى والدته بلغها ان غلمانه وكتابه قد عملوا على القبض عليها وحبسها كما فعل ابو تغلب بأبيه ناصر الدولة فاغلقت ابواب المدينة ومنعت ابنها من دخولها ثلاثة ايام حتى ابعدت من تحب ابعاده واستوثقت لنفسها واذنت له ولمن بقي معه في دخول البلد واطلقت لهم الأرزاق وبقيت حران لا امير عليها ولكن الخطبة فيها لأبي المعالي ابن سيف الدولة وفيها جماعة من مقدمي اهلها يحكمون فيها ويصلحون من امور الناس ثم ان ابا المعالي عبر الفرات الى الشام وقصد حماة فاقام بها .

سنة ٣٥٩

ذكر استيلاء الروم على انطاكية وحلب وعودهم عنها

قال ابن الأثير فى هذه السنة في المحرم ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من انطاكية يقال له لوقا وانهم وافقوا اهله وهم نصارى على ان يرتحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انتقلوا منه خوفاً من الروم فاذا صاروا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافى الروم مع اخي نقفور الملك وكانوا نحو اربعين الف رجل فاحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التي بها اهل حصن لوقا فلما رآهم اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في اهله السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجايز والأطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم فاخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الف انسان وكان حصرهم له فى ذي الحجة

ولما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشاً كثيفاً الى حلب وكان ابو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصراً لها وبها قرعويه الساقي متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالي خبرهم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم وحصروا البلد وفيه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا ارادوا الغزاة لا يمكن قرعويه اهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون اليه منها وكان مع حلب حماه وحمص وكفرطاب والمعرة وأفامية وشيزر وما بين تلك الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا عن حلب وتسلمها المسلمون .

وفيها في ربيع الآخر اصطلح قرعويه مع ابي المعالي بن سيف الدولة وخطب لابي المعالي بحلب وكان بحمص وخطب هو وقرعويه في اعمالهما للمعز لدين الله العلوي صاحب المغرب وفيها في جمادى الاولى سار ابو تغلب ابن ناصر الدولة ابن حمدان الى حران فرأى اهلها قد اغلقوا ابوابها وامتنعوا منه فنازلهم وحصرهم فرعى اصحابه زروع تلك الأعمال وكان الغلاء في العسكر كثيراً فبقي كذلك الى ثالث عشر جمادى الآخرة فخرج اليهم نفران من اعيان اهلها ليلاً وصالحاه واخذا الأمان لأهل البلد وعادا فلما اصبحا اعلما اهل حران ما فعلاه فاضطربوا وحملوا السلاح وارادوا قتلهما فسكنهم بعض اهلها فسكنوا واتفقوا على اتمام الصلح وخرجوا جميعهم الى ابي تغلب وفتحوا ابواب البلد ودخله ابو تغلب واخوته وجماعة من اصحابه وصلوا به الجمعة وخرجوا الى معسكرهم واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي لأنه طلبه اهله لحسن سيرته وكان اليه ايضا عمل الرقة

وهو من اكابر اصحاب بني حمدان وعاد ابو تغلب الى الموصل ومعه جماعة من احداث حران .

ولاية بكجور غلام قرعويه من سنة ٣٦٠ الى سنة ٣٦٦

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٦ كان قرعويه قد استناب بحلب مولى له اسمه بكجور فقوي بكجور واستفحل امره وقبض على مولاه قرعويه وحبسه في قلعة حلب واقام بها نحو ست سنين

قال الجلال السيوطي في كتاب الصاصلة في الزلزلة وفي سنة ٣٦٢ زلزلت بلاد الشام وهدمت الحصون ووقع من ابراج انطاكية عدة ومات تحت الردم خلق كثير

(ولاية ابي المعالي شريف سنة ٣٦٦ للمرة الثانيه)

لما عاد ابو المعالي شريف من ميافارقين الى حماة ونزلها وكانت الروم قد خربت حمص واعمالها نزل اليه بارقتاش مولى ابيه وهو بحصن برزويه وخدمه وعمر له مدينة حمص فكثر اهلها . قال ابن الاثير ولما استبد بكجور بأمر حلب كتب من بها من اصحاب قرعويه الى ابي المعالي بن سيف الدولة ليقصد حلب ويملكها فسار اليها وحصرها اربعة اشهر وملكها وبقيت القلعة بيد بكجور فترددت الرسل بينهما فاجاب الى التسليم على ان يؤمنه في نفسه واهله وماله ويوليه حمص وطلب بكجور ان يحضر هذا الامان والعهد وجوه بني كلاب ففعل ابو المعالي ذلك واحضرهم الامان والعهد وسلم قلعة حلب الى ابي المعالي وسار بكجور الى حمص فتولاها لابي المعالي وصرف همته الى عمارتها وحفظ الطرق فازدادت عمارتها وكثر الخير بها ثم انتقل منها الى ولاية دمشق على ما نذكره سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة

سنة ٣٦٨ استيلاء ابي المعالي على ديار مضر

قال ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦٨ كان متولي ديار مضر لابي تغلب بن حمدان سلامة البرقعيدي فانفذ اليه سعد الدولة بن سيف الدولة من حلب جيشاً فجرت بينهم حروب وكان سعد الدولة قد كاتب عضد الدولة [ملك بغداد] وعرض نفسه عليه فانفذ عضد الدولة النقيب اباحمد والد الشريف الرضي الى البلاد التي بيد سلامة فتسلمها بعد حرب شديد ودخل اهلها في الطاعة فاخذ عضد الدولة لنفسه الرقة حسب ورد باقيها الى سعد الدولة فصارت له .

سنة ٣٧٣

قال في الزبد والضرب فى هذه السنة نزل فردوس الدمستق على باب حلب في خمسمائة الف مابين فارس وراجل وسعد الدولة بحلب غير محتفل به ثم التقى العسكران فى الميدان فرجع عسكر فردوس اقبح رجوع وسير سعد الدولة جيشه خلفه غازياً حتى بلغت عساكره انطاكية اه وانظر ترجمة الشيخ عبد الرزاق ابي نمير المتوفى سنة ٤٢٥ ويغلب على الظن ان هذا العدد مبالغ فيه جداً

سنة ٣٧٨

قال ابن الاثير فى هذه السنة عزل بكجور عن دمشق وسبب ذلك انه اساء السيرة في دمشق فجهز العزيز بالله اليه العساكر من مصر مع القائد منير الخادم فساروا الى الشام فجمع بكجور العرب وغيرها وخرج فلقي العسكر المصرى عند داريا وقاتلهم فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والي طرابلس وكان قد كوتب من مصر بمعاضدة منير فلما انهزم بكجور خاف ان يجيء نزال فيؤخذ فارسل يطلب الامان ليسلم البلد اليهم فاجابوه الى ذلك فجمع ماله جميعه وسار واخفى اثره لئلا يغدر المصريون به وتوجه الى الرقة

فاستولى عليها

سنة ٣٨١

ذكر وفاة سعد الدوله ابي المعالى ابن سيف الدولة بعد قتله بكجور غلامه

قال الوزير ابو شجاع في ذيل تجارب الامم فى حوادث هذه السنة فيها ورد الخبر بوفاة سعدالدولة ابي المعالي ابن سيف الدولة بعدقتله بكجور غلامه(١)(٢)

شرح الحال في عصيان بكجور وما آل اليه امره من القتل ونبذ من اخبار المصريين تتصل بها

قال في ذيل التجارب كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاصطنعه وقلده الرقة والرحبة واستكتب له ابا الحسن على بن الحسين المغربي فلما طالت مدته في ولايته جحد الاحسان وحدث نفسه بالعصيان واستغوي طائفة من رفقائه فصاروا اليه وخرج الى ابي الحسن المغربي بسره فاشار اليه بمكاتبة صاحب مصر الملقب بالعزيز والتحيز اليه فقبل منه وكاتبه واستأذنه في قصد بابه فأذن له وسار عن الرقة بعد ان خلف عليها سلامة الرشيقى غلامه واخذ رهائن اهلها على الطاعة فلقيته كتب صاحب مصر وخلعه وعهده على دمشق فنزل بها وتسلمها ممن كان واليا عليها ووجد احداثها وشبانها مستولين ففتك بهم وقتل منهم وقامت هيبته بذلك (وهذا في سنة ٣٧٧ كذا فى الهامش نقلا عن ابن القلانسي

---

١ واما ابتداء امر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن القلانسى ص ٢٧ اه كذا في هامش التجارب

(٢) قال فانديك فى كتابه اكتفاء القنوع بما هو مطبوع في صحيفة ٩٢ تاريخ تولى سعد الدولة على حلب طبع مع ترجمة المانية سنة ١٨٢٠ م فى مدينة ليون باعتناء العلامة فرايتاغ اه

ص ٣٠) وترددت بينه وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقع عيسى اوفي منه ففسد مابينهما واسرّ عيسى العداوة له واساء غيبه وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاه الى صاحب مصر فامر عيسى باستئناف الجميل معه فقبل ظاهراً وخالف باطناً . وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا اليه رغبة وعاد الى الرقة وكتب اليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فاجابه جواب المعتذر الملاطف

ذكر السبب فى مسير بكجور الى حلب لقتال مولاه

قال فى ذيل التجارب كان لبكجور رفقاء بحلب يوادونه فكاتبوه واطمعوه فى الامر واعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة فاغتر باقوالهم وكتب الى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الانجاد والمعونة (١) فاجابه الى كل ملتمس وكتب الى نزّال الغوري والي طرابلس بالمسير اليه متى استدعاه من غير معاودة وكان نزال هذا من قواد المغاربة وصناديدهم ومن صنايع عيسى وخواصه

ذكر الحيلة التي رتبها عيسى (وزير مصر) مع نزال

في التقاعد ببكجور حتى ورطه

كتب عيسى الى نزال سراً بان يظهر لبكجور المسارعة ويبطن له المدافعة فاذا تورط مع مولاه وصادمه تأخر عنه واسلمه . فرحل بكجور عن الرقة وكتب بكجور الى نزال بأن يسير من طرابلس ليكون وصوله الى حلب في وقت واحد وسار اليها ورحل نزال وابطأ فى سيره وواصل مكاتبة بكجور بنزوله فى منزل بعد منزل وقرب عليه الأمر في وصوله . وقد كان سعد الدولة كتب الى بسيل

(١) العبارة فى ابن الأثير فارسل حينئذ بكجور الى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه فى حلب ويقول انها دهليز العراق ومتى اخذت كان ما بعدها اسهل منها

عظيم الروم واعلمه عصيان بكجور عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بأنطاكية بالمسير اليه متى استنجده فكاتبه بسيل بذلك فلما وافى بكجور كتب سعد الدولة الى البرجي بالمسير اليه فسار وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره [ولؤلؤ الجراخي الكبير يحجبه] ولم يكن معه من العرب الا عمرو بن كلاب وعدتهم خمسمائة فارس الا انهم اولو بأس ومن سواهم من عدده وعدته (٢) فنزل الى الأرض وصلى وعفر خديه وسأل الله تعالى النصر . ثم استدعى كاتبه وامره بأن يكتب الى بكجور عنه ويستعطفه ويذكره الله ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى باب حمص ويدعوه الى الموادعة ورعاية حق الرق والعبودية ومضى بالكتاب رسول فأوصله اليه فلما وقف عليه قال . الجواب ما يراه عياناً. فعاد الرسول واعاد على سعد الدولة قوله واخبره انه سائر على أثره فتقدم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتب المصاف ووقع الطراد

(ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته)

وشح آل بكجور الى ذهاب مهجته

قال في ذيل التجارب كان الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وقد طعن او جرح خلع عليه واحسن اليه وكان بكجور شحيحا فاذا عاد اليه رجل من رجاله على هذه الحالة امر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في امره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وامنهم ووعدهم ورغبهم فلما حصلت كتبه بالأمان معهم عطفوا على سواده ونهبوا واستأمنوا الى سعد الدولة ورأى بكجور ما تم عليه من تقاعد نزال به وانصراف العرب عنه وتأخر رفقائه الذين

(٢) زاد في الهامش هنا ابن القلانسي ص ٣٤ ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور واعجبه [يعني سعد الدولة] ما رأى من عدده وعدته الخ

كاتبوه ووعدوه بالانحياز اليه اذا شاهدوه فاستدعى الحسن المغربي كاتبه وقال له لقد غررتني فما الرأي الآن قال له ايها الأمير لم اكذبك في شيء قلته ولا اردت الا نصحك والصواب مع هذه الأسباب ان ترجع الى الرقة وتكاتب صاحب مصر بما اعتمده نزال معك وتعاود استنجاده . وكان في العسكر قائد من القواد يجري مجراه في التقدم فسمع ما جرى بينهما فقال لبكجور هذا كاتبك اذا جلس في دسته قال [الأقلام تنكس الأعلام] فاذا تحققت الحقائق اشار علينا بالهرب والله لا هربنا وحلف بالطلاق على ذلك وسمع ابو الحسن المغربي قوله فخاف . وكان قد واقف بدوياً من بني كلاب على ان يحمله الى الرقة متى كانت هزيمته وبذل له الف دينار على ذلك فلما استشعر ما استشعر قدم ما كان آخره وسأل البدوي تسييره الى الرقة فسيره

ذكر ما دبره بكجور بفضل شجاعته

فخالفت المقادير دون ارادته

قال في ذيل التجارب لما رأى الامر معضلا عمل على ان يعمد الى الموضع الذي فيه سعد الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره موقعاً به فاختار وجوه غلمانه وقال لهم قد حصلنا من هذه الحرب على شرف امرين صعبين من هزيمة وهلاك وقد عولت علي كيت وكيت فان ساعدتموني رجوت لكم الفتح فقالوا نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك فغدر واحد من الغلمان واستأمن الى لؤلؤ الجراحي واعلمه بما عول عليه

﴿ ذكر ما فعله لؤلؤ من افتداء مولاه بنفسه ﴾

فنجاهما الله بحسن النية

قال في ذيل التجارب اسرع لؤلؤ الى سعد الدولة واخبره الحال وقال قد ايس بكجور من نفسه وهو لا شك فاعل ما قد عزم عليه فانتقل من مكانك الى مكاني لأقف انا فى موضعك واكون وقاية لك ولدولتك فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور فى اربعمائة غلام شاكين فى السلاح ثم حمل فى عقيب جولته حملة افرجت له العساكر ولم يزل يخبط من تلقاه بالسيف الى ان وصل الى لؤلؤ وهو يظنه سعد الدولة فضربه على الخودة ضربة قدها ووصلت الى رأسه ووقع لؤلؤ الى الأرض وحمل العسكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائداً الى مكانه مظهرا نفسه لغلمانه فلما رأوه قويت شوكتهم وثبتت اقدامهم واشتدوا في القتال حتى استفرغ بكجور وسعه ثم انهزم فى سبعة نفر

ذكر ما جرى عليه امر بكجور بعد الهزيمة الى ان قتل

قال الوزير ابو شجاع فى ذيل تجارب الأمم كان تحت بكجور فرس ثمنه الف دينار فانتهى الى ساقية تحمل الماء الى رحا الطريق سعتها قدر ذراعين فجهد على ان يعبرها خوضا او وثبا فلم يكن فيه قوة ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجلته واصحابه وجردوهم من ثيابهم وآبوا عنهم باسلابهم ونجا بكجور ومن معه الى الرحا فاستكنوا فيه ثم خرجوا من بعد الى قراع فيه زرع فمر بهم قوم من العرب وكان فيهم رجل من بنى قطن كان بكجور يستخدمه كثيرا فى مهماته فناداه ان ارجع فرجع وهو لايعرفه فأخذ زمامه ثم عرفه نفسه وبذل له على ايصاله الرقة حمل بعيره ذهبا فأردفه وحمله الى بيته وكساه وكان سعد الدولة قد بث الخيل فى طلبه وجعل لمن احضره حكمه فساء ظن البدوي وطمع فيما

كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه فى امره فقال له هو رجل بخيل وربما غدر في عدوه واذا قصدت سعد الدولة به حظيت برفده فأسرع البدوي الى معسكر سعد الدولة واشعره بمحال بكجور واحتكم عليه مائتى فدان زراعةً ومائة الف درهم ومائة راحلة محملة براً وخمسين قطعة ثيابا فبذل له سعد الدولة ذلك جميعه . وعرف لؤلؤ الجراحي الخبر وتقرر ان يمضي البدوي ويحضره فتحامل وهو مثخن بالجراحة التي اصابته ومشى يتهادى على ايدي غلمانه حتى حضر عند سعد الدولة .

(ذكر حزم اخذ به لؤلؤ دل منه على اصالة رأى)

قال الوزير فى الذيل لما حضر سأل عما يقوله البدوي فأخبر به فقبض لؤلؤ على يده وقال له اين اهلك فقال في المرج على فرسخ فاستدعى جماعة من غلمانه وامرهم ان يسرعوا الى الحلة ويقبضوا على بكجور ويحملوه فتوجهوا وهو قابض على يد البدوي والبدوي يستغيث فقدم لؤلؤ الى سعد الدولة وقال يا مولانا لا تنكر عليَّ فعلي فأنه مني عن استظهار فى خدمتك فلو عاد هذا البدوي الى بيته لم نأمن ان يبذل له بكجور مالا جما فيقبل منه وتطلب منه بعد ذلك اثرا بعد عين والذي طلبه البدوى مبذول وما ضر الاحتياط فقال له سعد الدولة احسنت يا ابا محمد لله درك ولم يمض ساعات حتى احضر بكجور فشاور سعد الدولة لؤلؤاً فى امره فأشار عليه بقتله خوفاً من ان تسأل اخت سعد الدولة فيه فيفرج عنه فأمر عند ذلك بضرب عنقه

فسار سعد الدولة الى الرقة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيقى وابو الحسن المغربي واولاد بكجور وحرمه وامواله ونعمه فأرسل الى سلامة يلتمس منه

تسليم البلد فأجابه بأني عبدك وعبد عبدك الا ان لبكجور عليّ عهوداً ومواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد امرين اما انك تذم لأولاده على نفوسهم وحرمهم وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب وعددها وتحلف لهم على الوفاء به واما بأن ابلى عذرا عند الله تعالى فيما اخذ عليّ من عهد وعقد معي من عقد فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه من الذمام وحلف له بيمين مستوفاة الأقسام ودخل فيها الأمان لأبي الحسن المغربي بعد ان كان قد هدر دمه الا انه امنه على ان يقيم فى بلاده فهرب الى الكوفة واقام بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

ذكر ماجرى عليه امر سلامة الرشيقي واولاد بكجور

[فى خروجهم من الرقة وغدر سعد الدولة]

لما توثق سلامة لنفسه ولأولاد بكجور سلم حصن الرافقة وخرجوا منها ومعهم من الأموال والزينة ما كثر في عين سعد الدولة فأنه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن ابي الحصين القاضي وقال له ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما اراه من هذه الأثقال والأموال . فقال له ابن ابي الحصين ان بكجور واولاده مماليك وكلما ملكه وملكوه هو لك لا حرج عليك فيما تأخذه منهم ولا حنث في الايمان التي حلفت بها ومهما كان فيها من وزر واثم فعلي دونك فلما سمع هذا القول اصغى اليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم فما كان اسوأ محضر هذا القاضي الذي حسن لسعد الدولة تسويل الشيطان وافتاه بنقض الأيمان ثم لم يقنع بما زين له من غدره ولبس عليه من امره حتى تكفل له بحمل وزره وهل احد حامل وزر غيره اما سمع قول الله تعالى فى اهل

الضلالة (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون)

وكان اولاد بكجور كتبوا الى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالأبقاء عليهم

﴿ ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة من ﴾

(المراسلات وما اتفق من وفاة سعد الدولة بعقب ذلك)

كتب صاحب مصر اليه كتابا يتوعده فيه ويأمره بالأبقاء عليهم وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول في آخره . فأن خالفت كنت خصمك ووجهت العساكر نحوك وانفذ الكتاب مع فائق الصقلي احد خوله وسيره على نجيب اسراعاً به فوصل فائق الى سعد الدولة وقد وصل من الرقة الى ظاهر حلب واوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه عسكره وقرأه عليهم ثم قال لهم (ما الرأي عندكم) قالوا له نحن عبيد طاعتك ومهما امرتنا به كنا عند طاعتك منه فأمر بأحضار فائق فأهانه وقال له عد الى صاحبك وقل له (لست ممن يستفزه وعيدك وما بك حاجة الى تجهيز عسكر الي فأنني سائر اليك وخبري يأتيك من الرملة وقدم قطعة من عسكره الى حمص امامه وعاد فائق الى صاحبه فعرفه ما سمعه ورآه فأزعجه واقلقه . واقام سعد الدولة بظاهر حلب اياماً ليرتب اموره ويتبع العسكر الذي تقدمه فعرض له القولنج اشفى منه وعاد الى البلد متداويا وابل وهني بالسلامة وعول على العود الى المعسكر فحضرت فراشه فى الليلة التي عزم على الركوب فى صبيحتها احدى خطاياه وتبعتها النفس الشهوانية المهلكة فواقعها وسقط عنها وقد جف نصفه وعرفت اخته الصورة فدخلت اليه وهو

يجود بنفسه واستدعى الطبيب فأشار بسجر الند والعنبر حوله فأفاق قليلاً فقال له الطبيب اعطني يدك ايها الأمير لآخذ مجسك فاعطاه اليسرى فقال يامولانا اليمنى فقال ايها الطبيب ما تركت لي اليمين يمينا فكانه تذكر ما فرط من خيانته وندم على نقض العهد ونكثه . ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نحبه بعد ان قلد عهده لولده ابي الفضائل ووصى الى لؤلؤ الجراحي به وببقية ولده اه من الذيل للوزير ابي شجاع

قال ابن خلكان في ترجمة ابيه سيف الدولة كانت وفاة سعد الدولة لخمس بقين من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعمره اربعون سنة وستة اشهر وعشرة ايام وتولى بعده ولده ابو الفضائل سعد

(ذكر قيام ابي الفضائل سعد ابن سعد الدولة)

بعد ابيه وما جرى له مع العساكر المصرية

قال الوزير في الذيل جد لؤلؤ في نصب ابي الفضائل في الأمر واخذ له البيعة على الجند وتراجعت العساكر الى حلب واستأمن منها الى صاحب مصر وفاء الصقلي وبشاره الأخشيدي ورباح وقوم آخرون فقبلهم واحسن اليهم وولى كل منهم بلداً وقد كان ابو الحسن المغربي بعد حصوله في المشهد بالكوفة كاتب صاحب مصر وصار بعد المكاتبة الى بابه فلما توفي سعد الدولة عظم امر حلب عنده وكثر له اموالها وهون عليه حصولها واشار باصطناع احد الغلمان وانفاذه اليها فقبل منه اشارته وقدم غلاماً يسمى منجوتكين فخوّله وموّله ورفع قدره ونوه بذكره وامر القواد والأكابر بالترجل له وولاه الشام واستكتب له احمد بن محمد القشوري وسيره الى حلب وضم اليه ابا الحسن المغربي ليقوم بالأمر والتدبير

لما وصل الى دمشق تلقاه قوادها واهلها وعساكر الشام كلها فأقام بها مدة ثم رحل الى حلب وقد استعد واحتشد ونزلها في ثلاثين الف رجل وتحصن ابو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد . وقدكان لؤلؤ عند معرفته بورود العساكر المصرية كتب الى بسيل عظيم الروم وذكره ما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة وبذل له عن ابي الفضائل ولده الجري على تلك العادة وحمل اليه الطافاً كثيرة واستنجده وانفذ اليه ملكوتا السرياني رسولاً فوصل اليه ملكوتا وهو بأزاء عساكر ملك البلغر مقاتلا فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحبه بانطاكية بجمع عساكر الروم وقصد حلب ودفع المغاربة عنها فسار البرجي في خمسة آلاف رجل ونزل بجسر الحديد بين انطاكية وحلب وعرف منجوتكين وابو الحسن ذلك فجمعا وجوه العسكر وشاورهم في تدبير الأمر

ذكر مشورة انتجت رأيا سديداً كان في اثنائه الظفر بالروم

قال الوزير اشار ذو الرأي والحصافة منهم بالأنصراف عن حلب وقصد الروم والابتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوين فأجمعوا على ذلك وساروا حتى صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالمقلوب فلما تراءى الجمعان تراموا بالنشاب وبينهم النهر وليس للفريقين طريق الى العبور . فبرز من الديلم الذين فى جملة منجوتكين شيخ فى يديه ترس وثلاث زوبينات ورمى بنفسه الى الماء والمسلمون ينظرون اليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس فى يده والماء الى صدره وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم فى أثره وطرحت العرب خيولهم فى النهر وهجم العسكر على المخاض وحصلوا مع الروم على

ارض واحدة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون وانزل الله تعالى النصر عليهم وولى الروم ادبارهم بين مقتول ومأسور ومغلول وافات البرجي في عدد قليل وغنمت منهم الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس تقدم [ان البرجي سار فى خمسة آلاف رجل فلعله انضم اليه بعد ذلك غيرهم او ان العدد هنا مبالغ فيه] وحملت الى مصر وتمم منجوتكين الى انطاكية ونهب رساتيقها واحرقها وكان وقت ادراك الغلة فانفذ لؤلؤ واحرق ما يقارب حلب منها اضراراً بالعسكر المصري وقاطعا للميرة عليهم وكر منجوتكين راجعا الى حلب

[ذكر تدبير لطيف دبره لؤلؤ في صرف العساكر المصرية عن حلب]

قال الوزير لما رأى لؤلؤ هزيمة الروم وقوة العساكر المصرية وضعفه عن مقاومتهم كاتب ابا الحسن المغربي والقشوري ورغبهما في المال وبذل لهما ما استمالهما به وسألهما المشورة على منجوتكين بالانصراف عن حلب في هذا العام والمعاودة فى العام القابل لعلة تعذر الأقوات والعلوفات فأجاباه الى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقاً الى دمشق وخفض العيش وضجرا من الأسفار والحروب وكتبت الجماعة الى صاحب مصر بهذه الصورة واستأذناه في الانكفاء فقبل ان يصل الكتاب ويعود الجواب رحلوا عائدين وعرف صاحب مصر ذلك فاستشاط غضبا ووجد اعداء ابى الحسن المغربي طريقاً الى الطعن عليه فصرفه بصالح بن علي الروزباري

[ذكر ما دبره المتلقب بالعزيز فى امداد العسكر بالميرة] واعادتهم الى حلب

قال الوزير آلى العزيز على نفسه ان يمد العسكر بالميرة من غلات مصر مائة الف

تليس [والتليس قفيزان بالمعدل] في البحر الى طرابلس ومنها على الظهور الى حصن افامية ورجع منجوتكين في السنة الثانية الى حلب ونزل عليها وصالح بن علي الروذباري المدبر فكان يوقع للغلمان بجراياتهم وقضيم دوابهم الى افامية على خمسة وعشرين فرسخا فيمضون ويقبضونها ويعودون بها واقاموا على حلب ثلاثة عشر شهراً وبنوا الحمامات والخانات والأسواق وابو الفضائل ولؤلؤ ومن معهما متحصنون بالبلد وتعذرت الأقوات عندهم فكان لؤلؤ يبتاع القفيز من الحنطة بثلاثة دنانير ويبيعها على الناس بدينار رفقا بهم ويفتح الأبواب في الأيام ويخرج من البلد من تمنعه المضرتان عن المقام [١]

واشير على منجوتكين بتتبع من يخرج وقتله ليمتنع الناس من الخروج ليضيق الأقوات عندهم فلم يفعل وانفذ لؤلؤ في اثناء هذه الأحوال ملكوثا الى بسيل عظيم الروم معاودا لأستنجاده وكان بسيل قد توسط بلاد البلغر فقصده ملكوثا الى موضعه واوصل اليه الكتاب وقال له متى اخذت حلب فتحت انطاكية بعدها واتعبك التلاقي واذا سرت بنفسك حفظت البلدين وسائر الأعمال

(ذكر مسير بسيل الى الشام لقتال العساكر المصرية)
وما جرى عليه امره في ذلك

قال الوزير لما سمع بسيل قول ملكوثا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلثمائة فرسخ فقطعها في ستة وعشرين يوماً وقاد الجنائب بأيدي الفرسان وحمل الرجالة على البنال وكان الزمان ربيعا وقد انفذ منجوتكين وعسكره كراعهم الى المروج لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لا يشعرون

[١] قال في الهامش كذا في الاصل وعند ابن القلانسي ص ٤٣ ويخرج من الناس من اراد من الفقراء من الجوع وطول المقام وقد كان اشير الخ والمضرتان الجوع والوبا

ذكر ما دبره واعتمده لؤلؤ من رعاية حرمة الاسلام

وانذار منجوتكين بخبر هجوم الروم

قال ارسل الى منجوتكين يقول له ان عصمة الأسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم وقد اظلكم بسيل فى جيوش الروم فخذوا الحذر لأنفسكم وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فأحرق الخزائن والأسواق والأبنية التي كان استحدثها ورحل في الحال منهزما ووافى بسيل فنزل على باب حلب وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ ولقياه ثم عاد ورحل فى اليوم الثالث الى الشام وفتح حمص ونهب وسبى ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه فأقام نيفا واربعين يوماً فلما ايس منها عاد الى بلاد الروم وانتهى الخبر الى صاحب مصر فعظم ذلك عليه وامر فنودى بالنفير فنفر الناس

وخرج من داره مستصحبا جميع عساكره وعدده وامواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بلبيس واقام بظاهرها وعارضته علل كثيرة ايس منها من نفسه ثم قضى نحبه اه ثم ساق الوزير اشتغال المصريين بانفسهم بسبب موت العزيز وبطلت تلك الحملة

قال فى المختار من الكواكب المضية ولي ابو الفضائل خامس رمضان [الأظهر لخمس بقين من رمضان] سنة احدى وثمانين وثلثمائة وصار المدبر له لؤلؤ ابن عبد الله السيفي الكبير مولى سيف الدولة وكان قد تقدم عند ولده سعد الدولة وقدمه على اصحابه وجعله مدبر الملك بعده فلما مات وولى بعده ابنه ابو الفضائل كان لؤلؤ هو المدبر لملكه وتزوج ابو الفضائل ابنته واقام بحلب الى ان توفي ليلة السبت النصف من صفر سنة احدى وتسعين وثلثمائة سقته جارية له وقيل

ان لؤلؤ دس عليه ذلك وعلى ابنته زوجة ابي الفضائل فماتا جميعا

ولاية ابى الحسن على وابى المعالى شريف ابن ابى الفضائل

من سنة ٣٩١ الى سنة ٣٩٤

قال في المختار من الكواكب المضية لما مات ابو الفضائل استولى لؤلؤ بعده على تدبير ابنيه ابى الحسن وابي المعالي شريف ولم يزل كذلك حتى احب التفرد بالأمارة فاخرج عليا وشريفاً الى مصر سنة اربع وتسعين وثلثمائة

[ولاية لوءلوءْ غلام سيف الدوله]

من سنة ٣٩٤ الى سنة ٣٩٩

قال فى المختار من الكواكب المضية لما اخرج لؤلؤ عليا وشريفا الى مصر سنة اربع وتسعين وثلثمائة استقر بامر حلب هو وولده مرتضي الدولة ابو منصور الى ان توفي لؤلؤ المذكور بحلب سلخ ذى الحجه سنة تسع وتسعين وثلثمائة ودفن بمسجده المعروف بمسجد لؤلؤ المذكور بالقرب من حمام اوران فيمابين بابي اليهود [باب النصر الآن] والجنان وكان للؤلؤ المذكور سرب من القصر لباب الجنان الى مسجده هذا المذكور وكان يدخل منه الى المسجد للصلاة .

ولاية مرتضى الدولة ابو نصر منصور بن لوءلوءْ

من سنة ٣٩٩ الى سنة ٤٠٦

قال فى المختار من الكواكب المضية ولما توفي لؤلؤ ملك بعده حلب ابنه مرتفي الدولة . قال في الزبد والضرب كان مرتفي الدولة ظالماً يبغضه الحلبيون وهجوه هجواً كثيراً ومما قيل فيه

لم تلقب وانما قيل فالا　　　مرتفي الدولة التي انت فيها

ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس الكلابي

قال ابن الاثير في حوادث هذه السنة ما ملخصه انه كان بالرحبة رجل من اهلها يعرف بابن محكان فملك البلد واحتاج الى من يحمله ظهره ويستعين به على من يطمع فيه فكاتب صالح بن مرداس الكلابي فقدم اليه واقام عنده مدة ثم ان صالحاً تغير عن ذلك فسار الى ابن محكان وقاتله على البلد وقطع الاشجار ثم تصالحا ودخل صالح البلد الا انه كان اكثر مقامه بالحلة ثم ان ابن محكان راسل اهل عانة فأطاعوه ونقل اهله وماله اليهم واخذ رهائنهم ثم خرجوا عن طاعته واخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردوا اولاده فاجتمع ابن محكان وصالح على قصد عانة فسار اليها فوضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة وسار صالح الى الرحبة فملكها واخذ اموال ابن محكان واحسن الى الرعية واستمر على ذلك الا ان الدعوة للمصريين

(ذكر مجيء صالح بن مرداس الى حلب واسره سنة ٤٠٢)

قال ابن الاثير في هذه السنة كانت وقعة بين ابي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة فقوي على ولد سعد الدولة واخذ البلد منه كما (تقدم) وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع ثم اجتمعوا هذه السنة في خمسمائة فارس ودخلوا مدينة حلب فأمر ابن لؤلؤ بأغلاق الابواب والقبض عليهم فقبض على مائة وعشرين رجلا منهم صالح بن مرداس وحبسهم وقتل مائتين واطلق من لم يفكر به وكان صالح قد تزوج بابنة عم له تسمى جابرة وكانت جميلة

فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن اخوتها وكانوا في حبسه فذكروا له ان صالحاً قد تزوجها فلم يقبل منهم وتزوجها ثم اطلقهم وبقي صالح بن مرداس في الحبس فتوصل حتى صعد من السور فالقى نفسه من اعلى القلعة الى تلها واختفى في مسيل ماء (سيأتي انه اختفى في مغارة بجبل جوشن) ووقع الخبر بهربه فارسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه فعادوا ولم يظفروا به فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد في رجليه حتى وصل قرية تعرف باليامرية فرأى ناساً من العرب فعرفوه وحملوه الى اهله بمرج دابق فجمع الفي فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوماً فخرج اليه ابن لؤلؤ فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذي كان في رجله ولبنته

وقال في الزبد والضرب . ان بني كلاب طلبوا من مرتضى الدولة ما شرط لهم من الاقطاع فدافعهم عنه فتسلطوا على حلب وعاثوا وافسدوا وضيقوا عليه فاحتال واظهر الرغبه واستقامة الحال بينه وبينهم وطلبهم ان يدخلوا اليه ليحالفهم ويقطعهم فلما حصلوا بحلب مد لهم السماط والحلوي وغلقت ابواب المدينة وقيد الامراء وفيهم صالح بن مرداس وقتل منهم اكثر من الف رجل وسير الى صالح بن مرداس وهو في الحبس والزمه بطلاق زوجته طرود (هناك سماها جابرة) وكانت اجمل عصرها فطلقها وتزوجها منصور واليها ينسب مشهد طرود خارج باب الجنان في طرف الحلبة فكان مرتضى الدولة اذا شرب يعزم على قتل صالح لحنقه عليه من طول لسانه وشجاعته فبلغ ذلك صالحاً فخاف على نفسه وركب الصعب في تخليصها واحتال حتى وصل اليه في طعامه مبرد حلقة قيده الواحدة وفكها وصعبت الاخرى عليه فشد القيد في ساقه وثقب حائط السجن وخرج منه في الليل وتدلى من القلعة الى التل والقى نفسه فوقع سالماً

ليلة الجمعة مستهل محرم سنة خمس واربعمائة واستتر في مغارة بجبل جوشن واكثر الطلب له والبحث عنه عند الصباح فلم يوقف له على خبر ولحق بالحلة (هناك قال انه اتى مرج دابق) واجتمعت عليه بنو كلاب وقويت نفوسهم بخلاصه فنزل على تل حاصد فجمع مرتضى الدولة جنده وحشد جميع من بحاب من الاوباش والسوقة والنصارى واليهود والزمهم بالسير معه الى قتال صالح فخرجوا فلما وصل مرتضى الدولة الى جبرين قال جبرنا ولما وصل لوشلا قال شللنا ولما وصل تل حاصد قال حصدنا واصبح عليهم يوم شديد الحر فاطلهم صالح باللقاء الى ان عطشوا وجاءوا وسير جاسوساً الى العسكر فجاء واخبره ان معظم عساكره من اليهود والنصارى وانه سمع يهودياً يقول لآخر بلغتهم (والك صعبطه اطعزه اتأخر واياك ان يكون خلفه آخر يطعزك بمطعازه يحقب بيتك للدواغيث] فقوي طمع صالح فيهم وحمل عليهم فكسرهم واسر مرتضى الدولة وقيده بالقيد الذى كان في رجله ثم استقر الامر مع صالح على ان يقاسمه باطن حلب وظاهرها شطرين فاجابه صالح الى ذلك بعد ان طلق زوجته طرود اه وقال في المختار من الكواكب المضية اسر صالح بن مرداس ابن لؤلؤ على تل حاصد يوم الخميس الخامس من صفر سنة خمس واربعمائة واباعه نفسه بنصف مايملكه من العين والمتاع واطلقه فاقام بحلب

قال ابن الاثير بعد ذكر مانقلناه عنه آنفاً فيما كان في هذه الوقعة كان مع ابن لؤلؤ فيها ابن اخ له فنجا وحفظ مدينة حلب ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالا على ان يطلقه فلما استقر الحال بينهما اخذ رهائنه واطلقه فقالت ام صالح لابنها قد اعطاك الله ما لا كنت تؤمله فان رأيت ان تتم صنيعك باطلاق الرهائن فهو المصلحة فانه ان اراد الغدر بك لا يمنعه من عندك فأطلقهم فلما دخل البلد

حمل ابن لؤلؤ اليه اكثر مما استقر وكان قد تقرر عليه مائتا الف دينار ومائة ثوب واطلاق كل اسير عنده من بني كلاب ورحل صالح

ذكر عصيان فتح غلام مرتضي الدولة منصور

واستيلائه على حلب سنة ٤٠٦

قال ابن الاثير لما رحل صالح اراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح وكان دزدار القلعة لأنه اتهمه بالممالاة على الهزيمة وكان خلاف ظنه فاطلع على ذلك غلاماً له اسمه مسرور واراد ان يجعله مكان فتح فاعلم مسرور بعض اصدقائه يعرف بابن غانم وسبب اعلامه انه حضر عنده وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا الى مسرور ذلك فقال له سيكون امر تأمن معه فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى اعلمه الخبر وكان بين ابن غانم وبين فتح مودة فصعد اليه بالقلعة متنكراً فاعلمه الخبر واشار عليه بمكاتبة الحاكم صاحب مصر وامر ابن لؤلؤ اخاه ابا الجيش بالصعود الى القلعة بحجة افتقاد الخزائن فاذا صار فيها قبض على فتح وارسل الى فتح يعلمه انه يريد افتقاد الخزائن ويأمره بفتح الابواب فقال فتح انني قد شربت اليوم دواء واسأل تأخير الصعود في هذا اليوم فأنني لا أثق في فتح الابواب لغيري وقال للرسول اذا لقيته فاردده فلما علم ابن لؤلؤ الحال ارسل والدته الى فتح ليعلم سبب ذلك فلما صعدت اليه اكرمها واظهر لها الطاعة فعادت واشارت على ابنها بترك محاققته ففعل وارسل اليه يطلب جوهراً كان له بالقلعة واشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بان يتمارض ويظهر شدة المرض ويستدعي فتحاً لينزل اليه ليجعله وصياً فاذا حضر قبضه ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر وكاتب الحاكم واظهر طاعته وخطب له واظهر العصيان على استاذه واخذ من الحاكم صيدا

وبيروت وكل ما في حلب من الاموال وخرج ابن لؤلؤ من حلب الى انطاكية وبها الروم فأقام عندهم . قال في المختار من الكواكب المضية كان خروج مرتضى الدولة منصور بن لؤلؤ هارباً الى بلد الروم سادس رجب سنة ست واربعمائة ولما هرب استولى فتح اللؤلؤي على حلب ولقب بمبارك الدولة وسعيدها وعزها ثم وصل الى حلب سديد الدولة ابو الحسن علي بن احمد العجمي والى حصن افامية وفتح القلعة واعاد املاك الحلبيين التي كان سيف الدولة اغتصبها وبالغ في البذل والخير .

قال ابن الأثير وتسلم حلب نواب الحاكم [ذكر منهم في المختار من الكواكب المضية مختار الدولة والي طرابلس ومرهف الدولة والي صيدا ولم يذكر اسميهما ولا السنة التي وليا فيها] وتنقلت بأيديهم حتى صارت بيد انسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب فلما قتل الحاكم وولي الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك اخت الحاكم فراشا له على قتله فقتله

(ذكر استيلاء صالح بن مرداس الكلابي على حلب)

(سنة ٤١٤)

قال ابن الأثير كان للمصريين بالشام نائب يعرف بأنوشتكين الدزبري وبيده دمشق والرملة وعسقلان وغيرها فاجتمع حسان امير بني طي وصالح بن مرداس امير بن كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان فسار حسان الى الرملة فحصرها وبها انوشتكين فسار عنها الى عسقلان واستولى عليها حسان ونهبها وقتل اهلها وذلك سنة اربع عشرة واربعمائة ايام الظاهر لأعزاز دين الله

خليفة مصر وقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بأبن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة خادم يعرف بموصوف فأما اهل البلد فسلموه الى صالح لأحسانه اليهم ولسوء سيرة المصريين معهم وصعد ابن ثعبان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذي بها فلم يبق لهم ما يشربون فسلم الجند القلعة اليه وذلك سنة اربع عشرة وملك من بعلبك الى عانة

(سنة ٤١٦)

قال في الزبد والضرب في سنة ست عشرة واربعمائة ولي قضاء حلب القاضي ابو يعلى عبد المنعم المعروف بالقاضي الأسود وكان وزير صالح تاذرس النصراني وكان هذا النصراني متمكنا عنده وصاحب السيف والقلم

(سنة ٤١٨)

وقال في المختار من الكواكب المضية ذكر صاحب مصباح العيان ان في سنة ثمان عشرة واربعمائة خرج الأمير صالح بن مرداس الى معرة النعمان وامر باعتقال اكابرها وسبب ذلك ان امرأة صاحت في الجامع وذكرت ان صاحب الماخور اراد ان يغصبها نفسها فنفر كل من في الجامع فهدموا الماخور واخذوا خشبه ونهبوه فحضر اسد الدولة صالح المذكور واعتقلهم وصادرهم ثم استدعى ابا العلاء بظاهر المعرة ومما خاطبه به مولانا السيد الأجل اسد الدولة ومقدمها وناصحها كالنهار الماتع اشتد هجيره وطاب ابراده وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حداه خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال قد وهبتهم لك ايها الشيخ فقال ابو العلاء بعد ذلك

بعثت شفيعا الى صالح   وذاك من القوم ما قد فسد
فيسمع مني سجع الحمام   واسمع منه زئير الأسد

﴿ ذكر قتل صالح بن مرداس سنة ٤٢٠ ﴾

قال ابن الأثير اقام صالح بن مرداس بحلب ست سنين فلما كان سنة عشرين واربعمائة جهز الظاهر صاحب مصر جيشاً وسيرهم الى الشام لقتال صالح وحسان وكان مقدم العسكر انوشتكين الدزبري فأجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالأقحوانة على الأردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر ونفذ رأسهما الى مصر

وساق ابن خلكان نسبه في ترجمته فقال هو اسد الدولة ابو علي صالح بن مرداس بن ادريس بن نصير بن حميد بن مدرك بن شداد بن عبيد بن قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن ابي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الكلابي كان من عرب البادية وقصد مدينة حلب وبها مرتضى الدولة بن لؤلؤ ثم ساق طرفاً مما قدمناه الا انه قال انه تملك حلب سنة سبع عشرة واربعمائة ويظهر ان ما ذكره ابن الأثير من انه تملكها سنة ٤١٤ هو الاصح

﴿ ولاية ابي كامل نصر بن صالح سنة ٤٢٠ ﴾

قال ابن الأثير لما قتل صالح عند طبرية نجا ولده ابو كامل نصر بن صالح فجاء الى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة فلما علمت الروم بانطاكية الحال تجهزوا الى حلب في عالم كثير فخرج اهلها فحاربوهم فهزموهم ونهبوا اموالهم وعادوا الى انطاكية

وقال في المختار من الكواكب المضية لما قتل اسد الدولة صالح بن مرداس ملك بعده ابناه وهما معز الدولة ثمال وشبل الدولة نصر وجعل الأمر شركة بينهما

مذ قتل ابوهما الى ان تفرد بالأمر شبل الدولة نصر واخرج معز الدولة ثمال في سنة احدى وعشرين واربعمائة ولما تفرد شبل الدولة نصر واستقرت له الأمارة لقب بمختص الأمراء شمس الدولة ومجدها ذي العزيمتين .

ذكر خروج ملك الروم من القسطنطينيه الى حلب

[وانهزامه سنة ٤٢١]

قال ابن الاثير في هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلثمائة الف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغوا قريب حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها فلحقهم عطش شديد وكان الزمان صيفا وكان اصحابه مختلفين عليه فمنهم من يحسده ومنهم من يكرهه وممن كان معه ابن الدوقس وهو من اكابرهم وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال الملك الرأي ان نقيم حتى تجئ الأمطار وتكثر المياه فقبح ابن الدوقس هذا الرأي واشار بالأسراع قصد الشر يتطرق اليه ولتدبير كان قد دبره عليه فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ في عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقاً آخر فخلا بالملك بعض أصحابه واعلمه ان ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا اربعين رجلاً هو احدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وخاف ورحل من يومه راجعاً ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذي اوجب عوده فقال له قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض في الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا ورحل الملك وتبعهم العرب واهل السواد حتى الأرمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة بغل محملة مالاً وثياباً وهلك كثير من الروم عطشاً ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شيء

البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقيل فى عوده غير ذلك وهو ان جمعا من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره وظن الروم انها كبسة فلم يدروا ما يفعلون حتى ان ملكهم لبس خفا اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الأحمر فتركه ولبس الأسود ليعمي خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

[سنة ٤٢٢]

ذكر ملك الروم قلعة افاميه [في نواحي المعرة]

قال ابن الأثير في هذه السنة ملك الروم قلعة افامية بالشام وسبب ملكها ان الظاهر خليفة مصر سير الى الشام الدزبرى وزيره فلكه وقصد حسان بن المفرج الطائى فألح في طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم ما فيها وسبى اهلها واسرهم وسير الدزبري الى البلاد يستنفر الناس للغزو

ذكر ملك نصر الدوله بن مروان مدينة الرها سنه ٤١٦

﴿ وذكر ملك الروم لها سنة ٤٢٢ ﴾

﴿ وذكر استعادتها من الروم سنة ٤٢٧ ﴾

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤١٦ في هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكان سبب ملكها ان الرها كانت لرجل من بني نمير يسمى عطيراً وفيه شر وجهل واستخلف عليها نائباً له اسمه احمد بن محمد فأحسن السيرة وعدل في الرعية فمالوا اليه وكان عطير يقيم بحلته ويدخل البلد فى الأوقات المتفرقة فرأى ان نائبه يحكم فى البلد ويأمر وينهى

فحسده فقال له يوماً قد اكلت مالي واستوليت على بلدي وصرت الأمير وانا النائب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وقتله فانكرت الرعية قتله وغضبوا على عطير وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ليسلموا اليه البلد فسير اليهم نائباً كان له بآمد يسمى زنك فتسلمها واقام بها ومعه جماعة من الاجناد ومضى عطير الى صالح بن مرداس وسأله الشفاعة له الى نصر الدولة فشفع فيه فاعطاه نصف البلد ودخل عطير الى نصر الدولة بميافارقين فاشار اصحاب نصر الدولة بقبضه فلم يفعل وقال لااغدر به وان كان افسد وارجوا ان اكف شره بالوفاء وتسلم عطير نصف البلد ظاهراً وباطناً واقام فيه مع نائب نصر الدولة ثم ان نائب نصر الدولة عمل طعاماً ودعاه فأكل وشرب واستدعى ولداً كان لأحمد الذي قتله عطير وقال تريد ان تأخذ بثار ابيك قال نعم قال هذا عطير عندي في نفر يسير فاذا خرج فتعلق به في السوق وقل له ياظالم قتلت ابي فأنه سيجرد سيفه عليك فاذا فعل فأستنفر الناس عليه واقتله وانا من ورائك ففعل ما امره وقتل عطيراً ومعه ثلاثة نفر من العرب فاجتمع بنو نمير وقالوا هذا فعل زنك ولا ينبغي لنا ان نسكت عن ثارنا ولئن لم نقتله ليخرجنا من بلادنا فاجتمعت نمير وكمنوا له بظاهر البلد كمينا وقصد فريق منهم البلد فأغاروا على ما يقاربه فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر وطلب القوم فلما جاوز الكمناء خرجوا عليه فقاتلهم فأصابه حجر مقلاع فسقط وقتل وكان قتله سنة ثمان عشرة واربعمائة في اولها وخلصت المدينة لنصر الدولة .

ثم ان صالح بن مرداس شفع في ابن عطير وابن شبل النميريين ليرد الرها اليهما فشفعه وسلمها اليهما وكان فيها برجان احدهما اكبر من الآخر فاخذ ابن عطير البرج الكبير واخذ ابن شبل البرج الصغير واقاما فى البلد .

وقال فى حوادث هذه السنة سنة ٤٢٢ ان ابن عطير ارسل ارمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين الف دينار وعدة قرى من جملتها قرية تعرف الى الآن بسن ابن عطير وتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فلكوه وهرب منه اصحاب بن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد وسمع نصر الدولة الخبر فسير جيشاً الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى بالبيعة التى لهم وهي من اكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا اكثرهم ونهبوا البلد وبقي الروم في البرجين وسير اليهم عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخلوا البلد وما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثاب النميري على حران وسروج وحمل اليهم خراجاً وقال فى حوادث سنة سبع وعشرين واربعمائة . في رجب من هذه السنة اجتمع بن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا وامدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعهم الى السويداء وكان الروم قد احدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع اليها اهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلقاً كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة ديناراً واشتد الامر فخرج البطريق الذي فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنا لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير واسر مثلهم واسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا البلد لنا واما قتلنا البطريق والأسرى الذين معه ففتحوا البلد للعجز عن حفظه وتحصن اجناد الروم بالقلعة

ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبي واكثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصراً للقلعة ثم ان حسان بن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من في الرها من الروم الى حران فقاتلهم اهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيرا وعاد المنهزمون الى الرها

وقال في حوادث سنة تسع وعشرين واربعمائة . فيها صالح ابن وثاب النميري صاحب حران الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكان تسلمه على ما ذكرناه اولاً فنزلوا من الحصن الذي للبلد اليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها .

(ذكر قتل شبل الدوله نصر بن صالح سنة ٤٢٩)

قال في المختار من الكواكب المضية اقام شبل الدولة مالكاً لحلب الى ان قتل في الوقعة بينه وبين عساكر الدزبري على نهر العاصي بين كفرطاب وحماه وذلك يوم الأثنين النصف من شعبان سنة تسع وعشرين واربعمائة وقد مدح نصر بن صالح بن مرداس الكاتب البليغ ابو الفضل ابراهيم المعري بقصيدة اولها

اصولك في العلى تحكي الفروعا ... وقدرك لم يزل قدراً رفيعا
بلغت مدى العلى فينا فطيما ... واحرزت الندى طفلاً رضيعا
ومن يك للملوك ابوه شمسا ... يكن قمراً تشا كلها طلوعا
ومن يرى للورى جدواه غيثا ... فذا يكن الربيع به ربيعا

ومنها

وما حلب التي افتخرت وعزت ... بهيبته بل الدنيا جميعا
اذا ركب الأمير ابو علي ... ترجلت الملوك له خضوعا

وله من قصيدة يمدح بها نصراً ايضاً

وانت من شهدت صيد الملوك له ... بأن رتبته تعلو على الرتب
يعطي من العين دراً هان قدرهما ... هوان غانية تختال فى الخبب
ولا يبالى اذ صح الثناء له ... ان يفتدي جسم ما يحويه ذا وصب
كانما يده من جودها خلقت ... الا يكف لها كفا على نشب
اخو الحرب التى ما ان ثنى ابدا ... يعم اعداءه بالويل والحرب

(ذكر ولاية انوشتكين الدزبري سنة ٤٢٩)

من طرف العلويين

قال ابو الفداء بقي شبل الدولة بن صالح مالكا لحلب الى سنة تسع وعشرين واربعمائة وذلك فى ايام المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فجهزت العساكر من مصر الى شبل الدولة ومقدمهم رجل يقال له الدزبري بكسر الدال وسكون الزاي المعجمة وباء موحدة وراء مهملة وهو انوشتكين وكان يلقب الدزبري نقلت ذلك من تاريخ ابن خلكان فاقتتلوا مع شبل الدولة عند حماة فى شعبان سنة تسع وعشرين واربعمائة فقتل شبل الدولة وملك الدزبري حلب فى رمضان من السنة المذكورة وملك الشام جميعه وعظم شأن الدزبري وكثر ماله

ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة

قال ابن الأثير في هذه السنة خطب شبيب ابن وثاب النميري صاحب

حران والرقة للأمام القائم بأمر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوي وكان سببها ان نصر الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدزبري نائب العلويين بالشام انه يتهدده ويريد قصد بلاده فراسل قرواشاً صاحب الموصل وطلب منه عسكراً وارسل شبيباً النميري يدعوه الى الموافقة ويحذره من المغاربة فأجابه الى ذلك وقطع الخطبة العلوية واقام الخطبة العباسية فأرسل اليه الدزبري يتهدده ثم اعاد الخطبة العلوية بحران فى ذي الحجة من السنة

سنة ٤٣١

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي شبيب بن وثاب النميري صاحب الرقة وسروج وحران

سنة ٤٣٢

ذكر الحرب بين الدزبري والروم

قال ابن الأثير في هذه السنة كانت وقعة بين عسكر المصريين وبين الروم سيره الدزبري فظفر المسلمون وكان سبب ذلك ان ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فلما كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسل قبله صالح ليتقوى به على الدزبري خوفاً ان يأخذ منه الرقة ونكثوا فيهم وازالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بحلب فأخرج من بها من تجار الأفرنج وارسل الى المتولي بانطاكية يأمره باخراج من عندهم من تجار المسلمين فأغلظ للرسول واراد قتله ثم تركه فأرسل الناظر بحلب الى الدزبري يعرفه الحال وان القوم على التجهيز لقصد البلاد فجهز الدزبري جيشاً وسيره على مقدمته فاتفق انهم لقوا جيشاً للروم وقد خرجوا لمثل ما خرج اليه هؤلاء والتقي الفريقان بين مدينة حماه وافامية واشتد القتال بينهم ثم ان الله نصر

المسلمين وكسر الروم فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم للملك بذلوا في فدائه مالاً جزيلاً وعدة وافرة من امراء المسلمين وانكف الروم عن الأذى بعدها

سنة ٤٣٣

(ذكر فساد حال الدزبري بالشام ووفاته)

قال ابن الأثير في هذه السنة فسد امر انوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد كان كبيراً على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير ابو القاسم الجرجراى يقصده ويحسده الا انه لا يجد طريقاً الى الوقيعة فيه ثم اتفق انه سعى بكاتب للدزبرى اسمه ابو سعد وقيل عنه انه يستميل صاحبه الى غير جهة المصريين فكوتب الدزبرى بابعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجراى منه فعرفهم سوء رأيه فيه واعادهم الى دمشق وامرهم بافساد الجند عليه ففعلوا ذلك واحس الدزبرى بما يجرى فاظهر ما فى نفسه واحضر نائب الجرجراى عنده وامر بأهانته وحربه ثم انه اطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته ارزاقهم ومنع الباقين فحرك ما فى نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كتبوا به من مصر فاظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتتلوا فعلم الدزبرى ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب اربعين غلاماً وما امكنه من الدواب والأثاث والأموال ونهب الباقى وسار الى بعلبك فمنعه مستحفظها واخذ ما امكنه اخذه من مال الدزبرى وتبعه طائفة من الجند يقفون اثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار الى مدينة حماه فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلد

بن منقذ الكنانى الكفرطابى واستدعاه فأجابه وحضر عنده في نحو الفي رجل من كفر طاب وغيرها فاحتمى به وسار الى حلب ودخلها واقام بها مدة وتوفي فى منتصف جمادي الأولى من هذه السنة

ترجمة انوشتكين الدزبرى

قال الذهبى انوشتكين بن عبد الله الأمير المظفر سيف الخلافة عضد الدولة ابو منصور التركى احد الشجعان المذكورين مولده ببلاد الترك وحمل الى بغداد ثم الى دمشق فى سنة اربعماية فأشتراه القائد تزبر الديلمى (صوابه دزبر) فرأى منه شهامة مفرطة وصرامة وشاع ذكره فاهداه للحاكم المصرى وقيل بل جاء الأمر بطلبه منه في سنة ثلاث واربعماية فجعل فى الحجرة فقهر من بها من المماليك وطال عليهم بالذكاء والنهضة فضربه متوليهم ثم لزم الخدمة وجعل يقود الى القواد فارتضاه الحاكم واعجب به وامرّه وبعثه الى دمشق فى سنة ست واربعمائه فتلقاه مولاه دزبر فتأدب مع مولاه وترجل له ثم اعيد الى مصر وجرد الى الريف ثم عاد وولي بعلبك وحسنت سيرته وانتشر ذكره ثم طاب فلما بلغ العريش رد الى ولاية قيسارية واتفق قتل فاتك متولي حلب سنة اثنى عشرة قتله مملوك له هندي وولى امير الجيوش فلسطين في اول سنة اربع عشرة فبلغ حسان بن مفرج ملك العرب خبره فقلق وخاف ولم يزل امر امير الجيوش فى ارتفاع واشتهار وتمت له وقائع مع العرب فدوخهم واثخن فيهم فعمل اليه حسان وكاتبه فيه وزير مصر حسن بن صالح فقبض عليه بعسقلان بحيلة دبرت له في سنة سبع عشرة وسأل فيه سعيد السعداء فأجيب سؤاله اكراماً واطلق ثم حسنت حاله وارتفع شأنه وكثرت غلمانه وخيله واقطاعاته وبعد غيبته عن الشام افسدت

العرب فيها ثم صرف الوزير ووزر نجيب الدولة علي بن احمد الجرجراى فاقتضى رأيه تجريد العساكر الى الشام فقدم انوشتكين عليهم ولقبه بالأمير المظفر منتخب الدولة وجهز معه سبعة الآف فارس وراجل فسار وقصد صالح بن مرداس وحسان بن مفرج فكان الملتقى في الأقحوانة فانهزمت العرب وقتل صالح فبعث برأسه الى الحضرة فنفذت الخلع الى انوشتكين وزادوا فى القابه ثم توجه الى حلب ونازلها ثم عاد الى دمشق ونزل فى القصر واقام مدة ثم سار الى حلب ففتحت له فاحسن الى اهلها ورد المظالم وعدل ثم تغير وشرب الخمر فجاء فيه سجل مصرى فيه اما بعد فقد عرف الحاضر والبادى فعال انوشتكين الدزبرى الخائن ولما تغيرت نيته سلبه الله نعمته (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فضاق صدره وقلق ثم جاءه كتاب فيه توبيخ وتهديد فعظم عليه ورأى من الصواب اعادة الجواب بالتنصل والتلطف فكتب من عبد الدولة العلوية متبرأ من ذنوبه الموبقة ولسا آته المرهقة لائذاً بعفو امير المؤمنين عائذاً بالكرم صابراً للحكم وهو تحت خوف ورجاء وتضرع ودعاء وقد ذلت نفسه بعد عزها وضاقت بعدا منها (الى ان قال وليس سير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليه ونفد هذا الجوب وطلع الى قلعة حلب فحم وطلب طبيبا فوصف له مسهلاً فلم يشربه ولحقه فالج في يده ورجله ومات بعد ايام من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وخلف من الذهب ستمائة الف دينار ونيفا اه

ولاية معز الدوله ثمال بن مرداس سنة ٤٣٣

قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة لما توفى الدزبري فسد امر بلاد الشام

وانتشرت الأمور بهـا وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا في نواحيه فخرج حسان بن مفرج الطائى بفلسطين وخرج معز الدولة ابن صالح الكلابي بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة وامتنع اصحاب الدزبرى بالقلعة وكتبوا الى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن احمد الذى ولي امر دمشق بعد الدزبرى بحرب حسان ووقع الموت في الذين فى القلعة فسلموها الى معز الدولة بالأمان .

وقال قبل ذلك فى الكلام على دولة مرداس . لما توفي الدزبرى كان ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فجاء الى حلب فملكها تسليماً من اهلها وحصر امرأة الدزبرى واصحابه بالقلعة احد عشر شهراً وملكها في صفر سنة اربع وثلاثين فبقي بها الى سنة اربعين فأنفذ المصريون الى محاربته ابا عبد الله حسين بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج اهل حلب الى حربه فهزمهم واختنق منهم بـالباب جماعة ثم انه رحل عن حلب وعاد الى مصر واصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم واثقالهم فانفذالمصريون الى قتـال معزالدولة خادماً يعرف برفق فخرج اليه في اهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون واسر رفق ومات عندهم وكان اسره سنة احدى واربعين فى ربيع الأول

﴿ احضار رأس يحي عليه السلام الى قلعة حلب سنة ٤٣٥ ﴾

قال في الدر المنتخب ذكر ابن العظيمى فى تاريخه ان فى سنة خمس وثلاثين واربعماية ظهر ببعلبك في حجر منقور رأس يحي بن زكريا عليهما السلام فنقل الى حمص ثم منهاالى مدينة حلب فى هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام سيدنا ابراهيم في القلعة) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جـانب المحراب واغلقت ووضع عليهـا ستر يصونها اه قال ياقوت في معجم البلدان فى

الكلام على حلب مقـام ابراهيم الخليل وفيه صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهرت سنة ٤٣٥ اهـ قال في كتاب الصلصلة فى سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلبك ومات تحت الهدم معظم اهل تدمر اهـ

اقول يظهر ان هذا هو السبب فى ظهور رأس يحيى عليه السلام فى بعلبك

[سنة ٤٤٠]

﴿ وصف ابن بطلان المتطبب لحلب في هذه السنة ﴾

قال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على حلب وقرأت في رسالة كتبها ابن بطلان المتطبب الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي فى نحو سنة ٤٤٠ في دولة بني مرداس فقال دخلنا من الرصـافة الى حلب فى اربع مراحل وحلب بلد مسور بحجر ابيض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وفى اسفل القلعة مغارة كان يخبأ بهـا غنمه . وفي البلد جـامع وست بيع وبيمارستان صغير . والفقهاء يفتون على مذهب الأمـامية وشرب اهل البلد من صهاريج فيه مملوءة بماء المطر وعلى بـابه نهر يعرف بقويق يمد فى الشتـاء وينضب في الصيف وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ الا ما يأتيه من بلاد الروم وفيها من الشعراء جماعة منهم شاعر يعرف بأبي الفتح بن ابي حصينة ومن جملة شعره قوله

ولمـا التقينـا للوداع ودمعهـا ودمعي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤ رطبا ففاضت مدامعي عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وفيها كاتب نصراني له قطعة فى الخمر اظنه صـاعد بن شمـامـة

خافت صوارم ايدي المازجين لها فالبست جسمها درعـاً من الحبب

وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن سنان الخفاجي قد ناهز العشرين وعلا فى

الشعر طبقة المحنكين فمن قوله

اذا هجوتكم لم اخش صولتكم   واذ مدحت فكيف الريّ باللهب
فحين لم القَ لا خوفاً ولا طمعاً   رغبت في الهجو اشفاقا من الكذب

وفيها شاعر يعرف بأبي العباس يكنى بأبي المشكور مليح الشعر سريع الجواب حلو الشمائل له في المجون بضاعة قوية وفي الخلاعة يد باسطة وله ابيات الى والده

يا ابا العباس والفضل   ابو العباس تكنا
انت مع امي بلا شك   تحاكى الكركدّنا
انبتت في كل مجرى   شعرة في الرأس قرنا

فاجابه ابوه

انت اولى بأبي المذمو   م بين الناس تكنا
ليت لي بنتا ولا انت   ولو بنت يُحنا

بنت يوحنا مغنية بأنطاكية تحن الى القرباء وتضيف الغرباء مشهورة بالعهر ومن عجائب حلب ان في قيسارية البز عشرين دكاناً يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلاً وخرجنا من حلب طالبين انطاكية وبينها وبين حلب يوم وليلة اه ما ذكره ابن بطلان اه

(ولاية الحسن بن علي بن ملهم سنة ٤٤٩)

قال ابن الأثير ثم ان معز الدولة بعد امر رفق وموته ارسل الهدايا الى المصريين واصلح امره معهم ونزل لهم عن حلب فانفذوا اليها ابا على الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة تسع واربعين

وسار ثمال الى مصر في ذي الحجة وسار اخوه ابو ذؤابة عطية بن صالح الى الرحبة واقام ابن ملهم بحلب

[ذكر ولاية محمود بن صالح المرداسي سنه ٤٥٢]

قال ابن الأثير لما اقام ابن ملهم بحلب جرى بين بعض السودان واحداث حلب حرب وسمع ابن ملهم ان بعض اهل حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر ابن صالح يستدعونه ليسلموا البلد اليه فقبض على جماعة منهم وكان منهم رجل يعرف بكامل ابن نباتة فخاف فجلس يبكي وكان يقول لكل من سأله عن بكائه ان اصحابنا الذين اخذوا قد قتلوا واخاف على الباقين فاجتمع اهل البلد واشتدوا وراسلوا محموداً وهو منهم على مسيرة يوم يستدعونه وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصره معهم في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ووصلت الأخبار الى مصر فسيروا ناصر الدولة ابا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر بعد اثنين وثلاثين يوماً من دخول محمود حلب فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب الى البرية واختفى الأحداث جميعهم وكان عطية بن صالح نازلاً بقرب البلد وقد كره فعل محمد ابن اخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الأحداث ونهب وسط البلد واخذا اموال الناس واما ناصر الدولة فلم يمكن اصحابه من دخول البلد ونهبه وسار في طلب محمود فالتقيا بالفنيدق في رجب فانهزم اصحاب ابن حمدان وثبت هو فجرح وحمل الى محمود اسيرا فأخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين واربعمائة واطلق ابن حمدان فسار هو وابن ملهم الى مصر .

﴿ ولاية ثمال بن صالح المرداسي سنة ٤٥٣ ﴾

قال ابن الأثير لما رجع ابن حمدان وابن ملهم الى مصر جهز المصريون معز الدولة ثمال ابن صالح الى ابن اخيه لحصره في حلب في ذى الحجة في سنة ٤٥٢ فأستنجد محمود خاله منيع ابن شبيب ابن وثاب النميري صاحب حران فجاء اليه فلما بلغ ثمالا مجيئه سار عن حلب الى البرية فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وعاد منيع الى حران فعاد ثمال الى حلب وخرج اليه محمد ابن اخيه فاقتتلوا وقاتل محمود قتالاً شديداً ثم انهزم محمود فمضى الى اخواله بني نمير بحران وتسلم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وخرج الى الروم فغزاهم ثم توفي بحلب في ذي القعدة سنة اربع وخمسين

﴿ ترجمة ثمال بن صالح المرداسي ﴾

قال في مختصر الذهبي ثمال بن صالح ابن الزوقلية الامير معز الدولة ابو على الكلابي رئيس بني كلاب تملك حلب وغيرها وكان بطلاً شجاعا حليما كريما اغنى اهل حلب بماله وعمهم بنواله واحسن الى العرب عزله صاحب مصر المستنصر بالله ثم رده وكان الفضلاء يقصدونه ويأخذون جوائزه توفي فى ذي القعدة سنة ٤٥٤ اهـ

ونقل ابن كثير فى تاريخه عن ابن الجوزي فى ترجمة ثمال المذكور ان الفراش تقدم اليه ليغسل يده فصدمت بلبلة الأبريق ثنيته فسقطت فى الطست فعفا عنه رحمه الله تعالى اهـ

وقال فى الزبد والضرب للرضى الحنبلي كان معز الدولة كريما معطاء مما يحكى من كرمه ان العرب اقترحوا عليه مضيرة فسأله وكيله كم ذبحت لأجلها فقال سبعمائة

وخمسين رأساً فقال له والله لو اتممتها الفاً لوهبت لك الف دينار حتى ان الأمير ابا الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الحلبي المعروف بأبن ابي حصينة امتدحه بقصيدة شكا فيها كثرة الأولاد وكان له اربعة عشر ولداً فملكه ضيعتين مضافتين الى ماكان له من الاقطاع فاثرى وعمر بحلب داراً وكتب على روشنها

دار بنيناها وعشنا بها ... فى نعمة من آل مرداس
قوم محوا بؤسى ولم يتركوا ... علي للأيام من باس
قل لبنى الدنيا الا هكذا ... فليصنع الناس مع الناس

قلت والى مرداس كان ينتسب القاضى تقي الدين لبو بكر ابن الجناب الشهابى احمد بن عمر ابن ابى السفاح المرداسى الحلبي الشافعى كاتب الأسرار الشريفة وناظر الجيوش المنصورة بالمملكة الحلبية فى اواخر الدولة الجركسية ولقد كان له سخاء يقتفى فيه اثر مثل معز الدولة المرداسى وغيره كان يتولى الخير بك كافل حلب فى آخر الدولة المذكورة انا ملك القضاة كما انك ملك الأمراء مات مقتولاً سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ودفن بمقبرة جده داخل جامع السفاحية الذي انشأه جده الأدنى بحلب وكانت وفاة معز الدولة سنة اربع وخمسين اربعمائة ودفن فى مقام ابراهيم الفوقانى بالقلعة داخل الباب الغربي وعمل عليه ضريح ثم قلع وبلط عليه وذلك بعد ان استدعى اخاه عطية بن صالح بن مرداس واوصى له بحلب وكان وزيره ابا الحسين علي بن يوسف بن ابى الثريا الذى داره الآن مدرسة ابن ابى عصرون بحلب اهـ

ولاية عطية بن صالح سنة ٤٥٤

قال ابن الأثير لما توفي ثمال بن صالح ملك حلب اخوه عطيه بن صالح ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركماني فقوي بهم فاشار اصحابه بقتلهم فأمر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون .

[ولاية محمود بن نصر بن صالح سنة ٤٥٤]

قال ابن الأثير ان الناجين من التركمان قصدوا محموداً بحران (وقد قدمنا ذكر توجهه اليها) واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها (١) في رمضان سنة اربع وخمسين وقصد عمه عطية الرقة فملكها ولم يزل بها حتى اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين وسار عطية الى بلد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين وارسل محمود التركمان مع اميرهم ابن خان الى ارتاح فحصرها واخذها من الروم سنة ستين وسار محمود الى طرابلس فحصرها واخذ من اهلها مالاً وعاد وارسله محمود فى رسالة الى السلطان الب ارسلان .

سنة ٤٦٢ مجيء ملك الروم الى منبج

قال ابن الأثير في هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن

(١) قال فى معجم البلدان في الكلام على (اسفونا) ذكر ابو غالب بن مهذب المعرى في تاريخه ان محمود بن نصر رهن ولده نصراً عند صاحب انطاكية على اربعة عشر الف دينار وخراب حصن اسفونا اذا ملك حلب واخذها من عمه عطية فلما ملك حلب خرب حصن اسفونا واخرج لذلك عزيز الدولة ثابتاً وشبل بن جامع وجمعا الناس من معرة النعمان وكفرطاب واعمالها حتى خرباه اه وقال قبل ذلك اسفونا بالفتح ثم السكون اسم حصن كان قرب معرة النعمان افتتحه محمود بن نصر فقال ابو يعلى عبد الباقي بن ابي حصين يمدحه ويذكره

عداتك منك في وجل وخوف　　　يريدون المعاقل ان تصونا
فظلوا حول اسفونا كقوم　　　اتى فيهم فظلوا آسفينا

صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع .

سنة ٤٦٣

قال ابن الأثير فى هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله وللسلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع اهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم والرأى ان نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن ابي طالب فليأت ابو بكر بحصر يصلي عليها الناس وارسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وابو الفتيان بن حيوس وقال ابو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة .

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم ... تعرف لطاعته غير التقى سببا

هذا البشير بإذعان الحجاز وذا ... داعى دمشق وذا المبعوث من حلبا

ذكر استيلاء السلطان الب ارسلان على حلب

قال ابن الأثير فى هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة الف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان انه قسطها على البلاد فأمر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء

ابو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفائه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء واخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال اي شيء تساوى خطبتهم وهم يؤذنون (حي على خير العمل) ولا بد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الأسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلاً ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ماتحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود واعاده الى بلده فأنفذ الى السلطان مالاً جزيلاً

وعاد السلطان من حلب الى اذربيجان اه

سنة ٤٦٥

قال فى المختار من الكواكب المضية وفى سنة خمس وستين واربعمائة وفدابو الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور وقد جلس الأمير عز الدولة محمود فى مجلسه وامر بأحضار الشراب فشرب اقداحا ثم قال ارفعوا الشراب فأن ابن حيوس يحضرنى ممتدحا وفى نفسى ان اهب له فأن كان الشراب فى مجلسى قيل وهب وهو سكران فرفع الشراب وحضر ابن حيوس وانشده قصيدته فيه التي اولها .

(قفوا فى الفلا حيث انتهيتم تذمما) فوهب له الف دينار فى طبق فضة وسنذكر ابياتا من هذه القصيدة في ترجمة ابن حيوس المذكور .

وكان الأمير محمود في اول ملكه حسن الاخلاق كريم النفس ثم تنكر وغلب عليه حب الدنيا وجمع المال ولحقه من البخل ماضرب به المثل ونقل عن صاحب

عنوان السير قال كان عز الدولة محمود شجاعاً كريماً ولما اخذ حلب مدحه ابن حيوس بقصيدة اولها

ابى الله الا ان يكون لك السعد فليس لما تبغيه منع ولا رد
قضت حلب ميعادها بعد مطلها وأطنب وصل ما مضى قبله صد
تهز لواء النصر حولك عصبة اذا طلبوا نالوا وان عقدوا شدوا
وخطية سمر وبيض صوارم وصافية زعف وصافنة جرد

(ذكر وفاة معز الدولة محمود بن نصر المرداسي)

سنة ٤٦٨

قال بن الأثير فى حوادث سنة ٤٤٢ عند سرده اخبار بني مرداس مات محمود فى حلب سنة ثمان وستين فى ذى الحجة. وقال في حوادث سنة ٤٦٩ فيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر .

قال ابو الفدا في حوادث سنة ٤٦٩ . وفي هذه السنة اورد ابن الأثير موت محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب اقول لكني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بأبن العديم ان محموداً المذكور مرض في سنة سبع وستين واربعمائة وحدث به قروح مات بها ولحقه في اواخر عمره من البخل مالا يوصف. وفى المختار من الكواكب المضية قال ابن العديم مات عز الدولة محمود فى الليلة التي مات فيها القائم بأمر الله اقول وقد ذكر ابن الاثير ان القائم بامر الله توفي ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين واربعمائة. وفي المختار من الكواكب المضية ذكر ابن العديم في تاريخه عن ابي الحسن على بن مرشد بن علي بن مقلد قال كان ابو سالم ناجية غلام

عز الدولة محمود متولي الشام وكان من الظلم على باب مافتحه الحجاج وكان محمود قد اخرجه ليصادر الناس فحدثني من اثق به انه صادر اهل المعرة ونواحيها وتيزين ونواحيها على ستة عشر الف دينار بعد ما هتك منها الأستار وكان ذلك لاضطراب عقل محمود من المرض الذي ناله وذلك انه كان يرى من اسفله معاليق بطنه وانفذ ناجية بالذهب اليه فغضب وقال ماظننت انه ينفذ لي اقل من سبعين الف دينار ويأخذ مثلها والله لئن لم ينفذ لي البقية لأوقعن به فقال ناجية لطبيبه والله ما اقدر اجمع من البلاد ديناراً واحداً فعرفني ان كان يسلم لأمضي فقال ابشر فما منه قوة تخدمه اكثر من يومك فاحتل بحيلة فلما سمع ناجية من الطبيب ذلك انفذ فأشترى بلعاسية وفصلها اكياساً هذا والرسل تترى اليه في طلب المال وهو يقول نعم قد ابتدأت احضره وهذه البلعاسية قد فصلتها اكياساً والخياط فيها فتردد الرسول مرة اومرتين ثم جاءه آخر فاعلمه انه قدمات

ولاية نصر بن محمود بن نصر بن صالح المرداسي سنة ٤٦٧

قال ابن الاثير لما مات محمود وصى بحلب بعده لابنه مشيب فلم ينفذ اصحابه وصيته لصغره وسلموا البلد الى ولده الأكبر واسمه نصر وجده لأمه الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة بن بويه وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق .

وفي المختار من الكواكب المضية نقلاً عن ابن العديم لما مات محمود اوصى بالملك من بعده لولده شبل بن محمود واسكنه القلعة وجعل الحراس عنده واسكن ولده نصر البلد وكان كارهاً له وكانت العساكر تميل الى نصر فبذل العطاء وعدل فلكوه اقول ابن الأثير سمي ولده مشيبا وابن العديم سماه شبلا وكلاهما تحريف

والصحيح ان اسمه سابق كما سياتي .

قال ابو الفدا لما ولي نصر بن محمود مدحه ابن حيوس بقصيدة منها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها   فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى   ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود بن نصر سجية   وغالب ظني ان سيخلفها نصر

وكان عطية ابن حيوس على محمود اذا مدحه الف دينار فأعطاه نصر الف دينار مثل ماكان يعطيه ابوه محمود وقال لو قال . وغالب ظني ان سيضعفها نصر . لأضعفتها له

(سنة ٤٦٨)

قال ابن الأثير في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج واخذها من الروم

ذكر وفاة نصر

قال ابو الفداء كان نصر يدمن شرب الخمر فحمله السكر على ان خرج الى التركمان الذين ملكوا اباه حلب وهم بالحاضر واراد قتالهم فضربه واحد منهم بسهم نشاب فقتله ولم يذكر ابن الأثير تاريخ قتل نصر متى كان ثم اني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بأبن العديم تاريخ قتل نصر المذكور قال وفي يوم عيد الفطر سنة ثمان وستين واربعمائة عيد نصر بن محمود وهو في احسن زي وكان الزمان ربيعا واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ودخل عليه ابن حيوس فانشده قصيدة منها

صفت نعمتان خصتاك وعمتا   حديثهما حتى القيامة يؤثر

فجلس نصر فشرب الى العصر وحمله السكر على الخروج الى الأتراك وسكناهم

في الحاضر واراد ان ينهبهم وحمل عليهم فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله وكان قتله يوم الأحد مستهل شوال سنة ثمان وستين واربعمائة

ذكر ولاية سابق بن محمود بن نصر المرداسي سنة ٤٦٨
وهو آخر ملوك بني مرداس

قال ابن الأثير لما قتل نصر ملك اخوه سابق وهو الذي كان ابوه اوصى له بحلب

سنة ٤٧١

قال ابو الفداء في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش ابن السلطان الب ارسلان دمشق وسببه ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه فسار تاج الدولة تتش الى حلب وكان قد ارسل بدر الجمالي امير الجيوش بمصر عسكراً الى حصار آتسز بدمشق فارسل آتسز يستنجد تتش وهو نازل على حلب يحاصرها فسار تتش الى دمشق فملكها .

سنة ٤٧٢

قال في المختار من الكواكب المضية وفي سنة اثنين وسبعين واربعمائة كتب الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي الى السلطان ملكشاه يطلب منه ان يسلم اليه حلب على ان يحمل اليه في العام ثلثمائة الف دينار فأجابه الى ذلك وكتب له توقيعاً بها فسار اليها وبها الامير سابق بن محمود فأعطاه مسلم اقطاعاً بعشرين الف دينار على ان يخرج من البلد فأجاب فوثب عليه اخواه وقتلاه واستوليا على القلعة فحاصرها مسلم ثم اخذها صلحاً وكان الأمير سابق المذكور آخر ملوك بني مرداس انتهى

اقول ماسننقله عن ابن الأثير في السنة الآتية يفيد ضعف هذه الرواية

وان سابقاً لم يقتله اخواه وان مسلماً حصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود ابن مرداس

سنة ٤٧٣

استيلاء مسلم بن قريش العقيلي على حلب وولايته عليها

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٧٢ في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة واقام عليها اياماً ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة (برهجك) واحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى اهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحبيبي العباسي فاتفق ان ولده خرج يتصيد بضيعة له فاسره احد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وارسله الى شرف الدلة فقرر معه ان يسلم البلد اليه اذا اطلقه فأجابه الى ذلك فأطلقه فعاد الى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد ارسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وانفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأل ان يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان الى ماطلب واقطع ابن عمته بالس اهـ

سنة ٤٧٤

قال ابن الأثير فيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه

[سنة ٤٧٥]

(ذكر حصر شرف الدوله دمشق وعوده منها)

قال ابن الأثير في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعاً كثيراً وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع ايضاً العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها اول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة اواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله اهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة واشرف على الأسر وتراجع اليه اصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى ايضاً ان مصر لم يصل اليه منها عسكر واتاه عن بلاده الخبر ان اهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده واظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل اولاً الى مرج الصفر فارتاع اهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقاً في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شيء كثير وانقطع خلق كثير »

سنة ٤٧٦

قال ابن الأثير في هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش

واطاعوا قاضيهم ابن حلبة وارادوا هم وابن عطير النميرى تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادي الأولى واخذ القاضي ومعه ابنين له فصلبهم على السور سنة ٤٧٧

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن مروان وشرف الدولة مسلم ابن قريش

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٦ فيها عقد السلطان ملكشاه لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر وامره ان يقصدها ويأخذها من بني مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها . وقال في حوادث سنة ٤٧٧ ثم سير السلطان اليه جيشاً آخر فيهم الأمير ارتق بن اكسك وقيل اكسب والأول اصح وامرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لااوثر ان يحل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ماعزم عليه فركبوا ليلاً واتوا الى العرب واحاطو بهم فى ربيع الأول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتي وصل الى فصيل آمد وحصره

فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الأمير ارتق وبذل له مالاً وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطريق والحصار فلما سمع ارتق مابذل له شرف الدولة اذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأول وقصد الرقة وارسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا اموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة ابن منصور بن مزيد الأموال وافتك اسرى بنى عقيل ونساءهم واولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل امراً عظيماً واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فاكثروا فنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة

كما احرزت شكر بنى عقيل ... بآمد يوم كضهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طراً ... بشهب في حوافلها ازورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر ... عظيم لاتقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا ... وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم ... وفي اثناء حبلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك عنهم ... اسير حين اعلقه الأسار

في ابيات كثيرة . ولما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك فى اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه الأمراء اقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذي اقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الأمير

ارتق قد قصد السلطان فعاد وصحبته عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فأرسل الى اهلها يشير اليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج اخيه تكش بخراسان على مانذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق واحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائعة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذى نجا عليه من المعركة ومن آمد ايضاً وكان سابقا لايجارى فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وارسل الخليفة طراداً الزينبي في لقي شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد امر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان واقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب اخيه

﴿ ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا واعمالها من بلاد الروم الى بلاد الشام فملك مدينة انطاكية من ارض الروم وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فأتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر فى ثلاثمائة فارس وكثير من الرجال وخرج منه وسار في جبال

وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للموعد فنصب السلاليم بأتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلاد في شعبان فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيراً من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الأموال ما يجازوا الأحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فمن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر ... نار بمعتلج الكثيب الأعفر

وفتحت انطاكية الروم التي ... نشرت معاقلها على الاسكندر

وطئت مناكبها جيادك فانثنت ... تلقى اجنتها بنات الاصفر

سنة ٤٧٨

ذكر الحرب بين سليمان بن قتلمش وبين شرف الدولة

وقتل هذا

قال ابن الأثير لما ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية ارسل اليه شرف الدولة مسلم ابن قريش يطلب منه ماكان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه اماطاعة السلطان فهو شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبه بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكيه قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئاً فنهب شرف الدولة بلد انطاكية ونهب سليمان ايضاً بلد حلب فلقيه اهل السواد يشكون اليه نهب

عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم احوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا اخذ ما حرمته الشريعة وامر اصحابه بأعادة ما اخذوه منهم فأعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق امير التركمان في اصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فاختل مصاف مسلم بن قريش فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزماً فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من احداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين

قال في الزبد والضرب في سنة ثمان وسبعين واربعمائة وصل شرف الدولة الى اعزاز وأشير عليه بالنزول على حلب فنزل على نهر عفرين ووصل سليمان بن قطلمش وهو من السلجوقية من انطاكية ليلتقي الجيشان فجاء شرف الدولة بطبيخ فنزل هو وبعض بني عمه وأكلا فقال ابن عمه

كلوا أكلة من عاش يخبر اهله ومن مات يلقى الله وهو بطين

فقال شرف الدولة قبلنا فالك يابن العم ثم التقى الجيشان وطعن شرف الدولة فقتل ولما طعن قال يا شام الشؤم . قلت وقد لمح شرف الدولة انها مشتقة من الشوم كما هو احد الوجهين في اشتقاقها والوجه الآخر انها مأخوذة من اليد الشوماء وهي اليسرى على ما نقله ابن شداد في تاريخه عن ابي بكر محمد بن الانبارى وكلاهما خلاف مقتضى الحديث (الشام شامة الله في ارضه) والله اعلم اه

وفي المختار من الكواكب المضية ذكر الصاحب (ابن العديم) ان الوقعة كانت في موضع من بلد العمق ثم ان سليمان بن قطلمش ارسل جثة الامير مسلم بن قريش

على بغل ملفوفة في ازار الى حلب ليسلموها الى اهله قال المؤرخ (هو الصاحب) وزرت تبره في قبة بناها ونقل اليها من حلب بمشهد الحسن العسكري فى الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وستمائة فقرأت على حائط القبة هذه الابيات

لو اطعنا دفع الردى عنك يااباً مسلم كنا بالله ندفع عنكا
لأياد طوّقت منا رقاباً فحويت الرقاب بالجود ملكا
طالما قد جلست ياشرف الدو لة في سدة الأمارة ملكا
ثم دبرت امر ما سست بالعدل الى ان صادفت الحين هلكا
اين ذاك الأمر العظيم مع النهى بنيل نعم .... ومتكا
ذهب الكل وانفردت وحيداً ليس يحوي من كل ماحزت ملكا
بعزيز علي يامجد دين الله ما اوحش التفرق منكا
فعليك السلام ما بقي الدهر وما ادحض المهيمن شركا

(ترجمة الامير شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي)

هو مسلم بن قريش ابن بدران المقلد ابن المسيب ابن ابي المعالي ابن ابي الفضل العقيلي (١) الملقب بشرف الدولة امير العرب بنواحي بغداد استفحل امره وقويت شوكته واطاعته العرب وطمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة ظفر ثم رجع عن ذلك

(١) قال ابن خلدون فى الكلام على انقراض دولة بني حمدان واستيلاء بني كلاب على حلب كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طي من كهلان منتشر بن مابين الجزيرة والشام في عدوة الفرات وكانوا كالرعايا لبنى حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الحروب ثم استفحل امرهم عند فشل دولة بني حمدان وساروا الى ملك البلاد

وكان احول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من ارض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لأبيه وعمه قرواش وكان عادلاً حسن السيرة والأمن في بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئاً وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لايتعدى احد على احد وهو الذي عمر سور الموصل شرع فيه في ثالث شوال سنة اربع وسبعين واربعمائة وفرغ منه في ستة اشهر. وذكر حمدان بن عبد الرحيم التميمي قال لما حصر شرف الدولة حلب غلت الاسعار فيها وصار الخبز ستة ارطال بدينار ورمى القلعة بالمنجنيق ثم عول على الرحيل عنها لغيرها حتى قرب الامير ابو الحسن بن منقذ من سور القلعة فرأى صديقاً له من اهل الأدب على سور القلعة فقال له بن منقذ كيف انتم فقال طول جب خوفاً من تفسير الكلمة فعاد ابن منقذ وهو يتصحف هذا الكلام فصح له انه قصد بكلامه انه ضعفوا فأوجس انها كلمتان وان قوله طول يريد مدا وجب بير فقال مدابير والله . فاعلم لشرف الدولة بهذه النكتة فقوى نفسه حتى ملكها. وذكر عبدالله بن احمد انه قال لما حاصر شرف الدولة قلعة حلب غار ماء الساتورة التي بالقلعة حتى قل عليهم فقال ابن ابي حصينة

وقد اطاعك فيها كل عاصية طوعاً لأمرك حتى غارت القلب

ولما ملك شرف الدولة مسلم قلعة حلب لم يكن بها مايؤكل فنقل اليها من الموصل وارض الجزيرة الغلة والدجاج والبيض حتى استكفى الناس وعمل هرماً في القلعة وملأه اقفاص سكر فلما بقي منه قليل قال بالله تمموه فوالله لاملأه غيري تبناً . حدث بهاء الدولة قال حدثني الشريف عز الدين النقيب بحلب قال كنت

عند لؤلؤ ياسا وقد امر ان يحط فيه تبن للخيل فحدثته حديث مسلم فقال لاصحابه اريدان تملئوه تبناً فلقد خربوا حلب وما امتلأ . وذكر الهلال بن المحسن الصابي في تاريخه ان الأمير شرف الدولة لما صابر حلب واشرفت على الأخذ خطب الى صاحبها سابق بن محمود اخته وتم العقد وفي يوم تسليمه القلعة ودخوله اليها دخل فى ذلك اليوم والساعة بالعروس فقيل انه فتح فى ساعة واحدة حصنين وفي ذلك يقول منصور بن تميم بن زنكل

فرعت امنع حصن وافترعت به نعم الحصان ضحى من قبل يعتدل
وحزت بدر الدجى شمس الضحى فعلى مثليكما شرفاً لم تسدل الكلل

وكان مولده سنة اثنين وثلاثين واربعمائة وكانت امارته خمساً وعشرين سنة وعمره خمساً واربعين سنة وشهوراً وكان قتله سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان رافضياً خبيثاً اظهر ببلاده سب السلف . وكان كريما فاضلاً حليما شاعراً ذكره العماد الكاتب في الخريدة من جملة الشعراء وكان لقبه مجد الدين سلطان الأمراء سيف امير المؤمنين ملك بلاد الشام صلحاً وعنوة وفرغ اذ عصم عواصمها من العز ذروة وكان منصور الرأى والرايه منتهياً في اكتساب المحامد الى اقصى الغايه مسلم كاسمه زاده الله بسطة فى علمه وجسمه جسيم الأيادي رحيب النادي ومن شعره

اذا فرعت رجلى الركاب تزعزعت لها الشم واهتز الصعيد الى مصر

وله ايضاً الدهر يومان ذا امن وذا خطر والماء صنفان ذا صاف وذا كدر

وله ايضاً غلام احور العين احوى ابي بعد العريكة ان يلينا

وله ايضاً يامنزل الحي سقيت السحاب ايام لبسى فيك ثوب الشباب
سقياً لأيامك لوانها دامت لنا مع زينب والرباب

ايام لا واش مطاع ولا　　صاح بوشك البين منا غراب

وله ايضاً غنا ينفر عني الحزن　　وشربي ما بين كوب ودن

واني لأحقر هذا الزمان　　ولا سيما اهل هذا الزمن

يريدون نيل العلى بالمنى　　ونيل العلى برغيب الثمن

وله ايضاً سقى دراهم ايام نحن جميع　　ملث لدممى للفراق دموع

وما كنت مجزاع الفوآد وانما　　فوآدي على بين الحبيب جزوع

وكانت سليمى للمحبين روضةً　　ووصل سليمى روضة وربيع

ويقال ان رجلاً سأل شرف الدولة مسلم حاجة وسار في موكبه الى ان وصل الى مضربه فقال ايها الأمير لاتنس حاجتي فقال له شرف الدولة اذا قضيتها نسيتها ولما اتاه ابن حيوس ليمدحه قيل له ان هذا شاعر ومامدح احداً من الملوك الا وهو قاعد وانه تسمى بالأمير والرأى ان يكون الجلوس له في مكان ليس فيه بساط ولاما يجلس عليه الأمير ففعل ذلك فأذن له فلم يجد مكاناً يصلح للجلوس فشرع وانشد قائماً قصيدته التي اولها

ما ادرك الطلبات مثل مصمم　　ان اقدمت اعداؤه لم يحجم

فلما انتهى الى قوله في القصيدة

انت الذى نفق الثناء بسوقه　　وجرى الندى بعروقه قبل الدم

اهتز لذلك وقال ليجلس الأمير وامر له ببساط فجلس واتمها قاعداً واعطاه الموصل. وذكر نصر بن محمد بن ابي هنون النحوي في كتابه بستان المبقله قال مدح ابن حيوس شرف الدولة في آخر عمره فقيل لمسلم كان رسم هذا على بني صالح اصحاب حلب الف دينار على كل قصيدة فقال همتي تسمو ان ازيد على عطاياهم فقال له وزيره هذا شيخ قد بلغ نهاية العمر واستوفى مدته والصواب ان

نقطعه الموصل كما اقطعها المعتصم لأبي تمام ليبقى لك الذكر كما بقي له فأقطعه الموصل فبقى ابن حيوس ستة اشهر ومات وخلف مايزيد على عشرة الآف دينار. ومما نقل من مكارم اخلاقه وسماحته ماحكاه عمر بن محمد بن علي بن الشحنة الموصلي قال لما توفى ابو الفتيان ابن حيوس ترك مالاً كثيراً وعبيداً وغير ذلك فأخبر الأمير مسلم فأشار عليه بعض من حضر برفعه الى خزانته فاعتراه من ذلك غضب عظيم حتى هم ان يقتل المشير عليه بذلك قال له ويلك اعمد الى مال قد سمحت به انفس الأجواد وجادت به اكف الكرام وقد اخذ من فضلات عطايام فأجعله في خزائني اعزب عني فلا حاجة لي في صحبتك ثم امر بالمال فجعل في حرز ولم يكن لأبن حيوس ورثة فبقى دهراً ثم قيل للأمير مسلم ان له بحران بنت بنت اخت وهي مستحقة للميراث فقال ادفعوا جميع الميراث لها

هذي المآثر لاما تفترى كذبا وذي المكارم لاقعبان من لبن

هكذا ذكر ابن الشحنة وقال المؤيد كان لابن حيوس بنت اخ بحلب وهي فاطمة بنت ابي المكارم محمد بن سلطان بن حيوس وكانت زوجة احمد والد ابي غانم محمد بن هبة الله بن ابي جرادة ولعل تركة ابن حيوس دفعها الأمير لهذه ووهم الحاكي بذكر حران بدل حلب وبنت الأخت بدل بنت الأخ . اه (من الوافى بالوفيات للصفدي ومن المختار من الكواكب المضية) وقال في الزبد والضرب كان القاضي بحلب في ايام شرف الدولة القاضي كسرى بن عبد الكريم بن بن كسرى ومات فولي قضاها ابو الفضل هبة الله بن احمد بن ابي جرادة وهو ابن ابن بنت كسرى المذكور وكان ابو المكارم شرف الدولة يخاطبه بأبن العم لكونه عقيليا والقاضي عقيلي . اه

ولاية ابراهيم بن قريش العقيلي سنة ٤٧٨

قال ابن الأثير لما قتل مسلم بن قريش قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه امرهم وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكن المشي والحركة ولما قتل سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الأول سنة ثمان وسبعين فأقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

ولاية الشريف ابي على الحسن بن هبة الله الهاشمي

المعروف بالحبيبي

يظهر انه لم تطل مدة ابراهيم بن قريش في الولاية وتغلب عليه ايضاً الشريف ابن الحبيبي وتوجه ذاك الى الموصل فقد قال في الزبد والضرب لما قتل مسلم بن قريش انفرد الشريف ابو على الحسن بن هبة الله الهاشمي بتدبير حلب وسالم بن مالك بالقلعة وسيأتي لابراهيم بن قريش ذكر في حوادث سنة ٤٨٦

ذكر سليمان بن قتلمش واستيلاء السلطان ملكشاه

السلجوقي على حلب وتوليته عليها قسيم الدولة آقسنقر سنة ٤٧٩

قال ابن الأثير لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه ارسل الى ابن الحبيبي العباسي مقدم اهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله على ان يكاتب السلطان ملكشاه وارسل ابن الحبيبي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالباً لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجداً فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبئة فلم يعلم به حتى قرب منه فعبي اصحابه وكان الأمير ارتق بن اكسك مع تتش وكان منصوراً

لم يشهد حرباً الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع بن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهي جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فأقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فأبلى فيها بلاءً حسناً وحرض العرب على القتال فانهزم اصحاب سليمان وثبت هو في القلب فلما رأى انهزام عساكره اخرج سكيناً معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد انفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من اهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر ارسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فأجابه ابن الحبيبي انه يكاتب السلطان ومهما امره فعل فحصر تتش البلد واقام عليه وضيق على اهله وكان ابن الحبيبي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من اعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بأبن الرعوى ثم ان ابن الحبيبي اوحشه بكلام اغلظه له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأي ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان ارسل الى تتش للميعاد الذي ذكره فأصعد الرجال في الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحبيبي بالأمير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

قال في زبدة الحلب والشريف ابو علي بن الحبيبي العباسي . هو الذي سلم مدينة حلب لشرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وسبعين واشتركا في حكمها وكان الشريف ابو علي شيعيا فصارت المدينة فرقتين فرقة معه وفرقة مع شرف الدولة مسلم ووقعت الوحشة بين اهل المدينة وتحاربوا سنة ثمان وسبعين

واربعمائة وقت مجيء تتش لحلب فملكها تتش بسبب اختلاف اهلها والشريف ابو علي هو الذي عمر القلعة التي عند باب قنسرين المسماة بقلعة الشريف ولما استجار الشريف ابو علي بالأمير ارتق واجاره اتى الشريف الى تتش ووقع على اقدامه فعفا عنه وكانت قد انتهت عمارة قلعته فأتى اليها وتحصن بها خوفاً من اهل حلب لئلا يقتلوه وسيأتي ان السلطان ملكشاه لما استولى على حلب اخذه معه الى ديار بكر بطلب من اهل حلب ومات في ديار بكر .

﴿ ذكر ملك السلطان ملكشاه حلب وغيرها ﴾

قال ابن الأثير كان ابن الحبيبي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان فى جمادي الآخرة وجعل على مقدمته الأمير برسق وبوزان وغيرهما من الأمراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها فى رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فأقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر [١] فملكها وقتل من بها من بني قشير

وفي المختار من الكواكب المضية كان جعبر شيخاً كبيراً اعمى وله ولدان وكان

(١) قال ياقوت في المعجم قلعة جعبر على الفرات قرب صفين وكانت قديماً تسمى دوسر فملكها رجل من بنى قشير اعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبل ويلتجى اليها . وقال ابن خلكان في ترجمة جعبر المذكور ويقال لهذه القلعة الدوسرية وهى منسوبة الى دوسر غلام النعمان ابن المنذر ملك الحيرة وكان قد تركه على افواه الشام فبني هذه القلعة فنسبت اليه اه وقال ابو الفدا قلعة جعبر اسمها الدوسرية ثم عرفت بقلعة جعبر لطول مدة ملك جعبر لها وهو شيخ اعمى ولما وصلها ملكشاه امسكه وامسك ولديه وكانا يقطعان الطريق ويخيفان السبل اه

قطاع الطريق يلجأون اليها ويتحصنون بها من السلطان ويقاسمون جعبرا فراسل سابق الدين جعبرا في تسليمها فامتنع عليه فنصب عليها المجانيق ففتحها وامر بقتل صاحبها جعبر القشيري فقالت زوجته لا تقتله حتى تقتلني معه فألقاه من رأسها وامر بتوسيطه فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت فلامها الناس في ذلك فقالت كرهت ان تصل الي الترك فيبقى عاراً علي" اه

قال القرماني فى تاريخه لما قدم سليمان شاه مع بنيه الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدى وارطغرل [ارطغرل هو جد ملوك سلاطين آل عثمان] من بلاد الشرق لما ظهر جنكيز خان فى سنة احدى عشرة وستمائة ووصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره اليوم هناك يزار ويتبرك به

ولنرجع الى تتمة الكلام على حوادث ملكشاه السلجوقى. قال ابن الأثير ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها اخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الأمير ارتق فأشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا اكسر جاه اخي الذي انا مستظل بظله فأنه يعود بالوهن علي اولاً وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها اولاً فأمر السلطان ان يرمي اليه رشقاً واحدا بالسهام فرمي الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم اليه السلطان قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد اولاده الى ان اخذها منهم نور الدين محمود بن زنكى على ما نذكره ان شاء الله

تعالى وارسل اليه الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وافامية فأجابه الى المسالمة وترك قصده واقر عليه شيزر .

ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها واحسن السيرة فيها واما ابن الحبيبي فأنه كان واثقاً باحسان السلطان ونظام الملك اليه فأنه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب اهله يعفيهم من ابن الحبيبي فأجابهم الى ذلك واستصحبه معه وارسل الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها . وعاد السلطان الى بغداد فدخلها في ذي الحجة

سنة ٤٨١

فيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى (حلب) اه ابن الأثير

سنة ٤٨٢

عمارة منارة الجامع الاعظم

في هذه السنة اسست منارة جامع حلب وعمرت على يد القاضي ابي الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب عوض منارة كانت قبلها وكان لحلب معبد للنار قديم العمارة وقد تحول الى ان صار اتون حمام فاضطر القاضي لأخذ حجارته لعمارة هذه المنارة فوشى به بعض حساده لأمير البلد قسيم الدولة واغضبه عليه فأستحضره وقال له قد هدمت معبداً هو لي وملكي فقال ايها الأمير هذا معبد للنار وقد صار اتونا وقد اخذت حجارته وعمرت بها معبداً للأسلام يذكر عليه اسم الله وحده لاشريك له وكتبت اسمك عليه وجعلت الثواب لك فأن

رسمت لى ان اغرم ثمن الأحجار ويكون الثواب لى فعلت فأعجب الأمير كلامه واستصوب رأيه وقال بل الثواب لى وافعل انت ماتريد. قال وكتب ابن العميد في الحاشية ان الواشي كان ابانصر بن النحاس ناظر حلب. قال وقرأت في تاريخ منتخب الدين يحيي بن ابي طي النجار الحلبي قال اسست العمارة في هذه المنارة في زمن سابق بن محمود بن صالح علي يد القاضي ابن الحسن ابن الخشاب وكان الذي عمرها رجل من سرمين وانه بلغ بأساسها الى الماء وعقد حجارتها بكلاليب الحديد والرصاص واتمها فى ايام قسيم الدولة آقسنقر وطول هذه المنارة الى الدرابزين بذراع اليد سبع وتسعون ذراعاً وعدد مراقيها مائة واربع وسبعون درجة . واخبرنى زين الدين بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحيم العجمى ان والده حكى له انه لما كان ليلة الاثنين ثامن شهر شوال سنة خمس وسبعين وستمائة زلزلت حلب زلزلة عظيمة هدمت اكثر دورها واهلك جماعة من من اهلها وحركت المنارة فدفعت هلالاً كان على رأسها مقدار ستماية قدم وتشققت اهـ (من الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة)

اقول مكتوب على جدار المنارة فى اسفلها بالخط الكوفي المسمى بالمزهر (صنعه حسن ابن مقرى السرمينى سنة ٤٨٣). وقرأت فى بعض المجاميع الحلبية. ان طول الجامع من الشرق الى الغرب مع سمك جدران الجهتين مائة وثلاثون ذراعا وعرضه من الجنوب الى الشمال مائة واحد عشر ذراعا فاذا ضربت ذرع الطول في العرض يبلغ المجموع ١٤٤٣٠ ذراعا مربعا وطول القبليتين مائة وتسعة عشر ذراعا عدا سمك جدران الجهتين وعرضهما ثلاثة عشر ذراعاً وتسعة قراريط . وارتفاع المنارة من ارض الجامع الى موقف المؤذنين اثنان وخمسون ذراعاً وستة قراريط ومحيطها ممايلى سطح الرواق احدى وعشرون ذراعا واحدى وعشرون قيراطا

ومن موقف المؤذنين الى ختم القبة سبعة اذرع

سنة ٤٨٤

﴿ حصول الزلازل في الشام وانهدام ابراج انطاكية ﴾

قال ابن العديم فى هذه السنة تسلم الامير قسيم الدولة قلعة افامية من يد ابن ملاعب ثالث رجب وسجن بعض بنى منقذ اه قال ابن الاثير وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان اكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها اه

سنة ٤٨٥

فى هذه السنة فى النصف من شوال توفي السلطان ملكشاه وهو ملكشاه بن الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق وكان مولده في سنة سبع واربعين واربعمائة وكان من احسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصى بلاد الشام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحملت له ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وكانت ايامه ايام عدل وسكون وامن فعمرت البلاد ودرت الارزاق اه باختصار من ابي الفداء وله ولوزيره نظام الملك ترجمة حافلة في ابن خلكان وفي ابن الاثير فى حوادث هذه السنة

ذكر التحاق آقسنقر بتتش بن الب ارسلان

ثم ببركياروق ابن ملكشاه بن الب ارسلان سنة ٤٨٦

قال ابن الاثير كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد

فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر واخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى باغي سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا مايكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها فى المحرم في هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب اهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهراً وقتل من اهلها خلقاً كثيراً ونهبت الاموال وفعل فيها الأفعال القبيحة ثم سلمها الى الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل واميرها يومئذ ابراهيم بن قريش بن بدران (١)

قال ابو الفداء لما قصد تتش الموصل في هذه السنة سنة ٤٨٦ خرج ابراهيم لقتاله والتقوا بالمضيع من اعمال الموصل وجرى بينهم قتال شديد انهزمت فيه المواصلة واخذ ابراهيم بن قريش اسيراً وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبراً وملك تتش الموصل واستناب عليها علي بن مسلم بن قريش وامه صفية عمة تتش وارسل تتش الى بغداد يطلب الخطبة فتوقفوا فيها ثم سار تتش واستولى على ديار بكر وسار الى اذربيجان وكان قد استولى بركياروق بن ملكشاه على كثير منها فسار بركياروق الى عمه تتش ليمنعه فقال آقسنقر نحن انما اطعنا تتش لعدم قيام احد من اولاد السلطان ملكشاه اما اذا كان بركياروق ابن السلطان قد تملك

[١] هو اخو مسلم بن قريش وقد قدمنا انه ولي حلب سنة ٤٧٨ بعد قتل اخيه ولم تطل مدته فى الولاية وتغلب عليه الشريف بن الحبيبي

فلا نكون مع غيره وخلى آقسنقر تتش ولحق ببركياروق فضعف تتش لذلك وعاد الى الشام

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة

وديار بكر واذربيجان وهمدان والخطبة له ببغداد سنة ٤٨٧

وولاية الحسن بن علي الخوارزمي في هذه السنة ايضاً

قال ابن الاثير في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر وكان سبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من اذربيجان منهزماً لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وامدهما ركن الدين بركياروق بالأمير كربوقا الذي صار صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريباً من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فأخذ أسيراً واحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت تصنع قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبراً وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان لحفظها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها سلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها ليسلمها من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وارسل رأسه اليهم وتسلم البلدين واما كربوقا فانه ارسله الى حمص فسجنه بها الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تتش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظاً لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وامن واسع وكان قد

شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل او احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فأمنت الطرق واما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخراً انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همدان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركياروق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه بأصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همدان فصادفه تتش بها فأراد قتله فشفع فيه باغيسيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان والح في طلبها فأجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركياروق قد انهزم من عسكر عمه تتش وساق الخبر فى ذلك ولما ملك تتش حلب قرر فيها الحسن بن علي الخوارزمي وحكمه في البلد والقلعة

﴿ ترجمة آقسنقر ﴾

قال ابن العديم آقسنقر بن عبد الله المعروف بقسيم الدولة مملوك السلطان ابي الفتح ملك شاه وقيل انه لصيق له وقيل اسم ابيه ال ترغان من قبيلة سابيو نقلت ذلك من خط ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي وانبأنا به ابو اليمن الكندي وغيره عنه وتزوج آقسنقر داية السلطان ادريس بن طغان شاه وحظي عند السلطان ملك شاه وقدم معه حلب في سنة تسع وسبعين واربعمائة حين قصد تاج الدولة تتش اخاه فانهزم عن حلب وكان قصدها وملكها السلطان ملكشاه

فى شهر رمضان من سنة تسع وسبعين وخرج عنها الى انطاكية وملكها
وخيم على ساحل البحر اياما وعاد الى حلب وعيد بها عيد الفطر ورحل عنها
وقرر ولاية حلب لقسيم الدولة آقسنقر في اول سنة ثمانين واربعمائة فأحسن
فيها السياسة والسيرة واقام الهيبة وقمع الذعار وافنى قطاع الطريق ومخيفي
السبيل وتتبع اللصوص والحرامية فى كل موضع فاستأصل شأفتهم وكتب الى
الاطراف ان يفعلوا مثل فعله لتأمن الطرق وتسلك السبل فشكر بذلك الفعل
وأمنت الطرق والمسالك وسار الناس فى كل جهة بعد امتناعهم لخوفهم من
القطاع والأشرار وعمرت حلب في ايامه بسبب ذلك بورود التجار اليها
والجلابين من جميع الجهات ورغب الناس فى المقام بها للعدل الذي اظهره فيهم
رحمه الله . وفي ايامه جدد عمارة منارة حلب بالجامع في سنة اثنين وثمانين
واربعمائة واسمه منقوش عليها الى اليوم وهو الذى امر ببناء مشهد قرنبيا
ووقف عليه الوقف وامر بتجديد مشهد الدكة اخبرني عز الدين ابو الحسن
علي بن محمد ابن الاثير الجزرى قال كان قسيم الدولة آق سنقر احسن الامراء
سياسة لرعيته وحفظاً لهم وكانت بلاده بين عدل عام ورخص شامل وامن
واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية فى بلاده متى اخذ عند احدهم قفل او
احد من الناس غرم اهلها جميع مايؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت
السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وقام اهل القرية يحرسونهم
ان رحلوا فأمنت الطرق وتحدث الركبان بحسن سيرته . سمعت والدى القاضي
ابا الحسن رحمه الله يقول لى فيما يأثره عن اسلافه ان قسيم الدولة آقسنقر كان
قد نادى في بلد حلب بان لايرفع احد متاعه ولايحفظه في طريق لما حصل من
الامن في بلاده قال فخرج يوماً يتصيد فمر على قرية من قرى حلب فوجد بعض

الفلاحين قد فرغ من عمل الفدان وطرح عن البقر النير ورفعه على دابة ليحمله الى القرية فقال له الم تسمع مناداة قسيم الدولة بان لايرفع احد متاعاً ولاشيئاً من موضعه فقال له حفظ الله قسيم الدولة قد امنا في ايامه وما نرفع هذه الآلة خوفاً عليها ان تسرق ولكن هنا دابة يقال لها ابن آوى تأتي الى هذا النير فتأكل الجلد الذي عليه فنحن نحفظه منها ونرفعه لذلك قال فعاد قسيم الدولة من الصيد فأمر فتتبعوا لبنات آوى في بلد حلب فصادوها حتى افنوها من بلد حلب قلت وهي الى الآن لايوجد في بلد حلب منها شيء الا في النادر دون غيرها من البلاد

قرأت في كتاب عنوان السير تأليف محمد بن عبد الملك الهمداني قال واقطع السلطان حلب وقلعتها مملوكه آقسنقر ولقبه قسيم الدولة وذلك في سنة تسع وسبعين واربعمائة فأحسن السيرة وظهر منه عدل لم يعرف بمثله واستغلها في كل يوم الف وخمسمائة دينار ولم يزل بها حتى قتله تاج الدولة تتش بن الب ارسلان في سنة سبع وثمانين واربعمائة قلت وكان تاج الدولة تتش قتله صبراً بين يديه بسبعين قرية من قرى حلب من نقرة بني اسد على نهر الذهب وقيل بكارس وذلك ان تتش كان قد حصل في نفسه شيء من قسيم الدولة استصغر امر تتش حتى اني قرأت بخط ابي الحسن علي بن مرشد علي بن منقذ في تاريخه سنة اربع وثمانين واربعمائة وفيها نزل تاج الدولة الى السلطان يعني نزل تتش الى ملك شاه لما رآه ترجل له وكان في الصيد خيفة ان يتخيل منه وحصر هو وقسيم الدولة في حضرته فقال تاج الدولة تتش كان من الامر كذا وكذا فقال له قسيم الدولة تكذب فقال له السلطان تقول لاخي كذا قال نعم يطلع الله في عينيه ما يريده لك ويطلع في عيني ما اريده لك قلت وعاد تتش الى دمشق فلما توفي

السلطان ملك شاه برز تاج الدولة تتش في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخرج معه خلق من العرب ولقيه عسكر انطاكية بالقرب من حماة مع باغيسيان وسار تاج الدولة وقطع العاصي في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ورعى عسكره الزراعات ونهب المواشي وغيرها واتصل الخبر بآقسنقر وهو بحلب وكاتبه السلطان بركياروق وخطب له بحلب فجمع وحشد واستنجد بمن يجاوره فوصل اليه كربوقا صاحب الموصل وبزان صاحب الرها ويوسف ابن ابق صاحب الرحبة في الفي فارس وخمسمائة فارس منجدين قسيم الدولة على تتش وحصل الجميع بحلب ووصل تاج الدولة تتش الى الحانوتة ورحل منها الى الناعورة واغارت خيله على المواشي بالنقرة واحرقوا بعض زرعها ورحل من الناعورة قاصداً نحو الوادي وادي بزاعة متهيأ آقسنقر للقائه والخروج اليه واستدعى منجما ليأخذله الطالع فحضر عنده واختار له وقتاً وقال تخرج الساعة فركب ومعه النجدة التي وصلته وجماعة كبيرة من بني كلاب مع شبل بن جامع ومبارك بن شبل وكان اطلقهما من الاعتقال ومحمد بن زايدة وجماعة من احداث حلب والديلم والخراسانية في احسن زي واكمل عدة وقيل انه قدر عسكره بعشرين الف فارس وقيل كان يزيد عن ستة آلاف وقصد تاج الدولة التاسع من جمادى الاولى من السنة وقطع آقسنقر سواقي نهر سبعين قاصداً عسكر تتش فأقاموا على حالهم وكان اول من برز للحرب آقسنقر فالتقى الفريقان ولم يثق آقسنقر بمن كان معه من العرب فنقلهم من الميمنة الى الميسرة في وقت المصاف ثم نقلهم الى القلب فلم يغنوا شيئاً وحمل عسكر تتش على عسكر آقسنقر فلم يثبت وانهزمت العرب وعسكر كربوقا وبزان معهم الى حلب ووقع فيهم القتل وثبت قسيم الدولة فأسر واسر اكثر اصحابه وحمل الى تاج الدولة تتش فلما مثل

يديه امر بضرب عنقه واعناق بعض خواصه ودخل تتش الى حلب وملكها على ما نذكره فى ترجمته ان شاء الله وبلغنى ان تاج الدولة تتش قال لقسيم الدولة آقسنقر لما حضر بين يديه لو ظفرت بى ما كنت صنعت فقال كنت اقتلك فقال له تتش فانا احكم عليك بما كنت تحكم علىّ فقتله صبرا .

وقرأت بخط بعض الحلبيين ان السلطان ملك شاه بن العادل وصل يعني الى حلب فى شعبان سنة تسع وسبعين فتسلم البلد والقلعة وسلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فاقام بحلب ثمان سنين فقتل بكارس من ارض اسد فى صفر سنة سبع واربعمائة قتله تاج الدولة تتش بن العادل .

وقرأت بخط ابى غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين الشيبانى في تاريخه في جمادى الاولى يعنى سنة سبع وثمانين كان المصاف بين تاج الدولة تتش وبين الامير آقسنقر وبوزان ومن امدهما به بركياروق قريبا من حلب فلما التقى الصفان استأمن ابن ابق الى تتش وانهزم الباقون واسر آقسنقر فجيء به الى تتش فقال له تتش لوظفرت بى ما كنت صانعاً فيّ قال اقتلك قال فأني احكم عليك بحكمك فيّ وقتله قال وكان آقسنقر من احسن الناس سياسة وآمنهم رعية وسابلة وقرأت بخط ابي منصور هبة الله بن سعد الله الجبرانى الحلبي الصحيح ان قسيم الدولة قتل يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين واربعمائة .

(ثم قال) ولما قتل آقسنقر دفن الى جانب قرنبيا بالقبة الصغيرة المبنية بالحجارة من حذاء المسجد وكان قسيم الدولة بنى مشهد قرنبيا لمنام رآه بعض اهل زمانه ووقف عليه وقفاً فدفن الى جنبه وعمر على قبره تلك القبة فلما ملك زنكى حلب آثر ان يبنى لأبيه مكاناً ينقله اليه وكانت المدرسة بالزجاجين لم تتم وكان شرف الدين ابو طالب بن العجمي هو الذي يتولى عمارة هذه المدرسة فأشار على زنكى

ان ينقل اباه اليها فنقله وتمم عمارة المدرسة ووقف على من يقرأ على قبره القرية المعروفة بشامر وهي جارية الى الآن [١]

واخبرنى ابو حامد عبد الله بن عبد الرحمن بن العجمي قال اراد اتابك زنكى ان ينقل اباه الى موضع يجدده عليه ويليق به فقال اه انى انا قد عمرت هذه المدرسة بالزجاجين وسأله ان ينقل اباه اليها ففعل واتخذ الجانب الشمالي تربة لأبيه ولمن يموت من ولده وغيرهم . وحكى لي والدي رحمه الله ان اتابك زنكى لما نقل اباه من قرنبيا وادخله الى المدرسة بالزجاجين لم يدخل به من باب من ابواب مدينة حلب وانهم رفعوه من بعض الأسوار ودلوه الى المدينة لأنهم يتطيرون بدخول الميت الى البلدة

قرأت بخط ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد العظيمي وانبأنا به عبد المؤيد بن محمد الطوسي وغيره قال سنة ثمانين واربعمائة دواة قسيم الدولة وزيره ابو المعز بن صدقة (هكذا) فيها استقرت الرتبة بحلب للأمير قسيم الدولة آقسنقر من قبل السلطان العادل ابي الفتح وتوطدت له الأمور بها واقام الهيبة العظيمة التي لايقدر عليها احد من السلاطين واظهر فيها من العدل والأنصاف مع تلك الهيبة مايطول شرحه ورخصت الأسعار فى ايامه الرخص الزائد عن الحد وقرب الحلبيين واحبهم الحب المفرط واحبوه اضعاف ذلك واقام الحدود واحيا احكام الأسلام وعمر الأطراف وآمن السبل وقتل قطاع الطريق وطلبهم فى كل فج وشنق منهم خلقاً وكلما سمع بقاطع طريق في موضع قصده واخذه

(١) قال ابن خلكان فى ترجمته ورأيت عند قبره خلقاً كثيرا يجتمعون كل يوم جمعة لقرآءة القرآن الكريم وقالوا ان لهم على ذلك وقفاً عظيماً وابن خلكان تلقى علومه في حلب دخلها سنة ٦٢٦ وخرج منها سنة ٦٣٥ كما ذكره في ترجمة ابن يعيش وابن شداد

وصلبه على ابواب المدينة وكثرت في ايامه الأمطار وتفجرت العيون والأنهار وعامل اهل حلب من الجميل مااحوجهم ان يتوارثوا الرحمة عليه الى آخر الدهر اه

ذكر قتل تتش بن آلب ارسلان سنة ٤٨٨

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن آلب ارسلان في وقعة جرت بينه وبين ابن اخيه بركياروق في موضع قريب من الرى انهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض اصحاب آقسنقر صاحب حلب اخذاً بثأر صاحبه اه ابن الأثير بأختصار

ترجمة تاج الدولة تتش

قال ابن خلكان هو تاج الدولة ابو سعيد تتش بن آلب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي . كان صاحب البلاد الشرقية فلما حاصر امير الجيوش بدر الجمالى مدينة دمشق من جهة صاحب مصر وكان صاحب دمشق يومئذ آتسز بن اوق الخوارزمي التركى سير آتسز المذكور الى تتش فاستنجده وسار اليه بنفسه فلما وصل الى دمشق خرج اليه آتسز فقبض عليه تتش واستولى على مملكته وذلك في سنة احدى وسبعين واربعمائة وكان قد ملك دمشق في ذى القعده سنة ثمان وستين واربعمائة ثم ملك حلب في سنة ثمان وسبعين واربعمائة (تقدم انه تملكها سنة ٤٧٩) واستولى على البلاد الشامية ثم جرى بينه وبين ابن اخيه بركياروق منافرات ومشاجرات ادت الى المحاربة فتوجه اليه وتصافا بالقرب من مدينة الرى في يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين واربعمائة فانكسر تتش المذكور وقتل في المعركة ذلك النهار ومولده سنة ثمان وخمسين واربعمائة وخلف ولدين احدهما فخر الملوك رضوان

والآخر شمس الملوك ابو نصر دقاق فاستقل رضوان بمملكة حلب ودقاق بمملكة دمشق اه وسيأتي انه خلف ولدين صغيرين آخرين

ولاية رضوان بن تتش السلجوقي سنة ٤٨٨

قال ابن الأثير كان تاج الدولة تتش قد اوصى اصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم ايلغازى بن ارتق وكان قد سار الى الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الأمير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن على الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين ابن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان اخواه الصغيران ابو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع ابي القاسم كالأضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا اكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على ابي القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الأمير باغيسيان بن محمد بن آلب التركمانى صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم امراء الأطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الأمير سقمان بن ارتق جد اصحاب الحصن اليوم واخذها

ومنعهم عنها وامر اهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ماكانوا لايظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم اهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة اميرها فاتهم ابن المفتى وكان هذا ابن المفتى قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فأخذه واخذ معه بني اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وبغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي وسار رضوان الى حلب

سنة ٤٨٩

ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحلبي

قال ابن الاثير في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن ابق الذي ذكرنا انه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الأحداث بها وله اتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن آبق يكاتب باغيسيان (صاحب انطاكية) وهو على عزم الفساد واستأذنه في قتله فأذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الأجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التي بها يوسف

فكبسها من الباب والسطح واخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان امرني بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تنير عليه رضوان واراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب فى اصحابه فلو هم بالمحاربة لفعل ثم امر اصحابه ان ينهبوا ماله واثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة ايام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو واولاده وكان من اهل السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة اهـ

قال في الزبد والضرب وفى سنة احدى وتسعين واربعمائة قتل الملك رضوان رئيس حلب بركات بن فارس الفوعي المعروف بالمجنّ وكان هذا المجن اولاً من جملة اللصوص الشطار وقطاع الطريق الذعار فاستتابه قسيم الدولة وولاه رئاسة حلب لشهامته وكفائته ومعرفته بالمفسدين وكان فى حال اللصوصية يصلي العشاء الآخرة بالفوعة ويسري الى حلب ويسرق منها شيئا ويخرج فيصلي الفجر بالفوعة فاذا اتهم بالسرقة احضر من يشهد له انه صلى العشاء بالفوعة والصبح فيتركونه واستمر على رياسة حلب وحكم على القضاة والوزراء ومن دونهم وكان كثير السعاية فى قتل النفوس وسفك الدماء واخذ الأموال وارتكاب الظلم فعصى على الملك رضوان ثم ضعف واختفى ثم سلط عليه الملك رضوان فسجنه وعذبه عذابا شديداً بانواع شتى واراد بذلك ان يستصفى ماله ومما عذبه به ان احمى الطشت حتى صار كالنار ووضعه على رأسه ونفخ فى دبره بكير الحداد ونقبت كعابه وضرب فيها الرزز والحلق ولما وضع النجار المنقب على كعبه قطع اللحم والجلد ولم يدر المنقب فلطمه المجن وقال ويلك لاتعرف احضر خشبةً وضعها على الكعب فلما فرغ قيل له كيف تجد طعم الحديد فقال قولوا

للحديد كيف يجد طعمي ولم يقر المجن مع هذا بدرهم واحد ثم قتل ولما قدم للقتل صاح بصوت عال يامعشر اهل حلب من كان لي عنده مال فهو في حل منه اه

قال ابن الأثير وفي هذه السنة توفي القاضي ابو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي على امورها وكان رجل زمانه همة وعلماً .

(سنة ٤٩٠)

(ذكر الحرب بين رضوان ملك حلب واخيه دُقاق صاحب دمشق)

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها اخوه دقاق عازماً على اخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم بعجزه عنها فرحل الى نابلس وصار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغيسيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغيسيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة اخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولاً الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فأنجده وأتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو اخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين اه ابن الأثير

قال الكمال ابن العديم (١) ولما سار رضوان وبغيسيان وصلا الى شيزر متوجهين الى حمص لقصد حمص فتواصلت الأخبار بوصول خلق من الفرنج

(١) ما ننقله عن الكمال ابن العديم من هذه السنة الى سنة ٥٤١ مأخوذ عن المنتخبات من بغية الطالب للكمال المذكور المطبوعة في باريس • انظر المقدمة صحيفة ١٢

قاصدين انطاكية فقال باغيسيان عودنا الى انطاكية ولقاء الفرنج اولى وقال سكمان سيرنا الى دياربكر واخذها من المتغلبين ونتقوى بها وانزل اهلي بها ونعود الى حمص اولى واختلفوا فسار الملك رضوان نحو حلب حفلاً وكان معه وزيره ابو النجم بن بديع وزير ابيه تتش ابي القسم وكان قد ولاه وزارته حين ملك حلب فاتهماه انه هو الذي يفسد الحال مع رضوان فطلع الى حصن شيزر واقام بها عند ابن منقذ خشيةً من باغيسيان وسكمان فلما سارا عن شيزر سار الى حلب ولحق بالملك رضوان ولما عاد رضوان مغاضباً لبغيسيان وسكمان عاد الأمراء من شيزر الى انطاكية وبلغهم نزول الفرنج البلانة ونهبها ولما دخل بغيسيان انطاكية اخرج ولديه شمس الدولة ومحمداً فسار احدهما الى دقاق وطغتكين يستنجدوهما وبث كتبه الى جناح الدولة ووثاب بن محمود وبني كلاب وسار محمد ابنه الى التركمان وكربغا وامراء الشرق وملوكه وسارت كتبه الى جميع امراء المسلمين

وفي ثامن شهر رمضان وصل من قبرس الى مينا اللاذقية اثنان وعشرون قطعة في البحر فهجموه واخذوا منه جميع ما كان للتجار ونهبوا اللاذقية وعادوا ووصلت الفرنج الى الشام واعتبروا عسكرهم فكانوا ثلاثمائة الف وعشرين الف انسان لأنهم وصلوا من جهة الشمال وفى اليوم الثانى من شوال نزلت عساكر الفرنج على بغراس واغاروا على اعمال انطاكية فعند ذلك عصى من كان فى الحصون والمعاقل المجاورة لأنطاكية وقتلوا من كان بها وهرب من هرب منها وفعل اهل ارتاح مثل ذلك واستدعوا المدد من الفرنج وهذا كله لقبح سيرة باغيسيان وظلمه فى بلاده ونزل الفرنج على انطاكية لليلتين بقيتا من شوال من سنة تسعين واربعمائة اه

اقول انظاهر ان سيرهما الى شيزر كان بعد القتال الذي حصل فى قنسرين كما تقدم آنفاً

(ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان)

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الأمير جناح الدولة وهو زوج امه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم اسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الأعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة اربع جمع ثم حضر عنده سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فأنكرا ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وارسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

[سنة ٤٩٢]

﴿ ذكر ملك الأفرنج مدينة انطاكية ﴾

قال ابن الأثير لما كان سنة تسعين واربعمائة خرج الفرنج الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية فأرسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار اصحابه واستشارهم في ذلك وقالوا وحق الأنجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق ديني

هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الي احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي ايضا فأن فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني مايصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بي ونقضت عهدي وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبيني وبين اهلها ايمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام ،

وقيل ان اصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية اخرى تمنعهم من دخول الأقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين

فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين ويسيروا في البر فيكون اسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا امكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي انكم تسلمون الي انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظناً منهم ان الاتراك لايبقون منهم احداً لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فأجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده الى بلاد ابن الارمني فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع

صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فأخرج المسلمين من اهلها ليس معهم غيرهم وامرهم بحفر الخندق ثم اخرج من الغد النصارى لعمل الخندق ايضاً ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما ارادوا الدخول منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبوها لي حتى انظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا اخلفكم فيها فأمسكوا واقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة اشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه مالم يشاهد من غيره فهلك اكثر الفرنج موتاً ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان اهل نصارى انطاكية الذين اخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا احد المستحفظين للأبراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعاً وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هارباً في ثلاثين غلاماً على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسأل عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هارباً وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الاولى واما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه اين انا فقيل على اربعة فراسخ من انطاكية فندم

كيف خلص سالماً ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد او يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك اهله واولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشياً عليه فلما سقط الى الأرض اراد اصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله واخذ رأسه وحمله الى الافرنج بأنطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لانطلب سواها مكراً منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية .

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابن العديم في بغية الطلب وفي المحرم من سنة احدى وتسعين واربعمائة خرج نحو ثلاثين الفاً من الفرنج الى اعمال المسلمين ببلد حلب فأفسدوا ونهبوا وقتلوا من وجدوا وكان قد وصل الملك دقاق واتابك ومعهما جناح الدولة ونزلوا ارض شيزر ومعهم ابن باغسيان وهم سائرون لأنجاد ابيه وبلغهم هذه السرية فساروا اليها بقطعة من العساكر فلقيهم في ارض البارة فقتلوا منهم جماعة وعاد الفرنج الى الروج وعرّجوا منه الى معرة مصرين فقتلوا من وجدوا وكسروا منبرها وحين عاد العسكر الدمشقي من البارة فارقهم ابن باغيسيان ووصل الى حلب يستنجد بالملك رضوان فأخذ عسكر حلب وسكمان ودخل بهما الى انطاكية فلقيهم من الفرنج دون عدتهم فانهزم عسكر المسلمين الى حارم وذلك في آخر صفر وتبعهم عسكر الفرنج الى حارم فانهزموا الى حلب وغلب اهل حارم من الارمن عليها وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة وصل خلق من الارمن الى تل قباسين بناحية الوادي فقتلوا من فيه وخرج المسلمون الذين بالوادي وجماعة من الاتراك تبعوهم فقتلوا منهم جماعة والتجأ الباقون الى بعض الحصون الخربة فأدركهم عسكر حلب

فقاتلهم يومين واخذهم فقتلوا بعضهم وحمل الباقي اسرى الى حلب فقتلوا وكانوا يزيدون عن الف وخمسمائة ولما نزل الفرنج بأنطاكية جعلوا بينهم وبين البلد خندقاً لأجل غارات عسكر انطاكية عليهم وكثرة الظفر بهم ولا يكاد يخرج عسكر انطاكية ويعود الا ظافراً وجعل باغيسيان يستصرخ الناس على البعد والقرب وكان حسن التدبير في سياسة العسكر وجمع كربغا صاحب الموصل عسكراً عظيماً وقطع به الفرات ووصل دقاق وطغتكين وجناح الدولة ووصل سكمان بن ارتق وفارق رضوان وصار مع دقاق ووصل وثاب بن محمود ومعه جماعة من العرب ووصلوا تل منس وقاتلوها لانه بلغهم انهم كاتبوا الفرنج واطمعوهم في الشام وقرر عليهم دقاق مالا اخذ بعضه ورهائن على الباقي وسيرهم الى دمشق وسار دقاق والعساكر الى مرج دابق واجتمع بكربغا فيه في آخر جمادى الآخرة ورحلوا منه نحو انطاكية .

فلما كان ليلة الخميس اول ليلة من رجب واطأ رجل يعرف بالزرّاد من اهل انطاكية وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظه وذلك ان باغيسيان قد كان صادر هذا الزرّاد واخذ ماله وغلته فحمله الحنق على ان كاتب ميمند (بيمند) وقال انا في البرج الفلاني وانا اسلم اليك انطاكية ان أمنتني واعطيتني كذا وكذا فبذل له ما طلب وكتم امره عن باقي الفرنج تسعة قوامص مقدمين عليهم كندافرى واخوه القمص وميمند وابن اخته طنكريد وصنجيل وبغدوين وغيرهم فجمعهم ميمند وقال لهم هذه انطاكية ان فتحناها لمن تكون فاختلفوا وكل طلبها لنفسه فقال الصواب ان يحاصرها كل رجل منا جمعة فمن فتحت في جمعته فهى له فرضوا بذلك فلما كانت نوبته دلى لهم الزرّاد لعنه الله حبلاً فطلعوا من السور وتكاثروا ورفع بعضهم بعضاً وجاؤا الى الحراس فقتلوهم وتسلمه ميمند بن الاسكرت وطلع

الفرنج في سحرة هذه الليلة الى البلد وصاح الصايح من ناحية الجبل فتوهم باغيسيان ان القلعة قد اخذت وخرج من البلد جماعة منهزمين فلم يسلم منهم احد ولما حصل بالقرب من ارمناز ومعه خادم من غلمانه وقع عن ظهر فرسه فحمله الخادم الذى كان معه واركبه فلم يثبت على ظهر الفرس وعاد فسقط وادركه الارمن فهرب الخادم عنه وقتله الارمن وحملوا رأسه الى الفرنج واستشهد فى ذلك اليوم بانطاكية ما يفوت الاحصاء ويجاوز العدد ونهبت الاموال والآلات والسلاح وسبي من كان بانطاكية ووصل هذا الخبر الى عم وانب فهرب من كان بهما من المسلمين وتسلمها الارمن

ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم

قال ابن الاثير لما سمع قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن ارتق وغيرهم من الأمراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الأقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية واساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الأمراء وتكبر عليهم ظناً منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا بانفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة واقام الفرنج بانطاكيه بعد ان ملكوها اثني عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك ارسلوا الى

كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ماطلبوا وقال لاتخرجون الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فأن وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفى اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الأماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج فأن امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولاً من الأستهانة لهم والأعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لأنهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

سنة ٤٩٢

ذكر ملك الفرنج معرة النعمان

قال ابن الأثير لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا سار الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم اهلها قتالاً شديداً ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد فى حربهم والأجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فزلوا من السور واخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة اخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التى تليها فى النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلالم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة ايام (١) فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوه واقاموا اربعين يوماً وساروا الى عرقة فحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها.

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابن العديم في سنة احدى وتسعين واربعمائة عصى عمر والي اعزاز على

(١) قال ابن الوردى في تتمة المختصر وفى ذلك يقول بعض المعريين وما احسن ماجادت تورية الأثنين والخميس والأحد

معرة الأذكياء قد حردت ... عنا وحق المليحة الحرد
في يوم الأثنين كان موعدهم ... فما نجا من خميسهم احد

الملك رضوان فخرج عسكر حلب وحصره فاستنجد بالفرنج فوصل صنجيل بعسكر كبير فعاد عسكر حلب فنهب صنجيل ماقدر عليه وعاد الى انطاكية واخذ ابن عمر رهينة فمات عنده فوقع الملك رضوان على عمر الى ان اخذه الله من تل هراق فسلم اليه اعزاز واقام عنده بحلب مدة ثم قتله

وخرج صنجيل في ذي الحجة وحصر البارة فقل الماء فأخذها بالامان وغدر بأهلها وعاقب الرجال والنساء واستصفى اموالهم وسبى بعضاً وقتل بعضاً ثم خرج بقية الفرنج من انطاكية والأرمن الذين فى طاعتهم والنصارى وانضموا اليه ووصلوا الى معرة النعمان لليلتين بقيتا من ذى الحجة في مائة الف وحصروا معرة النعمان في سنة اثنتين وتسعين وقطعوا الاشجار واستغاث اهلها بالملك رضوان وجناح الدولة فلم ينجدهم احد وعمل الفرنج برجاً من خشب يحكم على السور وزحفوا الى البلد وقاتلوه من جميع نواحيه حتى لصق البرج بالسور فكشفوه واسندوا السلالم الى السور وثبت الناس فى الحرب من الفجر الى صلاة المغرب وقتل على السور وتحته خلق كثير ودخلوا البلد بعد المغرب ليلة الاحد الرابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ودخل عسكر الفرنج جميعه الى البلد وانهزم بعض الناس الى دور حصينة وطلبوا الأمان من الفرنج فأمنوهم وقطعوا على كل دار قطيعة واقتسموا الدور وهجموها وناموا فيها وجعلوا يهدّون الناس حتى اصبح الصبح فاخترطوا سيوفهم ومالوا على الناس وقتلوا منهم خلقاً وسبوا النساء والصبيان وقتل فيها اكثر من عشرين الف رجل وامرأة وصبي [وهذا اصح مما ذكره ابن الأثير من انهم قتلوا مائة الف] ولم يسلم الا القليل ممن كان فى شيزر وغيرها من بنى سليم وبني ابي حصين وغيرهم وقتلوا تحت العقوبة جمعاً كثيراً فاستخرجوا ذخائر الناس ومنعوا الناس من الماء

وباعوه منهم فهلك اكثر الناس من العطش وملكوها ثلاثة وثلاثين يوماً بعد الهجمة ولم يبقوا ذخيرة بها الا استخرجوها وهدموا سور البلد واحرقوا مساجده ودوره وكسروا المنابر وعاد ميمند الى انطاكية وقمص الرها اليها .
وفي هذه السنة اي سنة ٤٩٢ فتحوا بيت المقدس وفعلوا فيها كما فعلوا بالمعرة اه

سنة ٤٩٣

قال ابن العديم في هذه السنة وصل مبارك بن شبل امير بني كلاب في جمع كثير من العرب لخالف الملك رضوان ورعوا زرع المعرة وكفر طاب وحماة وشيزر والجسر وغير ذلك وخلت البلاد ووقع الغلاء في بلد حلب ولم يزرع شئ في بلدها وسلط الله الوباء على العرب فمات شبل ومبارك ولده واضمحلت دولة العرب وتوجه الملك رضوان في سلخ رجب من هذه السنة الى الاثارب واقام عليها اياماً وتوجه الى كلا في الخامس والعشرين من شعبان لأخراج الفرنج منها واجتمع من كان في الجزر وزردنا وسرمين من الفرنج والتقوا فانهزم رضوان واستبيح عسكره وقتل خلق كثير واسر قريب من خمسمائة نفس وفيهم بعض الامراء وعاد الفرنج الى الجزر واخذوا برج كفر حلب وبرج الحاضر وصار لهم من كفرطاب الى الحاضر ومن حلب غرباً سوى تل منس فان اصحاب جناح الدولة كانوا بها وسار رضوان عقيب هذه النكبة الى حمص مستنجداً بجناح الدولة فأجابه وعاد الى حلب ومعه جناح الدولة وقد عاد الفرنج الى انطاكية فاقام جناح الدولة بظاهر حلب اياماً فلم يلتفت اليه رضوان فعاد عنه الى حمص وتجمع الفرنج بالجزر وسرمين واعمال حلب وجمعوا العدد والنلال لحصار حلب وعولوا على حصارها في سنة خمس وتسعين وقيل قبلها ووصل ميمند وطنكريد الى قريب حلب فنزلوا بالمشرفة من الجانب

القبلي على نهر قويق لما بلغهم من ضعف رضوان وتمزيق عسكره وعزموا ان يبنوا مشهد قرنبيا حصونا وان يقيموا على حلب ويستغلوا بلدها فاقاموا في تدبير ذلك يوما او يومين فبلغهم خروج انوشتكين الدانشمند وانه قد نازل بعض معاقل الفرنج وهي ملطية فعادوا للدفع عنها فخرج الدانشمند فلقي ميمند وجمعاً من الفرنج بأرض مرعش فاسره وقتل عسكره ولم يفلت منهم احد فخيب الله ظن الفرنج وهربوا من اعمال حلب وتركوا ما كانوا اعدوه

فخرج رضوان واخذ الغلال التي جمعوها ونزل سرمين وسار جناح الدولة الى اسفونا وبه جماعة من الفرنج فهجمه وقتل جميع من فيه وسار الى سرمين فكبس عسكر الملك رضوان ونهبه وانهزم رضوان واكثر عسكره واسر الوزير ابا الفضل بن الموصول وجماعة وحملهم الى حمص وطلب الحكيم المنجم الباطني فلم يظفر به وكان هذا الحكيم قد افسد ما بينه وبين رضوان واستمال رضوان الى الباطنية جداً وظهر مذهبهم في حلب وشايعهم رضوان وحفظ جانبهم وصار لهم بحلب الجاه العظيم والقدرة الزائدة وصارت لهم دار الدعوة بحلب في ايامه وكاتبه الملوك في امرهم فلم يلتفت ولم يرجع عنهم فوصل هذا الحكيم سالماً في جملة من سلم في هذه الوقعة واستنزل جناح الدولة سرمين ومعرة النعمان وكفرطاب وحماة وفدى الوزير ابن الموصول نفسه من جناح الدولة بأربعة الآف دينار وفدى اصحاب الملك نفوسهم ايضاً بمال حملوه اليه ولم يبق في ايدي المسلمين في سنة ست وتسعين الا حصن بسرفوث من عمل بني عليم

(سنة ٤٩٤)

﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة سروج ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من اهلها لأن اكثرهم ارمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعاً كثيراً من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه في ربيع الأول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الأفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيراً من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما . اه

(سنة ٤٩٥)

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٣ ان كمشتكين ابن الدانشمند طايلو صاحب ملطية وسيواس لتي بيمند الفرنجي (صاحب انطاكية) وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية فأنهزم بيمند واسر.

وقال في حوادث هذه السنة سنة ٤٩٥ ان ابن الدانشمند اطلق بيمند صاحب انطاكية واخذ منه مائة الف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وكانت في اسره ولما خلص بيمند من اسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس اهلها به ولم يستقر حتى ارسل الى اهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالأتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها ابن الدانشمند .

(سنة ٤٩٦)

قال ابن العديم في هذه السنة تسلم دُقاق الرحبة وكان المقيم بها زوج آمنة بنت قيماز وكان قيماز من اصحاب كربغا ثات وكانت الرحبة له وكان جناح الدولة قد خرج اليها فوجد الامر قد فات فعاد ونزل النقرة وخرج اليه رضوان الى النقرة واصطلحا واخذه معه الى ظاهر حلب وضرب له خياماً واقام في ضيافته

عشرة ايام ولم يصف قلب احد منهما لصاحبه وسار جناح الدولة الى حمص فسير الحكيم المنجم الباطنى ثلاثة اعجام من الباطنية فاغتالوه وقد نزل يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رجب لصلاة الجمعة فقتلوه وقتلوا بعض اصحابه وقتلوا وقيل ان ذلك كان بامر رضوان ورضاه وبقي المنجم الباطني بعده اربعة وعشرين يوماً ومات واقام بعده بامر الدعوة الباطنية بحلب رفيقه ابو طاهر الصايغ العجمي ووصل صنجيل الفرنجي ونزل على حمص بعد قتل جناح الدولة بثلاثة ايام فسيرت زوجته خاتون ام الملك رضوان تستدعيه لتسلم اليه حمص ويدفع الفرنج فكره المقدمون ذلك وخافوا منه لسوء رأيه فيهم وسيروا الى نواب دقاق الى دمشق وكان دقاق بالرحبة فسار ايستكين الحلبي من دمشق ودخلها وطلع القلعة ووصل رضوان الى القبة فبلغه الخبر وعاد ورحل صنجيل عنها بعد ان قرر عليهم مالاً ووصل دقاق فتسلم حمص واحسن الى اهلها ونقل اهل جناح الدولة واولاده الى دمشق وسلم حمص الى طغتكين وسار الى عزاز واغار على الجومة وهي من عمل انطاكية فخرج عسكر انطاكية وعسكر الرها فنزلوا المسلمية وقتلوا بعض اهلها وقطعوا على عدة مواضع قطايع اخذوها واقاموا ببلد حلب اياماً وراسلوا الملك رضوان واستقر الحال على سبعة آلاف دينار وعشرة رؤس من الخيل ويطلقون الأسرى ماخلا من اسروه على المسلمية من الامراء وذلك فى سنة ست وتسعين ثم خرج الفرنج من تل باشر واغاروا على بلد حلب الشمالي والشرقى واحرقوه وتكرر ذلك منهم ونزلوا على حصن بسرفوث وفتحوه بالامان ووصلوا الى بفرلاثا فكبسهم بنو عليم فانهزموا الى بسرفوث ووقع بين الفرنج وبين سكمان وجكرمش وقعة عظيمة استظهر فيها المسلمون وهلك الفرنج واسر القمص وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وكان الملك رضوان قد

سار الى الفرات ينتظر مايكون من خبر الفرنج فلما وصله الخبر انفذ الى الجزر وغيره من اعمال حلب التي فى ايدي الفرنج فامرهم بالقبض على من عندهم من الفرنج فوثب اهل الفوعة وسرمين ومعرة مصرين وغيرها ففعلوا ذلك وطلب بعض الفرنج الامان من رضوان فأمنهم من القتل وحملهم اسرى ولم يبق بايدي الفرنج غير الجبل وهاب وحصون معرة وكفرطاب وصوران فوصل شمس الخواص وفتح صوران فهرب من كان بلطمين وكفرطاب وبلد المعرة والبارة الي انطاكية وسلموها الى رضوان واصحابه ما خلا هاب واسترجع رضوان بالس والفايا ممن كان بهما من اصحاب جناح الدولة وجرى بحماة خلف وخافوا من شمس الخواص فكاتبوا رضوان وسلموها اليه وسلمية فامنت اعمال حلب وتراجع اهلها اليها وقوى جأش رضوان واتصلت غارات اهل حلب الى بلد انطاكية وعرف ميمند ضعفه عن حفظ البلد وانه لم يفلت من وقعة سكمان الا في نفر قليل وخاف من المسلمين فسار الى بلاده في البحر يستنجد بمن يخرج بهم الى البلاد واستخلف ابن اخته (ابن اخيه) طنكريد يدبر امر انطاكيه والرها

سنة ٤٩٦

ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر

قال ابن الأثير فى هذه السنة فى صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين وابعدوا يوماً واحداً تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم واغاروا واستاقوا المواشي واسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة و الرقة لسالم بن مالك بن بدران ابن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج

قال ابن الأثير لما استطال الفرنج بما ملكوه من بلاد الأسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الاهوآء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجة فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج في العام الماضي فعصى الأصبهانى على قراجة واعانه اهل البلد لظلم قراجة وكان الأصبهانى جلداً شهماً فلم يترك بحران من اصحاب قراجة سوى غلام تركي يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وانس به فجلس معه يوماً للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن اخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وانا اذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى

ارسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الأجتماع معه لتلافي امر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ماطلب منه وسار فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة الآف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة الآف فارس من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الأنهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت ايدي التركمان من الغنائم ووصلوا الى الأموال العظيمة لأن سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكريد

صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من اصحابهما كثيراً واسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركماني من اصحاب سقمان فاخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لأتباع بيمند فرأى اصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له اخذ القمص فأنفذ اخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال فردهم وقال لهم لايقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء ورحل لوقته واخذ سلاح الفرنج وراياتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتي حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون واما جكرمش فأنه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوماً وعاد الى الموصل ومعه القمص الذي اخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً ومائة وستين اسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر الف قتيل

﴿ وفاة الملك دقاق واستنابة ولده تتش ﴾

قال ابن العديم فى هذه السنة في رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق واوصى بالملك لولده صغيراسمه تتش وجعل التدبير الى

اتابك طغتكين فتوجه الملك رضوان نحو دمشق وحاصرها وقرر له الخطبة والسكة فلم تستتب اموره وعاد الى حلب اه

سنة ٤٩٨

خروج طنكريد من انطاكية لاستعادة ارتاح

وقصده حلب

قال ابن العديم في شهر رجب من هذه السنة خرج الملك رضوان وجمع خلقاً كثيراً وعزم على قصد طرابلس معونة لفخر الملك بن عمار على الفرنج النازلين عليه وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلموه الى الملك رضوان لجور الفرنج فخرج طنكريد من انطاكية لاستعادة ارتاح وخرج جميع من في اعماله من الفرنج معه ونزل عليها فتوجه نحوه رضوان في عساكره وجموعه وجمع من امكنه من عمل حلب والاحداث فلما تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين وانهزم الخيل ووقع القتل في الرجالة فلم يسلم منهم الا من كتب الله سلامته ووصل الفل الى حلب وقتل من المسلمين مقدار ثلاثة آلاف مابين فارس وراجل وهرب من بأرتاح من المسلمين وقصد الفرنج بلد حلب فأجفل اهله ونهب من نهب وسبي من سبي وذلك في الثالث من شعبان واضطربت احوال بلد حلب من ليلون الى شيزر وتبدل الخوف بعد الأمن والسكون وهرب اهل الجزر وليلون الى حلب فادركهم خيل الفرنج فسبوا اكثرهم وقتلوا جماعة وكانت هذه النكبة على اعمال حلب اعظم من النكبة الاولى على كلا . ونزل طنكريد على تل اغدى من عمل ليلون واخذه واخذ بقية الحصون التى فى عمل حلب ولم يبق في يد الملك رضوان من الاعمال القبلية الا حماة ومن الغربية

الا الاثارب والشرقية والشمالية في يده وهي غير آمنة

وسير ابو طاهر الصايغ الباطني جماعة من الباطنية من اهل سرمين الى خلف بن ملاعب بتدبير رجل يعرف بأبي الفتح السرميني من دعاة الاسماعلية فقتلوه ووافقهم جماعة من اهل افامية ونقبوا سور الحصن ودخلوا منه وطلع بعضهم الى القلعة فاحس بهم فخرج فطعنه احدهم بخشب فرمى بنفسه فطعن اخرى فمات ونادوا بشعار الملك رضوان ووصل ابو طاهر الصايغ الى الحصن عقيب ذلك واقام به وسار طنكريد الى افامية فقطع عليها مالا اخذه وعاد فوصله مصبح بن خلف بن ملاعب وبعض اصحابه فاطمعوه في افامية فعاد ونزلها وحاصرها فتسلمها في الثالث عشر من محرم من سنة خمسمائة بالامان وقتل ابا الفتح السرميني بالعقوبة ولم يف لأبي طاهر الصايغ بالأمان وحمله معه اخيراً فاشترى نفسه بمال ودخل حلب .

وقال ابن الأثير في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكريد الفرنجي صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكريد حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فأرسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكريد كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فأن كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على

المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثيراً واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فأخذ اسيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج وهرب اصبهبذ صباوو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن اصحابه

سنة ٤٩٩

ذكر ملك الفرنج حصن افامية

فى هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابى كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فأخذها منه تتش بن الب ارسلان وابعده عنها فتقلبت به الأحوال الى ان دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فأقام بها واتفق ان المتولي لأفامية من جهة الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني ارغب فى قتال الفرنج واوثر الجهاد فسلموه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذى عندهم فأعاد الجواب انى لا انزل من مكاني وابعثوا الىّ ببعض اعضاء ولدى حتى آكله فأيسوا من رجوعه الى الطاعة واقام بأفامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت امواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهى من اعمال حلب واهله غلاة في التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق اهله فتوجه القاضى الذى به الى ابن ملاعب واقام عنده فأكرمه واحبه ووثق به فأعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى ابى طاهر المعروف

بأبن الصائغ وهو من اعيان اصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بأبن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شيء من هذا فأتى الى ابن ملاعب اولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا والرأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فأن الأمر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فاتاه في كمه مصحف لأنه رأى امارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له ايها الأمير قد علم كل احد انى اتيتك خائفا جائعا فامنتنى واغنيتنى وعززتنى فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وماغمرنى من نعمتك سعى بى اليك فاسألك ان تأخذ جميع مامعى واخرج كما جئت وحلف له على الولاء والنصح فقبل عذره وامنه . وعاود القاضي مكاتبة ابى طاهر بن الصائغ واشار عليه ان يوافق رضوانا على ثلاثمائة رجل من اهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحاً من اسلحتهم ورؤساً من رؤس الفرنج ويأتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان واصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا اذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وامرهم بالمقام عنده وانزلهم فى ربض افامية فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال واصعدوا اولئك القادمين جميعهم وقصدوا اولاد ابن ملاعب وبنى عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضي وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فأحس بهم فقال من انت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر

افامية سار اليها وهو لايشك انها له فقال له القاضي ان وافقتني واقمت معي فبالرحب والسعة ونحن بحكمك والا فأرجع من حيث جئت فأيس ابن الصائغ منه وكان احد اولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على ابيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق واخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فأرسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فاقاموا عليه يحاصرونه فجاء اهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه واخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذى اظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان ابا طاهر ابن الصائغ قتله الافرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله اعلم ·

وفى هذه السنة وصل الملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله اصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح الناس به لأنحل جهاد الفرنج فأقام بحران اياماً ومرض مرضا شديداً اوجب عوده الى ملطية فعاد مريضاً وبقي اصحابه بحران·

سنة ٥٠١

قال ابن العديم فى هذه السنة عصى خطلع بقلعة عزاز واستقر ان يسلمها الى طنكريد ويعوضه عنها موضعاً غيرها فسار رضوان اليها فتسلمها منه

سنة ٥٠٢

ذكر اطلاق القمص ومسيره الى انطاكية

قال ابن الأثير فى هذه السنة فى صفر استولى مودود والعسكر الذى ارسله السلطان محمد على مدينة الموصل واخذوها من اصحاب جاولى سقاوو وقد كان استولي عليها

جاولي سنة خمسماية وساق الخبر في ذلك [ثم قال] واما جاولي فانه لما وصل عسكر السلطان الي الموصل وحصرها سار عنها واخذ معه القمص صاحب الرها الذي كان قد اسره سقمان واخذه منه جكرمش وقد تقدم ذلك وسار الى نصيبين واجتمع بايلغازي ٠

ثم ان ايلغازي هرب من جاولي وسار جاولي الى الرحبة ولما وصل الى ماكسين اطلق القمص الفرنجي الذي كان اسيرا بالموصل واخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقي في الحبس الى الآن وبذل الأموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن اطلقه جاولي وخلع عليه وكان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين في سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان اسر مع القمص في تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين الف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر اقام رهينة عوض القمص واطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه واخذ عوضه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به وليحثه على اطلاق الأسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الي منبج اغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من اصحاب جاولي فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم ٠

ذكر ماجرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية

قال ابن الاثير لما اطلق القمص وسار الى انطاكية اعطاه طنكريد صاحبها ثلاثين الف دينار وخيلاً وسلاحاً وثيابا وغير ذلك وكان طنكريد قد اخذ الرها من اصحاب

القمص حين اسر فخاطبه الآن في ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد اطلقه جاولي سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكريد صاحب انطاكية بعساكره ليحاربها قبل ان يقوى امرهما ويجمعا عسكراً ويلتحق بهما جاولي وينجدها فكانوا يقتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا واكل بعضهم مع بعض وتحادثوا واطلق القمص من الأسرى المسلمين مائة وستين اسيراً كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكريد الى انطاكية من غير فصل حال فى معنى الرها فسار القمص وجوسلين واغاروا على حصون طنكريد صاحب انطاكية والتجأ الى ولاية كواسيل وهو رجل ارمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فأنجد القمص بألف فارس من المرتدين والفي راجل فقصدهم طنكريد فتنازعوا في امر الرها فتوسط بينهم البطرك الذي لهم وهو عندهم كالأمام الذى للمسلمين لايخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكريد قال له لما اراد ركوب البحر والعود الى بلاده ان يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فأعادها عليه طنكريد تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى اصحاب جاولي المال والأسرى فاطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر اصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلماً قد ارتد فسمعه اصحاب جاولي يقول في الأسلام قولاً شنيعاً فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله .

ذكر حال الجاولي بعد اطلاق القمص واستيلائه على بالس

قال ابن الأثير لما اطلق جاولى القمص بماكسين سار الى الرحبة فأتاه ابو النجم بدران وابو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل ابيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما ان يسير معهما الى الحلة وعزمو ان يقدموا عليهم بكتامش بن تتش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قصد السلطان فأقطعه الرحبة فاجتمع بجاولى واشار عليه ان يقصد الشام فأن بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها او قريبا منها لم يأمن شرايصل اليه فقبل قوله واصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بنى نمير وكانت الرقة بيد ولده على بن سالم فوثب جوشن النميرى ومعه جماعة من نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فأخذه واسر عدداً منهم واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولى وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوماً فضمن له بنو نمير مالاً وخيلاً فأرسل الى سالم انني فى امر اهم من هذا وانا بأزاء عدو يجب التشاغل به دون غيره وانا عازم على الانحدار الى العراق فأن تم امرى فالرقة وغيرها لك ولا اشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بنى نمير ووصل الى جاولى الامير حسين ابن اتابك قتلغتكين وكان ابوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك ابن عمار ليصلح الحال مع جاولى ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى الجهاد

فحضر عند جاولى وامر بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد واظهر الطاعة والعبودية فقال جاولى انا مملوك السلطان وفى طاعته وحمل اليه مالاً وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فأنى ارسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى امرها وجباية اموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولى فلما وصلا الى العسكر الذى على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فأمرهم حسين بالرحيل فكلهم اجاب الا الأمير مودود فأنه قال لا ارحل الا بأمر السلطان وقبض على صاحب جاولى واقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرنا وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فأحسن النيابة عن جاولى عنده وسار جاولى الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى اهلها منه وهرب من بها من اصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة ايام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من اعيانه عند النقب واحضر القاضى محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا ونهب البلد واخذ منه مالاً كثيراً

﴿ ذكر الحرب بين جاولى وبين طنكريد الفرنجى صاحب انطاكية ﴾

قال ابن الأثير وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكريد صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكريد صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والأتفاق على منعه فأجابه طنكريد الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان

ستمائة فارس فلما سمع جاولى الخبر ارسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته واطلق له ما بقى عليه من مال المفاداة فسار الى جاولى فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وامواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من اصحابه منهم اتابك زنكى بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقى جاولى في الف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكريد وهو فى الف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من اصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى فى ميمنة الامير اقسيان والامير التونتاش الأبرى وغيرهما وفى الميسرة الأمير بدران ابن صدقة والأصبهبذ صباوو وسنقردراز وفى القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل اصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طنكريد القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولى على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد اصحاب جاولى الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولى وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين اخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه اهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم باقي عسكره فأما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولى فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية اموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

وفيها في فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من اهله في مائة رجل فلكوه واخرجوا من كان فيه واغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فلكوها وكان اصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد احسنوا الى هؤلاء الذين افسدوا كل الأحسان فبادر اهل المدينة الباشورة فاصعدهم النساء في الحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الأمراء بنو منقذ اصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية واخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل من كان على رأيهم في البلد اه

(سنة ٥٠٤)

ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب

قال ابن الأثير فى هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاث فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي ارمني فعرفه الحال فأحتاط الباقين ثم سار الى حصن زردنا لحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الأثارب فلما سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما انيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا نطلب اهلها منهم الأمان فأمنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام

لعدم الحامى له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الأسلامية بالشام فى الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماه على الفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الأمتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا ما مع التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم صاحب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضاً فارسل الخليفة الى السلطان فى المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الأمراء بالمسير وسير ولده الملك مسعودا مع الأمير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الأمراء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة .

وفيها ورد رسول ملك الروم (السلجوقى) الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول اهل حلب يقولون للسلطان اما تتقي الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للأسلام حتى

قد ارسل اليك في جهادهم .

(سنة ٥٠٥)

﴿ سير العساكر الأسلامية من بغداد وغيرها ﴾
(لقتال الأفرنج)

قال ابن الأثير في هذه السنة اجتمعت العساكر التى امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكان الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكى وزنكى ابنا برسق ولهما همدان وما جاورها والأمير احمديل وله مراغة وكوتب الأمير ابو الهيجاء صاحب اربل والأمير ايلغازى صاحب ماردين والأمراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الأمير ايلغازى فأنه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلي الميرة وقد اشرفوا على ان يؤخذوا واخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامي وطرقوا اعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وسبوا خلقاً كثيراً وكان

سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما اخذه الفرنج من اعمال فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عاد وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا واما العسكر السلطاني فأنه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا امرا محكما قد قويت نفوس اهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوماً ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضاً ووصلوا الى حلب فأغلق الملك رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الأمير سكمان القطبي فعاد مريضا فتوفي في بالس فجمله اصحابه في تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازي ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازي وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان ابواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الأمير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة في حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذي هو اكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سكمان القطبي كما ذكرنا واراد الامير احمديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقي مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا

كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى افامية فسمع بهم السلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهوّن عليهما امر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافاً فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى افامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الأول

(زيادة بيان لحوادث سنة ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥)

قال ابن العديم وفى سنة ٥٠٣ كاتب السلطان الامير سكمان القطبى صاحب ارمينية ومودود صاحب الموصل يأمرهما بالمسير الى جهاد الفرنج فجمعا وسارا ووصل اليهما نجم الدين ايلغازي بن ارتوق في خلق كثير من التركمان فنزلوا على الرها واحدقوا بها في شوال من هذه السنة فاتفق الفرنج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء وكان المسلمون فى جمع عظيم فتصافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعد النفار وقصدوا انجاد من بها من الفرنج واحجموا عن العبور الى الجانب الجزري لكثرة من به من عساكر المسلمين فاندفع المسلمون عن الرها الى حران ليعبر الفرنج ويتمكنوا منهم ووصلهم عسكر دمشق فحين عبر الفرنج وبلغهم خبر المسلمين عادوا ناكصين على الاعتاب الى شاطئ الفرات فنهض المسلمون في اثرهم وادركتهم خيول الاسلام وقد عبر الأجلاد منهم فغنم المسلمون جل سوادهم واكثر اثقالهم واستباحوهم قتلاً واسراً وتغريقا فى الماء واقام المسلمون بأذائهم على الفرات. ولما عرف الملك رضوان هزيمة الفرنج عن الرها خرج ليتسلم اعمال حلب التى كانت فى ايدي الفرنج وقاتل ما امتنع عليه منها واغار على بلد انطاكية وغنم منها ما يجل قدره وكان بينه وبينهم مهادنة

نقضها وكاتب الفرنج رضوان يوهنون رأيه فى نقض الهدنة فلما تحقق سلامة طنكريد وعوده رجع الى حلب وعاد الفرنج من الفرات فقصدوا بلد حلب من شرقها فقتلوا من وجدوا وسبوا اهل النقرة واخذوا ما قدروا عليه من المواشي وهرب الناس نحو بالس وعاد طنكريد فنزل على الاثارب وطيب قلوب الفلاحين من المسلمين وامنهم ونصب على الاثارب المجانيق وكبشاً عظيما ينطح به شرفات الاسوار فيقلبها فخرب اسوارها وكان يسمع نطحه من مسيرة نصف فرسخ وبذل رضوان لطنكريد في الموضع عشرين الف دينار على ان يرحل فامتنع وقال قد خسرت ثلاثين الف دينار فأن دفعتموها اليّ واطلقتم كل عبد بحلب منذ ملكت انطاكية فانا ارحل فاستعظم ذلك واتكل على الحوادث وكان الذى بقي فى القلعة مقدار مائة دينار واخذها الخازن على وسطه وهرب الى الفرنج وهرب جماعة آخر من المسلمين اليهم فكتبوا الى الملك رضوان كتاباً على جناح طائر يخبرونه بما تجدد من قوة الحصار وقلة النفقة وقتل الرجال وارسلوا الطائر فسقط فى عسكر الفرنج فرماه احدهم بنشابة فقتله وحمل الكتاب الى طنكريد ففرح وقويت نفسه وبذل رضوان المال المطلوب له على ان يكون اقساطاً ويضع عليه رهائن فلم يفعل ويئس من في الاثارب من نجدة تصل اليهم فسلموها الى طنكريد فى جمادى الآخرة منها وامن اهلها وخرجوا منها ثم صالح رضواناً على عشرين الف دينار وعشرة رؤس من الخيل فقبضها وعاد الى انطاكية ثم عاد وخرج الى الاثارب وقد ادركت الغلة وضعفت حلب بأخذ الاثارب ضعفاً عظيما وطلب من حلب المقاطعة التي قرر على حلب واسرى من الارمن وكان رضوان اخذهم وقت اغارته على بلد انطاكية والفرنج على الفرات فأعادهم اليه وطلب بعض خيل الملك رضوان فاعطاه وطلب حرم الفلاحين

المسلمين من الاثارب وكانوا وقت نزول طنكريد على الاثارب حصلوا بحرمهم في حلب فأخرجهن اليه وضاق الامر باهل حلب ومضى بعضهم الى بغداد واستغاثوا فى ايام الجمع ومنعوا الخطباء من الخطبة مستصرخين بالعساكر الاسلامية على الفرنج فقلت المغلات في بلد حلب فباع الملك رضوان فى يوم واحد ستين خربة من بلد حلب لاهلها بالثمن البخس وطلب بذلك استمالتهم وان يلتزموا بالمقام بها بسبب املاكهم وهى ستون خربة معروفة فى دواوين حلب الى يومنا هذا غير ماباعه فى غير ذلك اليوم من الاملاك ولذلك يقال ان بيع الملك من اصح املاك الحلبيين لأن المصلحة فى بيعها كانت ظاهرة لأحتياج بيت المال الى ثمنها ولعمارة حلب ببقاء اهلها فيها بسبب املاكهم ولما استصرخ الحلبيون العساكر الاسلامية ببغداد وكسروا المنابر جهز السلطان العساكر للذب عنهم فكان اول من وصل مودود صاحب الموصل بعسكره الي شبختان ففتح تل قراد وعدة حصون ووصل احمديل الكردى في عسكر ضخم وسكمان القطبى وعبروا الى الشام فنزلوا تل باشر وحصروها حتى اشرفت على الاخذ وكان طنكريد قد اخذ حصن بكسرائل وتوجه مغيراً على بلد شيزر ونازلها وشرع فى عمارة تل ابن معشر وضرب اللبن وحفر الجباب ليوعى بها الغلة فلما بلغه نزول عساكر السلطان محمد على تل باشر رحل عنها

واما العساكر الاسلامية النازلة على تل باشر فان سكمان مات عليها وقيل بعد الرحيل عنها واشرف المسلمون على اخذها فتطارح جوسلين الفرنجي صاحبها على احمديل الكردى وحمل اليه مالاً وطلب منه رحيل العسكر عنه فأجابه الى ذلك وكتب الملك رضوان الى مودود واحمديل وغيرهما انني قد تلفت واريد الخروج من حلب فبادروا الى الرحيل فحسن لهما احمديل الرحيل عنها

بعد ان اشرفوا على اخذهـا ورحلوا الى حلب فاغلق رضوان ابواب حلب في وجوههم واخذ الى القلعة رهـائن عنده من اهلها لئلا يسلموها ورتب قوماً من الجند والبـاطنية الذين في خدمته لحفظ السور ومنع الحلبيين من الصعود اليه وبقيت ابواب حلب مغلقة سبع عشرة ليلة واقام الناس ثلاث ليال مايجدون شيئاً يقتاتون به فكثرت اللصوص من الضعفاء وخاف الاعيان على انفسهم وساء تدبير الملك رضوان فاطلق العوام السنتهم بالسب له وتعييبه وتحدثوا بذلك فيما بينهم فاشتد خوفه من الرعية ان يسلموا البلد وترك الركوب بينهم وصفر انسان من السور فأمر به فضربت عنقه ونزع رجل ثوبه ورماه الى آخر فأمر به فالقى من السور الى اسفل فعاث العسكر فيما بقي سالماً ببلد حلب بعد نهب الفرنج له وسبيهم اهله وبث رضوان الحرامية تتخطف من ينفرد من العسكر فيأخذونه فرحلوا الى معرة النعمان في آخر صفر من سنة خمس وخمسمائة واقاموا عليها اياماً ووجدوا حولها ما ملأ صدورهم مما يحتاجون اليه من الغلات وما عجزوا عن حمله وكان اتابك طغتكين قد حصل معهم فراسل رضوان بعضهم حتى افسد ما بينه وبينهم فظهر لأتابك منهم الوحشة فصار في جملة مودود صاحب الموصل وثبت له مودود ووفا له وحمل لهم اتابك هدايا وتحفاً من متاع مصر وعرض عليهم المسير الى طرابلس والمعونة لهم بالاموال فلم يعرجوا وسار احمديل وبرسق بن برسق وعسكر سكمان نحو الفرات وبقي مودود مع اتابك فرحلا من المعرة الى العاصي فنزلا على الجلالي .

فنزل الفرنج من افامية مع بغدوين وطنكريد وابن صنجيل وساروا لقصد المسلمين فخرج ابو العساكر بن منقذ من شيزر بعسكره واهله واجتمع بمودود واتابك وساروا اليهم ونزلوا قبلي شيزر والفرنج شمالي تل ابن معشر ودارت

خيول المسلمين حولهم ومنعوهم الماء والاتراك حول الشرائع بالقسي تمنعهم الورد فاصبحوا هاربين سائرين يحمي بعضهم بعضاً

ثم ان رضوانا حين ضعف امره بحلب رأى ان يستميل طغتكين اتابك اليه ويستصلحه فاستدعاه الى حلب عند ما اراد ان ينزل طنكريد على قلعة عزاز وبذل له رضوان مقاطعة حلب عشرين الف دينار وخيلا وغير ذلك فامتنع طنكريد من ذلك فوصل طغتكين اتابك وتعاهدا على مساعدة كل منهما صاحبه بالمال والرجال واستقر الامر على ان اقام طغتكين الدعوة والسكة لرضوان بدمشق فلم يظهر منه بعد ذلك الوفاء بما تعاهدا عليه

ومات طنكريد في سنة ست وخمسمائة واستخلف ابن اخته روجار وأدى اليه رضوان ما كان يأخذه منه طنكريد وهو عشرة آلاف دينار

سنة ٥٠٧

وصول مودود الى الشام واتفاقه مع طغتكين ووفاة

(الملك رضوان وولاية ابنه الب ارسلان وذكر نبذة من معتقدات الباطنية)

قال ابن العديم وفي هذه السنة وصل مودود الى الشام واتفق مع طغتكين على الجهاد وطاب النجدة من الملك رضوان فتأخرت الى ان اتفق المسلمين وقعة استظهروا فيها على الفرنج ووصل عتيبها نجدة للمسلمين من رضوان دون مائة فارس وخالف فيما كان قرره ووعد به فأنكر اتابك ذلك وتقدم بأبطال الدعوة والسكة بأسم رضوان من دمشق فى اول ربيع الاول من سنة سبع وخمسمائة وكان رضوان يحب المال ولا تسمح نفسه بأخراجه حتى كان امراؤه وكتابه ينبزونه بأبي حبة وهو الذي افسد احواله واضعف امره ومرض رضوان

بحلب مرضاً حاداً وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسمائة ودفن بمشهد الملك واضطرب امر حلب لوفاته وتأسف اصحابه لفقده وقيل انه خلف في خزانته من العين والآلات والعروض والاواني مايبلغ مقداره ستمائة الف دينار

وفي المختار من الكواكب المضية كان رضوان سيء السيرة ظالما ليس في قلبه رحمة ولا شفقة على المسلمين وقتل اخويه ابا طالب وبهرام وقال الذهبي كان رضوان يستعين بالباطنية لقلة دينه وعمل لهم دار دعوة

وقال ابن خلكان في ترجمة تتش ابي الملك رضوان واولاد رضوان المقيمون بظاهر حلب هم اولاد رضوان المذكور .

نبذة من معتقدات الباطنية

قال الشهرستانى فى الملل والنحل الباطنية قوم يخالفون اثنين وسبعين فرقة . وقال بعد ذلك فى الكلام على الأسماعيلية هم المثبتون لأمامة اسماعيل بن جعفر واشهر القابهم الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلاً ولهم اى [الاسماعيلية] القاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة

قال المقريزي فى الخطط [١] فى الكلام على عقيدة الأمام الأشعرى رضى الله عنه . والحق الذى لا ريب فيه ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوهر لا سر تحته وهو كله لازم كل احد لا مسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا اطلع اخص الناس به من زوجة او ولد عم على شيء كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه ولو كتم شيئاً لما بلغ كما امر ، ومن قال هذا فهو

---

(١) في الجزء الرابع في صحيفة ١٩١

كافر بأجماع الأمة واصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف والأنحراف عن اعتقاد الصدر الأول .

قال ابن الاثير ولما مات رضوان قام بحلب بعده ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنةً واستولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للأخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامه واسم الآخر مبارك شاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلما توفي قُتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في ايامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفي قال ابن بديع لألب ارسلان في قتلهم والايقاع بهم فأمره بذلك فقبض على مقدمهم ابي طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل ابا طاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد اه

وقال ابن العديم كان الب ارسلان مشهوراً قليل العقل ووضع عن اهل حلب ما كان والده جدده عليهم من الرسوم والمكوس وقبض على اخويه ملكشاه ومبارك وكان مبارك من جارية وملكشاه من امه فقتلها وكذلك فعل ابوه رضوان بأخويه فانظر الى هذه المقابلة العجيبة وقبض جماعة من خواص والده فقتل بعضهم واخذ اموال الآخرين وكان المتولي لتدبير اموره خادم لأبيه يقال له لؤلؤ اليايا وهو الذي انشأ خانكاه البلاط بحلب وكان قبل وصوله الى رضوان خادماً لتاج الرؤساء ابن الحلال فدبر اسوأ تدبير مع سوء تدبيره في نفسه وكان امر الباطنية قد قوي بحلب في ايام ابيه وبايعهم خلق كثير على مذهبهم طلباً

لجاههم وصار كل من اراد ان يحمي نفسه من قتل او ضيم التجأ اليهم وكان حسام الدين بن دملاح وقت وفاة رضوان بحلب فصاروا معه وصار ابراهيم العجمي الداعى من نوابه فى حفظ القلعة بظاهر بالس فكتب السلطان محمد ابن ملكشاه الى الب ارسلان وقال له كان والدك يخالفني فى الباطنية وانت ولدي فأحب ان تقتلهم وسرع الرئيس ابو بديع متقدم الاحداث في الحديث مع الب ارسلان في امرهم وقرر الامر معه على الايقاع بهم والنكاية فيهم فساعده على ذلك فقبض على ابي طاهر الصايغ وقتله وقتل اسماعيل الداعى واخا الحكيم المنجم والاعيان من اهل هذا المذهب بحلب وقبض على زهاء مائتي نفس منهم وحبس بعضهم واستصفى اموالهم وشفع في بعضهم فمنهم من اطلق ومنهم من رمي من اعلى القلعة ومنهم من قتل وافلت جماعة منهم فتفرقوا في البلاد وهرب ابراهيم الداعى من القلعة الى شيزر وخرج حسام الدين بن دملاح عند القبض عليهم فمات في الرقة

وطلب الفرنج من الب ارسلان القاطعة التى لهم بحلب فدفعها اليهم من ماله ولم يكلف احداً من اهل حلب شيئاً منها. ثم ان الب ارسلان رأى ان المملكة تحتاج الى من يدبرها احسن تدبير واشار خدمه واصحابه عليه بأن كاتب اتابك طغتكين امير دمشق ورغب في استعطافه وسأله الوصول اليه ليدبر حلب والعسكر وينظر فى مصالح دولته فأجابه ورأى موافقته لكونه صبياً لا يخانه الكفار ولا رأي له فدعا له على منبر دمشق بعد الدعوة للسلطان وضربت السكة باسمه وذلك في شهر رمضان واوجبت الصورة بأن خرج الب ارسلان بنفسه فى خواصه وقصد اتابك الى دمشق ليجتمع معه ويؤكد الامر بينه وبينه فلقيه اتابك على مرحلتين واكرمه ووصل معه وانزله بقلعة دمشق وبالغ فى اكرامه وخدمته

والوقوف على رأسه وحمل اليه دست ذهب وطيراً مرصعاً وعدة قطع مثمنة وعدة من الخيل واكرم من كان فى صحبته واقام بدمشق اياماً وسار فى اول شوال عائداً الى حلب ومعه اتابك وعسكره فاقام عنده اياماً واستخلص كمشتكين البعلبكى مقدم عسكره وكان قد اشار عليه بعض اصحابه بقبضه فقبض جماعة من اعيان عسكره وقبض الوزير ابا الفضل بن الموصول ففعل ذلك فاستوهب اتابك منه كمشتكين فوهبه اياه وقبض على رئيس حلب صاعد بن بديع وكان وجيهاً عند ابيه رضوان فصادره بعد التضييق عليه حتى ضرب نفسه فى السجن ليقتل نفسه ثم اطلقه بعد ان قرر عليه مالاً واخرجه واهله من حلب فتوجه الى مالك بن سالم الى قلعة جعبر وسلم رياسة حلب الى ابراهيم الفراتى فتمكن ولقب ونوه بأسمه واليه تنسب عرصة ابن الفراتى بالقرب من باب العراق بحلب

ثم رأى اتابك من سوء السيرة وفساد التدبير مع التقصير فى حقه والاعراض عن مشورته ما انكره فعاد من حلب الى دمشق وخرجت معه ام الملك رضوان هرباً منه وساءت سيرة الب ارسلان وانهمك فى المعاصى واغتصاب الحرم والقتل وبلغنا انه خرج يوماً الى عين المباركة متنزهاً واخذ معه اربعين جارية ونصب خيمة ووطئهن كلهن واستولى لؤلؤ اليايا على الامر فصادر جماعة من المتفرقين واعاد الوزارة الى ابي الفضل ابن الموصول وجمع الب ارسلان جماعة من الامراء وادخلهم الى موضع بالقلعة شبيه بالسرداب لينظروه فلما دخلوا اليه قال لهم ايش تقولون في من يضرب رقابكم كلكم هاهنا فقالوا نحن مماليكك وبحكمك واخذوا ذلك منه بطريق المزاح وتضرعوا له حتى اخرجهم وكان فيهم مالك ابن سالم صاحب قلعة جعبر فلما نزل سار عن حلب وتركها خوفاً على نفسه .

سنة ٥٠٨

ذكر قتل الب ارسلان وولاية اخيه سلطان شاه

قال ابن العديم لما حصل من الب ارسلان ما حصل خاف منه لؤلؤ اليايا فقتله بفراشه بالمركز بقلعة حلب فى شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسمائة وساعده على ذلك قراجا التركى وغيره ولزم لؤلؤ اليايا قلعة حلب وشمس الخواص فى العسكر ونصب لؤلؤ اخاً له صغيراً عمره ست سنين واسمه سلطان شاه بن رضوان وتولى لؤلؤ تدبير مملكته وجرى على قاعدته فى سوء التدبير وكاتب لؤلؤ ومقدمو حلب اتابك طغتكين وغيره يستدعونهم الى حلب لدفع الفرنج عنها فلم يجب احد منهم الى ذلك ومن العجائب ان يخطب الملوك لحلب ولا يوجد من يرغب فيها ولا يمكنه ذب الفرنج عنها وكان السبب فى ذلك ان المتقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه

وقلّ الربيع ببلد حلب لاستيلاء الفرنج على اكثر بلدها والخوف على باقيه وقلت الاموال واحتيج اليها لصرفها الى الجند فباع لؤلؤ قرىً كثيرة من بلد حلب وكان المتولي بيعها القاضى ابا غانم محمد بن هبة الله بن ابي جرادة قاضى حلب ولؤلؤ يتولى صرف اثمانها فى مصالح القلعة والجند والبلد وقبض لؤلؤ على الوزير ابى الفضل بن الموصل واستأصل ماله وسار الى قلعة جعبر فاقام عند مالك بن سالم واستوزر ابا الرجا بن السرطان الرحبي مدة ثم صادره وضربه وطلب ابا الفضل بن الموصول فاعاده الى الوزارة بحلب وجاءت زلزلة عظيمة ليلة الاحد ثامن وعشرين من جمادى الآخر من سنة ثمان بحلب وحران وانطاكية ومرعش والثغور الشامية وسقط برج باب انطاكية الشمالي وبعض دور العقبة وقتلت

جماعة وخربت قلعة اعزاز وهرب واليها الى حلب وكان بينه وبين لؤلؤ مواحشة فخين وصل الى حلب قتله وانفذ اليها من تداركها بالعمارة والترميم وخرب شيء يسير في قلعة حلب وخرب اكثر قلعة الاثارب وزردنا . وصار شمس الخواص مقدم عسكر حلب ومتولي اقطاع الجند وكانت سيرته اذ ذاك صالحة وكان لؤلؤ فى اول امره مقيماً بقلعة حلب لاينزل عنها ويدبر الامور فكتب الى السلطان على سبيل المغالطة يبذل له تسليم حلب والخزائن التى خلفها رضوان وولده الب ارسلان ويطلب انفاذ العساكر اليه .

وقال ابن الأثير فى هذه السنة سار آقسنقر البرسقى صاحب الموصل الى الرها في خمسة عشر الف فارس فنازلها في ذى الحجة وقاتلها فصبر لهالفرنج واصابوا من بعض المسلمين غرة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من اعيانهم واقام عليها شهرين واياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها للبرسقى

قال ابن الأثير فى هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتطيعه فسير اليها الأمير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالاً كثيراً وبينما هو عندهااذجاء

جمع من الفرنج فواقعوا اصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديداً ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد اصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى واذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية .

سنة ٥٠٩

(ارسال السلطان محمد بن ملكشاه العساكر الى حلب)

(بقيادة برسق وافتتاح كفرطاب وما جرى بعد ذلك لاختلاف كلمة الامراء)

قدمنا ما كتب به لؤلؤ الى السلطان محمد وانه طلب منه انفاذ العساكر . قال ابن العديم فأنه ارسل برسق بن برسق مقدم الجيوش وبكربسن وغيرهم من امراء السلطان في سنة تسع وخمسمائة فتغيرت نية لؤلؤ الخادم عما كان يكتب به الى السلطان وكتب الى اتابك طغتكين يستصرخه ويستنجده ووعده تسليم حلب اليه وان يعوضه طغتكين من اعمال دمشق فبادر الى ذلك ووصل حلب والعساكر السلطانية ببالس متوجهين الى حلب فرحلوا منها الى النقرة ووصلهم الخبر ان ذلك اليوم وصل اتابك الى حلب فاعرضوا عن حلب وساروا الى حماة وتسلموا رفنية من اولاد على كردوسلموها الى خيرخان بن قرجا فخاف طغتكين من عساكر السلطان ان يقصد دمشق فأخذ عسكر حلب وشمس الخواص وايلغازى بن ارتق واستنجد بصاحب انطاكية روجار وغيره من ملوك الفرنج ونزلوا اجمعون افامية ونزلت العساكر السلطانية ارض شيزر وجمل اتابك يريث الفرنج عن اللقاء خوفاً من الفرنج ان ينكسر العساكر السلطانية فيأخذوا الشام جميعه او ينكسروا فيستولي العساكر السلطانية على ما في يده وخاف الفرنج وضاقت

صدور امراء عسكر السلطان من المصابرة فرحلوا ونزلوا حصن الاكراد واشرف على الأخذ فأتفق اتابك والفرنج على عود كل قوم الى بلادهم ففعلوا ذلك وتوجه اتابك الى دمشق وعاد عسكر حلب وشمس الخواص الى حلب فقبض عليه لؤلؤ واعتقله فعادت عساكر السلطان حينئذ عن حصن الأكراد وساروا الى كفرطاب وحصروا حصناً كان للفرنج عمروه بجامعها واحكموه فأخذوه وقتلوا من فيه الى معرة النعمان وامن الترك وانتشروا فى اعمال المعرة واشتغلوا بالشرب والنهب ووقع التحاسد فيما بينهم ووصل رسول من جهة شمس الخواص يستدعيهم لتسليم بزاعة ويقول ان شمس الخواص مقبوض عليه عند لؤلؤ الخادم ولؤلؤ يكشف اخبار العساكر ويطالع بها الفرنج ورحل برسق وجامدار صاحب الرحبة نحو دانيث يطلبون حلب فنزل جامدار فى بعض الضياع ووصل برسق بالعسكر الى دانيث بكرة الثلثاء العشرين من شهر ربيع الآخر والفرنج يعرفون اخبارهم ساعة فساعة فوصلهم الفرنج وقصدوا العسكر من ناحية جبل السماق والعسكر على الحال التى ذكرناها من الأنتشار والتفرق فلم يكن لهم بالفرنج طاقة فانهزموا من دانيث الى تل السلطان واستتر قوم فى الضياع من العسكر فنهبهم الفلاحون واطلقوهم وغنم اهل الضياع مما طرحوه وقت هزيمتهم ما يفوت الأحصاء واخذ الفرنج من هذا ما يفوت الوصف وغنموا من الكراع والسلاح والخيام والدواب واصناف الآلات والامتعة مالا يحصى ولم يقتل مقدم ولا مذكور وقتل من المسلمين نحو خمسمائة واسر نحوها واجتمع العسكر على تل السلطان ورحلوا الى النقرة مخذولين مختلفين ونزلوا النقرة وكان اونبا قد طلع باصحابه الى حصن بزاعة وكان قد تقدم العساكر اليها فلما بلغهم ذلك نزلوا ووصلوا الى العسكر وتوجهت العساكر الى السلطان والى بلادهم ووصل طغتكين من دمشق فتسلم

رفنية ممن كان بها واطلق لؤلؤ شمس الخواص من الاعتقال وسلم اليه ما كان اقطعه من بزاعة وغيرها فوصل الى طغتكين فرد عليه رفنية وعاد الى دمشق واستصحبه معه

زيادة بيان لهذه الحوادث

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٨ انه حصلت وحشة بين السلطان محمد وبين اميريه آقسنقر البرسقى وطغتكين صاحب دمشق ادت الى اتفاقهما مع صاحب انطاكية الفرنجى ولما اتصل ذلك بمسامع السلطان محمد جهز في سنة ٥٠٨ عسكراً كثيراً وجعل مقدمهم الأمير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدي وعساكر الموصل والجزيرة وامرهم بالبداءة بقتل ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا في رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكراً كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولي لأمرها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا في الجواب وارسلا الى ايلغازى وطغتكين يستنجداهما فسار اليهم فى الفي فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان واظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة ايام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد امر بأن يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأت الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماة الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازى وكان قد سار ايلغازي وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية

واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بأنطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازي الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا اولادهم ونساءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا واسروا صاحبه وقتلوا من بقي فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهي للفرنج ايضاً وفارقهم الامير جيوش بك الى وادي بزاعة فلكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جاري العادة والعساكر فى اثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احداً يقوم على القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في خمسمائة فارس والفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيراً من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلاً هناك ومعه اخوه زنكى وأحاط بهم السوقية والغلمان واجتمعوا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فأشار عليه اخوه زنكى ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل فى سبيل الله واكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج

نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل واحرقوا كثيراً من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولماسمع الموكلون بالأسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل باياز بن ايلغازي قتله ايضاً وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام فأنهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم مالم يكن في الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها واما برسق واخوه زنكي فانهما توفيا سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيراً ديناً وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله اهـ

(سنة ٥١٠ و ٥١١)

[ذكر قتل لؤلؤ الخادم واستيلاء ايلغازي ابن ارتق

على حلب وتولية ابنه حسام الدين تمرتاش]

قال ابن العديم اما لؤلؤ الخادم فأنه صار بعد ملازمة القلعة ينزل منها في الاحيان ويركب فاتفق انه خرج في سنة عشر وخمسمائة بعسكر حلب والكتاب الى بالس وهو في صورة متصيد فلما وصل الى تحت قلعة نادر قتله الجند واختلف في خروجه فقيل انه كان حمل مالاً الى قلعة دوسر واودعه عند ابن مالك فيها واراد ارتجاعه منه والعود الى حلب وكان السلطان قد اقطع حلب والرحبة آقسنقر البرسقي فواطأ جماعة من اصحابه على قتل لؤلؤ وامل انهم اذا قتلوه يصح له اقطاع حلب فقتلوه وسار بعضهم الى الرحبة فاعلموه فاسرع آقسنقر البرسقي المسير الى حلب من الرحبة وانضاف بعض عسكره الى بقية القوم الذين قتلوه وطمعوا في اخذ حلب لانفسهم وساروا اليها فسبقهم ياروقتاش الخادم احد خدم الملك رضوان ودخل حلب . وقيل ان لؤلؤ كان قد خاف فاخذ

امواله وخرج طالباً بلاد الشرق للنجاة بالاموال فلما وصل الى قلعة نادر قال سنقر الجكرمش تتركونه يقتل تاج الدولة ويأخذ الاموال ويمضي وصاح بالتركية الارنب الارنب فضربوه بالسهام فقتلوه ولما خرج عن حلب اقامت القلعة في يد آمنة خاتون بنت رضوان يومين الى ان وصل ياروقتاش الخادم مبادراً فدخل حلب ونزل بالقصر واخرج بعض عسكر حلب واوقع بالذين قتلوا لؤلؤ وارتجع ماكان اخذوه من عسكر حلب وانهزم بعض من كان في النوبة فالتقوا آقسنقر في بالس في اول محرم سنة احدى عشرة وخمسمائة ولم يتسهل للبرسقي ما امل وراسل اهل حلب ومن بها في التسليم اليه فلم يجيبوه الى ذلك وكاتب ياروقتاش الخادم نجم الدين ايلغازي بن ارتق ليصل من ماردين ويدفع آقسنقر وكاتب روجار صاحب انطاكية ايضاً فوصل الى بلد حلب واخذ ماقدر عليه من اعمال الشرقية فحينئذ أيس البرسقي من حلب وانصرف من ارض بالس الى حمص فاكرمه خيرخان صاحبها وسار معه الى طغتكين الى دمشق فاكرمه ووعده بانجاده على حلب .

وهادن ياروقتاش صاحب انطاكية روجار وحمل اليه مالاً وسلم اليه حصن القبة ورتب مسير القوافل من حلب الى القبلة عليه وان يؤخذ المكس منهم له ثم ان ياروقتاش طلع الى قلعة حلب وعزم على ان يعمل حيلة يوقعها بالمتقدمين ويملكها مثل لؤلؤ فقبض عليه مقدمو القلعة بامر بنات رضوان بعد تمام شهر من ولايته واخرجوه من حلب وولوا في القلعة خادماً من خدم رضوان وردّ امر سلطان شاه وتقدمة العسكر وتدبير الامر الى عارض الجيش العميد ابي المعالي المحسن بن الملحي فدبر الأمور وساسها وضعفت حلب وقل ارتفاعها وخربت اعمالها ووصل ايلغازي بن ارتق الى حلب فانزلوه في قلعة الشريف

ومنعوه من القلعة الكبيرة واستولى على تدبير الامور وتربية سلطان شاه فى سنة احدى عشرة وخمسمائة وسلموا اليه بالس والقلعة وقبض ابا المعالي بن الملحى وقصر ارتفاع حلب عما يحتاج اليه ايلغازي والتركمان الذين معه ولم ينتظم حال واستوحش من اهل حلب وجندها فخرج عنها الى ماردين وبقيت بالس والقلعة في يده وخرج ابن الملحى من الاعتقال واعيد الى تدبير الامور وافسد الجند الذين ببالس في اعمال حلب فاستدعوا الفرنج وخرج بعض عسكر حلب ومعهم قطعة من الفرنج وحصروها فوصل ايلغازي وجمع من التركمان اليها فعاد عسكر حلب والفرنج عن بالس وباعها لابن مالك وعاد الى ماردين وبقي تمرتاش ولده رهينة فى حلب .

ووصل فى هذه السنة اتابك طغتكين واقسنقر البرسقى الى حلب وراسلوا اهلها فى تسليمها فامتنعوا من اجابته وقالوا مانريد احداً من الشرق وانفذوا واستدعوا الفرنج من انطاكية لدفعه عنهم فعاد آقسنقر من الرحبة واتابك الى دمشق واشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع غرق ولحقه هواء عند ادراكه اتلفه وهرب الفلاحون للخوف واستدعى اهل حلب ابن قراجا من حمص فرتب الامور بها وحصنها وسار الى حلب ونزل في القصر خوفاً من ايلغازى لما كان بينهما وخرج اتابك الى حمص ونهب اعمالها وشعثها واقام عليها مدة وعاد الى دمشق لحركة الفرنج وخرجت قافلة من دمشق الى حلب فيها تجار غيرها وحملوا ذخائرهم واموالهم لما قد اشرف عليه اهل حلب فلما وصلوا الى القبة نزل الفرنج اليهم واخذوا منهم المكس ثم عادوا وقبضوهم وما معهم باسرهم ورفعوهم الى القبة وحملوا الرجال والنساء بعد ذلك الى افامية ومعرة النعمان وحبسوهم ليقروا عليهم مالاً فراسلهم ابو المعالي بن الملحى ورغبهم

فى البقاء على الهدنة وان لا ينقضوا العهد وحمل الى صاحب انطاكية مالاً وهدية فرد عليهم الاحمال والاثقال وغير ذلك ولم يعدم منه شيء وقوي طمع الفرنج في حلب لعدم النجدة وضعفها وغدروا ونقضوا الهدنة واغاروا على بلد حلب واخذوا مالاً لا يحصيه الا الله فراسل اهل حلب اتابك طغتكين فوعدهم بالانجاد فكسره جوسلين وعساكر الفرنج وراسلوا صاحب الموصل وكان امره مضطرباً بعد عوده من بغداد ونزل الفرنج بعد عودهم من كسرة اتابك على عزاز وضايقوها واشرفت على الاخذ وانقطعت قلوب اهل حلب ولم يكن بقي لحلب معونة الا من عزاز وبلدها وبقية بلد حلب في ايدي الفرنج والشرقى خراب مجدب والقوت في حلب قليل جداً ومكوك الحنطة بدينار وكان اذ ذاك لا يبلغ نصف مكوك بمكوك حلب الآن وما سوى ذلك مناسب له ويئس اهل حلب من نجدة تصلهم من احد الملوك فاتفق رأيهم على ان يسيروا الاعيان والمقدمين الى ايلغازى بن ارتق ويستدعوه ليدفع الفرنج عنهم وظنوا انه يصل في عسكر يفرج به عنهم وضمنوا له مالاً يقسطونه على حلب يصرفه الى العساكر فوصل في جند يسير والمدبر لحلب جماعة من الخدم والقاضى ابو الفضل بن الخشاب هو المرجوع اليه في حفظ المدينة والنظر في مصالحها فامتنع عليه البلد واختلف الآراء في دخوله فعاد فلحقه القاضى ابو الفضل بن الخشاب وجماعة من المقدمين وتلطفوا به ولم يزالوا به حتى رجع ووصل الى حلب ودخلها وتسلم القلعة واخرج منها سائر الجند واصحاب رضوان وانزل سلطان شاه بن رضوان وبنات رضوان في دار من دور حلب وقبض على جماعة ممن كان يتعلق بالخدم ويخدمهم واخذ منهم ما كان صار اليهم من مال رضوان ومال الخدم الذين استولوا على حلب بعده وراسل الفرنج فى مال يحمله عن عزاز ليرحلوا عنها فلم يلتفتوا لقوة اطماعهم

فى امر الاسلام وكان ايلغازى يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد التلف فلما عرف من بعزاز ذلك ويئسوا من دفع الفرنج سلموها الى الفرنج وراسلهم من بحلب في صلح يستأنفونه معهم فأجابوا الى ذلك لطفاً من الله بهم على ان يسلموا الى الفرنج هراق ويؤدون القطيعة المستقرة على حلب عن اربعة اشهر وهي الف دينار ويكون لهم من حلب شمالا وغرباً وزرعوا اعمال عزاز وقوّوا فلاحيهم وعادوا الى انطاكية وصار يدخل الى حلب ما يتبلغون به من القوت

وسار ايلغازى الى الشرق ليجمع العساكر ويعود بها الى حلب فسار اليه اتابك طغتكين والتقاه بقلعة دوسر ووافقه على ذلك وسارت الرسل الى ملوك الشرق والتركمان يستنجدونهم وكان ابن بديع رئيس حلب عند ابن مالك بقلعة دوسر فنزل الى ايلغازى ليطلب منه العود الى حلب فلما صار عند الزورق ليقطع الماء الى العسكر وثب عليه اثنان من الباطنية فضرباه عدة سكاكين ووقع ولداه عليهما فقتلاهما وقتل ابن بديع وأخذ ولديه وجرح الآخر وحمل الى القلعة فوثب آخر من الباطنية وقتله وحمل الباطني ليقتل فرمى بنفسه في الماء وغرق

تتمة لهذه الحوادث

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥١١ فى هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب واعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى اتابكيته ولده الب ارسلان فلما مات اقام بعده فى الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم فى دولته اكثر من حكمه في دولة اخيه فلما كانت هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من اصحابه الأتراك وصاحوا ارنب ارنب واوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزائنه فخرج اليهم اهل حلب فاستعادوا

ما اخذوه وولى اتابكيته سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص ياروقتاش فبقي شهراً وعزلوه وولي بعده ابو المعالي بن المفلحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه اراد قتل سلطانشاه كما قتل اخاه الب ارسلان قبله ففطن به اصحاب سلطانشاه فقتلوه. ثم ان اهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالاً ولا ذخيرة لأن الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر فرزقه الله غير اولاده فلما رأى ايلغازى خلوا البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش اهـ وبه انقرض ملك بني رضوان السلجوقيين من حلب.

وفى المختار من الكواكب المضية ان ايلغازى ابن ارتق لما غلب على ملك حلب وتسلم قلعتها انزل سلطانشاه وابراهيم وبنات رضوان من القلعة في دار من دور حلب ثم انه اخرجهم جميعاً من حلب وذلك في سنة خمس عشرة وخمسمائة الى قلعة ابن مالك ثم انتقلوا الى حران.

وفي هذه السنة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان وجلس على تخت السلطنة بعده ابنه السلطان محمود.

سنة ٥١٢

استنجاد ايلغازى بملوك بغداد

قال ابن الأثير في هذه السنة وصل رسول ايلغازي ابن ارتق صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر مافعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود

ذكر غزاة ايلغازى بن ارتق بلاد الفرنج وتولية ولده سليمان على حلب

قال ابن الأثير في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فملكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً وخافهم اهلها خوفاً شديداً ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانع الفرنج اهل حلب على ان يقاسموهم على املاكهم التى بباب حلب فأرسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازي صاحب بلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفاً وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازماً على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الأثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الامن ثلاث جهات وفي هذه الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان احداً لايسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادة لهم اذا رأوا قوة من المسلمين . وراسلوا ايلغازي يقولون له لاتتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فأعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيم يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان احداً يقدم عليهم لصعوبة المسلك فلم يشعروا الا واوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا

منهزمين فلقوا باقي العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع واسروا وكان في جملة الأسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة الف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما (سيرجال) صاحب انطاكية فأنه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول فمما مدح به ايلغازي في هذه الوقعة قول العظيمي

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الأنجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازي ايضا فهزمهم وفتح منهم حصن الأثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر امرها واصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين [١]

تتمة حوادث سنة ٥١٣

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابن العديم توجه ايلغازي الى ماردين ومعه اتابك وراسلا من بعد وقرب من عساكر المسلمين والتركمان فجمعا عسكراً عظيما وتوجه ايلغازي في عسكر يزيد عن اربعين الفاً في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقطع الفرات من عبر بدايا وسبخة وامتدت عساكره في ارض تل باشر وتل خالد وما يقاربهما يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ماقدروا عليه ووصل من رسل حلب من يستحثه

(١) اقول ويغلب على الظن انه في قدمته هذه الى حلب ولى عليها ولده سليمان الذي عصى عليه سنة ٥١٥ كما سيأتي

على الوصول لتواصل غارات الفرنج من جهة الاثارب على حلب واياس اهلها من انفسهم فسار الى مرج دابق ثم الى المسلمية ثم قنسرين في اواخر صفر من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وسارت سراياهم في اعمال الفرنج والروج يقتلون ويأسرون واخذوا حصن قسطون فى الروج وجمع سرجال صاحب انطاكية الفرنج والارمن وغيرهم وخرج الى جسر الحديد ثم رحلوا ونزلوا بالبلاط بين جبلين مما يلي درب سرمدا شمالي الاثارب وذلك في يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الاول وضجر الأمراء من طول المقام وايلغازى ينتظر اتابك طغتكين ايصل اليه ويتفقا على ما يفعلانه فاجتمعوا وحثوا ايلغازى على مناجزة العدو فجدد ايلغازى الايمان على الامراء والمقدمين ان يناصحوا في حربهم ويصابروا في قتال العدو وانهم لا يتكلون ويبذلون مهجهم فى الجهاد فحلفوا على ذلك بنفس طيبة وسار المسلمون جرايد وخلفوا الخيام بقنسرين وذلك في يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الاول فباتوا قريباً من الفرنج وقد شرعوا فى عمارة حصن مطل على تل عقبرين والفرنج يتوهمون ان المسلمين ينازلون الاثارب او زردنا فما شعروا عند الصبح الا ورايات المسلمين قد اقبلت واحاطوا بهم من كل جانب واقبل القاضى ابو الفضل بن الخشاب يحرض الناس على القتال وهو راكب على حجر وبيده رمح فرآه بعض العساكر فازدراه وقال انما جئنا من بلادنا تبعاً لهذا المعمم فاقبل على الناس وخطبهم خطبة بليغة استنهض فيها عزائمهم واسترهق هممهم بين الصفين فابكى الناس وعظم في اعينهم ودار طغان ارسلان ابن دملاج من ورائهم ونزل في خيامهم وقتل من فيها ونهبها والقى الله النصر على المسلمين وصار من انهزم من الفرنج وقصد الخيام قتل وحمل الترك باسرهم حملة واحدة من جميع الجهات صدقوهم فيها وكانت السهام كالجراد ولكثرة ما وقع في الخيل

والسواد من السهام عادت منهزمة وغلبت فرسانها وطحنت الرجالة والاتباع والغلمان بالسهام واخذوهم باسرهم اسرى وقتل سرجال فى الحرب وفقد من المسلمين عشرون نفراً منهم سليمان بن مبارك بن شبل وسلم من الفرنج مقدار عشرين نفراً لاغير وانهزم جماعة من اعيانهم وقتل في المعركة مايقارب خمسة عشر الفاً من الفرنج وكانت الوقعة يوم السبت وقت الظهر فوصل البشير الى حلب بالنصر والمصاف قائم والناس يصلون صلاة الظهر بجامع حلب سمعوا صيحة عظيمة بذلك من نحو الغرب ولم يصل احد من العسكر الا نحو صلاة العصر .

واحرق اهل القرى القتلى من الفرنج فوجد في رماد فارس واحد واربعون نصل نشاب ونزل ايلغازي في خيمة سرجال وحمل اليه المسلمون ماغنموه فلم يأخذ منهم الا سلاحاً يهديها لملوك الأسلام ورد عليهم ماحملوه بأسره ولماحضر الاسرى بين يدي ايلغازي كان فيهم رجل عظيم الخلقة مشتهراً بالقوة واسره رجل ضعيف قليل السلاح فلما حضر بين يدي ايلغازي قال له التركمان اما تستحي يأسرك مثل هذا الضعيف وعليك مثل هذا الحديد فقال والله ما اخذني هذا ولا هو مولاى انما اخذني رجل عظيم اعظم منى واقوى وسلمنى الى هذا وكان عليه ثوب اخضر وتحته فرس اخضر وتفرقت عساكر المسلمين فى بلاد انطاكية والسويدية وغيرهما يقتلون ويأسرون وينهبون وكانت البلاد مطمئنة لم يبلغهم خبر هذه الوقعة فأخذ المسلمون من السبي والغنائم والدواب ما يفوت الاحصاء ولم يبق احد من الترك الا امتلأ صدره ويداه بالغنائم والسبى ولقي بعض السرايا بغدوين الروسر وابن صنجيل فى خيلهما بالقرب من جبلة وقد توجها لنصر سرجال صاحب انطاكية فاوقع بهم الترك وقتلوا جماعة وغنموا ماقدروا عليه وانهزم بغدوين وابن صنجيل وتعلقوا بالجبال ورحل ايلغازي الى ارتاح وبادر

بغدوين فدخل انطاكية وسلمت اليه اخته زوجة سرجال خزائنه وامواله وقبض
على اموال القتلى ودورهم واخذها وزوج نساء القتلى بمن بقي واثبت الخيل
وجمع وحشد واستولى على انطاكية ولو سبقه ايلغازي الى انطاكية لماامتنعت عليه
ووصل اتابك الى نجم الدين بارتاح فعاد ونزل الاثارب وهجم الربض ونهبه
وقتل من قدر عليه وخرجت احداث من حلب ونقبوا حصنها فطلبوا الامان
فأمنهم بعد ان استاخذت وسيرهم الى مأمنهم ورحل منها الى زردنا وكانوا قد
حصنوها واحكموا عمارتها وقاتلها فطلبوا الامان فامنهم وسيرهم الى انطاكية
فلقيهم بعض التركمان فنهبوهم وقتلوا بعضهم ومضوا الى اهلهم وكان صاحب
زردنا لما بلغه منازلتها حمل بغدوين والفرنج الى الخروج لاستنقاذها وقد عرفوا
تفرّق التركمان بالغنائم وعودهم الى اهلهم وان ايلغازي في عدة قليلة فبلغه ذلك
فجدّ في قتالها حتى اخذها كما ذكرناه ورتب اصحابه بها وتوجه بمن بقي معه
واستصحب معه عسكر اتابك وطغان ارسلان بن دملاج جرايد الى دانيث
بعد ان ردّ الاثقال والخيام الى قنسرين ووصل الى دانيث في يومه فوجد
الفرنج قد نزلوها يوم فتحه زردنا في مائتي خيمة وراجل كثير وقيل انهم كانوا
يزيدون على اربعمائة فارس سوى الرجالة وذلك في رابع جمادي الأُولى والتقوا
فحمل صاحب زردنا واكثر خيل الفرنج على عسكر دمشق وحمص وبعض
التركمان فكشفوهم وانهزموا بين ايديهم وسار ليتدارك امر زردنا ويكبس
الاثقال والخيام فعرف اخذها وتسيير الاثقال الى قنسرين فسار وحمل بقية المسلمين
على بغدوين ومن كان معه فقتلوهم وردوهم على اعقابهم فحينئذ حمل ايلغازي
وطغتكين وطغان ارسلان فيمن بقي من الخواص على الفرنج فكسروهم وقتلوا
اكثر الرجالة وبعض الخيالة وتبعوهم الى ان دخلوا الى حصن هاب وغنموا اكثر

ماكان معهم وعاد نجم الدين وطغتكين وطغان ارسلان الى دانيث فوجدوا صاحب زردنا والفرنج قد عادوا بعد ان هزموا من كان بين ايديهم من المسلمين ومعرفة اخذ المسلمين زردنا فلقوهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وانهزم الباقون الى هاب وعاد الترك بالظفر والغنيمة وحين بلغ من بقنسرين مع الاثقال هزيمة من كان فى مقابلة صاحب زردنا رحلوا الى حلب وانزعج اهل حلب غاية الانزعاج فوصلهم البشير بعد ساعتين بما بدل غمهم سروراً وهمهم حبوراً وكان البشير من الفرنج قد مضى الى بلادهم واخبر بكسر صاحب زردنا للمسلمين فزينوا بلادهم واظهروا الجذل والمسرة فوصل ابن صنجيل من الكسرة بعد ذلك فانقلب سرورهم حزنا وراحتهم تعباً وعناء

وكان صاحب زردنا وهو القومس الابرص واسمه روبارد قد سقط عن فرسه فادركه قوم من اهل جبل السماق من اهل مربين فقبضوه وحملوه الى ايلغازي بظاهر حلب فانفذه الى اتابك طغتكين فقتله صبراً ،ثم دخل ايلغازى الى حلب واحضر الاسرى فرد اصحاب القلاع والمقدمين وابن ميمند صاحب انطاكية ورسول ملك الروم ونفراً يسيراً ممن كان معه مال فأخذه واطلقهم وبقي من الاسرى نيف وثلاثون رجلاً بذلوا من المال مارغب عنه فقتلهم باسرهم وتوجه من حلب الى ماردين في جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ليجمع من التركمان من يعود به الى بلد حلب وكانت حلب ضعيفة عن مقامه فيها

فخرج الفرنج الى بلد المعرة فسبوا جماعة وادركهم جماعة من الترك فرجعوا ثم خرج بغدوين من انطاكية في عسكره ونزل على زورغربى البارة وهو حصن كان لأبن منقذ وسلمه اليهم ولما جرت الوقعة الاولى على البلاط عاد واخذه

فقاتله بغدوين واخذه فى جمادى الاولى واطلق من كان فيه ورحل الى كفردوما فأخذ حصنها بالسيف وقتل جميع من كان فيه ووصل الى كفرطاب وقد احرق ابن منقذ حصنها واخذ رجاله منه خوفاً منهم فرمموه ورتبوا رجالهم فيه وساروا الى سرمين ومعرة مصرين فتسلموها بالامان ثم نزلوا زردنا ورحلوا عنها الى انطاكية ومع هذا فغارات عسكر حلب متواصلة على ما يقرب منهم وتعود بالظفر والغنيمة ووصل جوسلين الى بغدوين خاله وقت اخذه سرمين فأقطعه الرها وتل باشر وسيره اليها فأسرى الى وادي بطنان دفعتين والى ما يلي الفرات من جهة الشام وقتل وسبى ما يقارب الف نفس واغار جوسلين على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخذ كل ماوجده من دواب وأسر رجالاً ونساء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمان كانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة .

[سنة ٥١٤]

قال ابن الأثير في هذه السنة سار ايلغازي الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من اعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة مصرين يوماً وليلة ثم اشار اتابك طغتكين بالأفراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان اكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم . وفيها اغار جوسلين الفرنجى صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين

الفرات وغنم من اموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئاً كثيراً ولما عاد خرب بزاعة.

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابن العديم وفي صفر من سنة اربع عشرة وخمسمائة وقعت مشاحنة بين والي الاثارب بلاق بن اسحق صاحب نجم الدين ايلغازي وبين الفرنج فأسرى ومعه جماعة من عسكر حلب الى انطاكية فلقيهم عسكر انطاكية وعاد فتبعه الفرنج والتقوا ما بين ترمانين وتل اغدى من فرضة ليلون ووصل فى هذه السنة ايلغازى بجمع كثير من التركمان وقطع الفرات في الخامس والعشرين من صفر وتوجه الى تل باشر واقام اياماً ولم يقاتلهم ورحل الى عزاز يريد اخذها ولم يمكن احداً من التركمان من تشعيث ضياعها ورحل الى انطاكية واقام عليها يوماً واحداً واقام في اعمال الروج اياماً يسيرة ثم خرج الى قنسرين فتشوشت قلوب التركمان لانهم املوا من الغنائم مثل السنة الخالية ولم يقاتل بهم حصناً ولا غنموا شيئاً وباع الاسرى الذين اسرهم في الوقعة الاولى فعادوا الى بلادهم وبالغوا في التشفي من المسلمين والقتل والسبي وجرى من نجم الدين اساءة الى بعض التركمان على شيء انكره عليهم فبالغ فى هوانهم وحلق لحى بعضهم وقطع اعصابهم فتفرق عسكره وبقي نفر يسير متفرقين في اعمال حلب فطمع الفرنج وخرجوا الى دانيث فوصل طغتكين وعسكر دمشق واجتمعوا مع ايلغازى في عسكر يقاوم الفرنج فساروا الى الفرنج وهم في الف فارس وراجل كثير فدار الترك حولهم فلم يخرج منهم احد وكرهوا ان يعودوا على اعقابهم فتكون هزيمة فساروا نحو معرة مصرين لا ينفرد منهم فارس ولا راجل واشرف الترك على اخذهم ومن خرج منهم قتل ومن وقعت دابته تركها واخذت ولا يقدرون على الماء وهم على حالة الهلاك وايلغازى وطغتكين يردون الناس عنهم بالعصا فنزلوا بقرب معرة

مصريين وعاد الترك عنهم الى حلب وعادوا الى انطاكية وصالحهم ايلغازي الى آخر سنة اربع عشرة على ان لهم المعرة وكفرطاب والجبل والبارة وضياعاً من جبل السماق برسم هاب وضياعاً من ليلون برسم تل اغدى وضياعاً من بلد عزاز برسم عزاز

وسار نجم الدين ايلغازي الى ماردين ليجمع العساكر وهدم ايلغازي زردنا في شهر ربيع الاول وكان اهل حلب قد شكوا اليه تجديد رسوم جددت عليهم في ايام رضوان لم يجر بها عادة في دولة العرب ولا دولة المصريين ولا في ايام آقسنقر وامر بكشف مقدارها فأخبر انها مبلغ اثني عشر الف دينار في كل سنة فرسم بحذفها ووقّع لهم بذلك وكتب لوحاً وسمره على باب الجامع وذلك في هذه السنة.

وخرج الفرنج فقبضوا على الفلاحين الذين تحت ايديهم في هذه الاعمال من المسلمين وعاقبوهم وصادروهم واخذوا منهم من الاموال والغلات ما تقووا به وكانت الضياع التى في ايدي المسلمين قد عمرت واطمأنوا بالصلح فدر جوسلين وخرج فأغار على النقرة والأحص واحتج بأنه اسر له اسيراً والى منبج وانه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال وقتل وسبى واحرق كل ما في النقرة والأحص ونزل الوادي وعاث فيه ثم سار الى تل باشر ثم عاد وحشد وخرج وعمل كفعله الأول واخذ فى غارته الأولى المشايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا باجمعهم فأنفذ والى حلب الى بغدوين في ذلك وقال ان نجم الدين لم يترك هذه البلاد خالية من العساكر الا ثقة بالصلح فقال مالي على جوسلين يد وتتابعت من جوسلين غارات متعددة ثم خرج الفرنج من انطاكية عقيب ذلك واغاروا على بلد شيزر واخذوا ما لا يحصى واسروا جمعاً وطلبوا المقاطعة التي جرت عادتهم قبل الوقعة بأخذها فبذل

لهم ابن منقذ ذلك على ان يردوا ما اخذوه فلم يجيبوا الى ذلك فحمل اليهم مالاً وصالحهم الى آخر السنة .

وهرب ملك العرب دبيس بن صدقة الأسدي من المسترشد والسلطان محمود فوصل الى قلعة جعبر فأكرمه نجم الدولة مالك واضافه ثم سار الى ايلغازي الى ماردين وتزوج ابنته فاشتد به واجاره ووصل معه الاموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل ايلغازى مايفوت الاحصاء فاشتغل بدبيس عن العبور الى الشام فخرب بلد حلب واستولى الفرنج على معظمه واغار جوسلين الى سفين وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة وقاتلها واحرق بعض جدارها وصونع على شيء ودخل بلده .

سنة ٥١٥

﴿ هجوم الفرنج على الاثارب واغارتهم على حلب ﴾

[ايام سليمان بن ايلغازى وعصيان سليمان على ابيه واستنابته ابن اخيه عبد الجبار]
[بن ارتق على حلب]

قال ابن العديم في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة هجم الفرنج على الأثارب وقتلوا جمعاً واحرقوها واسروا من لم يعتصم بالقلعة ثم انهم فى ربيع الآخر من السنة نزلوا نوار وزحفوا الى الأثارب ثانيةً واحرقوا الدور والغلة وسار بغدوين واغار على حلب واخذ الناس والدواب من حاضر حلب ومن الفنادق واخذ ما يجل قدره من الماشية واسر نحواً من خمسين اسيراً وصاح الصايح فخرج نفر يسير من العسكر فظفروا بالفرنج وخلصوا المواشى وعاد الفرنج الى اعمالهم وكان النائب بحلب شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى وكان ايلغازى قد

ولى رياسة حلب في سنة اربع عشرة في رجب مكى بن قرناص الحموي وجعله بين يديه فكتب الى ولده ونوابه يأمرهم بصلح الفرنج على ما يريدون فصالحهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج وما حول حلب للفرنج منه النصف حتى انهم ناصفوهم في رحا العربيه وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم وطلبوا الأثارب فأجاب ايلغازي الى ذلك فامتنع من كان فيها من التسليم فبقيت في ايدى المسلمين وكان الذى تولى الصلح جوسلين وجفري وكان بغدوين في القدس فلما وصل رضي بذلك وشرع في عمارة دير خراب قديم بالقرب من سرمدا وحصنه ثم اطلقه لصاحب الاثارب (سير الان دمسخن) وامر ايلغازي ولده بأخراب قلعة الشريف المجددة بحلب واخراج من كان فيها من جند رضوان فأخرجهم شمس الدولة ابن قرناص بحلب بعذر الأغارة على اعمال الفرنج واغلقت ابواب حلب في وجوههم وتولى الرئيس مكى بن قرناص خرابها في جمادى الآخرة

واستنجد الملك طغرل ايلغازي بن ارتق على الكرج وملكهم داود فسار اليه في عالم عظيم ومعه دبيس بن صدقة (من ملوك سواد العراق) فكسرهم المسلمون ودخلوا وراءهم في الدرب فكر الكرج عليهم في الدرب فانهزم المسلمون وتبعهم الكرج قتلاً واسراً ونهب لدبيس ما مقداره ثلثمائة الف دينار ووصل مع نجم الدين ايلغازي الى ماردين سالمًا

وانفذ ايلغازي الى ابنه سليمان بحلب يلتمس منه اشياء فقبح ذلك عنده وقيل له اشياء اوجبت عصيانه على والده فعصى واخرج الملوك سلطان شاه وابراهيم وغيرهما من حلب فمضوا الى قلعة جعبر فمد يده في مصادرة اهل حلب وظلمهم والفساد وقيل ان دبيس بن صدقة لما سار مع ايلغازى الى بلاد الكرج سأل

ايلغازي في الطريق ان يهب له حلب وان يحمل اليه دبيس مائة الف دينار يجمع بها التركمان ويعاضده حتى يفتح انطاكية فأجابه ايلغازي الى ذلك واخذ يده على ذلك فلما وقعت كسرة الكرج بدا له من ذلك فانفذ الى ولده سليمان وكان خفيفاً وقال له اظهر انك قد عصيت عليّ حتى يبطل ما بيني وبين دبيس فحمله الجهل على ان عصى ونابذ اباه ووافقه مكى بن قرناص والحاجب ناصر وهو شحنة حلب وغيرها وقبض سليمان حجاب ابيه فصفعهم وحلق لحاهم ومد يده الى الى اموال الناس وظلمهم فطمع الفرنج وقربهم سليمان فنزلوا زردنا وعموها لأبن صاحبها كليام بن الابرص ثم سار الفرنج الى باب حلب فكبسوا في طريقهم حاضر طي وغيرها فخرج اليهم الحاجب ناصر والعسكر فكسروهم وقتلوا منهم جماعة . وخرج بغدوين في جمادى الآخرة فنازل خناصرة واخذها وحمل باب حصنها الى انطاكية ونزل برج سينا ففعل به كذلك وكذلك فعل بغيرهما من حصون النقرة والاحص وسبى واحرق ونهب وعاد فنزل صلدع على نهر قويق وخرج اليه اترز بن ترك طالباً منه الصلح مع سليمان فقال على شرط ان يعطيني سليمان الأثارب حتى احفظه وانا اذب عنه واقاتل دونه فقال له ما يجوز نسلم ثغرا من ثغور حلب في بدر مملكته بل التمس غير هذا مما يمكن لنوافقك عليه فقال له الأثارب لا يقدر صاحب حلب على حفظه فأني قد عمرت عليها الحصون بما دارت وانا اعلمكم انها اليوم تشبه فرسا لفارس قد اعطيت يداها وللفارس هري شعير يعلفها رجاء ان تبرأ ويكسب عليها فنفد هرى الشعير وعطبت الفرس وفاته الكسب ثم رحل نحوها فحصرها ثلثة ايام واتصل به ما اوجب رحيله الى انطاكية

ولما بلغ ايلغازي اصرار ولده على العصيان ضاقت عليه الأرض واعمل في

الوصول اليه واخذ حلب منه فكاتبه اقوام وعرفوه ان ما بحلب مايدفعه عنها فسار حتى وصل الى قلعة جعبر فضعفت نفس ابنه سليمان عن العصيان على ابيه فانفذ اليه من استحلفه على الصفح عنه والأحسان اليه والى من حسن له العصيان مثل ابن قرناص وناصر الحاجب واكد الأيمان على ذلك ودخل حلب فى اول شهر رمضان فخرج النـاس للقائه ودخل الى القصر واحسن الى اهل حلب وسامحهم بشيء من المكوس وصرف الشحنة الذي كان يؤذي الناس فى البلد وقبض على الرئيس مكي بن قرناص وعلى اهله وشق لسانه وكحله واخذ ما وجد له وسلم اخاه الى من يعذبه واستصفى ماله وكحل ناصر الحاجب فعنى به من تولى امره فسملت احدى عينيه وعوقب طاهر بن الزاير وكان من اعوان الرئيس مكي واعـاد الملوك اولاد رضوان من قلعة جعبر الى حلب وخطب بنت الملك رضوان وتزوج بها ودخل بها بحلب وولى رياسة حلب سلمان ابن عبد الرزاق العجلاني البالسى وولى ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار نيابته فى حلب وصالح الفرنج مدة كاملة واعطاهم من الضياع ما كان بأيديهم ايام مملكتهم الأثارب وزردنا .

زيادة بيان لما تقدم

قال ابن الاثير في هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازى بن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة ممن عنده فسمع والده الخبر فسار مجداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان اشار اليه بذلك منهم امير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم انسان من اهل حماه من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازي على اهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه

بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

(ذكر حصر بلك ابن بهرام الرها واسر صاحبها)

قال ابن الأثير فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركماني واعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وها عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقي فى اربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحالا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الأسراع والجرى فرماهم اصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد واسر جوسلين وجعل فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه اموالاً جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الناس واسر ايضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه اه

سنة ٥١٦

(محاصرة ايلغازى لزردنا ونوار)

وعوده الى حلب لمرض نزل به وتوجهه الى ميافارقين ووفاته بها

قال ابن العديم وفي المحرم من سنة ست عشرة وخمسمائة سار ايلغازي الى الشرق ليجمع العساكر فمات وزيره بحلب ابو الفضل بن الموصل في صفر فولي الوزارة ابو الرجاء بن سرطان . وعبر ايلغازي وبلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر الفرات وكان بلك غازى ابن اخيه بهرام بن ارتق واستدعاه من اعمال الروم وبيده عدة قلاع بالقرب من ملطية وصحبتهما عدة من التركمان دون ماجرت عادته باستصحابه فعزل ابا الرجاء بن السرطان عن الوزارة وقبض عليه لسعاية سعى بها عليه ونزل ايلغازي زردنا ونزل عليها في العشرين من جمادى الأولى وحصرها اياماً واخذ حوشها وكان صاحبها قد سمع حين عبر ايلغازي الفرات انه ينزلها فجمع اصحابه واستحلفهم على المصابرة من وقت نزولهم عليها مدة خمسة عشر يوماً وحلف هو لهم على ان ينجدهم ومضى على ان يستجيش فأن جازت هذه المدة ولم يصلهم فانه يبتاع دماءهم بكل ما يملكه وقال لهم والله لكم علي من الشاهدين لأن لم يخلصكم الا اسلامي ان قبله اسلمت على يديه لخلاصكم وخرج حتى وصل الى بغدوين صاحب انطاكية وهو باكناف طرابلس في حكومة بينه وبين صاحبها فأخبره بعبور ايلغازي وبما بلغه من قصده زردنا فقال مذ حلفنا له وحلف لنا مانكثنا وحفظنا بلده في غيبته ونحن شيوخ وما اظنه يغدر بل ربما قصد طرابلس او قصدني في القدس لأنني ماصالحته الا على انطاكية واعمالها بل يجب ان تعود الى افامية وكفرطاب وتكشف ما يتجدد فعاد وكشف الامر وسير الى بغدوين فاعلمه بنزوله على زردنا فصالح صاحب طرابلس وشرط عليه الوصول اليه ووصل انطاكية واستدعى جوسلين ونصب المسلمون مجانيق اربعة على زردنا واخذوا الفصيل الاول فوصل الفرنج بعد اربعة عشر يوماً من منازلة المسلمين لها فنزلوا تحت الدير وبلغ الخبر ايلغازي فنزل زردنا وتوجه نحوهم

فنزل نوار وطلب ان يخرج الفرنج من المضيق الى السعة فلم يخرجوا فرحل الى تل السلطان واتابك طغتكين في صحبته فخرج الفرنج فنزلوا على نوار وهجموا ربض الأثارب واحرقوا البيدر والجدار ودخل صاحبها يوسف بن ميرخان قلعتها ونزلوا ابين ورحلوا منها ونزلوا دانيث واقاموا عليها فلم يصلهم احد فعادوا الى بلادهم فعاد ايلغازى فنزل زردنا وهجم الحوش الثانى وقتل جماعة من الفرنج فعاد الفرنج ونزلوا تحت الدير فرحل ايلغازى الى نوار واقام ثلاثة ايام يزاحف الفرنج وهم لا يخرجون الى الصحراء فاتفق ان اكل ايلغازى لحم قديد كثيراً وجوزاً اخضر وبطيخاً وفواكه فانتفخ جوفه وضاق نفسه فاشتد به الامر فرحل الى حلب وتزايد به المرض فسار طغتكين الى دمشق وبلك غازي الى بلاده ورحل ايلغازي للتداوي بحلب فنزل القصر ولم يخلص من علته وخرج عسكر حلب في الف فارس الى نبل من عمل اعزاز ومعهم امراء منهم دولب بن قتلمش فنهبوا وعادوا فوقع عليهم عند حربل كليام في اربعين فارساً فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة

وفى شهر رجب من هذه السنة ظفر بلك غازى بجوسلين وابن خالته قلران بالقرب من سروج فأسرهما واسر ابن اخت طنكريد وقد كان اسره في وقعة لياون واشترى نفسه بالف دينار واسر ستين فارساً وطلب من جوسلين وقلران ان يسلما ما بأيديهما من المعاقل فلم يفعلا وقالا نحن والبلاد كالجمال والحدج متى عقر بعير حول رحله الى آخر والذي بأيدينا قد صار بيد غيرنا فأخذهما ومضى الى بلده

ووصل الفرنج بعد ذلك الى تل باشر فى شعبان وكبسوا تل قباسين فخرج النائب بزاعة مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلاً .

واما ايلغازى فأقام اياماً وصلح من مرضه وسار الى ماردين ثم خرج منها من ميافارقين فاشتد مرضه فى الطريق وتوفي بالقرب من ميافارقين بقرية يقال لها بجولين فى اول شهر رمضان من سنة ست عشرة وخمسمائة . وملك ابنه سليمان ميافارقين وابنه تمرتاش ماردين وابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق حلب . ولما سمع صاحب انطاكية بوفاته حشد عسكره وجماعة من الأرمن ونزل وادى بزاعة وعاث فيه وافسد ماقدر عليه وحمل اليه اهل الباب مالاً وخدموه فرحل الى بالس وقاتلها بالمنجنيقات وقرروا على بالس مع ابن مالك مالاً يحمل اليه فاسرف فى الطلب وكان ببالس جماعة من التركمان ومن خيل حلب فخرج اهلها والخيل اليهم واقتتلوا فقتل من الفرنج جماعة من المقدمين وظفر المسلمون احسن ظفر فرحل بغدوين الى الوادي وقد وصلهم ابن ايلغازي فحصر البيرة وتسلم حصنها على ان يؤمن اهلها انفسهم فأخذهم وسار بهم الى انطاكية وتتابعت غارات الفرنج حول حلب الى آخر سنة ست عشرة وستمائة وولى بدر الدولة سليمان الوزارة بحلب ابا الرجاء سعد الله بن هبة الله بن السرطان فى صفر (اي فى سنة ٥١٧) بعد ماقبض عليه ايلغازي كما تقدم ذكره

اول مدرسة بنيت في حلب

قال ابن الأثير فى هذه السنة بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعى اه قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة نقلاً عن ابن شداد فى الكلام على المدارس.

المدرسة الزجاجية

انشأها بدر الدولة ابو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب وهي اول مدرسة بنيت بها ابتدأ في عمارتها في سنة عشرة وخمسمائة على حائطها مكتوب سنة سبعة عشرة ولما اراد بناءها لم يمكنه الحلبيون اذ كان الغالب عليهم

حينئذ التشيع [قلت] [القائل ابن الشحنة] اخبرني شيخي ابو الوفا رحمه الله تعالى غير مرة ان اهل حلب كانوا كلهم سنية وكلهم حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعية وصار فيهم شافعية فقلت يا سيدي من هو فقال الشريف ابو ابراهيم الممدوح (ممدوح ابى العلاء المعرى) قال فكان كلما بني فيهـا شئ نهارا اخربوه ليلاً الى ان اعياه ذلك فاحضر الشريف زهرة علي بن ابى ابراهيم الأسحاقى الحسيني وهو الشريف ابو ابراهيم الذى اشار شيخنا عنه (قال) والتمس منه ان يباشر بناءهـا لينكف العامة عن هدم ما يبني فباشر الشريف البناء ملازماً له حتى فرغ منها وكان هذا الشريف من اكابر الأشراف وذوى الرأى والأصالة والوجاهة مقدماً في بلده يرجع الناس الى امره ونهيه وكان معظم القدر عند الملوك ولما توجه عماد الدين زنكى الى الموصل فى سنة تسع وثلاثين وخمس مائة اخذه معه فمات بالموصل ،

ونال فى الزبد والضرب وفي سنة ست عشرة وخمسمائة ولى بدر الدولة سلمان الوزارة بحلب ابا الرجاء سعدالله ابن هبة الله بن السرطان وجدد (الصحيح انشاء كما تقدم) المدرسة التى بالزجاجين بحلب المعروفة ببنى العجمي بأشارة ابى طالب ابن العجمي وذكر لى انه عزم على ان يقفها على الفرق الأربع ونقل آلتها من كنيسة داثرة كانت بالطحانين بحلب اه قال ابن الشحنة وهذه المدرسة هى الآن خراب داثرة وقد عمر بها دور للسكني اه

اقول اخبرني بعض اهل المعرفة من اهل محلة الجلوم ان مكانها الداران اللتان هما تجاه الدار التابعة لوقف الجلبي التى فيهـا الحوض المعد للسباحة فى الزقاق المعروف بزقاق ابي درجين فى المحلة المذكورة

[سنة ٥١٧]

﴿ ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة في صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالأغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الأثارب ويكفوا عن بلاده فأجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام امر الرعية بحلب وحلبت اليهم الأقوات وغيرها ولم تزل الأثارب بأيدي الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكي بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى اه

قال ابن العديم وفى العاشر من شهر صفر من سنة سبع عشرة وخمسمائة استقر الصلح بين بدر الدولة صاحب حلب وبين بغدوين صاحب انطاكية على ان يسلم بدر الدولة اليه قلعة الأثارب فسلموها وصارت لصاحبها اولاً (سيرالان دمسخن) وبقيت فى يده الى ان مات وكانت فى يد الحاجب جبريل بن يسرق فعوضه بدر الدولة عنها شحنكية حلب

(استيلاء بلك بن بهرام على حلب و رحيله عنها)

(ومحاصرة جوسلين الى حلب والفظايع التى اجراها وقت ذلك)

قال ابن العديم وفي يوم الاربعا تاسع عشر صفر سار بغدوين صاحب انطاكية لقتال نور الدولة بلك بن بهرام بن ارتق وكان محاصراً قلعة كركر فالتقيا على موضع اسمه ادرش بالقرب من قنطرة سبخة فكسره نور الدولة بلك واسره وقتل معظم عسكره ومقدميه ونهب خيمه وفتح الكركر بعد جمعة وكان فى دون عدة

الفرنج وجعل بغدوين فى خرتبرت مع جوسلين وقلران ثم ان نور الدولة بلك عبر الفرات ونزل على حلب (١)

سنة ٥١٨

ذكر محاصرة بلك منبج وقتله واستيلاء تمرتاش ثم آقسنقر البرسقي على حلب

قال ابن العديم وفي المحرم من سنة ثمان عشرة وخمسمائة تنكر بلك على رئيس حلب وكان رجلاً من اهل حران اسمه محمد بن سعدان ويعرف بابن سعدانة وكثر الامن من الذعار وقطاع الطريق عند قدوم بلك حلب واقام الهيبة العظيمة وتقدم بفتح ابواب حلب ليلاً ونهاراً وحسم مادة ارباب الفساد وقال الحارس ان عدتُ سمعتك تصيح ضربت عنقك ونقل بغدوين ومن كان معه من حبس حران فحبسه في قلعة حلب

وتوجه في شهر صفر فرقة من اصحابه الاتراك الى ناحية عزاز فوقع بينهم وبين وبين الفرنج وقعة عند مشحلا وظفر بهم الاتراك وقتلوا منهم اربعين رجلاً من الخيالة والرجال واخذوا سلاحهم ووصل الباقون عزاز وما فيهم الا من جرح جراحاً عدة وانقطع المطر فى كانون ونصف شباط ثم تدارك فاخصب الزرع واستغل الناس وكان بحلب غلاء شديد وفي صفر من سنة ثمان عشرة وخمسمائة تنكر نور الدولة بلك على حسان بن كمشتكين صاحب منبج لشئ بلغه

(١) قال ابن الأثير وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الأثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوي طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقي مالكاً لها الى ان قتل على مانذكره

وضايقها ونزل من قبليها ثم انتقل الى بانقوسة واقام اياماً ورحل الى ارض النيرب وجبرين وامر بحرق الغلة واخذ الدواب ومضى قطعة من عسكره الى حذادين فأخذ احدهم عنزا فرماه بعض فلاحي الضيعة بسهم فقتله فحصرت مغارتها واخذت بعد ان امتنع اهلها من التسليم ندخوا على المغارة فاختنق بها مائة وخمسون وخنق في مغارة تل عبود وتعجين جماعة وسبوا نساء عفرتنور واولادها وباعوا بعضهم واستعبدوا بعضاً واخذ لأهل خاب جشير خيل ثلثمائة رأس وكان حريق الزرع من رهقات بلك وكان سبباً للغلاء العظيم

وفى صباح يوم الثلثاء غرة جمادى الاولى من سنة سبع عشرة وخمسمائة تسلم مدينة حلب سلمها اليه مقلد بن سقويق بالامان ومفرج بن الفضل ونودي بشعار بلك من عدة جهات وكسر باب انطاكية واخربت ثلمة من غربي باب اليهود وفى يوم الجمعة رابع الشهر تسلم القلعة وجلس بها بعد ما نزل بدر الدولة فيها بيوم وقرر حالها واخرج سلطان شاه بن رضوان وسيره الى حران وكان قد فتحها فى شهر ربيع الآخر خوفاً منه ثم انه سار الى البارة وهجمها واسر الأسقف الذي بها وقيده ووكل به ورحل الى كفرطاب فغفل الموكل به فهرب الى كفرطاب فعزم على قتال حصنها واسترجاع الاسقف فى يوم الثلثاء الثاني عشر من جمادى الآخرة فوصله من اخبره ان بغدوين الرونس وجوسلين وقلران وابن اخت طنكريد وابن اخت بغدوين وغيرهم من الاسرى الذين كانوا مسجونين بجب خرتبرت عاملوا قوماً من أهل حصن خرتبرت فأطلقوهم ووثبوا على الحصن فلكوه واخذوا كل ما كان لنور الدولة فيه وكان جملة عظيمة فقال

[تنبيه] ماوقع هنا في صحيفة ٤٤٨ من حوادث سنة ٥١٨ الى آخر الصحيفة هو سهو في الطبع وسيذكر في صحيفة ٤٥٢

جوسلين كنا قد اشرفنا على الهلاك والآن قد خلصنا والصواب ان نمضي ونحمل ما قدرنا عليه فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن والخروج منه فاتفق رأيهم على خروج جوسلين وحلفوه على انه لايغير ثيابه ولا يأكل لحماً ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع الجموع الفرنجية ويصل بهم الى خرتبرت ويخلصهم واما بلك فأنه سار حتى نزل على خرتبرت ففتحه بالسيف في ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان به من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيه من الفرنج ولم يستبق سوى بغدوين الملك وقلران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها

واما جوسلين فمضى الى القدس واستنجد بالفرنج ووصلوا الى تل باشر فسمعوا خبر فتح خرتبرت بالسيف فسار الى الوادى وقاتل بزاعة واحرق بعض جدارها ثم احرق الباب وقطع شجره واحرق ماسواه من الوادي ثم نزل حيلان ثم حلب من ناحية مشهد الجف من الشمال وخرب المشاهد والبساتين وكسر الناس عند مشهد طرود بالقرب من بساتين البقرة وقتل وسبى مقدار عشرين نفراً ثم رحل ونزل الجانب الغربي فى البقعة السوداء وخرب مشاهد الجانب القبلى وبساتينه ونبش الضريح الذى بمشهد الدكة فلم يجد فيه شيئاً فألقى فيه النار. والحلبيون في كل يوم يقاتلونه اشد قتال ويخسر معهم فى كل حركة. ثم رحل يوم الثلثاء مستهل شهر رمضان ونزل السعدي وقطع شجره وافترقوا منه وسار كل الى بلده. فأمر القاضى ابن الخشاب بموافقة من مقدمى حلب ان يهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب وان يعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد ففعل ذلك بكنيستهم العظمى وسمي مسجد السراجين وهو مسجد الحلاويين الآن وكنيسة الحدادين وهي مدرسه الحدادين الآن

وكنيسة بدرب الحراف وهي مكان مدرسة ابن المقدم ولم يترك لهم بحلب سوى كنيستين لاغير وهي الآن باقية

هذا كله ونور الدولة بلك غائب عن مدينة حلب فى بلاده ثم ان جوسلين خرج فى تاسع عشر رمضان الى الوادي والنقرة والأحص واخذ مايزيد على خمسمائة فرس كانت فى الغريب حتى لم يبق بحلب من الخيالة خمسون فارساً لهم خيل واخذ من الدواب والبقر والغنم والجمال مالا يحصى وقتل وسبى وخرب ما امكنه وعاد الى تل باشر وخرج سيرالان في عسكر انطاكية من الأثارب حتى وصل الحانوتة وحلفا واخذ ماكان بها من خيل حلب في الغريب في الجانب القبلي وذلك مقدار ثلثمائة فرس واخذ قافلة كانت واصلة من شيزر بغلة ثم عبر جوسلين من الفرات الى شبختان واغار على تركمان واكراد فأخذ من الغنم والخيل مايزيد على عشرة الآف وسبى وقتل ومن سلم له فرس من عسكر حلب يخرجون مع الحرامية والأوباش يقطعون الغارات على بلادهم ويحضرون الأسارى مرةً بعد اخرى

ثم اغار جوسلين على الجبول وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر فخنق اهلها بالدخان في المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم

وفي يوم الاربعا سادس وعشرين من ذى القعدة عبر بلك الى الشام وقبض على نائب بهرام داعي الباطنية بحلب وامر باخراجهم من حلب فباعوا اموالهم ورحالهم وخرجوا منها . ثم ان الأمير نور الدين بلك جمع العساكر ووصله اتابك طغتكين بعسكر دمشق وعسكر اق سنقر البرسقى وعبروا حتى نزلوا على عزاز وضايقوها بالحصار واخذوا عليها نقوباً الى ان سهل امرها فتجمع الفرنج وقصدوا ترحيل المسلمين عنها فالتقى الجيشان وهزم المسلمون وتفرقوا بعد قتل من قتل

واسر من اسر وعمر بلك حصن الناعورة بالنقرة وحصن ايلغازة على شط الفرات وتزوج بالخاتون فرخنده خاتون بنت رضوان في ثالث وعشرين ذى الحجة

[سنة ٥١٨]

ذكر محاصرة بلك منبج وقتله واستيلاء تمرتاش ثم (آقسنقر البرسقي على حلب)

قال ابن العديم وفى المحرم من سنة ثمان عشرة وخمسمائة تنكر بلك على رئيس حلب وكان رجلاً من اهل حران اسمه محمد بن سعدان ويعرف بأبن سعدانة وكثر الامن من الذعار وقطاع الطريق عند قدوم بلك حلب واقام الهيبة العظيمة وتقدم بفتح ابواب حلب ليلاً ونهاراً وحسم مادة ارباب الفساد وقال الحارس ان عدتُ سمعتك تصيح ضربت عنقك وقتل بغدوين ومن كان معه من حبس حران فحبسه في قلعة حلب

وتوجه في شهر صفر فرقة من اصحابه الاتراك الى ناحية عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج وقعة عند مشحلا وظفر بهم الاتراك وقتلوا منهم اربعين رجلاً من الخيالة والرجال واخذوا سلاحهم ووصل الباقون عزاز وما فيهم الا من جرح عدة جروح وانقطع المطر في كانون ونصف شباط ثم تدارك فاخصب الزرع واستغل الناس وكان بحلب غلاء شديد. وفي صفر من سنة ثمان عشرة وخمسمائة تنكر نورالدولة بلك على حسان بن كمشتكين صاحب منبج لشئ بلغه عنه فانفذ قطعة من عسكره مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق وتقدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا حساناً ان يخرج معهم للاغارة على تل باشر فاذا خرج يقبضونه ففعلوا ذلك ودخلوا منبج وعصى عليهم الحصن ودخله عيسى اخوه

وسير حسان فحبس في حصن بالوا بعد ان عوقب وعري وسحب على الشوك فلم يسلمها اخوه وكتب عيسى الى جوسلين ان وصلتني وكشفت عني عسكر بلك سلمت اليك منبج وقيل انه نادى بشعار جوسلين بمنبج فمضى الى بيت المقدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشد مايزيد على عشرة آلاف فارس وراجل ووصل نحو منبج ليرحل بلك عن منبج فسار اليه بلك لما قرب من منبج والتقيا يوم الأثنين ثامن عشر شهر ربيع الاول واقتتل العسكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسين حملة يقتل فيهم ويخرج سالماً يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم وعاد الى منبج فبات مصلياً مبتهلاً الى الله تعالى لما جدده على يده من الظفر بالفرنج واصبح يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الاول فقتل كل اسير اسره في الوقعة ثم زحف نحو الحصن ليختار موضعاً ينصب فيه المنجنيق وعليه بيضة وبيده ترس وكان قد عزم على ان يستخلف ابن عمه تمرتاش بن ايلغازي على حصار منبج ويطلع منجداً لاهل صور فان الفرنج كانوا يضايقونها وفي تلك المضايقة اخذوها فبينا بلك قائماً يأمر وينهى اذجاءه سهم من الحصن وقيل انه كان من يد عيسى فوقع في ترقوته اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال هذا قتل المسلمين كلهم ومات لوقته وقيل بقي ساعات وقضى نحبه رحمه الله وحمل الى حلب ودفن بها قبلي مقام ابراهيم عليه السلام (١) ووصل حسام الدين تمرتاش

---

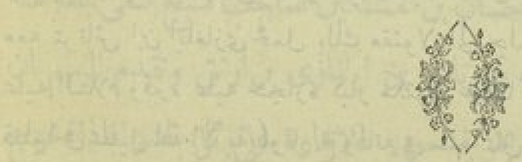
(١) قال في المختار من الكواكب المضية لما قتل بلك بن بهرام بن ارتق عند منبج كان معه تمرتاش ابن ايلغازي فحمل بلك مقتولاً الى حلب ودفن بها قبلي مقام ابراهيم الخليل عليه السلام وقبره عليه حجارة كبار مكتوب عليها بالكوفي قوله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية)وتاريخ وفاته في سنة ثمان عشرة وخمسمائة اهـ

اقول لم يزل قبلي المقام المذكور في وطاة من الارض قبر عليه حجارة كبيرة وعليه كتابة

ابن ايلغازى الى حلب يوم الاربعاء العشرين من شهر ربيع الاول ودخل القلعة ونصب علمه ونادى الناس بشعاره وسار فى رجب سنة ثمان عشرة واستوزر ابا الرجاء بن السرطان وولى الرياسة بحلب فضايل بن صاعد وسير الى حران فحمل منها سلطـان شاه بن رضوان وكان بالك اسكنه بها فاعتقله في دار بقلعة ماردين وكان فيها طاقة فتدلى منها بحبل وهرب الى دارا ثم رحل منها الى حصن كيفا الى داود بن سكمان

وفى العشر الأواخر من ربيع الاول سار نايب جوسلين من الرهـا واغار على ناحية شبختان ونهبها فسار اليه نايب تمرتاش عمر الخاص وكان نـائبه وربيب ابيه ايلغازي وركب خلفه فى ثلاثمائة فارس فلحقه على مرج اكساس فقـاتله وهزمه وقتله وقتل اكثر من كان معه من الفرنج وعاد غانماً وانفذ رؤسهم ومـا غنم الى تمرتاش الى حلب وولاه تمرتـاش شحنكية حلب وهو المدفون فى القبة التى مقابل باب مشهد ابراهيم عليه السلام واسمه مكتوب على جهاتها الاربع وولى قلعة حلب رجلاً يقال له عبد الكريم

بالخط الكوفى المسمى بالمزهر ويغلب على الظن انه قبر بلك المذكور الا ان ما كتب عليه هو آية الكرسى لا الآية المتقدمة وعن يمين المقام المذكور بين قبور آل راغب اغا قبر كبير محرر عليه بالخط الكوفي المزهر آية الكرسي ايضاً الا ان بعض الكتابة مطمور في الارض والكتابة فى هذين القبرين هى غاية فى الحسن مثل الكتابة التى على منارة الجامع الكبير ويصلح ان يعد هذان القبران من نفائس الآثار العربية القديمة وهمـا يمثلان ما كان عليه الخط الكوفي فى ذلك العصر •



وفى عشرة جمادى الاولى من هذه السنة استقر الامر بين الملك بغدوين صاحب انطاكية وكان في سجن بلك بحلب وبين تمرتاش بن ايلغازى على تسليم الأثارب وزردنا والجزر وكفرطاب وعلى تسليم عزاز وثمانين الف دينار وقدم منها عشرين الف دينار وحلف على ذلك وعلى ان يخرج دبيساً بن صدقة من الناس وكان قد وصل دبيس منهزماً من المسترشد بعد ان كسره المسترشد وقتل خلقاً من عسكره فنزل بلاده وحمل ماقدر عليه من العين والعروض على ظهور المطايا ووفد على ابن سالم بن مالك بن بدران الى قلعة دوسر واستجار به فأجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود في امره وكاتب دبيس قوماً من اهل حلب وانفذ لهم جملة دنانير وسامهم تسليمها اليه وكشف ذلك رئيسها فضايل بن صاعد بن بديع فاطلع على ذلك تمرتاش بن ايلغازي فاخذهم وعذبهم وشنق بعضهم وصادر بعضاً وكان المتوسط في حديث بغدوين مع تمرتاش الأمير ابو العساكر سلطان بن منقذ وسير اولاده واولاد اخوته رهناً عن بغدوين الى حلب وفكت قيود بغدوين واحضر الى مجلس تمرتاش وتأكلا وتشاربا وخلع عليه قباء ملكياً وقلنسوة ذهب وخفافاً مزّاناً واعيد عليه الحصان الذي كان اخذه منه بلك يوم اسره فركب وسار الى شيزر يوم الاربعاء رابع جمادى الاولى فبقي عند ابي العساكر حتى احضر جماعة رهناً على الوفاء بما شرطه لتمرتاش وهم ابنته وابن جوسلين وغيرهما من اولاد الفرنج وعدتهم اثنا عشر نفراً وحمل العشرين الف دينار التي عجلها وقبض صاحب شيزر الرهائن واطلق بغدوين من سجن شيزر في يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب فخرج وغدر بتمرتاش وانفذ اليه يقول. البطريك الذي لايمكن خلافه سألني عما بذلت وما الذى استقر فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى وامرني بالدفع عنها وقال ان

خطيئتك تلزمني ولا اقدر على خلافه فترددت الرسائل بينهما فلم يستقر قاعدة وغالط دبيس جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بوساطة الامير مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها . منها ان يكون حلب لدبيس والاموال والارواح للفرنج مع مواضع من بلد حلب تكون للفرنج وتقدم دبيس الى مرج دابق فخرج اليه حسام الدين تمرتاش فكسره وسار تمرتاش من حلب عند ما علم بغدر الفرنج به الى ماردين في الخامس والعشرين من شهر رجب ليستنجد باخيه سليمان بن ايلغازي وجمع العساكر وبقي بنو منقذ رهائن بقلعة حلب عند تمرتاش واولاد الفرنج رهائن عند ابي العساكر بن منقذ بشيزر والرسل مع هذا تتردد بين تمرتاش وبغدوين الى ان عادت الرسل في ثامن عشر شعبان مخبرة بنقض الهدنة وبخروج بغدوين الى ارتاح قاصداً النزول على حلب ورحل بغدوين من ارتاح حتى نزل على نهر قويق وافسد كل ما كان عليه ثم رحل فنزل على باب حلب في يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو السادس من تشرين الاول وخرج دبيس وجوسلين من تل باشر وقصدا ناحية الوادي وافسدا القطن والدخن وسائر ما كان به وقوّم ذلك بمائة الف دينار ورحلا ونزلا مع بغدوين على حلب ووصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربي من حلب في الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوزه يمنة ويسرة ونزل دبيس وسلطان شاه بن رضوان مما يلي جوسلين من الشرق وفي صحبة دبيس عيسى ابن سالم بن مالك ونزل باغيسيان بن عبد الجبار بن ارتق صاحب بالس مما يلي دبيس من الشرق وكانت عدة الخيم ثلاثمائة . للفرنج مائتا خيمة وللمسلمين مائة خيمة واقاموا على حلب يزاحفونها وقطعوا الشجر وخربوا مشاهد كثيرة ونبشوا

قبور موتى المسلمين واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم وسلبوا الاكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطع اوصاله فربطوا في ارجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين وجعلوا يقولون هذا نبيكم محمد وآخر يقول هذا عليكم واخذوا مصحفاً من بعض المشاهد بظاهر حلب وقالوا يامسلم ابصر كتابكم وشقه الفرنجي بيده وشده بخيطين وعمله ثفراً لبرذونه فظل البرذون يروث عليه وكلما ابصر الروث على المصحف صفق بيديه وضحك عجباً وزهوا واقاموا كلما ظفروا بمسلم قطعوا يديه ومذاكيره ودفعوه الى المسلمين والمسلمون يفعلون بمن يأسرونه من الفرنج كذلك وربما شنق المسلمون بعضهم ويخرج الغزاة من باب العراق ويسرقونهم من الخيم ويقطعون عليهم الطريق ويقتلون ويأسرون ويصيح المسلمون على دبيس من الاسوار دبيس ياانجيس والرسل تتردد بينهم في الصلح ولا يستتب الى ان ضاق الامر بالمسلمين جداً وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخاص ومعهما مقدار خمسمائة فارس والذى يتولى تدبيرها وهو فى مقام الرياسة القاضى ابو الفضل ابن الخشاب وتولى حفظ المكان وبذل المال والغلال فاتفقوا على ان سيروا جد ابي قاضى حلب القاضي اباغانم محمد بن هبة الله بن ابى جرادة ونقيب الأشراف وابا عبدالله بن الحلى فخرجوا ليلاً ومضوا الى تمرتاش الى ماردين مستصرخين اليه ومستغيثين به فوجدوه وقدمات اخوه سليمان بن ايلغازى صاحب ميافارقين في شهر رمضان وسار تمرتاش الى بلاده ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب وكانت الرسل مترددة بينه وبين آقسنقر البرسقي صاحب الموصل في اتفاق الكلمة على قصد الفرنج وكشفهم عن حلب فاشتغل بهذا الامر عن هذا التقرير والحلبيون عنده يمنيهم ويمطلهم ولما خرج الحلبيون من حلب بلغ

الفرنج ذلك فسيروا خلفهم من يلحقهم فلم يدركهم واصبحوا في صباح تلك الليلة وصاحوا الى اهل حلب اين قاضيكم واين شريفكم فاسقط في ايديهم الى ان وصل منهم كتاب يخبر بسلامتهم وبقي الحلبيون عند تمرتاش يحثونه على التوجه الى حلب وهو يعدهم ولا يفعل وهم يقولون له نريد منك ان تصل بنفسك والحلبيون يكفونك امرهم فضاق الامر بالحلبيين الى حد يأكلون فيه الكلاب والميتات وقلت الاقوات ونفدما عندهم وفشى المرض فيهم فكان المرضى يئنون من شدة المرض فاذا ضرب البوق لزحف الفرنج قام المرضى كانما انشطوا من عقال وزحفوا الى الفرنج وردّوهم الى خيامهم ثم يعودون الى مضاجعهم فكتب جدى ابو الفضل هبة الله بن القاضي ابي غانم كتاباً الى والده يخبره بما آل امر حلب اليه من الجوع واكل الميتات والمرض فوقع كتابه فى يد تمرتاش فغضب وقال انظر الى هؤلاء يتجلدون عليّ ويقولون اذا وصلت فاهل حلب يكفونك امرهم ويغرون بي حتى اصل فى قلة وقد بلغ بهم الضعف الى هذه الحالة ثم امر بالتوكيل والتضييق عليهم فشرعوا فى اعمال الحيلة والهرب الى آقسنقر البرسقي ليستصرخوا به فاحتالوا على الموكلين بهم حتى ناموا وخرجوا هاربين فاصبحوا بدارا وساروا حتى اتوا الموصل فوجدوا البرسقي مريضاً مدنفاً والناس قد منعوا من الدخول عليه الا الاطباء والفروج تدق له لشدة الضعف ووصل الى دبيس من اخبره بذلك فضرب البشارة في عسكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض اصحابه اهل حلب قد مات من املتم نصره فكادت انفس الحلبيين تزهق واستأذن الحلبيون على البرسقي فأذن لهم فدخلوا عليه واستغاثوا به وذكروا له ما اهل حلب فيه من الضر فأكرمهم رحمه الله وقال لهم ترون ما انا فيه الآن من المرض ولكن قد جعلت لله عليّ نذراً ان

عافاني من مرضي هذا لأبذلن جهدي في نصرتكم والذب عن بلدكم وقتال اعدائكم قال القاضي ابو غانم قاضي حلب فما مضى ثلاثة ايام بعد ذلك حتى فارقته الحمي فأخرج خيمته ونادى فى العساكر بالتأهب للجهاد الى حلب وبقي اياماً وعمل العسكر اشغاله وخرج رحمه الله فى عسكر قوي فوصل الى الرحبة وكاتب اتابك طغتكين صاحب دمشق وصمصام الدين خير خان بن قراجا صاحب حمص ورحل الى بالس وسار منها الى حلب فوصلها يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة من سنة ثمان عشرة

ولما قرب من حلب رحل دبيس ناشراً اعلامه البيض الى الفرنج عند قربه من حلب وتحولوا الى جبل جوشن كلهم وخرج الحلبيون الى خيامهم فنهبوها ونالوا منها ما ارادوا وخرج اهل حلب والتقوا قسيم الدولة عند وصوله وسار نحو الفرج فانهزموا بين يديه من جبل جوشن وهو يسير وراءهم على مهل حتى ابعدوا عن البلد فارسل الشاليشية وامرهم ان يردوا العسكر فجعل القاضى ابن الخشاب يقول له يامولانا لو ساق العسكر خلفهم اخذناهم فأنهم منهزمون والعساكر محيطة بهم فقال له ياقاضى تعلم ان فى بلدكم مايقوم بكم وبعسكرى لو قدر علينا والعياذ بالله كسرة فقال لافقال مايؤمننا ان يرجعوا علينا ويكسرونا ويهلك المسلمون ولكن قد كفى الله شرهم وندخل الى البلد ونقويه وننظر في مصالحه ونجمع لهم انشاء الله ونخرج اليهم بعد ذلك ورجع ودخل البلد وتسلم قلعتها ونظر فى مصالح البلد وقوّاه وازال الظلم والمكوس وعدل فيهم عدلاً شاملاً واحسن اليهم احساناً كاملاً وكتب لاهل حلب توقيعاً بأطلاق المظالم والمكوس نسخته موجودة بعد ماكان الحلبيون متعوا به من الظلم والمصادرة من عبد الكريم والي القلعة وعمر الخاص والي البلد وتسليطهما الجند والأتراك على مصادرة الناس بحيث انهم

استصفوا اموال جماعة من الأكابر والصدور وغيرهم في حالة الحصار واما الفرنج فانهم توجهوا الى الأثارب ودخلوا انطاكية وشرع الناس فى الزرع ببلد حلب في الثانى عشر من شباط وجعلوا يبلون الغلة بالماء ويزرعونها فنبتت وتداركت عليها الامطار فأخصبت وجاءت الغلة من اجود الغلال وازكاها .

﴿ زيادة بيان لأسباب استيلاء آقسنقر البرسقي على حلب ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة فى ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ماذكرنا طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الأستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجمع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة [من اعمال بغداد] فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال لهم ان اهلها شيعة وهم يميلون الي لأجل المذهب فتى رأوني سلموا البلد اليّ وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال انى اكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديداً ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى اهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الأقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الأسباب اعملوا الرأي فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقي صاحب الموصل فأرسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من في البلد وهو في الطريق يقول اننى لا اقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي وصار اصحابي فيها لأننى لاادرى ما يقدره الله تعالى اذا انا لقيت الفرنج فاذا انهزمنا منهم وليست حلب بيد اصحابي حتى احتمي انا وعسكري بها لم يبق

منا احد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فأجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار في العسكر التي معه فلما اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يرائم فأراد من في مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر امر حلب وتصلح حالها وتكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج اهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتى اصلح الأمور وقررها

سنة ٥١٩ و ٥٢٠

ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج

وتولية البرسقي بابك ثم كافوراً الخادم ثم ولده مسعوداً على حلب

قال ابن العديم في سنة تسع عشرة وخمسمائة فى اواخر المحرم رحل البرسقي الى تل السلطان ومنها الى شيزر ثم اقام بأرض حماة اياماً حتى وصل اليه اتابك طغتكين فرحل في عسكره التى لاتحد كثرة ونزل كفرطاب فسلمت اليه يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر وسلمها الى صمصام الدين خيرخان بن قراجا وكان قد وصل اليه من حمص والتقاه بتل السلطان وسار الى عزاز وقاتلها ونقبت قلعتها فقصدهم الفرنج فالتقوا سادس عشر ربيع الآخر وكسر البرسقى كسرة عظيمة واستشهد جماعة من المسلمين من السوقة والعامة ولم يقتل من الامراء والمقدمين احد ووصل آقسنقر البرسقي سالماً الى حلب واقام على قنسرين اياماً وتفرقت العساكر الى بلدهم ووصل امير حاجب صارم الدين بابك بن طماس فولاه البرسقي حلب وبلدها وعزل عنها سوتكين واليا كان ولاه

ووقعت الهدنة بين البرسقى والفرنج على ان يناصفوهم في جبل السماق وغيره

مما كان بأيدى الفرنج وسار البرسقي الى الموصل فلم يزل الفرنج يعللون الشحن والمقطعين بالمحال فى مغلّ ما وقعت الهدنة عليه العشرين من شعبان من السنة وسار بغدوين الى بيت المقدس والرسول خلفه يعلمه بأن الفرنج لا يمكنون احداً من رفع شيء من الصافي واخذ بعض متصرفي المسلمين بعض ارتفاع من الأماكن والهدنة على حالها فتجمع الفرنج ونزلوا رفنية وخرج شمس الخواص صاحبها طالباً اقسنقر البرسقي مستصرخاً به وسلمها اليهم ولده المستخلف فيها فى آخر صفر من سنة عشرين وخمسمائة وقصدوا بلد حمص فشعثوه فجمع البرسقي العساكر وحشد وسار نحو الشام لحربهم حتى وصل الرقة اواخر شهر ربيع الآخر وسار الى ان نزل بالنقرة على الناعورة في الشهر المذكور واقام بها اياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على ان يكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة وان يكون الحروب بينهما على غير ذلك فاستقر هذا الأمر

وكان بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار وسر باريك ابن عمه قد توجه مع جماعة من التركمان الى المعرة فأوقعوا بعسكر الفرنج وقتل المسلمون منهم مائة وخمسين واسروا جفرى بلنك صاحب بسرفوث من جبل بني عليم واودع في سجن حلب وكان قد سير البرسقي ولده عز الدين مسعوداً منجداً لصاحب حمص فاندفع الفرنج عنها فعاد عز الدين الى والده فتركه بحلب وعزل بابك عن ولايتها وولاها كافوراً الخادم الى ان ينظر فيمن يوليه اياها ولاية مستقلة .

ورحل قسيم الدولة الى الأثارب في الثامن من جمادى الآخرة من سنة عشرين وسير بابك بن طلماس فى جماعة من العسكر والنقابين الى حصن الدير المجدد فوق سرمد ففتحه سلماً وقتل من الخيالة بعد ذلك خمسين فارساً ونهب العسكر الغلال والفلاحين من سائر البلد الذى وصلت الغارات اليه ورفعوا الغلة جميعها الى

حلب وزحفوا الى قلعة الأثارب وخربوا الحوشين ولم يتيسر فتحها ووصل بغدوين من القدس في جموع الفرنج ووصل اليه جوسلين ونزلوا عم وارتاح وسيروا الى البرسقى ارحل عن هذا الموضع ونتفق على ما كنا عليه من العام الخالى ونعيد رفنية عليك فتجنب الحرب وخشي ان يتم على المسلمين ما تم على عزاز فصالحهم على ان يزيل الخناق عن الأثارب ويخرج صاحبها بماله ورجاله فغدر الفرنج وقالوا مانصالح الا على ان يكون الأماكن التى ناصفنا فيها فى العام الماضي لنا دون المسلمين فامتنع من ذلك واقام على حلب اياماً والرسل تتردد بينهم فلما لم يتفق حال عاد اقسنقر ونزل قنسرين ورحل الى سرمين وامتدت العساكر الى الفوعة ودانيث ونزل الفرنج على حوض معرة مصرين فأقاموا كذلك الى نصف رجب ونفدت ازواد الفرنج فعادوا الى بلادهم ثم عاد البرسقي وفى صحبته اتابك طغتكين وكان وصل اليه وهو على قنسرين فرحلوا مع العسكر ونزلوا بباب حلب ومرض اتابك فعملت له المحفات واوصى الى البرسقي وتوجه الى دمشق وسلم البرسقي حلب وتدبيرها الى ولده عزالدين مسعود فدخل حلب واجمل السيرة وتحلى بفعل الخير وسار ابوه الى الموصل فدخلها في ذى العقدة .

﴿ ترجمة آقسنقر البرسقي وخبر قتله على اثر عوده الى الموصل ﴾

قال ابن العديم هو آقسنقر بن عبد الله البرسقي وقيل اسمه سنقر وكان مملوك الأمير برسق مملوك السلطان فترقت به الحال الى ان ولاه السلطان محمد بن محمود الموصل وولاه شحنكية بغداد وتقدم عسكرها في ايام المسترشد ثم عزل عن شحنكية بغداد في سنة ثمان عشرة وخمسمائة فوصل الى الموصل واستدعاه الحلبيون الى حلب وقد حصرهم الفرنج وضاق بهم الأمر فوصل اليهم في سنة

ثمان عشرة وخمسمائة ورحل الفرنج عنها وملك حلب واحسن الى اهلها وعدل فيهم وازال المكوس والمظالم ووقع الي نسخة التوقيع الذي كتبه لأهل حلب بأزالة المكوس والضرائب وتعفية آثار الظلم والجور رحمه الله. وكان على مايحكى حسن الاحوال كثير الخير جميل النية كثير الصلاة والتهجد والعبادة والصوم وكان لايستعين في وضوءه بأحد وقتل رحمه الله شهيداً وهو صائم وكان من حديثه فى ملك حلب واستيلائه عليها ان بلك بن بهرام بن ارتق لما قتل بمنبج ملك ابن عمه تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق حلب فباع تمرتاش بغدوين ملك الفرنج وكان اسيراً فى يد بلك فباعه نفسه وهادنه واطلقه ومات شمس الدولة بن ايلغازى صاحب ماردين فتوجه تمرتاش اليها واشتغل بملك ماردين فلما علم بغدوين بذلك غدر بالهدنة واتفق هو ودبيس بن صدقة وابراهيم بن الملك رضوان بن تتش على ان نازلوا حلب واتفقوا على ان يكون البلاد للمسلمين وان حلب لأبراهيم بن الملك رضوان لأنها كانت لأبيه وان تكون الأموال للفرنج وطال حصار حلب واشرفت على الأستيلاء عليها وبلغ بهم الضر الى حالة عظيمة حتى اكلوا الميتات والجيف ووقع فيهم المرض فحكى لي والدي انهم كانوا في وقت الحصار مطرحين من المرض في ازقة البلد فأذا زحف الفرنج وضرب بوق الفزع قاموا كأنما انشطوا من عقال وقاتلوا حتى يردوا الفرنج ثم يعود كل من المرضى الى فراشه وما زالوا في هذه الشدة الى ان اعانهم الله بقسيم الدولة آقسنقر البرسقي فأخلص النية لله فى نصرهم ووصل الى حلب في ذي الحجة من سنة ثمان عشرة وخمسمائة واغاث اهلها ورحل العدو عنها. وكانت رغبات الملوك اذ ذاك قليلة لمجاورة الفرنج لها وخراب بلدها وقلة ريعه واحتياج من يكون مستولياً عليها الى الخزائن والاموال والنفقة في الجند فأخبرني والدي ابو الحسن

احمد وعمي ابو غانم محمد وحديث احدهما ربما يزيد على الآخر قالا سمعنا جدك يعنيان اباهما ابا الفضل هبة الله يقول لما اشتد الحصار على حلب وقلت الاقوات بها وضاق الامر بهم اتفق رأيهم على ان يسيروا ابا غانم قاضي حلب والشريف زهرة وابن الجلي الى حسام الدين تمرتاش الى ماردين وكان هو المستولي على حلب وهي في ايدي نوابه وقد تركها ومضى الى ماردين واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب قال فاتفقوا على ذلك واخرجوا ابي والشريف وابن الجلي ليلاً من البلد فلما اصبح الصباح صاح الفرنج الى اهل البلد اين قاضيكم واين شريفكم قال فانقطعت ظهورنا وتشوشت قلوبنا وايقنا انهم ظفروا بهم ثم وصلنا منهم كتاب يخبر انهم قد وصلوا الى مكان آمن عليهم بالوصول فطابت قلوب اهل حلب لذلك قال عمي ووالدي فسمعنا والدنا يقول لما وصلنا الى ماردين ودخلنا على حسام الدين تمرتاش وذكرنا له ماحل بأهل حلب وماهم فيه من ضيق الحصار والضر وعدنا بالنصر وانه يتوجه اليها ويرحل الفرنج عنها وانزلنا في مكان بماردين وجعلنا نطالبه بما وعد وهو يدافعنا من يوم الى يوم وكان آخر كلامه خلوهم اذا اخذوا حلب عدت واخذتها فقلنا في انفسنا ماهذا الا فرصة وقلنا لاتفعل ولا تسلم المسلمين الى الفرنج فقال وكيف اقدر على لقائهم في هذا الوقت فقال له القاضي ابو غانم وايش هم حتى لانقدر عليهم ونحن اهل البلد اذا وصلت الينا نكفيك امرهم قال القاضي ابو الفضل فكتبت كتاباً من حلب الى والدي ابي غانم اخبره بماحل بأهل حلب من الضر وانه قد آل الامر بهم الى اكل القطاط والكلاب والميتة فوقع الكتاب في ايدي تمرتاش وشق عليه وغضب وقال انظروا الى جلد هؤلاء الفعلة الصنعة قد بلغ الامر بهم الى هذه الحالة وهم يكتمون ذلك ويتجلدون ويغرونني ويقولون اذا وصلت الينا نكفيك امرهم قال القاضي

ابو غانم فأمر تمرتاش بأن يوكل علينا من يحفظنا خوفاً ان نفصل عنه الى غيره فاعملنا الحيلة في الهرب الى الموصل وان نمضي الى البرسقي ونستصرخ به ونستنجده فتحدثنا مع من يهربنا وكان للمنزل الذي كنا فيه باب يصر صريراً عظيماً اذا فتح او اغلق فأمرنا بعض اصحابنا ان يطرح في صائر الباب زيتاً ويعالجه ليفتح عند الحاجة ولا يعلم الجماعة الموكلون بنا اذا فتحناه بما نحن فيه وواعدنا الغلمان اذا جن الليل ان يسرحوا الدواب ويأتونا بها ونخرج خفية في جوف الليل ونركب ونمضي قال وكان الزمان شتاء والثلج كثير على الارض. قال القاضي ابو غانم فلما نام الموكلون بنا جاء الغلمان بأسرهم الا غلامي ياقوت واخبر غلمان رفاقي ان قيد الدابة تعسر عليه فتحه وامتنع كسره فضاقت صدورنا لذلك وقلت لاصحابي قوموا انتم وانتهزوا الفرصة ولا تنتظروني فقاموا وركبوا والدليل معهم يدلهم على الطريق ولم يعلم الموكلون بنا بشيء مما نحن فيه وبقيت وحدي من بينهم مفكراً لا يأخذني نوم حتى كان وقت السحر فجاءني غلامي ياقوت بالدابة وقال الساعة انكسر القيد قال فقمت وركبت لا اعرف الطريق ومشيت في الثلج اقصد الجهة التي اقصدها قال فما طلع الصبح الا انا واصحابي الذين سبقوني في مكان واحد وقد ساروا من اول الليل وسرت من آخره وكانوا قد ضلوا عن الطريق فنزلنا جميعاً وصلينا الصبح وركبنا وحثثنا دوابنا واعملنا السير حتى وصلنا الموصل فوجدنا البرسقي مريضاً وهو يسقى امراق الفراريج المدقوقة فأعلم بمجيئنا فأذن لنا فدخلنا عليه ووجدناه مريضاً مدنفاً فشكونا اليه وطلبنا منه ان يغيث المسلمين وذكرنا له ما حل بهم من الحصار والضيق وقلة الاقوات وما آل اليه امرهم فقال كيف بالوصول الى ذلك وانا على ما ترون فقلنا له يجعل المولى في نيته وعزمه ان خلصه الله من هذا المرض ان ينصر المسلمين فقال اي

والله ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اني اشهدك على انني ان عوفيت من مرضي لأنصرنهم قال فما استتم ثلاثة ايام حتى فارقته الحمى واغتدى ونادى في عسكره للغزاة وبرز خيمته وخرجت عساكره وعملوا اشغالهم وتوجه بهم حتى اتى حلب فلما قاربها واشرفت عساكره من الوتب رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وتأخروا عن المدينة وساق الى ان قارب المدينة وخرج اهلها الى لقائه فقصد نحو الفرنج واهل البلد مع عسكره فانهزم الفرنج بين يديه وهو يسير وراءهم على مهل حتى ابعدوا عن البلد فأرسل الشاليشية وامرهم برد العسكر . قال فجمل القاضي ابو الفضل بن الخشاب يقول له يامولانا لو ساق المولى خلفهم اخذناهم بأسرهم فأنهم منهزمون قال فقال له ياقاضي كن عاقلا اتعلم ان في بلدكم مايقوم بكم وبعسكري لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة من العدو فقال لا فقال فما يؤمننا ان يكسرونا وندخل البلد ويقووا علينا فلا ننفع انفسنا والله تعالى قد دفع شرهم فنرجع الى البلد ونقويه ونرتب احواله وبعد ذلك نستعد لهم ويكون ما يقدره الله تعالى ونرجو ان شاء الله تعالى اننا نلقاهم ونكسرهم . قال ورجع ودخل البلد ورتب الاحوال وجلب اليه الغلال وامن الناس واستقروا قال وكان ذلك في آدار فجعل الناس يأخذون الحنطة والشعير ويبلونها بالماء ويزرعونها فاستغل الناس في تلك السنة مغلا صالحا . هذا معنى ماحدثني به والدي وعمي ونقلت من خط عبد المنعم بن الحسن بن اللعيبة الحلبي دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة ووصلت العساكر من الشرق ومقدمها آقسنقر البرسقي وكان الافرنج نزلوا على حلب في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة وحاصروها وضيقوا على اهلها ومضى القاضي ابن العديم والاشراف وقوم من مقدمي اهلها مستصرخين لأنه ماكان بقي من اخذها شيء فوصل البرسقي معهم في محرم

سنة تسع عشرة وخمسمائة ونزل بالس وكانت رسله مذ وصل الرحبة متواترة الى حمص ودمشق يستدعي مالكيها وسار الأمير صمصام الدين عن حمص فى اول ربيع الأول فلقي الأمير قسيم الدولة البرسقي بتل السلطان بعد انفصاله عن حلب وانهزام الافرنج عنها وكان سرى اليهم من بالس ووصل الى حلب وفرح اهل حلب ونهبوا من خيام الافرنج مقدار المائة خيمة من على جبل جوشن وما بقى من هلاكهم شيء لكن الله امسك ايدي الترك عنهم بمشيئته

وقرأت بخط ابى غالب عبد الواحد بن الحصين فى تاريخه في حوادث سنة ثمان عشرة وخمسمائة وفى ثانى عشر ذي حجتها دخل البرسقي الى حلب وفى غده رحل الأفرنج عنها قال وبعد ان اقام البرسقي بحلب ورتب احوالها ترك ولده بها وعاد الى الموصل فقتله الاسماعيلية على مانذكره

قال لي شيخنا ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجوزى كان اقسنقر البرسقي خيراً عادلاً لين الاخلاق حسن العشرة مع اصحابه قال لي اخبرنى ابي محمد بن عبد الكريم قال حكى بعض الغلمان الذين كانوا يخدمون البرسقى قال كان يصلي البرسقي كل ليلة صلاة كثيرة وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد قال فرأيته في بعض ليالي الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية وبر صغيرة وبيده ابريق نحاس وقد قصد دجلة ليأخذ ماء يتوضأ به قال فلما رأيته قمت اليه لآخذ الأبريق من يده فمنعني وقال يامسكين ارجع الى مكانك لأنه برد فاجتهدت به لآخذ الأبريق من يده فلم يفعل ولم يزل حتى ردنى الى مكانى ثم توضأ ووقف يصلي قال وذكر لي من احواله الحسنة اشياء يطول ذكرها

سمعت شيخنا الصاحب قاضى القضاة بهاء الدين ابا المحاسن يوسف بن رافع

ابن نعيم يقول كان البرسقي ديناً عادلاً قال ومما يؤثر عنه انه قال يوماً لقاضي الموصل اظنه المرتضى الشهرزوري اريد ان تساوى بين الرفيع والوضيع فى مجلس الحكم وان لا تخص اولى الهيئات والمراتب بزيادة احترام فى مجلس الحكم فقال له القاضي وكيف لى بذلك فقال ما لهذا طريق الا ان ترتاد خصماً يخاصمني في قضية ويدعونى الى مجلس الحكم واحضر اليك وتلتزم معى ما تلتزمه مع خصمي وسوف ارسل اليك خصماً لاتشك في انه خصم لى ويدعى على بدعوى فادعني حينئذ الى مجلس الحكم لأحضر اليك وجاء الى زوجته الخاتون ابنة السلطان محمود فيما اظن وقال لها وكلى وكيلاً يطالبنى بصداقك فوكلت وكيلا ومضى الوكيل الى مجلس الحكم وقال لي خصومة مع قسيم الدولة البرسقي واطلب حضوره الى مجلس الحكم فسير القاضى اليه ودعاه فاجاب وحضر مجلس الحكم فلم يقم له القاضي وساوى بينه وبين خصمه فى ترك القيام والاحترام وادعى عليه الوكيل واثبت الوكالة واعترف البرسقي بالصداق فأمره القاضى بدفعه اليه فأخذه وقام الى خزانته ودفع اليه الصداق . ثم انه امر القاضي ان يتخذ مسماراً على باب داره يختم عليه بشمعة وعلى المسمار منقوش اجب داعي الله وانه من كان له خصم حضر وختم بشمعة على ذلك المسمار ويمضي بالشمعة المختومة الى خصمه كائناً من كان فلا يجسر احد على التخلف عن مجلس الحكم. وقرأت بخط الحافظ ابى طاهر السلفى (عالم الاسكندرية) وسقر البرسقي ولي العراق سنتين وبلغ مبلغاً عظيماً ثم ولي ديار مضر ودار ملكه الموصل ثم حلب وكثيراً من مدن الشام وجاهد الفرنج ثم قتله بعض الملاحدة لعنهم الله وكان سيفاً عليهم قل ما يرى في جيشه مثله رحمه الله ورضي عنه رأيته بالعراق في حال ولايته و بالشام قبل ان وليها .

وقال لي عز الدين ابو الحسن بن الأثير في سنة عشرين وخمسماية قتل آقسنقر البرسقى بالجامع العتيق بالموصل بعد الصلاة يوم الجمعة قتله باطنية وكان رأى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقون اذيً شديداً فقص رؤياه على اصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا اترك الجمعة لشيء ابداً وكان يشهدها في الجامع مع العامة فحضر الجامع على عادته فثار به الباطنية مايزيد عن عشرة انفس فقتل بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله.

قرأت بخط ابي الفوارس حمدان بن عبد الرحيم في تاريخه الذى جمعه ووقع اليَّ منه اوراق نقلت منها فى حوادث سنة عشرين وخمسمائة ان البرسقي سلم حلب وتدبيرها الى ولده الامير عز الدين مسعود فدخل حلب واجمل السيرة وتحلى بفعل الخير وسار ابوه الى الموصل والجزيرتين وما هو جار في مملكته حتى دخل شهر ذي القعدة من السنة فلما كان يوم الجمعة تاسع الشهر قصد الجامع بالموصل ليصلي جماعة ويسمع الخطيب كما جرت عادته في اكثر الجمع وقصد المنبر فلما قرب منه وثب عليه ثمانية نفر فى زيّ الزهاد فاخترطوا خناجر وقصدوه وسبقوا الحفظة الذين حوله فضربوه حتى اثخنوه وجرحوا قوماً من حفظته وقتل الحفظة منهم قوماً وقبضوا قوماً وحمل البرسقي بآخر رمقه الى بيته وهرب كل من في الجامع وبطلت صلاة الجمعة ومات الرجل من يومه وقتل اصحابه من بقي بايديهم من الباطنية ولم يفلت منهم سوى شاب كان من كفرناصح ضيعة من عزاز من شمالي حلب. قال حمدان فيما نقلته من خطه وحدثني رجل منها انه كان له والدة عجوز لما سمعت بقتلة البرسقي وكانت تعرف ان ولدها من جملة من ندب لقتله فرحت واكتحلت وجلست مسرورة كأنه عندها يوم العيد وبعد ايام وصلها سالماً فأحزنها ذلك وقامت وجزت شعرها وسودت وجهها . اه

قال ابن خلكان في ترجمته ان سبب قتل الباطنية له انه كان تصدى لاستئصال شأفتهم وتتبعهم وقتل منهم عصبة كبيرة رحمه الله تعالى قال والبرسقى بضم الباء والسين

تتمة حوادث سنة ٥٢٠ و ٥٢١

﴿ استيلاء عز الدين مسعود بن آقسنقر على حلب ﴾

وتوليته عليها تومان ثم توجهه الى الرحبة وموته امامها فجأة وتوليته حلب لختلغ ابه ثم لسليمان بن عبد الجبار

قال ابن العديم ملك عز الدين مسعود حلب عند ورود الخبر عليه بقتل ابيه فى سنة عشرين واستوزر المؤيد وزير ابيه وولى فيها من قبله الامير تومان وسار من حلب فى سنه احدى وعشرين وخمسماية الى السلطان محمود وهو ببغداد فسأله ان ينعم عليه ببلاد ابيه فكتب له منشوراً بذلك فوصل الى الموصل وملكها ثم نزل الى الرحبة قاصداً الى الشام وكان يظن ان قاتلى ابيه قوم من اهل حماة فاضمر للشام واهله شراً عظيماً ورجع عما كان عليه من الافعال المحمودة والاقبال على مجاهدة الفرنج وبلغ طغتكين عنه انه يقصده فتأهب له فلما نزل بظاهر الرحبة امتنع واليها من تسليمها لخاصرها اياماً فسلمها الوالي اليه ونزل فوجده قد مات فجأة وقيل سقي سماً فمات وندم الوالي على تسليم الرحبة وكان قد وصلت قطيعة من العسكر لتقوية حلب فمنعهم تومان من الدخول اليها فوقع الشر بينه وبين رئيس حلب فضايل بن بديع وادخلهم الى حلب فوصل الى حلب ختلغ ابه السلطاني غلام السلطان محمود ومعه توقيع مسعود بن البرسقي بحلب كتبه قبل وصوله الى الرحبة فلم يقبله تومان والي حلب فعاد ختلغ ابه الى الرحبة وقد جرى فيها ما ذكرناه من موت مسعود فعاد ختلغ ابه على فوره الى حلب فتسلمها من

يد تومان آخر جمادى الآخرة وصعد الى قلعتها بطالع اختاره له المنجمون فأخذه الطمع فى اموال الناس وصادر جماعة من اهل حلب واتهمهم بودايع المجن الفوعى رئيس حلب المقتول في ايام رضوان وقبض على شرف الدين ابي طالب بن العجمى وعمه ابي عبد الله واعتقلهما بقلعة حلب ونقب كعاب ابى طالب وصادره فعاد فعله القبيح عليه بالبوار وضل رأي منجمه فى ذلك الاختيار وقام اهل حلب عليه فحصروه وقدموا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ونادى اهل حلب بشعار بدر الدولة وساعده على ذلك رئيس حلب فضايل بن صاعد بن بديع وقبض على اصحاب ختلغ ابه وذلك فى الثانى من شوال وتصد فى تلك الحال مالك انطاكية جوسلين فصانعوه على مال حتى رحل وضايقوا القلعة وحرقوا القصر ودخل اليهم الى المدينة الملك ابراهيم بن رضوان ووصل اليهم حسان صاحب منبج وصاحب بزاعة ودام الحصار الى النصف من ذى الحجة .

﴿ ولاية عماد الدين زنكى على الموصل واعمالها ﴾

واستيلائه على سروج والرها والبيرة وحران

قال ابن الأثير لما توفى عز الدين مسعود بن البرسقى ولى السلطان عماد الدين زنكى الموصل واعمالها فتوجه واستولى عليها وعلى بلاد الجزيرة وبسط ابن الأثير الخبر فى ذلك الى ان قال ثم سار الى حران وهي للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج واهل حران معهم فى ضرر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج اهل البلد واطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه ان يتفرغ لأصلاح البلاد

وجند الأجناد وكان اهم الأمور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وامن الناس

سنة ٥٢٢

﴿ ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة اول محرم ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعوداً ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميراً اسمه تومان ثم انه ولى عليها اميراً اسمه ختلغ ابه وسيره الى تومان بتسليمها فقال بيني وبين عز الدين علامة لم ارها ولا اسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود ابن البرسقى حسن التصوير فعاد ختلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضايل ابن البديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا تومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلم ختلغ القلعة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لا سيما التركات فأنه اخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدرالدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قديما صاحبها فأطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثا ثاني شوال فقبضوا على كل من في البلد من اصحاب ختلغ ابه وكان اكثرهم يشربون في البلد صبحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن ختلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب

حسان صاحب منبج وصاحب بزاعة لأصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج
بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده
صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل
والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذي
الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة والشام فسير الى
حلب الأمير سنقر دراز والأمير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقي
وقد صاروا معه فى عسكر قوي ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة
والشام فاستقر الأمر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وختلغ ابه الى الموصل
الى عماد الدين فسار اليه واقام حسن قراقوش بحلب والياً عليها ولاية مستعارة
فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحداً منهما
الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني اليها فى عسكر فصعد الى
القلعة ورتب الأمور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكي الى الشام في جيوشه
وعساكره فملك فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه
واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره واقطع اعماله الاجناد
والأمراء فلما فرغ من الذى اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله
بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار
بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب ابا الحسن على ابن عبد
الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك ببلاد الشام لملكها الفرنج
لأنه كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين [صاحب
دمشق] بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج
الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انه توفي هذه السنة فخلا لهم الشام

من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى اه

﴿ زيادة بيان في استيلاء عماد الدين زنكى على حلب سنة ٥٢٢ ﴾
(ثم استيلائه على حماة سنة ٥٢٣ وتوليته حلب سنة ٥٢٤ لسوار بن ايتكين)

قال ابن العديم وكان اتابك عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر قد ملك الموصل بتواقيع السلطان محمود فسير اليه شهاب الدين مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر واعلمه بأحوال حلب وحصارها فسير اتابك اليها عسكراً مع الأمير سنقر دراز والأمير الحاجب صلاح الدين حسن ودخل الامير صلاح الدين فأصلح الحال ووفق بينهما على ان استدعيا اتابك زنكى من الموصل فتوجه بالجيوش الى حلب وقيل ان بدر الدولة وختلغ سار اليه وقيل ان ختلغ ابه لم يزل بالقلعة حتى وصل اتابك فنزل اليه وصعد اتابك الى القلعة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . واما الملك ابراهيم بن رضوان فأنه هرب منه الى نصيبين وكانت في اقطاعه الى ان مات واما ختلغ ابه فأنه سلمه الى فضايل بن بديع فكحله بداره ثم قتله اتابك بعد ذلك وقيل ان بدر الدولة هرب منه عند ذلك وهرب فضائل بن بديع الى قلعة ابن مالك خوفاً من اتابك

وولى اتابك رياسة حلب الرئيس صفي الدين ابا الحسن علي بن عبد الرزاق العجلاني البالسي فسلك اجمل طريقة مع الناس وخرج اتابك من حلب وسار حتى نزل ارض حماة فوصله صمصام الدين خير خان بن قراجا وتأكدت بينهما مودة لم تحمد عاقبتها فيما نذكره بعد ولذلك وصله سونج بن تاج الملوك ثم سار اتابك بعد ذلك فوطئ بساط السلطان في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وعاد

بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله ودخل الموصل ثم فتح قلعة السن وتوجه الى حلب ورعي عسكره زرع الرهـا وعبر اتابك الفرات الى حلب بتوقيع السلطان محمود وقد كان السلطان آثر ان تكون البلاد لدبيس فقبح المسترشد ذلك وكاتب السلطان وقال له في ما قال ان هذا اعان الفرنج على المسلمين وكثر سوادهم فبطل التدبير واستقر ملك اتابك بالموصل والجزيرة والرحبة وحلب والتوقيع له بجميع البلاد الشامية وغيرها وتزوج اتابك خاتون بنت الملك رضوان وبنى بها في دير الزبيب وكانت معه الى ان فتح الخزانة بحلب واعتبر مافيها فرأى الذي كان على ابيه آقسنقر حين قتله تتش جدها وهو ملوث بالدم فهجرها من ذلك اليوم وقيل انه هدم المشهد الذي على قبر رضوان عند ذلك ودام اتابك مهاجراً لهـا الى ان دخلت على القاضي ابي غانم قاضي حلب وشكت حالها فصعد اليه وكان جباراً الا انه ينقاد الى الحق واذا خوف بـالله خاف فخرج ليركب فلما ركب ذكر له القاضي ماذكرته خاتون فساق اتابك دابته ولم يرد عليه جواباً فجذب القاضى ابو غانم بلجام دابته فوقفت وقال له يامولانا هذا الشرع لاينبغي العدول عنه فقال له اتابك اشهد علي انهـا طالق فأرسل اللجام وقال اما الساعة فنعم

واستوحش الامير سوار ابن ايتكين من تاج الملوك بوري صاحب دمشق وكان في خدمته فورد الى حلب الى خدمة اتابك في سنة اربع وعشرين فأكرمه وشرفه وخلع عليه واجرى له الأقطاعات الكثيرة واعطاه ولاية حلب واعمالها واعتمد عليه في قتال الفرنج وكان له بصيرة بالحرب وتدبير الامور وله وقعات كثيرة مع الفرنج ومواقف مشهورة ابان فيها عن شجاعة واقدام وصار له بسببها الهيبة في قلوبهم

وعزم اتابك فى هذه السنة على الجهاد وكتب الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يلتمس منه المساعدة فأجابه الى ذلك وتحالفا على الصفاء وكتب تاج الملوك الى ولده بهاء الدين سونج بحماة يأمره بالخروج بعسكره وجهز اليه من دمشق خمسمائة فارس وجماعة من الامراء مقدمهم شمس الخواص فخرجوا حتى وصلوا الى مخيم اتابك على حلب فأكرمهم وتلقاهم واقاموا عنده ثلثا ثم اظهروا الغارة على عزاز وركبوا وعطفوا على سونج وغدر به وبأصحابه ونهب خيامهم واثقالهم وكراعهم وهرب بعضهم وقبض على سونج والباقين وحملهم الى حلب فاعتقلهم وسار من يومه الى حماة فأخذها يوم السبت ثامن شوال واقام بها اياماً وطلبها خير خان بن قراجا صاحب حمص وبذل عليها مالاً فسلمها اليه بكرة الجمعة رابع عشر شوال وضربت بوقاته عليها وخطب له الخطيب على المنبر فلما كان وقت العشي من ذلك اليوم قبض عليه ونهب خيامه وجميع مافيها وسار فنزل حمص فقاتلها اربعين يوماً لم يظفر فيها بطايل غير الربض وكان يربط خيرخان على غراير التبن ويعاقبه ويعذبه انواع العذاب وانتقم الله منه ببعض ظلمه في الدنيا وهو كان يحرض اتابك على الغدر بسونج فكافاه الله ، وهجم الشتاء فعاد اتابك الى حلب في ذي الحجة

(سنة ٥٢٥)

﴿ عود عماد الدين زنكي الى الموصل ﴾

قال ابن العديم وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة توجه اتابك الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك وبعض المقدمين من عسكر دمشق وترك الباقين بحلب وترددت المراسلات فى اطلاقهم فلم يفعل والتمس عنهم خمسين

الف دينار اجاب تاج الملوك الى حملها لحملها . ووقع فى هذه السنة وقعة بين جوسلين وسوار بناحية حلب الشمالية فكانت الغلبة لجوسلين وقتل من المسلمين جماعة وخرج سوار بعد ذلك وهجم ربض الاثارب ونهبه اه

فتح عماد الدين زنكى حصن الأثارب وهزيمة الفرنج

قال ابن الأثير فى حوادث هذه السنة لما فرغ عماد الدين زنكى من امر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم امرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوي عزمه على قصد حصن الأثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ واقع بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق [هى طاحون عربية الآن] وكان اهل البلد معهم في ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا ان هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئاً الا واستنفذوه فلما فرغوا من امرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل وكل اشار بالعود عن الحصن فأن لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدرى على اي شيء تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من ايديهم طمعوا وساروا فى اثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال . ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه

واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الأسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا اول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا مايبقي رعبه في قلوبهم ففعلوا ما امرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلاً فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه واخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهي ايضا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل حارم وهادنوه فأجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال وضعفت قوى الفرنج وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ مابأيديهم بعد ان كانوا قد طمعوا في ملك الجميع اه

سنة ٥٢٦ و ٢٧ و ٢٨

قال ابن العديم فى سنة ست وعشرين وخمسمائة فتح الملك كليام (رام حمدان) ووقع بين الفرنج في هذه السنة فتن وقتل بعضهم بعضاً وقتل صاحب زردنا ونزل التركمان على بلد المعرة وكفرطاب وقسموا المغلات فاجتمع الفرنج وهزموهم عن البلد وفتحوا حصن قبة ابن ملاعب (١) واسروا منه بنت سالم بن مالك وحريم ابن ملاعب وخربوا الموضع واوقع الأمير سيف الدين سوار بفرنج تل باشر وقتل منهم خلقاً كثيراً ورتب قوم من اهل الجبل على حصن القدموس واخذوه وسلموه الى سيف الملك بن عمرون فاشتراه ابو الفتح الداعي الباطني

(١) هكذا في الأصل ولعله حصن رفنية وفيه ابن ملاعب

منه ووصل صاحب القدموس الى انطاكية وجمع وخرج الى سوار وسار الى قنسرين في جموع الفرنج والتقوا بعسكر حلب وسوار في سنة ثمان وعشرين في ربيع الاول فكسروا المسلمين وقتلوا ابا القاسم التركمان وكان شجاعاً وقتلوا القاضي ابا يعلى بن الخشاب وغيرهما وتحول الفرنج الى النقرة فصالحهم سوار والعسكر فأوقعوا بسرية منهم فقتلوهم وعادوا برؤسهم واسرى منهم فسر الناس بذلك بعد مساءتهم بالامس واغارت خيل الرها من الفرنج ببلد الشمال وهي عابرة الى عساكر الفرنج فأوقع بهم سوار وحسان صاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحملوا الرؤس والاسرى الى حلب. واغار سوار في هذه السنة على الجزر وحصن زردنا واوقع بالفرنج على حارم وشن الغارة على بلد المعرَّتين وعاد بالغنائم الى حلب

(ذكر الحرب بين صاحب البيت المقدس وبين اسوار نائب حلب)

قال ابن الأثير في هذه السنة (سنة ٥٢٧) في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى اطراف اعمال حلب فتوجه اليه الأمير اسوار النائب بحلب فيمن عنده بالعساكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج في اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فأوقع بهم واكثر القتل فيهم والأسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل اسوار حلب ومعه الأسرى ورؤس القتلى وكان يوماً مشهوداً

ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا اعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والأمير حسان البعلبكي فأوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال واسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

(سنة ٥٣٠)

ذكر غزاة العسكر الاتابكى الى بلاد الفرنج

قال ابن الأثير فى هذه السنة في شعبان اجتمعت عساكر اتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الأمير اسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية ولم يتمكن اهلها من الأنتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا وفعلوا في بلاد الفرنج مالم يفعله بهم غيرهم وكان الأسرى سبعة آلاف اسير مابين رجل وامرأة وصبي ومائة الف راس من الدواب مابين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم واما ما سوى ذلك من الأقمشة والعين والحلي فيخرج عن الحد واخربوا بلد اللاذقية وما جاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فامتلأ من الأسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ولم يقدر الفرنج على شيء يفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزا منهم ووهنا وضعفا اه

سنة ٥٣١

محاصرة زنكى لحمص ثم لبارين

قال ابن العديم في الرابع والعشرين من شهر رمضان من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وصل اتابك زنكى من الموصل الى حلب وسير صلاح الدين في مقدمته فنزل حمص وسار اتابك الى حماة وعيد عيد الفطر فى الطريق واخذ من حلب معه خمسمائة راجل لحصار حمص ورحل الأتابك من حماة الى حمص فى شوال وبها (أنر) من قبل صاحب دمشق فحصرها مدة وخرج الفرنج نجدة لحمص وغيلة لزنكى فرحل عن حمص ولقيهم تحت قلعة بارين فكسرتهم طلائع زنكى مع اسوار فافنوا

عامتهم قتلا واسراً وقتل اكثر من الفين من الفرنج ونجا القليل منهم فرحل الى بارين مع ملكهم كندياجور صاحب القدس واقام الحصار على بارين بعشر مجانيق ليلاً ونهارا ثم تقرر الصلح فى العشر الأواخر من ذى العقدة على التسليم بعد خراب القلعة وخلع على الملك واطلق وخرج الفرنج منها وتسلمها زنكى وعاد الى حلب واستقر الصلح بين اتابك وصاحب دمشق وتزوج اتابك خاتون بنت جناح الدولة حسين على يد الأمام برهان الدين البلخى ودخل عليها بحلب فى هذه السنة .

(زيادة بيان لهذه الحوادث واستيلاء زنكى على المعرة وكفرطاب)

قال ابن الأثير في هذه السنة في شوال سار اتابك زنكى من حمص وحصر قلعة بعرين وهي للفرنج تقارب مدينة حماة وهي من امنع الحصون واحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف اليها بجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكى عنهم كل شيء حتى الاخبار فكان من به منهم لايعلم شيئاً من اخبار بلادهم لشدة ضبطه الطرق وهيبته من جنوده ثم ان القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين واعلموهم ان زنكى ان اخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في اسرع وقت لعدم الحامي عنها وان المسلمين ليس لهم نية الا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك

الروم وكان منهم مانذكره . واما زنكى فأنه جد فى قتال الفرنج فصبروا وقلت عنهم الميرة والذخيرة فأنهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون ان احداً يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي بلاد الشام فلما قلت الذخيرة اكلوا دوابهم واذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقي من الفرنج اعطى لمن فى الحصن الأمان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فأجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لاينفعهم الندم وكان لايصلهم شيء من الاخبار البتة فلهذا سلموه . وكان زنكى فى مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التي بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين في الخزي لأن الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لايزال بينهم فلما ملك امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن احسن الأعمال ما عمله زنكى مع اهل المعرة فأن الفرنج لما ملكوها كانوا قد اخذوا املاكهم فلما فتحها زنكى الآن حضر من بقي من اهلها ومعهم اعقاب من هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا ان الفرنج اخذوا كل مالنا والكتب التى للأملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاد على الناس املاكهم وهذا من احسن الأفعال واعدلها اه قال في الروضتين (١) فى هذه السنة (وهى سنة اربع وثلاثين) سار اتابك

(١) صاحب الروضتين ذكر ذلك فى حوادث سنة ٥٣٤ وابن الأثير وابن العديم ذكراها في حوادث سنة ٥٣١ ويظهرانه الاصح والله اعلم ❊ وتاريخ الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية هو للامام شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ وسماه صاحب الكشف ازهار الروضتين وهو مطبوع

الشهيد الى بلاد الفرنج فأغار عليها واجتمع ملوك الفرنج وساروا اليه فلقيهم بالقرب من حصن بارين وهو للفرنج فصبر الفريقان صبرا لم يسمع بمثله الا ما يحكى عن ليلة الهرير ونصر الله المسلمين وهرب ملوك الفرنج وفرسانهم فدخلوا حصن بارين فحصره حصراً شديداً فراسلوه في طلب الأمان ليسلموا ويسلموا الحصن فأبى الا اخذهم قهرا فبلغه ان من بالساحل من الفرنج قد ساروا الى الروم والفرنج يستنجدونهم ويلتهفون اليهم مافيه ملوكهم من الحصر فجمعوا وحشدوا واقبلوا الى الساحل ومن بالحصن لايعلمون بشيء من ذلك لقوة الحصر عليهم فأعادوا مراسلته في طلب الأمان فأجابهم وتسلم الحصن وساروا فلقيتهم امداد النصرانية فسألوهم عن حالهم فأخبروهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا عجزتم عن حفظه يوما او يومين فحلفوا لهم انا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حصرونا الى الآن فلما عميت الأخبار عنا ظننا انكم اهملتم امرنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن. قال ابن الأثير وكان حصن بارين من أضر بلاد الفرنج على المسلمين فأن اهله كانوا قد خربوا ما بين حماة وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل فأزال الله تعالى بالشهيد رحمه الله هذا الضرر العظيم وفى مدة مقامه على حصن بارين سير جنده الى المعرة وكفرطاب وتلك الولاية جميعها فاستولى عليها وملكها وهى بلاد كبيرة وقرى عظيمة قلت وقد قال القيسراني يذكر هزيمة الفرنج ويمدح زنكى قصيدة اولها

حذار منا وانى ينفع الحذر　　وهى الصوارم لاتبقى ولا تذر

وان ينجو ملوك الشرك من ملك　　من خيله النصر لابل جنده القدر

سلوا سيوفا كأغماد السيوف بها　　صالوا فما غمدوا نصلا ولا شهروا

حتى اذا ما عماد الدين ارهقهم　　فى مازق من سناه يبرق البصر

ولو لا تضيق لهم ذرعا مسالكهم والموت لا ملجأ منه ولا وزر
وفي المسافة من دون النجاة لهم طول وان كان في اقطارها قصر
فلا تخف بعدها الأفرنج قاطبة فالقوم ان نفروا الوى بهم بقر
ان قاتلوا قتلوا اوحاربوا حربوا اوطاردوا اطردوا اوحاصروا احصروا
وطالما استفحل الخطب البهيم بهم حتى اتى ملك آراؤه غرر
والسيف مقترع ابكار انفسهم ومن هنالك قيل الصارم الذكر
لافارقت ظل محي العدل لامعة كالصبح تطوى من الاعداء ما نشروا
ولاانثنى النصر عن انصار دولته بحيث كان وان كانوا به نصروا
حتى تعود ثغور الشام ضاحكة كأنما حل في اكنافهم عمر

وقال ابن منير

فدتك الملوك وايامها ودام لنقضك ابرامها
وزلت لعيشك اقدامها وزال لبطشك اقدامها
ولم تسلم اليك القلوب هواها لما صح اسلامها
ايا محي العدل لما نعا ه ايامى البرايا وايتامها
ومستنقذ الدين من امة ازال المحاريب اصنامها
دلفت لها تقتفيك الاسو د والبيض والسمر آجامها
جزرت جزيرتها بالسيو ف حتى تشاءمها شامها

قال في معجم البلدان بارين بكسر الراء والعامة تقول بقرين مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب اه

(سنة ٥٣٢)

قال ابن الأثير في هذه السنة في المحرم استولى اتابك زنكى على حمص وحصن المجدل

[ذكر وصول ملك الروم الى الشام وملكه بزاعة]

﴿ وما فعله بالمسلمين ﴾

قال ابن الأثير قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة ووصل الى الشام وخافه الناس خوفا عظيماً وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك زنكى وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا الى حلب ليمنعوها من الروم ان حصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعة ونصب عليها منجنيقات وضيق على من بها فملكها بالأمان فى الخامس والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم واسر وسبى وكان عدة من جرح فيها من اهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى فقيل لهم ان جمعاً كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا فى المغاير ثم رحلوا الى حلب من الغد فى خيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلوهم قتالا شديداً فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرون واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا الى قلعة الأثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الأمير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الأثارب فأوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعاد الى حلب . واما عماد الدين زنكى فأنه فارق حمص وسار

الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات الى الرقة واقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة واما الروم فأنهم قصدوا قلعة شيزر فأنها من امنع الحصون وانما حصروها لأنها لم تكن لزنكى فلا يكون له في حفظها اهتمام وانما كانت للأمير ابي العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فنازلوها وحصروها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا فأرسل صاحبها الى زنكى يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصي بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم ثم انه ارسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقي فأن ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له فيهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافاته وهونوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنون ان ليس له من العساكر الا ما ترون انما هو يريد ان تلقونه فيجيئه من نجدات المسلمين مالا حد له وكان زنكى يرسل ايضا الى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحداً ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها اربعين يوماً وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها فسار اتابك زنكى يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم واخذ جميع ما تركوه ورفعه الى قلعة حلب

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابن العديم في حوادث سنة ٥٣١ وفي اواخر هذه السنة وصل ملك الروم

كالياني من القسطنطينية في جموعه ووصل الى انطاكية فخالفه الفرنج لطفاً من الله تعالى واقام الى ان وصلته مراكبه البحرية بالاثقال والميرة والمال فاعتمد لاون بن روبال صاحب الثغور في حقه فتحاً عظيماً وتخوف اهل حلب منه فشرعوا في تحصينها وحفر خنادقها فعاد الى بلاد لاون فافتتحها جميعها فدخل اليه لاون متطارحاً فقال انت بين الفرنج والاتراك لا يصلح لك المقام فسيره الى قسطنطينية في عين زربة وآذنة والثغور مدة الشتاء وكان في عوده عن انطاكية الى ناحية بغراس في الثاني والعشرين ذى الحجة من سنة احدى وعشرين انفذ رسوله الى زنكى وظفر سوار بسرية وافرة العدد من عسكره فقتل واسر ودخل بهم الى حلب ووصل الرسول الى زنكى وهو متوجه الى القبلة فرده ومعه هدية الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور على يد الحاجب حسن فعاد اليه ومعه رسول منه واخبره بأنه يحاصر بلاد لاون فسار الى حماة ورحل الى حمص فقاتلها ثم سار في نصف المحرم من سنة اثنتين وثلثين فنزل بعلبك واخذ منها مالاً وسار الى ناحية البقاع فملك حصن المجدل من ايدى الدمشقيين ودخل فى طاعته ابراهيم بن طرغث والى بانياس وشتى اتابك زنكى بأرض دمشق وورد عليه رسول الخليفة المقتفى والسلطان مسعود بالتشريف ثم رحل اتابك عن دمشق في شهر ربيع الآخر وعاد الى حماة ثم رحل عنها الى حمص فخيم عليها وجرد من حلب رجالاً لحصارها وجمع عليها جموعاً كثيرة وهجم المدينة وكسر اهلها ونال منهم منالاً عظيماً . ونقض الفرنج الهدنة التى كانت بينهم وبين زنكى على حلب واظهروا العناد وقبضوا على التجار بانطاكية والسفار من اهل حلب في جمادى الأولى من السنة بعد احسانه اليهم واصطناعه لمقدميهم حين اظفره الله بهم وانضافوا الى ملك الروم كالياني وظهر ملك الروم بغتة من طريق مدينة البلاط يوم الخميس الكبير

من صومهم ونزل في الحادى والعشرين من رجب على حصن بزاعة وانتشرت الخيل بغتة فلطف الله بالمسلمين فرأوا رجلاً من [كافرترك] ومعه جماعة منهم قد تاهوا عن عسكر الروم واظهروا انهم مستأمنة وانذروا من بحلب بالروم فتحذر الناس وتحفظوا وكاتبوا اتابك زنكى بذلك فوصله الخبر وهو على حمص فسير في الحال الامير سيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس في اربعة من الامراء الاصفهسلارية منهم زين الدين على كوجك فقويت قلوب اهل حلب بهم ووصلوا في سابع وعشرين من رجب .

واما الروم فانهم حصروا حصن بزاعة وقاتلوه سبعة ايام فضعفت قلوب المسلمين وكان الحصن فى يد امرأة فسلموه الى الروم بالأمان بعد ان توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم واسروا من بزاعة ستة آلاف مسلم او يزيدون . واقام الملك بالوادى يدخن على مغاير الباب عشرة ايام فهلكوا بالدخان ثم رحل فنزل يوم الأربعا الخامس من شعبان بأرض الناعورة ثم رحل يوم الخميس سادس شعبان ومعه ريمند صاحب انطاكية وابن جوسلين فنزل على حلب ونصب خيمته من قبليها على نهر قويق وارض السعدى وقاتل حلب يوم الثلثاء من ناحية برج الغنم وخرج اليهم احداث حلب فقاتلوهم وظهروا عليهم وقتل من الروم مقدم كبير ورجعوا الى خيمهم خائبين ورحل يوم الاربعا ثامن شعبان مقتبلا الى السعدى فخاف من بقلعة الأثارب من جند المسلمين فهربوا منها يوم الخميس تاسع شعبان وطرحوا النار في خزائنهم وعرف الروم ذلك فخفت منهم سرية وجماعة من الفرنج ومعهم سبي بزاعة والوادى فملكوا القلعة والجئوا السبي الى خنادقها واحواشها فهرب جماعة منهم الى حلب واعلموا الامير سيف الدين سوار بن ايتكين بذلك وان الروم انعزلوا عنها ونهض اليهم سوار فى شرذمة من

العسكر فصابحهم وقد انتشروا بعد طلوع الشمس فوقع عليهم واستخلص السبي جميعه الا اليسير منهم واركب الضعفاء منهم خلف الخيالة حتى انه اخذ بنفسه جماعة من الصبيان وأركبهم بين يديه ومن خلفه ووصل بهم الى حلب ولم يبق من السبي الا القليل ووصل بهم الى حلب في يوم السبت الحادي عشر من شعبان فسر اهل حلب سروراً عظيماً

وكان اتابك قد رحل من حمص الى حماة ثم رحل الى سلمية ورحل ملك الروم الى بلد معرة النعمان ورحل عنها يوم الأثنين ثالث عشر شعبان الى جهة شيزر ونزلوا كفرطاب ورموها بالمجانيق فسلمها اهلها في نصف شعبان وهرب اهل الجسر وتركوه خالياً فوصله الروم وجلسوا فيه ورحلوا الى شيزر يوم الخميس سادس عشر شعبان فوصلوها في مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصيه الا الله فنزلوا الرابية المشرفة على بلدة شيزر واقاموا يومهم ويوم الجمعة الى آخر النهار وركبوا وهجموا البلد فقاتلهم الناس وجرح ابو المرهف نصر ابن منقذ ومات فى رمضان من جرحه ذلك ثم انهزم الروم وخرجوا ونزل صاحب انطاكية فى مسجد سمنون وجوسلين فى المصلى وركب الملك يوم السبت وطلع الى الجبل المقابل لقلعة شيزر المعروف بجريجس ونصب على القلعة ثمانية عشر منجنيقاً واربع لبب تمنع الناس من الماء ودام القتال عشرة ايام ولقي اهل قلعة شيزر بلاء عظيماً ثم اقتصروا في القتال على المجانيق واقاموا الى يوم السبت تاسع عشر رمضان وبلغهم ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات في جموع عظيمة تزيد عن خمسين الفاً من التركمان وغيرهم فأحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر وتركوا مجانيق عظاماً رفعها اتابك الى قلعة حلب بعد رحيلهم وساروا بعد ان هجموا ربض شيزر دفعات عدة ويخرجهم المسلمون منها فوصل

صلاح الدين من حماة يوم السبت تاسع الشهر وبلغه ان الفرنج هربوا من كفرطاب فسار اليها وملكها ووصل اتابك يوم الأحد عاشر الشهر وسار الى الجسر يوم الأثنين فوجد الفرنج قد هربوا نصف الليل ونزل اهله من ابى قبيس (هكذا) فنعوهم ودخل الروم مضيق افامية الى انطاكية وطلبها من الفرنج فلم يعطوه اياها فرحل عنها الى بلاده وسير اتابك خلفهم سرية من العسكر تتخطفهم هذا كله واتابك لم يستحضر قرا ارسلان بن داود ولم يجتمع به بل بعث اليه يأمره بالعود الى ابيه وانه مستغن عنه . وانحاز عنهم فنزل ارض حمص وكتب الى شهاب الدين محمود بن بورى يطلبها وترددت الرسل بينهم على ان يسلم اتابك حمص ويعوض أن واليها ببارين واللكمة والحصن الشرقى وتسلم اتابك حمص وتسلم الدمشقيون المواضع المذكورة . ورحل اتابك عن حمص وسار الى حلب ثم خرج منها الى بزاعة وفتحها بالسيف يوم الثلثا تاسع عشر محرم من سنة ثلث وثلثين وخمسمائة وقتل كل من كان بها على قبر شرف الدولة مسلم بن قريش وكان ضرب عليها بسهم في عينه فمات وعاد منها الى حلب وسار الى الأثارب ففتحها في ثالث صفر

قال فى الروضتين ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء الشهيد اتابك فاكثروا. منهم ابو المجد المسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم الحموي له قصيدة قد ذكرتها في ترجمته فى التاريخ اولها

بعزمك ايها الملك العظيم ... تذل لك الصعاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لما ... تبين انك الملك الرحيم
فجاء يطبق الفلوات خيلاً ... كأن الجحفل الليل البهيم
وقد ترك الزمان على رضاه ... فكان لخطبه الخطب الجسيم

فحين رميته بك فى خميس	تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المفاضة منك جيشا	فأحزن لا يسير ولا يقيم
كأنك فى العجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان رجيم
اراد بقاء مهجته فولى	وليس سوى الحمام له حميم
يؤمل ان تجود بها عليه	وانت بها وبالدنيا كريم
ايلتمس الفرنج لديك عفوا	وانت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا	بيوم فيه يكتهل الفطيم
ولما ان طلبتهم تمنى الا	ممية جوسلينهم اللئيم
اقام يطوّف الآفاق حينا	وانت على معاقله مقيم
فسار وما يعادله مليك	وعاد وما يعادله سقيم
اذا خطرت سيوفك فى نفوس	فأول ما يفارقها الجسوم

قال ابن الأثير ومن عجائب ما يحكى فى هذه الحادثة ان الخبر لما وصل بقصد الروم شيزر قام الأمير مرشد بن علي اخو صاحبها وهو ينسخ مصحفا فرفعه بيده وقال اللهم بحق من انزلته عليه ان قضيت بمجئ الروم فاقبضنى اليك فتوفي بعد ايام ونزل الروم بعد وفاته

قال في الروضتين لما وصل الروم والفرنج الى الشام ورأوا الأمر قد فات ارادوا جبر مصيبتهم بمنازلة بعض بلاد المسلمين فنازلوا حلب وحصروها فلم ير الشهيد ان يخاطر بالمسلمين ويلقاهم لأنهم كانوا في جمع عظيم فانحاز عنهم ونزل (في بزاعة) قريبا منهم يمنع عنهم الميرة ويحفظ اطراف البلاد من انتشار العدو فيها والأغارة عليها وارسل القاضى كمال الدين بن الشهرزورى الى السلطان مسعود ينهى اليه الحال بأمر البلاد وكثرة العدو ويطلب منه النجدة وارسال

العساكر فقال له كمال الدين اخاف ان تخرج البلاد من ايدينا ويجعل السلطان هذا حجة وينفذ العساكر فاذا توسطوا البلاد ملكوها فقال الشهيد ان هذا العدو قد طمع فيَّ وان اخذ حلب لم يبق بالشام اسلام وعلى كل حال فالمسلمون اولى بها من الفرنج قال فلما وصلت الى بغداد واديت الرسالة وعدني السلطان بانفاذ العساكر ثم اهمل ذلك ولم يتحرك فيه بشيء وكتب الشهيد اليَّ متصلة يحثني على المبادرة بأنفاذ العساكر وانا اخاطب فلا ازاد على الوعد قال فلما رأيت عدم اهتمام السلطان بهذا الأمر العظيم احضرت فلانا وهو فقيه وكان ينوب عنه في القضاء فقلت خذ هذه الدنانير وفرقها في جماعة من اوباش بغداد والاعاجم واذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر بجامع القصر قاموا وانت معهم واستغاثوا بصوت واحد واسلاماه وادين محمداه ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطنة مستغيثين ثم وضعت انسانا آخر يفعل مثل ذلك في جامع السلطان فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه والقى عمامته عن رأسه وصاح وتبعه اولئك النفر بالصياح والبكاء فلم يبق بالجامع الامن قام يبكي وبطلت الجمعة وسار الناس كلهم الى دار السلطان وقد فعل اولئك الذين بجامع السلطان مثلهم فأجتمع اهل بغداد وكل من بالعساكر عند دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون وخرج الأمراء عن الضبط وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل له ان الناس قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر الى الغزاة فقال احضروا ابن الشهرزوري قال فحضرت عنده وانا خائف منه الا انني قدعزمت على صدقه وقول الحق فلما دخلت عليه قال ياقاضي ماهذه الفتنة فقلت ان الناس قد فعلوا هذا خوفاً من الفتنة والشر ولاشك ان السلطان ما يعلم كم بينه وبين العدو وانما بينكم نحو اسبوع ولئن اخذوا حلب انحدروا

اليك فى الفرات وفي البر وليس بينكم بلد يمنعهم عن بغداد وعظمت الأمر عليه حتى جعلته كانه ينظر اليهم فقال اردد هؤلاء العامة عنا وخذ من العساكر ماشئت وسر بهم والامداد تلحقك قال فخرجت الى العامة ومن انضم اليهم فاخبرتهم وعرفتهم الحال وامرتهم بالعود فعادوا وتفرقوا وانتخبت من عسكره عشرة آلاف فارس وكتبت الى الشهيد اعرفه الخبر وانه لم يبق غير المسير واجدد استئذانه فى ذلك فأمرني بتسييرهم والحث على ذلك فعبرت العساكر الجانب الغربي فبينما نحن نتجهز للحركة واذا قد وصل نجاب من الشهيد بخبر بأن الروم والفرنج قد رحلوا عن حلب خائبين لم ينالوا منها غرضا ويأمرني بترك استصحاب العساكر فلما خوطب السلطان فى ذلك اصر على انفاذ العساكر الى الجهاد وقصد بلاد الفرنج واخذها وكان قصده ان تطأ عساكره البلاد بهذه الحجة فيملكها فلم ازل اتوصل مع الوزير واكابر الدولة حتى اعدت العساكر الى الجانب الشرقي وسرت الى الشهيد قال ابن الأثير فانظروا الى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة آلاف فارس يعني كمال الدين رحم الله الشهيد فلقد كان ذا همة عالية ورغبة في الرجال ذوى الرأي والعقل يرغبهم ويخطبهم من البلاد ويوفر لهم العطاء [حكى لي والدى] قال قيل للشهيد ان هذا كمال الدين يحصل له في كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار اميرية وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار فقال لهم بهذا العقل والرأى تدبرون دولتي ان كمال الدين يقل له هذا القدر وغيره يكثر له خمسمائة دينار فأن شغلا واحداً يقوم فيه كمال الدين خير من مائة الف دينار وكان كما قال رحمه الله تعالى

سنة ٥٣٣ ﴿ سنة الزلازل ﴾

قال ابن الاثير في هذه السنة في صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة

وكثير من البلاد وكان اشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولا سيما حلب فأن اهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا الى الصحراء وعدوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشرة وكان معها صوت وهزة شديدة اه قال ابن العديم وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر حدثت زلزلة شديدة ثم اتبعتها اخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب الى ظاهر البلد وخرجت الاحجار من الحيطــان الى الطريق وسمع الناس دوياً عظيما وانقلبت الاتارب فهلك فيها ستمائة من المسلمين وسلم الوالي ومعه نفر يسير وهلك اكثر البلاد من شيح وتل عماد وتل خالد وزردنا وشوهدت الارض تموج والاحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال وانهدم في حلب دور كثيرة وتشعث السور واضطربت جدران القلعة وسار اتابك مشرقاً فنزل القلعة وسار منها الى القلعة [هكذا] ثم الى الموصل وتواترت الزلازل وقيل ان عدتها كانت ثمانين زلزلة

وكان فى سنة اثنتين وثلاثين قد عول اتابك على قبض املاك الحلبيين التى استحدثوها من ايام رضوان الى آخر ايام ايلغازي ثم قرر عليهم عشرة آلاف فأدوا من ذلك الف دينار وجاءت هذه الزلازل فهرب اتابك من القلعة الى ميدانها خائفاً واطلق القطيعة

وفي هذه السنة نهض سوار الى الفرنج فغنم من بلادهم ولحقوه فاستخلصوا ما غنم وانهزم المسلمون فغنم الفرنج واخذوا منهم الفاً ومائتي فارس واسروا صاحب الكهف ابن عمرون وكان قد سلمها الى الباطنية

سنة ٥٣٤

قال ابن الأثير في هذه السنة حصر اتابك زنكى دمشق مرتين، وملك شهرزور

واعمالها وما يجاورها وبسط الخبر في ذلك .

وفيها في ربيع الآخر مات قاضي حلب ابو غانم محمد بن ابي جرادة فولى قضاءها ولده ابو الفضل هبة الله محمد ولما استحضره اتابك وولاه القضاء قال له هذا امر قد نزعته من عنقي وقلدتك اياه فينبغي ان تتقي الله تعالى وان تساوي بين الخصمين هكذا وجمع بين اصابعه اه

سنة ٥٣٦

اغارة الفرنج على سرمين

قال ابن العديم في هذه السنة اغار الفرنج على بلد سرمين واخربوا ونهبوا ثم تحولوا الى جبل السماق وكذلك فعلوا بكفرطاب وتفرقوا فأغار علم الدين بن سيف الدين سوار مع التركمان الى باب انطاكية وعادوا بالغنائم والوسيق العظيم واغار لجه التركى وكان قد برح عن دمشق الى خدمة زنكى على بلد الفرنج في جمادى فساق وسبى وقتل وذكر ان عدة المقتولين سبعمائه رجل ونهض سوار (نائب اتابك زنكى فى حلب) فى شهر رمضان الى بلد انطاكية وعند الجسر جمع عظيم وخيم مضروبة من الفرنج فخاض التركمان اليهم العاصى وكسروا الجميع هناك وقتلوا كل من كان بالخيم ونهبوا وسبوا وعادوا الى حلب بالوسيق العظيم والأسرى والروس وخرج ملك انطاكية الى وادي بزاعة فخرج سوار فردهم الى الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصلح بينهما

سنة ٥٣٧

قال في الروضتين في هذه السنة سار الشهيد الى بلد الهكارية وكان بيد الأكراد وقد اكثروا في البلاد الفساد الا ان نصير الدين جقر نائب السلطان الشهيد بالموصل كان قد ملك كثيراً من بلادهم فلما بلغها الشهيد حصر قلعة الشعبانى (اسمها اشب)

وهى من اعظم قلاعهم واحصنها فملكها واخربها وامر ببناء قلعة العمادية عوضا عنها وكانت هذه العمادية حصنا كبيرا عظيماً فأخربه الأكراد لعجزهم عن حفظه لكبره فلما ملك اتابك الشهيد البلاد التى لهم قال اذا عجز الأكراد عن هذا الحصن فأنا بحول الله لا اعجز عنه فأمر ببنائه وكان رحمه الله ذا عزم ونفاذ امر فبنى الحصن وسماه القلعة العمادية نسبة الى لقبه عماد الدين اه

سنة ٥٣٨

ذكر فتح اتابك قلعتي ابزون وحيزان وغيرهما

قال ابن العديم في هذه السنة فتح اتابك قلعة ابزون وبعدها قلعة حيزان ومما كان بيد الفرنج جملين والمؤزر وتل موز وغيرها وخرج عسكر حلب فظفروا برفقة كبيرة كثيرة من التجار والأجناد وغيرهم خرجت من انطاكية تريد بلاد الفرنج معها مال كثير ودواب ومتاع فاوقعوا بهم وقتلوا جميع الخيالة من الفرنج الخارجين لحمايتهم واخذوا ما كان معهم وعادوا الى حلب وذلك فى جمادى الأولى من السنة

وفي ذى القعدة من السنة توجهت خيل التركمان من حلب فأوقعت بخيل خارجة من باسوطا فقتلوهم واسروا صاحب باسوطا جاؤا به الى حلب فسلموه الى سوار فقيده

ذكر فتح اتابك زنكى طنزة واسعرد وغير ذلك

قال ابن الأثير وفي هذه السنة سار اتابك زنكى الى ديار بكر ففتح منها عدة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الدوق وحصن مطليس وحصن بانسية وحصن ذى القرنين وغير ذلك

مما لم يبلغ غيره هذه الأماكن واخذ ايضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين ورتب امور الجميع وخلى فيها من الأجناد من يحفظها وقصد مدينة آمد وحانى فحصرهما واقام بتلك الناحية مصابحا لما فتحه ومحصرا لما لم يفتحه ·

وفيها سير اتابك زنكى عسكراً الى مدينة عانة من اعمال الفرات فملكوها. قال في الروضتين وفي الكامل في هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته فى كل سنة وجمع العساكر وتجهز لقصد اتابك زنكى وكان حقد عليه حقداً شديداً وسبب ذلك ان اصحاب الأطراف الخارجين على السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه فكان ينسب ذلك الى اتابك زنكى ويقول هو الذى سعى فيه واشار به لعامه انهم كلهم يصدرون عن رأيه فكان اتابك زنكى لاشك يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان فيتمكن منه ومن غيره فلما تفرغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسيروا الى بلاده فسير اتابك يستعطفه ويستميله فأرسل اليه السلطان ابا عبد الله بن الأنبارى في تقرير القواعد فاستقرت الحال على مائة الف دينار امامية يحملها الشهيد الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين الف دينار اكثرها عروض وطلب ان يحضر الشهيد في خدمته فامتنع واعتذر بأشتغاله بالفرنج فعذره وشرط عليه فتح الرها وكان من اعظم الأسباب في تأخر السلطان عن قصد الموصل انه قيل له ان مملكة البلاد لايقدر على حفظها من الفرنج غير اتابك عماد الدين فأنها قد وليها قبله مثل جاولى سقاوه ومودود وجيوش بك والبرسقى وغيرهم من الأكابر وكان السلاطين يمدونهم بالعساكر الكثيرة ولايقدرون على حفظها ولايزال الفرنج يأخذون منها البلد بعد البلد الى ان وليها اتابك فلم يمده احد من السلاطين بفارس واحد ولا بمال ومع هذا فقد فتح من بلاد

العدو عدة حصون وولايات وهزمهم غير مرة واستضعفهم وعز الأسلام به ومن الأسباب المانعة له ايضا ان الشهيد كان لايزال ولده الاكبر سيف الدين غازى في خدمة السلطان مسعود بأمر والده وكان السلطان يحبه ويقربه ويعتمد عليه ويثق به فأرسل اليه الشهيد يأمره بالهرب والمجئ الى الموصل وارسل الى نائبه بالموصل يأمره ان يمنعه من دخول الموصل ومن المسير اليه ففعل ذلك وقال له ترسل الى والدك تستأذنه في الذى نفعله فأرسل اليه فعاد الجواب انني لا اريدك مادام السلطان ساخطاً عليك فألزمه بالعود اليه فعاد ومعه رسول الى السلطان يقول له انني لمابلغني ان ولدى فارق الخدمة بغير اذن لم اجتمع به ورددته الى بابك فحل هذا عند السلطان محلاً كبيراً واجاب الى ما اراد الشهيد ثم ان الأمور تقلبت وعاد اصحاب الأطراف خرجوا على السلطان فاحتاج الى مداراة الشهيد واطلق له الباقى مما تقرر عليه استمالةً له

سنة ٥٣٩

ذكر فتح الرها وغيرها من البلاد الجزرية

قال ابن العديم كان اتابك زنكى لايزال يفكر في فتح الرها ونفسه في كل حين تطالبه بذلك الى ان عرف ان جوسلين صاحبها قد خرج منها في معظم عسكره في سنة تسع وثلثين وخمسمائة لأمر اقتضاه فسارع اتابك الى النزول عليها في عسكر عظيم وكاتب التركمان بالوصول اليه فوصل خلق عظيم واحاط المسلمون بها من كل الجهات وحالوا بينها وبين من يدخل اليها بميرة وغيرها ونصب عليها المجانيق وشرع الحلبيون فنقبوا عدة مواضع عرفوا امرها الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور فعلقوه بالأخشاب واستأذنوا اتابك في اطلاق

النار فيه فدخل الى النقب بنفسه وشاهده ثم اذن لهم فالقوا النار فيه فوقع السور في الحال وهجم المسلمون البلد وملكوه بالسيف يوم السبت سادس عشر جمادى الآخرة وشرعوا في النهب والقتل والأسر والسبي حتى امتلأت ايديهم من الغنايم ثم امر اتابك برفع السيف عن اهلها ومنع السبي ورده من ايدي المسلمين واوصى باهلها خيرا وشرع في عمارة ما انهدم منها وترميمه . وكان جمال الدين ابو المعالى فضل الله بن ماهان رئيس حران هو الذى يحث اتابك فى جميع الأوقات على اخذها ويسهل عليه امرها فوجد على عضادة محرابها مكتوبا

اصبحتُ صفرا من بنى الأصفر   اختال بالأعلام والمنبر

دانٍ من المعروف حالٍ به   ناءٍ عن الفحشاء والمنكر

مطهر الرحب على انني   لولا جمال الدين لم اطهر

فبلغ ذلك رئيس حران فقال امحوا جمال الدين واكتبوا عماد الدين فبلغ ذلك زنكى فقال صدق الشاعر لولاه لما طمعنا فيها . وامر عماله بتخفيف الوطأة في الخراج وان يأخذوه على قدر مغلاتها ثم رحل الى سروج ففتحها وهرب الفرنج منها ثم رحل فنزل على البيرة فحاصرها فى هذه السنة وجاء الخبر من الموصل ان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قتل فخاف عليها وترك البيرة بعد ان قارب اخذها وسار حتى دخل الموصل واخذ فرخانشاه بن السلطان الذى قتل جقر وعزم على تملك الموصل فقتله بدم جقر وولى الموصل مكان الأمير زين الدين على كوجك.

قال فى الروضتين وفى الكامل. ان الرها من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلاً وهى احد الكراسي عندهم فاشرفها البيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم قسطنطينية والرها وكان على المسلمين من الفرنج الذين بالرها شر عظيم وملكوا من نواحى ماردين الى الفرات على طريق شبختان عدة حصون كسروج والبيرة

وجملين والموزر وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر وماردين ورأس عين والرقة واما حران فكانت معهم فى الخزي كل يوم قد صبحوها بالغارة وكانت الرها لجوسلين وهو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم فلما رأى اتابك الشهيد الحال هكذا انف منهم وكان يعلم انه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فتعذر عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة ولما هو عليه من المكر والشجاعة فأخذ فى اعمال الحيل والخداع لعل جوسلين يخرج منها الى بعض البقاع فتشاغل عنها بقصد ماجاورها من ديار بكر التى بيد الأسلام كخانى وجبل جور وآمد فكان يقاتل من بها قتالا فيه ابقاء وهو يسر حشواً في ارتغاء فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها يروم ووكل بها من يخبره بخلو عرينها من آساده وفراغ حصنها من انصاره واجناده فلما رأى جوسلين اشتغال الشهيد بحرب اهل ديار بكر ظن انه لافراغ له اليه وانه لايمكنه الأقدام عليه . قال في الكامل وفارق جوسلين الرها وعبرا الفرات الى بلاد الغربية فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى في العسكر بالرحيل وان لا يأكل معى على مائدتى هذه الا من يطعن غدا معى بباب الرها فلم يتقدم اليه غير امير واحد وصبي لايعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وان احداً لايقدر على مساواته في الحرب فقال الأمير لذلك الصبي ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعوه فوالله انى ارى وجها لايختلف عنى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اول من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبي وحمل فارس من خيالة الفرنج على اتابك عرضاً فأعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوماً فزحف اليه عدة دفعات وقدم النقابين فنقبوا سور البلد ولج فى قتاله خوفاً من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت

البدنة التي نقبها النقابون واخذ البلد عنوة وقهرا وحصر قلعته فلكها ايضاً ونهب الناس الاموال وسبوا الذرية وقتلوا الرجال فلما رأى اتابك البلد اعجبه ورأى تخريب مثله لايجوز فى السياسة فأمر فنودى فى العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ماغنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شيء الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الأول وجعل فيه عسكراً يحفظه قال فى الروضتين وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المدن والحصون والقرايا كسروج وغيرها واخلى الديار الجزرية من معرة الفرنج وشرهم واصبح اهلها بعد الخوف آمنين وكان فتحا عظيما طار في الآفاق ذكره وطاب بها نشره وشهده خلق كثير من الصالحين والأولياء . قال ابن الأثير حكى لى جماعة اعرف صلاحهم انهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ ابا عبدالله بن على بن مهران الشافعي وكان من العلماء والزاهدين فى الدنيا المنقطعين عنها وله الكرامات الظاهرة ذكر عنه انه غاب عنهم فى زاويته يومه ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور وعنده من الأرتياح مالم يروه ابدا فلما قعد معهم قال حدثنى بعض اخواننا ان اتابك زنكى فتح مدينة الرها وانه شهد معه فتحها يومنا هذا ثم قال مايضرك يازنكى مافعلت بعد اليوم يردد هذا القول مراراً فضبطوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح . ثم ان نفراً من الأجناد حضروا عند هذا الشيخ وقالوا له منذ رأيناك على السور تكبر ايقنا بالفتح وهو ينكر حضوره وهم يقسمون انهم رأوه عيانا قال وحكى لى بعض العلماء بالأخبار والانساب وهو اعلم من رأيت بها قال كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج لما فتحت الرها وكان بها بعض الصالحين من المغاربة المسلمين وكان الملك يحضره ويكرمه ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده

من الرهبان والقسيسين فلما كان الوقت الذى فتحت فيه الرها سير ملك الفرنج هذا جيشا الى افريقية فنهبوا وغاروا واسروا وجاءت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد نعس وهو شبيه النائم فايقظه الملك وقال يافقيه قد فعل اصحابنا بالمسلمين كيت وكيت اين كان محمد عن نصرتهم فقال له كان قد حضر فتح الرها فتضاحك من عنده من الفرنج فقال لهم الملك لا تضحكوا فوالله ما قال عن غير علم واشتد هذا على الملك فلم يمض غير قليل حتى اتاهم الخبر بفتحها على المسلمين فانساهم شدة هذا الوهن رخاء ذلك الخبر لعلو منزلة الرها عند النصرانية قال وحكى لى ايضاً غير واحد ممن اثق اليهم ان رجلاً من الصالحين قال رأيت الشهيد بعد قتله فى المنام في احسن حال فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت بماذا قال بفتح الرها قلت وهناه القيسرانى عند فتح الرها بقصيدة اولها

هو السيف لايغنيك الا جلاده ... وهل طوق الا ملاك الا نجاده
وعن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظبا ... سناها وان فات العيون اتقاده
سمت قبة الأسلام فخراً بطوله ... ولم يك يسمو الدين لولا عماده
وزاد قسيم الدولة ابن قسيمها ... عن الله ما لا يستطاع زياده
ليهن بنى الايمان أمنٌ ترفعت ... رواسيه عزا واطمأن مهاده
وفتح حديث في السماع حديثه ... شهي الى يوم المعاد معاده
اراح قلوبا طرن عن وكناتها ... عليها قواف كل صدر فؤاده
لقد كان في فتح الرهاء دلالة ... على غير ما عند العلوج اعتقاده
يرجون ميلاد ابن مريم نصرة ... ولم يغن عند القوم عنه ولاده
مدينة افك منذ خمسين حجة ... يفلّ حديد الهند عنها حداده
تفوت مدى الابصار حتي لو انها ... ترقت اليه خان طرفاً سواده

وجامحة عز الملوك قيادها ... الى ان ثناها من يعز قياده
فأوسعها حر القراع مؤيد ... سرار ولكن في يديه زناده
فأضرمها نارين حرباً وخدعة ... فما راع الا سورها وانهداده
فصدت صدود البكر عند افتضاضها ... وهيهات كان السيف حتما سفاده
فياظفرا عم البلاد صلاحه ... بمن كان قد عم البلاد فساده
فلا مطلق الا وشد وثاقه ... ولا موثق الا وحل صفاده
ولا منبر الا ترنح عوده ... ولا مصحف الا انار مداده
فأن يشكل [الابرنز] فيها حياته ... والا فقل للنجم كيف سهاده
وبانت سرايا القمص تقمص دونها ... كما تتنزا عن حريق جراده
الى اين يا اسرى الضلالة بعدها ... لقد ذل غاويكم وعز رشاده
رويدكم لا مانع من مظفر ... يعاند اسباب القضاء عناده
مصيب سهام الرأي لو ان عزمه ... رمى سد ذي القرنين اصمي سداده
وقل لملوك الكفر تسلم بعدها ... ممالكها ان البلاد بلاده
كذا عن طريق الصبح فليتنه الدجى ... فيا طالما غال الظلام امتداده
ومن كان املاك السموات جنده ... فأية ارض لم ترضها جياده
ولله عزم ماء سيحان ورده ... وروضة قسطنطينية مستراده

وله من قصيدة هنأ بها القاضي كمال الدين بن الشهرزوري اولها

هي جنة المأوى فهل من خاطب

ان الصفائح يوم صافحت الرها ... عطفت عليها كل اشوس ناكب
فتح الفتوح مبشراً بتمامه ... كالفجر فى صدر النهار الآيب
لله اية وقفة بدرية ... نصرت صحائبها بأيمن صاحب

ظفر كمال الدين كنت لقاحه ... كم ناهض بالحرب غير محارب
وامدكم جيش الملايك نصرة ... بكتائب محثوثة بكتائب
جنبوا الدبور وقد نمو ريح الصبا ... جند النبوة هل لها من غالب
اترى الرها الورهاء يوم تمنعت ... ظنت وجوب السور سورة لاعب
لا اين لا اسرى المهالك بعدها ... ضاق الفضاء على نجاة الهارب
شداً الى ارض الفرنجة بعدها ... ان الدروب على الطريق اللاحب
افغركم والثار رهن دماءكم ... ماكان من اطراق لحظ الطالب
واذا رأيت الليث يجمع نفسه ... دون الفريسة فهو عين الهارب

وقال ابن منير

صفات مجدك لفظ جل معناه ... فلا استرد الذي اعطاكه الله
ياصارما بيمين الله قائمه ... وفى اعالي اعادى الله حداه
اصبحت دون ملوك الأرض منفردا ... بلا شبيه اذ الأملاك اشباه
فداك من صاوات مسعاك همته ... جهلاً وقصر عن مسعاك مسعاه
قل للأعادي الا موتوا به كمدا ... فالله خيبكم والله اعطاه
ملك تنام عن الفحشاء همته ... تقى وتسهر للمعروف عيناه
مازال يسمك والايام تخدمه ... فيما ابتلاه يؤدي ما توخاه
حتى تعالت عن الشعرى مشاعره ... قدرا وجاوزت الجوزاء نعلاه
وقد روى الناس اخبار الكرام مضوا ... واين مما رووه ما رأيناه
اين الخلائق عن فتح اتيح له ... مظلل افق الدنيا جناحاه
على المنابر من انبائه ارج ... مقطوبة بفتيق المسك رياه
فتح اعاد على الاسلام بهجته ... فافتر مبسمه واهتز عطفاه

يهذي بمعتصم بالله فتكته ... حديثها نسخ الماضي وانساه
ان الرها غير عمورية وكذا ... من رامها ليس مغزاه كمغزاه
اخت الكواكب عز اما بغا احد ... من الملوك لها وقما فواتاه
حتى دلفت لها بالعزم يشحذه ... رأي يبيت فويق النجم مسراه
يامحيي العدل اذ قامت نوادبه ... وعامر الجود لما مح مغناه
يانعمة الله يستصفي المزيد بها ... للشاكرين ويستغنى صفاياه
ابقاك للدين والدنيا تحوطهما ... من لم يتوجك هذا التاج الاهو

ولأبن منير ايضاً من قصيدة

ايا ملكاً القى على الشرك كلكلا ... اناخ على اماته كلكل الثكل
جمعت الى فتح الرها سد بابه ... بجمعك بين النهب والاسر والقتل
هو الفتح انسى كل فتح حديثه ... وتوج مسطور الرواية والنقل
فضضت به نقش الخواتم بعده ... جزيت جزاء الصدق عن خاتم الرسل
تجردت للاسلام دون ملوكه ... تبثك اسباب المذلة والخذل
اخو العرب غذته القراع معظما ... يشوب بأقدام الفتى حنكة الكهل

وله من قصيدة اخرى

بعماد الدين اضحت عروة الـ ... دين معصوباً بها الفتح المبين
واستزادت بقسيم الدولة الـ ... قسم من ادحاض كيد المارقين
ملك اسهر عيناً لم تزل ... همها تشريدهم الراقدين
لاخلت من كحل النصر فقد ... فقأت غيضاً عيون الحاسدين
كل يوم مر من ايامه ... فهو عيد عائد للمسلمين
لو جرى الانصاف في اوصافه ... كان اولاها امير المؤمنين

ماروى الراوون بل ما سطروا — مثل ما خطت له ايدى السنين

ومنها

والرها لو لم تكن الا الرها — لكفت قطعاً لشك الممترين
هم قسطنطين ان يفزعها — ومضى لم يحو منها قسط طين
ولكم من ملك حاولها — فتحلا الحين وسماً في الجبين
هي اخت النجم الا انها — منه كالنجم لرأى المبصرين
منيت منه بليث قائد — بعران الذل آساد العرين
زارها يزأر فى اسد وغى — تبدل الاسد من الزأر الأنين

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذا المقدار . قال في الروضتين ولما فرغ الشهيد من اخذ الرها واصلاح حالها والاستيلاء على ماورائها من البلاد والولايات سار الى قلعة البيرة وهي حصن حصين مطل على الفرات وهو لجوسلين ايضاً فحصره وضايقه فأتاه الخبر بقتل نائبه بالموصل والبلاد الشرقية نصير الدين جقر بن يعقوب فرحل عنها خوفاً من ان يحدث فى البلاد فتن يحتاج الى المسير اليها فلما رحل عنها سير اليها حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين عسكرا فسلمها الفرنج اليهم خوفاً من الشهيد ان يعود اليهم فيأخذها . ثم ساق السبب فى قتل نصير الدين وتوجه اتابك الى الموصل لأصلاح شؤونها الى ان قال ولما رأى الشهيد صلاح امر الموصل سار الى حلب فجهز منها جيشاً الى قلعة شيزر وبينها وبين حماة نحو اربعة فراسخ فحصرها ولم يذكر هل انه ملكها اورحل عنها

سنة ٥٤١

حصر عماد الدين زنكى قلعة جعبر ثم خبر قتله وترجمته

قال ابن العديم ثم شرع زنكى فى الجمع والاحتشاد والاستكثار من عمل المجانيق

وآلة الحروب في اوائل سنة اربعين وخمسمائة ويظهر للناس ان ذلك لقصد الجهاد وبعض الناس يقول انه لقصد دمشق ومنازلتها وكان ببعلبك مجانيق لحملت الى حمص في شعبان من هذه السنة وقيل ان عزمه انثنى عن الجهاد في هذ السنة وان جماعة من الارمن بالرها عاملوا عليها وارادوا الايقاع بمن كان فيها من المسلمين واطلع على حالهم وتوجه اتابك من الموصل نحوها وقوبل من عزم على الفساد بالقتل والصلب وسار ونزل على قلعة جعبر بالبرج الشرقى تحت القلعة يوم الثلاثا ثالث ذي الحجة فأقام عليها الى ليلة الاحد سادس شهر ربيع الآخر نصف الليل من سنة احدى واربعين وخمسمائة فقتله برتقش الخادم كان يهدده في النهار لخاف منه فقتله في الليل في فراشه وقيل انه شرب ونام فانتبه فوجد برتقش الخادم وجماعة من غلمانه يشربون فضل شرابه فتوعدهم ونام فأجمعوا على قتله وجاء برتقش الى تحت القلعة فنادى اهل القلعة شيلونى فقد قتلت اتابك فقالوا له اذهب الى لعنة الله فقد قتلت المسلمين كلهم بقتله

وقد كان اتابك ضايق القلعة فقل الماء فيها جداً والرسل من صاحبها على بن مالك تتردد بينه وبين اتابك فبذل علي بن مالك له ثلثين الف دينار ليرحل عنها فأجابه الى ذلك ونزل الرسول وقد جمع الذهب حتى قلع الحلق من آذان اخواته واحضر الرسول وقال لبعض خواصه امض بفرسه وقربه الى قدر اليخنى فأن شرب منه فاعلمنى ففعل ذلك فشرب الفرس مرقة اليخنى فعلم ان الماء قد قل عندهم فغالط الرسول ودافعه ولم يجبه الى ملتمسه فأسقط في يد على بن مالك وكان في القلعة عنده بقرة وحش وقد اجهدها العطش فصعدت في درجة المئذنة حتى علت عليها ورفعت رأسها الى السماء وصاحت صيحة عظيمة فارسل الله سحابة ظللت القلعة وامطروا حتى رووا فتقدم حسان البعلبكي صاحب منبج

الى تحت القلعة ونادى عليّ بن مالك وقال يا امير على ايش بقى يخلصك من اتابك فقال له ياغافل يخلصني الذى خلصك من حبس بلك يعنى حين نزل بلك على منبج وخلص حسان فصدق فأله وكان ماذكرناه . واخبرني والدى رحمه الله ان حارس اتابك كان يحرسه فى الليلة التى قتل فيها بهذين البيتين

يـاراقد الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لاتأمنن بليل طـاب اوله فرب آخر ليل اجج النـارا

قال ابن الأثير في هذه السنة سار اتابك زنكى الى حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم بن مالك العقيلي سلمه السلطان ملكشاه الى ابيه لما اخذ منه حلب وقد ذكرناه لحصره وسير جيشا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان لحصرها ايضاً وصاحبها حينئذ الأمير حسام الدين الكردي البشنوي وكان سبب ذلك انه كان لايريد ان يكون في وسط بلاده ما هو ملك غيره حزماً واحتياطاً فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها

قال في الروضتين نقلا عن يحي بن ابى طي في كتاب السيرة الصلاحية . ومن عجيب مـا حكى انه لما اشتد حصار قلعة جعبر جاء في الليل ابن حسان المنبجى ووقف تحت القلعة ونادى صاحبها فأجابه فقـال له هذا المولى اتابك صاحب البلاد قد نزل عليك بعساكر الدنيا وانت بلا وزير ولا معين وانـا ارى ان ادخل في قضيتك وآخذ لك من المولى اتابك مكاناً عوض هذا المكان وان لم يفعل فأي شيء تنتظر فقـال له صاحب القلعة انتظر الذي انتظر ابوك وكان بلك بن بهرام صاحب حلب قد نزل على ابيه حسان وحاصره في منبج اشد حصار ونصب عليه عدة مجانيق وقـال يومـاً لحسان وقد احرقه بحجارة المنجنيق اي شيء تنتظر اما تسلم الحصن فقال لـه حسان انتظر سهماً من سهام

الله فلما كان من الغد بينا بلك يرتب المنجنيق اذ اصابه سهم غرب وقع فى لبته فخر ميتا ولم يكن من جسده شيءٌ ظاهر الا ذلك المكان لأنه كان قد لبس الدرع ولم يزرها على صدره فلما سمع ابن حسان ذلك من مقالة صاحب قلعة جعبر رجع عنه وفى تلك الليلة قتل اتابك زنكى فكان هذا من الاتفاقات العجيبة والعبر الغريبة اه

قال ابن الأثير ولما قتل اتابك زنكى رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهي بيد عقب صاحبها الى الآن وسمعتهم يذكرون ان لهم بها نحو ثلثمائة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كل من يلتجي اليهم ويقصدهم ولا يسلمونه الى طالبه كائنا من كان قريبا ام غريبا اه

﴿ ذكر خبر قتله ﴾

قال في الروضتين قصد زنكى حصار قلعة جعبر فنازلها وكان اذا نام ينام حوله عدة من خدامه الصباح وهو يحبهم ويحبونه ولكنهم مع الوفاء منه يخفونه وهم ابناء الفحول القروم من الترك والروم وكان من دأبه انه اذا نقم على كبير ارداه واقصاه واستبقى ولده عنده واخصاه فنام ليلة موته وهو سكران فشرع الخدم فى اللعب فزجرهم وزبرهم وتوعدهم فخافوا من سطوته فلما نام ركبه كبيرهم واسمه برتقش فذبحه ولم يجهز عليه وخرج فركب فرس النوبة موهما انه يمضى في مهم وهو لا يرتاب به لأنه خاص زنكى ولم يشعر اصحابه بقتله فأتى الخادم اهل القلعة فأعلم من بها من اهلها بقتله فبادر اصحابه اليه فأدركه اواثلهم وبه رمق ثم ختم الله له بالشهادة اعماله وكان ذلك لخمس مضين من ربيع الآخر

لاقي الحمام ولم اكن مستيقنا ان الحمام سيبتلى بحمام

قال ابن الأثير حدثنى والدى عن بعض خواصه قال دخلت اليه في الحال وهو حي فحين رآني ظن اني اريد قتله فأشار الي بأصبعه السبابة يستعطفني فوقعت من

هيبته فقلت يامولاي من فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة لأنه كان لما قتل والده صغيرا. ولما قتل دفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة لايقدر القوي على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلاً وسكاناً

قال في المختار من الكواكب المضية لما قتل بقي وحده فخرج اليه اهل الرافقة فغسلوه بقحف جرة ودفنوه على باب مشهد علي في جوار الشهداء من الصحابة وبنوا عليه قبة وكان بالمشهد قيم اعجمي وكان رجلاً صالحاً فاتفق أنه رأى ليلة النصف من شعبان كأنه خرج من البلد وجاء للمشهد فرأى على بابه ثلاثة افراس يمسكها عبد اسود قال فدخلت المشهد فرأيت ثلاثة رجال فقلت من انتم فقال احدهم انا علي وهذا الحسن والحسين ثم سألني عن القبر فقلت هذا قبر سلطان عظيم فقال مه السلطان العظيم هو الله فقلت هذا قبر زنكى الشهيد فقال لى امض الى ولده محمود وقل له نحن جعلنا هذا المكان معبدا فلم يجعله مدفنا فقل له ينقله من هنا [ثم] مشوا الى المكان الذى يقال فيه الكف ودعوا ثم قال انت ما تقول له نحن نقول له قال فأصبح الرائي ودخل الى مدبر المدينة ابى مسلم فحكى له ما رأى وعنده جماعة فكتب كتاباً الى نور الدين يخبره بالمنام فلم يصل اليه الكتاب حتى سير نور الدين كتاباً الى المذكور يقول له رأيت ليلة نصف شعبان عليا وولديه وقالوا لى تنقل اباك من المشهد فنحن جعلناه معبداً لم تجعله مدفنا وقد سيرت اليك اربعة آلاف قرطيس تبنى له تربة مثل تربة الفقراء لامثل تربة الملوك وتنقله اليها فبنى له حظيرة بالقرب من المشهد ونقله اليها اه

وفي الروضتين في ثامن عشر جمادى الآخرة وصل الخادم برتقش القاتل لعماد الدين زنكى وانفصل من قلعة جعبر لخوف صاحبها من طلبه منه فوصل دمشق موقنا انه قد امن بها ومدلاً بما فعله وظنا منه ان الحال على ما توهمه فقبض عليه وانفذ الى حلب من صحبه من حفظته واوصله فاقام بها اياماً ثم حمل الى الموصل وذكر انه قتل بها

ترجمته وشيء من سيرته

قال ابن خلكان هو ابو الجود عماد الدين زنكى بن آقسنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب كان صاحب الموصل وكان من الأمراء المقدمين وفوض اليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى ولاية بغداد فى سنة احدى وعشرين وخمسمائة وكان لما قتل اقسنقر البرسقي وتوفي ولده مسعود ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل الى دبيس بن صدقة الأسدى صاحب الحله فتجهز دبيس للمسير وكان بالموصل امير كبير المنزلة يعرف بالجاولى وهو مستحفظ قلعة الموصل ومتولى امورها من جهة البرسقى فطمع فى البلاد وحدثته نفسه بتملكها فأرسل الى بغداد بهاء الدين ابا الحسن على بن القاسم الشهرزورى وصلاح الدين محمد الباغيسانى لتقرير قاعدته فلما وصلا اليها وجدا الأمام المسترشد قد انكر توليته دبيس وقال لاسبيل الى هذا وترددت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية زنكى فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معهما ان يكون الحديث في البلاد لزنكى ففعلا ذلك وضمنا للسلطان مالاً وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة الف دينار فبطل امر دبيس وتوجه زنكى الى الموصل وتسلمها ودخلها فى عاشر رمضان سنة احدى وعشرين وخمسمائة .

ولما تقلد زنكى الموصل سلم اليه السلطان محمود ولديه الب ارسلان وفرّوخ شاه

المعروف بالخفاجي ليربيهما فلهذا قيل له اتابك لأن الأتابك هو الذي يربي اولاد الملوك فالأتابك بالتركية هو الأب وبك هو الأمير فأتابك مركب من هذين المعنيين ثم استولى زنكي على ما والى الموصل من البلاد وفتح الرها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وكانت لجوسلين الأرمني ثم ساق خبر قتله

قال ابن العديم وكان اتابك جباراً عظيماً ذاهية وسطوة وقيل ان الشاووش كان يصيح خارج باب العراق وهو نازل من القلعة وكان اذا ركب مشى العسكر خلفه كأنه بين خيطين مخافة ان يدوس العسكر شيئاً من الزرع ولا يجسر احد من هيبته ان يدوس عرقاً منه ولا يمشي فرسه فيه ولا يجسر احد من اجناده ان يأخذ لفلاح علاقة تبن الا بثمنها او بخط من الديوان الى رئيس القرية وان تعدى احد صلبه وكان يقول ما يتفق ان يكون اكثر من ظالم واحد يعني نفسه فعمرت البلاد في ايامه بعد خرابها وامنت بعد خوفها وكان لا يبقي على مفسد واوصى ولاته وعماله بأهل حران ونهى عن الكلف والسخر والتثقيل على الرعية هذا ما حكاه اهل حران عنه واما فلاحو حلب فانهم يذكرون عنه ضد ذلك وكانت الاسعار في السنة التي توفي فيها رخية جداً الحنطة ست مكاييك بدينار والشعير اثنا عشر مكوكا بدينار والعدس اربع مكاييك بدينار والجلبان خمسة مكاييك بدينار والقطن ستون رطلاً بدينار والدينار هو الذي جعله اتابك دينار الغلة وقدره خمسون قرطيساً برسا (برشاً) وذلك لقلة العالم .

ولما قتل افترقت عساكره فأخذ عسكر حلب ولده نور الدين ابا القاسم محمود بن زنكي وطلبوه الى حلب فملكوه اياها واخذ نور الدين خاتمه من اصبعه قبل مسيره الى حلب وسار اجناد الموصل بسيف الدين غازي الى الموصل وملكها وبقي اتابك وحده فخرج اهل الرافقة فغسلوه بقحف جرة ودفنوه على باب مشهد

علي عليه السلام في جوار الشهداء من الصحابة رضوان الله عليهم وبني بنوه قبة فهي باقية الى الآن (١)

قال فى الروضتين (فصل) فى بعض سيرة الشهيد اتابك زنكى وكانت من احسن سير الملوك وكانت رعيته في امن شامل يعجز القوي عن التعدي على الضعيف قال ابن الأثير حدثني والدى قال قدم الشهيد الينا بجزيرة ابن عمر فى بعض السنين وكان زمن الشتاء فنزل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام وكان فى جملة امرائه الأمير عز الدين ابو بكر الدبيسى وهو من اكابر امرائه ومن ذوي الرأي عنده فدخل الدبيسي البلد ونزل بدار انسان يهودي واخرجه منها فأستغاث اليهودي الى الشهيد وهو راكب فسأل عن حاله فأخبره به وكان الشهيد واقفا والدبيسى الى جانبه ليس فوقه احد فلما سمع اتابك الخبر نظر الى الدبيسى نظر مغضب ولم يكلمه كلمة واحدة فتأخر القهقرى ودخل البلد واخرج خيامه وامر بنصبها خارج البلد ولم تكن الأرض تحتمل وضع الخيام عليها لكثرة الوحل والطين قال فلقد رايت الفراشين وهم ينقلون الطين لينصبوا خيمته فلما رأوا كثرته جعلوا على الأرض تبنا ليقيموها ونصبوا الخيام وخرج اليها من ساعته . قال وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الأملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم الى الأملاك فأن الأقطاعات تغنى عنها وان خرجت البلاد عن ايدينا فأن الأملاك تذهب معها ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم . قال ومن احسن ارائه انه كان شديد العناية بأخبار الأطراف ومايجرى لأصحابها حتى فى خلواتهم لاسيما دركات السلطان

(١) الى هنا آخر المنتخبات من بغية الطلب فى تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن احمد المشهور بأبن العديم الحلبي المطبوعة فى باريس مع ترجمتها بالأفرنسية

وكان يغرم على ذلك المال الجزيل فكان يطالع ويكتب اليه بكل ما يفعله السلطان فى ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك فكان يصل اليه كل يوم من عيونه عدة قاصدين . وكان مع اشتغاله بالأمور الكبار لايهمل الأطلاع على الصغير وكان يقول اذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيراً . وكان لايمكن رسول ملك يعبر فى بلاده بغير امره واذا استأذنه رسول فى العبور فى بلاده اذن له وارسل اليه من يسيره ولايتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيرهم فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من احوالها شيئاً وكان يتعهد اصحابه ويمتحنهم سلم يوما خشكنانكة الى طشت دار له وقال له احفظ هذه فبقي نحو سنة لا يفارق الخشكنانكة خوفا ان يطلبها منه فلما كان بعد ذلك قال له اين الخشكنانكة فأخرجها فى منديل وقدمها بين يديه فأستحسن ذلك منه وقال مثلك ينبغى ان يكون مستحفظاً لحصن وامر له بدزدارية قلعة كواشى فبقي فيها الى ان قتل اتابك وكان لايمكن احداً من خدمه من مفارقة بلاده ويقول ان البلاد كبستان عليه سياج فمن هو خارج السياج يهاب الدخول فاذا خرج منها من يدل على عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم اليها قال ومن صائب رأيه وجيده ان سير طائفة من التركمان الأيوانية مع الأمير اليارق الى الشام واسكنهم بولاية حلب وامرهم بجهاد الفرنج وملكهم كلما استنقذوه من البلاد للفرنج وجعله ملكا لهم فكانوا يغادون الفرنج بالقتال ويراوحونهم واخذوا كثيراً من السواد وسدوا ذلك الثغر العظيم ولم يزل جميع مافتحوه في ايديهم الى نحو سنة ستمائة قال ومن آرائه انه لما اجتمع له الأموال الكثيرة اودع بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب وقال ان جرى على بعض هذه الجهات خرق او حيل بيني وبينه استعنت على سد الخرق بالمال فى غيره. قال واما شجاعته واقدامه

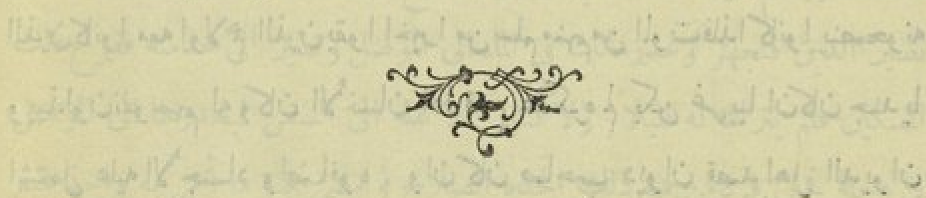
فاليه النهاية فيهما وبه كانت تضرب الأمثال ويكفى في معرفة ذلك جملة ان ولايته احدق بها الأعداء والمنازعون من كل جانب. الخليفة المسترشد والسلطان مسعود واصحاب ارمينية واعمالها بيت سكمان وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج ثم صاحب دمشق وكان ينتصف منهم ويغزو كلا منهم فى عقر داره ويفتح بلادهم ماعدا السلطان مسعوداً فأنه كان لايباشر قصده بل يحمل اصحاب الأطراف على الخروج عليه فاذا فعلوا عاد السلطان محتاجاً اليه وطلب منه ان يجمعهم على طاعته فيصير كالحاكم على الجميع وكل يداريه ويخضع له ويطلب منه ماتستقر القواعد على يده . قال واما غيرته فكانت شديدة ولا سيما على نساء الأجناد نأن التعرض اليهن كان من الذنوب التى لايغفرها وكان يقول ان جندى لايفارقوننى فى اسفارى وقلما يقيمون عند اهلهم فأن نحن لم نمنع من التعرض الى حرمهم هلكن وفسدن قال ابن الاثير وكان قد اقام بقلعة الجزيرة دزداراً اسمه نور الدين حسن البربطى وكان من خواصه واقرب الناس اليه وكان غير مرضي السيرة فبلغه عنه انه يتعرض للحرم فأمر حاجبه صلاح الدين الباغيسيانى ان يسير مجدا ويدخل الجزيرة فاذا دخلها اخذ البربطى وقطع ذكره وقلع عينه عقوبة لنظره بها الى الحريم ثم يصلبه فسار الصلاح مجدا فلم يشعر البربطى الا وقد وصل الى البلد فخرج الى لقائه فاكرمه ودخل معه البلد وقال المولى اتابك يسلم عليك ويريد ان يعلى قدرك ويرفع منزلتك ويسلم اليك قلعة حلب ويوليك جميع البلاد الشامية لتكون هناك مثل نصير الدين فتجهز وتحدر مالك فى الماء الى الموصل وتسير الى خدمته ففرح ذلك المسكين فلم يترك له قليلاً ولا كثيراً الا نقله الى السفن ليحدرها الى الموصل في دجلة فحين فرغ من جميع ذلك اخذه الصلاح وامضى فيه ما أمر به واخذ جميع

ماله فلم يتجاسر بعده احد على سلوك شيء من افعاله. قال واما صدقاته فقدكان يتصدق كل جمعة بمائة دينار اميرى ظاهراً ويتصدق فيما عداه من الأيام سراً مع من يثق به. وركب يوماً فعثرت به دابته فكاد يسقط عنها فاستدعى اميراً كان معه فقال له كلاماً لم يفهمه ولم يتجاسر على ان يستفهمه منه فعاد عنه الى بيته وودع اهله عازما على الهرب فقالت له زوجته ماذنبك وماحملك على هذا الهرب فذكر لها الحال فقالت له ان نصير الدين له بك عناية فاذكر له قصتك وافعل مايأمرك به فقال اخاف ان يمنعني من الهرب فأهلك فلم تزل زوجته تراجعه وتقوى عزمه فعرّف النصير حاله فضحك منه وقال له خذ هذه الصرة الدنانير واحملها اليه فهي التى اراد فقال الله الله في دمى ونفسي فقال لا بأس عليك فأنه ما اراد غير هذه الصرة فحملها اليه فحين رآه قال امعك شيء قال نعم فأمره ان يتصدق به فلما فرغ من الصدقة قصد النصير وشكره وقال من اين علمت انه اراد الصرة فقال انه يتصدق في هذا اليوم بمثل هذا القدر يرسل الى من يأخذه من الليل وفي يومنا هذا لم يأخذه ثم بلغني ان دابته عثرت به حتى كاد يسقط الى الأرض وارسلك الي فعلمت انه ذكر الصدقة. قال وحكى لي من شدة هيبته ماهو اشد من هذا قال والدى خرج يوما الشهيد من القلعة بالجزيرة من السر خلوة وملاح له نائم فأيقظه بعض الجاندارية وقال له اقعد فحين رأى الشهيد سقط الى الأرض فحركوه فوجدوه ميتاً. قال وكان الشهيد قليل التلون والتنقل بطيء الملل والتغير شديد العزم لم يتغير على احد من اصحابه مذ ملك الى ان قتل الا بذنب يوجب التغير والأمراء والمقدمون الذين كانوا معه اولاً هم الذين بقوا اخيرا من سلم منهم من الموت فلذا كانوا ينصحونه ويبذلون نفوسهم له وكان الأنسان اذا قدم عسكره لم يكن غريبا ان كان جنديا اشتمل عليه الأجناد واضافوه. وان كان صاحب ديوان قصد اهل الديوان

وان كان عالماقصد القضاة بني الشهرزوري فيحسنون اليه ويؤنسون غربته فيعود كأنه اهل وسبب ذلك جميعه انه كان يخطب الرجال ذوى الهمم العلية والآراء الصائبة والأنفس الأبية ويوسع عليهم في الأرزاق فيسهل عليهم فعل الجميل واصطناع المعروف . قلت وما احسن ماوصفه به احمد بن منير (الطرابلسي) من قوله في قصيدة

في ذرا ملك هو الدهـ ... ـر عطاء واستلابا
من له كف تبذ الغيث ... سحا وانسكابا
فاتح فى وجه كل ... امة للنصر بابا
ترجف الدنيا اذا حر ... ك للسير الركابا
وتخر المشمخرا ... ت اختلالا واضطرابا
وترى الأعداء من ... هيبته تأوي الشعابا
واذا ما لفحتهم ... ناره صاروا كبابا
يا عماد الدين لازا ... ت على الدين سحابا
جاعلاً من دونه ... سيفك ان ريع حجابا
فالبس النعماء فى الام ... ن الذى طبت وطابا
واصف عيشا ان اعـ ... ـداءك قد صاروا ترابا

تم بتوفيقه تعالى طبع الجزء الأول من ﴿ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ﴾ فى الثامن عشر من شوال سنة الف وثلاثمائة واثنتين واربعين
ويليه الجزء الثاني اوله ولاية نور الدين محمود الشهيد على حلب سنة ٥٤١



﴿ دولة بني حمدان ﴾

دولة بنى مرداس

(١) وقع في بعض النسخ سنة ٥٤ سهواً من المرتب بعد التصحيح ٠

الدولة السلجوقية بحلب



